بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : مضحي إدريس أحمد سعيد كلية : اللغة العربية قسم : الدراسات العليا - فرع الأدب

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه في تخصص : أدب عربي

عنوان الأطروحة : الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥هـ دراسة تحليلية فنية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢١/٢/١٤١٩هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإنّ اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه . . .

والله الموفق . . .

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الخارجي	المناقش الداخلي
الاسم : د. صالح بن جمال بدوي	الاسم : أ.د. ناصر بن سعد الرشيد	الاسم : أ.د. حسن عبد الكريم الورا كلي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

يعتمد :

رئيس قسم الدراسات العليا العربية

أ. د. محسن بن سالم رشيد العميري

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا ال
فرع الأدب

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٣٨٥

الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥هـ

دراسة تحليلية فنية

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب

إعداد الطالب
مفرح إدريس أحمد سيد

إشراف الأستاذ الدكتور
إبراهيم أحمد الحاردلو

لعام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى موحد شمل هذا الكيان الكبير ، ومرسي دعائم نهضته وازدهارها ، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

هذه الرسالة معنية بدراسة الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥هـ ، دارسة تحليلية فنية .

وقد جاءت في تمهيد وبابين ،عرضت في التمهيد لتحديد مفهومي للشعر الاجتماعي موضوع الدراسة، ثم أشرت إلى العوامل التي مهدت لانتشاره على مساحة واسعة من الشعر السعودي في تلك الفترة .

أما الباب الأول : ((**موضوعات الشعر الاجتماعي**)) فقد حاولت فيه الوقوف على الموضوعات التي دار حولها الشعر الاجتماعي بمفهومه الإصلاحي في تلك الفترة ، وإبراز القضايا التي استوقفت الشعراء وتجاذبت اهتمامهم ،فسلطوا عليها الأضواء وتناولوها في شعرهم .

وقد قمت بتقسيم هذا الباب إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : **النهوض بالمجتمع .**

الفصل الثاني : **الأسرة .**

الفصل الثالث :**التكافل الاجتماعي .**

الفصل الرابع : **آفات وعلل اجتماعية .**

أما الباب الثاني : ((**الدراسة الفنية**)) فقد عنيت فيه بتناول الشعر الذي تقاسمته فصول الباب الأول ومباحثها بالدراسة الفنية في محاولة جادة للوقوف على خصائصه وسماته التعبيرية والفنية .

وقد جاء هذا الباب في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : **اللغة والأساليب .**

الفصل الثاني :**التشكيل الموسيقي للشعر الاجتماعي .**

الفصل الثالث :**الصورة الفنية في الشعر الاجتماعي .**

وفي الخاتمة أوجزت ما فصلته في بابي هذه الدراسة ومباحثها ، وحاولت إبراز الخصائص والسمات الكبرى للشعر الاجتماعي موضوع الدراسة . وهي :

أولاً : أن الدراسة قد جلّت وأضحت غناء الشعر الاجتماعي بمفهومه الإصلاحي في ديوان الشعر السعودي في هذه الفترة ، وتعدد مجالاته وموضوعاته .

ثانياً : أبانت هذه الدراسة عن المرجعية الإسلامية التي يصدر عنها الشعراء في دعوتهم إلى إصلاح مجتمعهم .

ثالثا : أنه شعر بناء يسعى إلى إيجاد مجتمع ناهض سامٍ ،خالٍ من العيوب والأدواء، تسمو فيه القيم والمبادئ والمثل التي أرستها الرسالة الإسلامية الغراء وشريعتها السمحة .

رابعاً: جودة معظمة وتفوقه فنياً في أسلوبه وصورة .

والحمد لله أولاً وآخر

عميد الكلية	المشرف	الباحث
د / صالح بن جمال بدوي	د/صالح بن جمال بدوي	مفرح إدريس أحمد سيد

المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فقد وقفت أثناء بحثي عن موضوع يكون ميداناً لدراستي في مرحلة الدكتوراه على مدى حاجة الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية إلى إفراده بالدراسة المتأنية الجادة في آن . وذلك لعدة أمور ، أهمها :

١- غزارته ، وجودة معظمه من الناحية الفنية .

٢- تميزه عن الشعر الاجتماعي في سائر الأقطار العربية . وذلك التميز راجع - في نظري - إلى سببين رئيسين :

أولهما : انبثاق معظمه من التصور الإسلامي للحياة والناس والمجتمع .

ثانيهما : كون المجتمع الذي كان ميداناً لهذا الشعر مجتمعاً محافظاً ، لم يتأثر كثيراً بما تأثرت به معظم المجتمعات العربية والإسلامية من مؤثرات أجنبية .

٣- إسهامه الفاعل والقوي فيما وصلت إليه المملكة العربية السعودية ومجتمعها من تقدم ورقي في شتى الميادين والمجالات .

٤- عدم عناية الدارسين للشعر العربي في المملكة العربية السعودية بإبراز شعر هذا الاتجاه ، ومن ثم الوقوف على خصائصه وسماته التعبيرية

والفنية * . وهذا القول لايصادر الإشارات العابرة التي حوتها بعض الدراسات التي وجهت للشعر في المملكة العربية السعودية ، إلاَّ أنها – كما أرى – ليست كافيَة للنهوض باتجاه واسع في الشعر السعودي ، عالج فيه الشعراء عدداً من القضايا ذات الصلة الوثيقة بمجتمعهم ، ولم يكتفوا بذلك وإنما تجاوزوا تلك القضايا إلى الأخذ بأيدي أبناء مجتمعهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة في حياتهم ، ساعين إلى إيجاد مجتمع مثالي يستمد مثاليته من الرسالة الإسلامية التي شرفت أراضيهم بأن كانت مشرقاً لأنوارها الساطعة .

والدراسات التي تناولت الشعر السعودي عامة ، وأشار أصحابها إلى بعض القضايا الاجتماعية التي عرض لها الشاعر السعودي ، وتمكنت من الوقوف عليها قبل وأثناء شروعي في هذه الدراسة ، هي :

١– التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية * ، للأستاذ الناقد عبد الله عبد الجبار . وقد عرض للشعر الاجتماعي في كتابه السابق في فصلين من فصول الباب السابع (التيار الواقعي) . أطلق على الفصل الأول (التيار الاجتماعي) ، وعلى الثاني (التيار الثوري) . وقد اكتفى المؤلف فيهما من الشعر الاجتماعي الذي قيل في الفترة التي قطعها عند شعرائنا وصولاً إلى عام١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م ، بالجانب الذي تناول فيه الشعراء بعض المظاهر السلبية في مجتمعهم ، وسلط عليها الأضواء ، مع تعمد إغفال بقية الجوانب التي عرض لها شعراؤنا في تلك الفترة ، والتي فيها من الإيجابيات ما يغطي تلك السلبيات التي أراد لها المؤلف أن تظهر وتطفو على السطح .

ثم إنه في هذين الفصلين لم يتوقف عند الشعر الاجتماعي الذي يمثل

---

* هناك دراسة للدكتور مسعد بن عيد العطوي عن «الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية » ، وقد تعذر عليَّ الاستفادة منها لعدم وقوفي عليها إلاَّ بعد أن أنهيت دراستي هذه ، وشرعت في طبعها .

* مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، عام ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م .

واقعنا كما يراه فحسب ، وإنما تناول الشعر الاجتماعي الذي يعالج فيه شعراؤنا قضايا أخرى بعيدة كل البعد عن واقعنا الاجتماعي ، كقضية الإقطاع، والثورة على المستعمرين الذين يمتصون دماء الشعوب ، وغيرها ....

وفي الفصل الثاني أورد المؤلف بعض النماذج الشعرية دون أن يذكر قائليها أو يحيل إلى مظانها .

٢- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية* ، للدكتور بكري شيخ أمين . حيث أعد له فصلاً من فصول الباب الرابع ، بوصفه من الاتجاهات المستحدثة في الأدب السعودي ، ولم يكن حديثه فيه خاصاً بالشعر ، وإنما أدخل معه القصة والمقالة .

وقد أشار في ذلك الفصل إلى عدد من القضايا والموضوعات التي كان لها صدى في عالم الأديب السعودي ، كقضية المرأة ، والفقر والغنى ، والعمل والعمال ، والأخلاق . وقام بتقديم بعض النماذج التي تؤكد على أن الأديب السعودي (شاعراً ، وقاصاً ، وكاتباً) قد أدلى فيها بدلوه ، وأراق فيها شيئاً من فكره وإبداعه . والشواهد الشعرية التي قدمها في ثنايا عرضه لتلك القضايا والموضوعات قليلة جداً ، بحيث لا تعكس وفرة الشعر الاجتماعي في الفترة التي تناولها ، ولا جودته من الناحية الفنية .

٣- الأدب الحديث تاريخ ودراسات،* للدكتور محمد بن سعد بن حسين. وقد عرض له في الفصل الثاني من الجزء الثاني من دراسته تلك ، وقصره على معالجة الشعراء للعادات والتقاليد مدحاً أو قدحاً ، والتصدي لمظاهر الفساد والتشنيع على مرتكبيها . وقد ذهب في دراسته تلك إلى القول برفض الشعراء

---

* دار العلم للملايين ، ط(٥) شباط (فبراير) ١٩٨٦م .

* مطابع الفرزدق التجارية ، ط (٥) ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

السعوديين جملة لدعوة (قاسم أمين) للسفور ، وفي دراستي هذه ما يثبت عكس ذلك . وعندما جاء للاستشهاد اكتفى بعدد من النصوص الشعرية التي دارت حول النفاق بصوره المتعددة .

٤- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ -١٣٩٥هـ)* للدكتور عبد الله الحامد . وقد أعدَّ له باباً كاملاً ، وقام بتقسيمه إلى عشرة فصول ، ثم قام بعرض سريع في كل فصل لأحد الموضوعات التي أدرجها تحت إطار (الشعر الاجتماعي) .

وواضح من خلال دراسته تلك اتساع مفهوم الشعر الاجتماعي لديه ، وتلك السعة - كما يبدو لي -جاءت من تقسيمه الشعرإلى قسمين : شعر ذاتي، وآخر غيري . وتحت هذا القسم جاءت تلك الفصول العشرة . وقد دفع ذلك التقسيم للشعر الدكتور عبدالله الحامد إلى إدراج بعض الاتجاهات والأغراض الشعرية كـ(الشعر الحماسي ، والشعر السياسي ، والشعر الإنساني ، والشعر الديني) في الشعر الاجتماعي ، وهي في الحقيقة ليست منه ، ولا تمت له بصله . أضف إلى ذلك أن إدخال (المدح والرثاء) ضمن الشعر الاجتماعي هكذا دون قيود لا يمكن قبوله ، خاصة وأن أكثر قصائد المديح والرثاء لا تحوي في حناياها أي مضمون اجتماعي . وهذا يدفعنا إلى عدم جعلهما من صميم الشعر الاجتماعي ، وإنما هما غرضان مستقلان ، لهما خصائصهما ومميزاتهما ، وعندما تتضمن القصائد التي تندرج تحت هذين الإطارين ، بعض ما يتصل بالمجتمع ، فأولى أن يوضع ذلك في إطار محدد ، بحسب ما تمليه المضامين التي احتويا عليها .

والقضايا التي أشار إليها في ذلك الباب ، ولها صلة وثيقة بدراستي هذه،

* مطابع الفرزدق التجارية ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

هي : قضية المرأة ، وشعر التربية والنهضة ، والهجاء الاجتماعي والقيم الأخلاقية ، والقضية المادية . وقد جاءت هذه القضايا في الفصول : (الرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع) .

والشواهد الشعرية التي قدمها الدكتور عبد الله الحامد في عرضه لتلك القضايا قليلة جداً ، وأغلب تلك الشواهد يكاد يكون فقيراً من الناحية الفنية ، وهذا ما قد يدفع القارىء إلى إصدار حكم على الشعر الاجتماعي في المملكة العربيةالسعودية لا يتناسب مع ما هو موجود في دواوين الشعراء ، أو على صفحات الجرائد والمجلات السعودية .

٥- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر*، للدكتور عثمان الصالح العلي الصوينع . وقد عرض له في موضعين من كتابه السابق .

ففي الباب الأول أشار إليه إشارة عابرة في صفحتين اثنتين بوصفه غرضاً من الأغراض الشعرية التي طرقها الشعراء المحافظون .

وفي الفصل الأول من الباب الثالث (تيارات شعرية جديدة في الشعر السعودي المعاصر) عرض له تحت إطار (التيار الواقعي) ، وقدم عدداً من الشواهد الشعرية التي تؤكد على وجود هذا التيار في شعر شعرائنا . وأغلب الشواهد التي قدمها – وهي قليلة – قد وردت في دراسة عبدالله عبد الجبار ، ودراسة الدكتور عبدالله الحامد ، وقد أشرنا إلى هاتين الدراستين فيما سبق.

٦- النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر*، للدكتور حسن بن فهد الهويمل . وقد عرض للشعر الاجتماعي في الفصل الرابع من الباب

---

* مطابع الفرزدق التجارية ، ط (١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

* شركة ألوان للطباعة والصناعة المحدودة ، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، الرياض ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

الثاني، واكتفى في عرضه ذاك بالإشارة العابرة لعدد من القضايا والعلل والآفات الاجتماعية التي كان لها صدى واسع في شعر شعرائنا ، كقضايا المرأة ، ومشكلة الفقر ، والتكالب على حطام الدنيا ، والنفاق ، والحسد ، والكبر ، والترف والمجون ، والحث على الأخلاق الفاضلة . وأورد في عرضه عدداً من الشواهد الشعرية على كل قضية أو آفة على حدة . والشواهد الشعرية التي قدمها لا تعكس وفرة الشعر الاجتماعي الذي عرض لتلك القضايا وغيرها ، ولا تفصح عن ثرائه وغناه من الناحية الفنية ، وإن كان قد عوض ذلك بالإشارة إلى بعض مظان الشعر الاجتماعي في شعر شعرائنا ، سواء في الجرائد والمجلات السعودية ، أو في دواوين بعض شعرائنا الشعرية.

وقد تضافرت تلك العوامل مجتمعة في توجيهي إلى اختيار الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية مجالاً لدراستي في مرحلة الدكتوراه .

ونظراً لحرصي على العمق الذي يعد مطلباً أساساً في الدراسات والبحوث العلمية الجادة ، فقد رأيت أن أقتصر في دراستي هذه على الشعر الاجتماعي الذي نشر في الفترة الممتدة من توحيد المملكة العربية السعودية ، وإطلاق هذا الاسم عليها (٢١/٥/١٣٥١هـ حتى عام ١٣٩٥هـ). ومن ثم دراسته دراسة تحليلية فنية .

وقد تمثلت المصادر الأصلية التي اعتمدت عليها ، واستقيت منها المادة العلمية التي بنيت عليها هذه الدراسة ، في دواوين شعرائنا الصادرة في تلك الفترة أو بعدها ، بعد الوقوف على تاريخ كتابة النص في ثنايا الديوان أو المجموعات الشعرية الكاملة ، بالإضافة إلى شعرهم المنشور في الجرائد والمجلات السعودية ، وما ضمته منه كتب المختارات والتراجم .

ولقد أفدت في هذه الدراسة من الدراسات العلمية التي تناولت الشعر

السعودي بالدراسة والتحليل ، سواء كانت تلك الدراسات موجهة لدراسة الشعر السعودي عامة ، أو خاصة بدراسته في أحد أقاليمها . كما أفدت من الدراسات التي تناولت شعر شعراء بأعينهم .

وهناك مراجع أدبية ونقدية وعلمية أفدت منها كثيراً ، وقد أشرت إلى أصحابها وطبعاتها في الهوامش ،وأثبتها في آخر هذه الدراسة .

وأود أن أشير إلى أن المنهج الذي سرت عليه في دراستي هذه ، كان منهجاً وصفياً تحليلياً فنياً ، عالجت من خلاله النصوص ، ودرست ما فيها من قيم فنية في إطارها ومضمونها وصورها .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أجعلها في تمهيد ،وبابين ، وخاتمة .

أما التمهيد :

فقد أشرت فيه إلى الصلة الوثيقة التي تربط الأدب – والشعر منه على وجه الخصوص –بالمجتمع ، ثم قمت بتحديد مفهومي للشعر الاجتماعي موضوع الدراسة ، ثم أشرت إلى العوامل التي مهدت لانتشاره على مساحة واسعة من الشعر السعودي في تلك الفترة .

أما الباب الأول : (موضوعات الشعر الاجتماعي)

فقد عنيت فيه بدراسة الموضوعات والقضايا التي دار حولها الشعر الاجتماعي في تلك الفترة ، وقد جاء هذا الباب في أربعة فصول :

الفصل الأول : (النهوض بالمجتمع)

وقد تناولت في هذا الفصل بالدراسة والتحليل الشعر الذي دار حول

النهوض بالمجتمع . وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الدعوة إلى نشر العلم والحث عليه .

المبحث الثاني : الدعوة إلى إنشاء المشاريع الإنمائية .

المبحث الثالث : الدعوة إلى العمل والحث عليه .

الفصل الثاني : (الأسرة)

تناولت في هذا الفصل بالدراسة والتحليل الشعر الذي دار حول الأسرة وقضايا ها المتعددة في تلك الفترة . وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول : قضايا المرأة .

المبحث الثاني : الزواج .

المبحث الثالث : الطلاق .

المبحث الرابع : تربية الأبناء .

الفصل الثالث : (التكافل الاجتماعي)

عنيت في هذا الفصل بدراسة وتحليل الشعر الذي دار حول إرساء دعائم التكافل الاجتماعي في المجتمع السعودي . وقد قسمت هذ الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالفقراء والمحتاجين في المجتمع والتذكير بهم.

المبحث الثاني : الدعوة إلى مد يد العون للفقراء والمحتاجين ومساعدتهم .

المبحث الثالث : المشاركة في بعض الحوادث والكوارث الاجتماعية .

الفصل الرابع : (آفات وعلل اجتماعية)

عنيت في هذا الفصل بدراسة الشعر الذي دار حول عدد من الآفات

والعلل التي ظهرت في المجتمع . وقد قسمت هذا الفصل إلى سبعة مباحث :

المبحث الأول : التكالب على حطام الدنيا .

المبحث الثاني : النفاق .

المبحث الثالث : الكبرياء والغرور .

المبحث الرابع : الحسد.

المبحث الخامس : السحر والشعوذة .

المبحث السادس : الفراغ .

المبحث السابع : اندفاع الشباب إلى مهاوي المدنية الحديثة .

أما الباب الثاني : (الدراسة الفنية)

فقد عنيت فيه بالدراسة الفنية للشعر الاجتماعي الذي دارت حوله هذه الدراسة . وقد قسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : (لغة الشعر الاجتماعي وأساليبه)

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول :اللغة .

المبحث الثاني :الأساليب .

الفصل الثاني : (التشكيل الموسيقي للشعر الاجتماعي)

وقد قمت بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأوزان

المبحث الثاني : القوافي

المبحث الثالث : الموسيقى الداخلية .

الفصل الثالث : (الصورة الفنية في الشعر الاجتماعي)

تناولت في هذا الفصل الصور الفنية في الشعر الاجتماعي عند شعرائنا .

أما في خاتمة البحث ، فقد أوجزت فيها ما فصلته في بابيْ هذه الدراسة وفصولها ومباحثها ، وذكرت النتائج التي استطاعت هذه الدراسة أن تحققها .

وبعد : ....

فقد بذلت قصارى جهدي لإخراج هذه الدراسة في أتم صورة ، وأخلصت فيها لله قصدي ، ولست أزعم أنني وصلت بها إلى مرتبة الكمال ، أو أني وصلت فيها للكلمة الأخيرة ، ولكن هي محاولة جادة ، إن صاحبها التوفيق فبفضل الله وحده ، وإن كانت الأخرى فعذري أنني اجتهدت ولا يلام المرء بعد اجتهاده .

وفي الختام : أحمد الله -سبحانه وتعالى – الذي هيأ لي فرصة البحث ، وأعانني على إتمامه على هذا النحو .

ولا يسعني إلاَّ أن أتوجه بخالص شكري وامتناني لجامعة الملك عبدالعزيز ، ممثلة في كلية التربية بالمدينة المنورة ، وقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فيها ، على إتاحة الفرصة لاستكمال دراستي العليا وتيسير سبلها لي .

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان لجامعة أم القرى ، ممثلة في كلية اللغة العربية ، وعميدها ، ووكيلها ، ورئيس قسم الدراسات العليا ، وأعضاء هيئة التدريس فيها ، على ما أولوني من حسن رعاية واهتمام وتشجيع طوال فترة ابتعاثي إليهم .

أما عن أستاذي الفاضل ، سعادة الأستاذالدكتور/ إبراهيم أحمد الحاردلو ، فإن كلمة الشكر - وإن كانت جهد المقل - لا تفي بحقه تجاه ما غمرني به من رعاية وحسن توجيه ، وما بذله معي من وقت ثمين كان هو في أشد الحاجة إليه. ولست أملك إزاء ما قدمه لي ولبحثي هذا من علم واعٍ ، وأستاذية كريمة حقة ، إلا الدعاء الصادق له بأن يجزيه الله عني خير الجزاء ، وأن يجعلني ممن يحسنون الوفاء له ما حييت ، إنه سميع مجيب الدعاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على أفضل خلق الله ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحابته ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

التمهيد

إن الصلة بين الأدب – والشعر أحد فنونه – والمجتمع صلة وثيقة ، لا تنفصم عراها ، فالأدب الجيد في أمة من الأمم هو ذلك الأدب الذي يعنى بتصوير حياتها ، وتفكيرها ، وتاريخها .

وتنبع تلك الصلة التي تربط الأدب بالمجتمع ، من التأثير والتأثر الحاصل بين منتج ذلك الأدب وواقعه الاجتماعي الذي يعيش فيه .

فالأديب –شاعراً أو ناثراً – « يتأثر بالحياة الخارجية السائدة في بيئته ، والقائمة في مجتمعه ، وهو يستمد أدبه من حياة هذا المجتمع »(١)

ومثلما يتأثر الأديب بواقع مجتمعه وما يحفل به من قضايا ومشكلات ، ويصبو إليه من أمانٍ وتطلعات ، فإنه يؤثر في ذلك المجتمع بما ينقله إليه سلباً أو إيجاباً . وحتى يتحقق له ذلك لابد من تفاعله مع قضايا مجتمعه وآماله وتطلعاته واندماجه فيها ، ومن ثم تصويرها والتعبير عنها تعبيراً فنياً ، يعكس فهمه لمجتمعه ، ويفصح عن موقفه منه ومن الحياة التي يحياها .

والأدب بناء على ذلك تصوير لموقف الأديب من مجتمعه وفهمه له ، « أما أن ينقل الأديب حياة المجتمع أو أن يكون المرآة التي تعكس حياة هذا المجتمع ليتلقاها أو يراها المجتمع ذاته فعبث ليس من الأدب في شيء »(٢)

ذلك لأن الأديب عامة والشاعر على وجه الخصوص ، عندما يعمد إلى تصوير الواقع الذي يعيشه مجتمعه تصويراً فوتوغرافياً ، وينقله نقلاً حرفياً

(١) الأدب وفنونه ، د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط (٧) ١٩٧٨م ص ٤٣.

يمسح ذلك الواقع المنقول ويمسح كذلك الفن الناقل ، لأن الواقع المضموني حينذاك يكون أصدق وأبلغ في التعبير عن نفسه ، وأروع في الدلالة على مفرداته ومظاهره ومجاليه ، ولأن الفن يستحيل حينذاك إلى مجرد محاكاة سطحية ساذجة لذلك الواقع ، تحذف دوره الفعال والمؤثر في حركة الكون وحركة التاريخ(١) .

وأعني بالشعر الاجتماعي في دراستي هذه : ذلك اللون من الشعر الذي حمل شداته على عاتقهم مهمة الإصلاح الاجتماعي على أسس ودعائم تستمد مرجعيتها من الرسالة الإسلامية وقيمها ومثلها ، فدعوا إلى محاربة الجهل ، والفقر ، والمرض ، والعلل والمفاسد الاجتماعية ، وإفساح المجال لأنوار العلم والحضارة الجديدة لتشرق وتسطع في سماء المجتمع وسائر أرجائه .

وقد مهد لظهور هذا اللون من الشعر الاجتماعي الإصلاحي ، ومن ثم انتشاره على مساحة واسعة من ديوان الشعر السعودي في الفترة المحددة لدراستي عاملان :

أولهما : سعي الدولة إلى الإصلاح الاجتماعي ، وتجنيدها كل إمكاناتها وطاقاتها في سبيل النهوض بمجتمعها ، وتطويره تطويراً ينبع من واقعه وظروفه وقيمه الروحية والعقدية .

ثانيهما : إدراك شعرائنا لرسالتهم وواجبهم تجاه مجتمعهم ، ومدى وعيهم بخطورة الشعر أداة فاعلة ومؤثرة في التوجيه والتغيير ، وحجم المسئولية الملقاة على عاتقهم تجاه شعبهم .

---

(١) ظواهر التمرد الفني في الشعر المعاصر ، د. محمد أحمد العزب ، دار المعارف ، ١٩٧٨م ، ص١٥٦ «بتصرف» .

وقد ظهر فهمهم لدور الشعر ورسالته جلياً في نتاج عدد منهم .

فهذا الشاعر إبراهيم علاف يقول ناعياً على رفاقه من الشعراء انصرافهم عن هموم المجتمع وقضاياه ، ومؤكداً دور الشعر في التوجيه والتغيير[1] :

يا أَيُّها الشُّعَراءُ كُفُّوا لَغْـــوَكُمْ   إِنَّ العَواطِفَ لا تُنِيلُ مـــــراما
كم ناظِمٍ تَخِذَ الصَّحِيفَةَ مَعْرِضاً   لِبَيانِهِ يَرْجُـــــو لَهُ إِعْظـــاما
لِلْفَنِّ يَقْرِضُ لا لِنَشْرِ فَضِـــيلَةٍ   ويُخَـــدِّرُ الإِحْساسَ والأَفْهاما
ولو انَّهُ أَعْطى الجمَـــاعةَ حَقَّها   لَشَفَى بِلُطْفِ عِلاجِهِ الأَسْقَـــاما

وفي قصيدة الشاعر عبد الله بن خميس:(الفن للحياة)،التي قـدم لها بقوله : « نرى كثيراً من الشعراء منطوين على أنفسهم ، يناجون فنهم ، ويحلقون بأخيلتهم في أجواز الفضاء ، ويسبحون في بحور بعيدة العمق لا يدرك مداها إلاَّ هم أنفسهم ، ويأنفون أن ينزلوا من بروجهم العاجية ليشاركوا المجتمع آلامه ، متذرعين بأن الفن للفن ...ثم هم يريدون من المجتمع أن يقدسهم شعراء مجيدين ؟ والعجيب أن الكثرة الساحقة من نشئنا الذي يتعشق الشعر ويقرضه يميل إلى هذه النزعة ...»[2].

ومما جاء في قصيدته تلك عن دور الشعر في خـــدمة الحياة والمجتمع قوله :

عَزَفَ الشِّعْرُ عن حَدِيْثِ الكَواعِبْ   وتَجَـافَى عن وِرْدِ تلك المَشَارِبْ
وتعالَى عن ذِكْرِ لُبنى وسُعْـــدى   وعِذَابِ اللَّمَى وزَجِّ الحَـــواجِبْ
ولقد كَانَ لِلْغَــــــــوانِي أَلِيفاً   وهو في ذِكْرِهِنَّ خَصْبُ الجَوَانِبْ

(١) ديوان وهج الشباب ، إبراهيم خليل علاف ، مؤسسة مكة للطباعة ، ط (٢) عام ١٣٨٤هـ ، ص ٣٢ – ٣٣ .
(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١١٢٤) في ١٠/٤/١٣٧١هـ ، ص ٤ . وديوان على ربى اليمامة ، عبد الله بن خميس ، مطابع الفرزدق ، ط (٢) ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، ص ٥٥١ .

كَسَدتْ سُوقُه بِذِكْرِ التَّصـــــابي والتَّغَنِّي بالفاتِناتِ اللَّــــواعِبْ
وحديثاً عن ابْنَةِ الكَرْمِ طَـــــوْراً وعن الكَأْسِ بين سَاقٍ وشَــــارِبْ
بينما الكَوْنُ صـــــاخِبٌ مُسْتَطِيرٌ مُفْعَمٌ جَوُّهُ بِشَتَّى العَجَـــــائِبْ
قد رأى الشِّعْرُ نَفْسَهُ في انْطِـواءٍ ومع الدَّهْرِ لامَحَـــــالَةَ ذاهِبْ
فانْبَرَى حَيْثُ ما انْبرَى الكَوْنُ ثَرّاً عَالِيَ الصَّوْتِ لِلشُّعوبِ يُخَــاطِبْ
يَمْقُتُ الجَهْلَ والخُمــــولَ ويَرْمِي كُلَّ داءٍ في العـــــالَمِينَ بِثاقِبْ
إِنَّهُ الشِّعْرُ لِلْحَيــــَـــاةِ ومنها ضاحِكاً تارةً وطَوْراً فَصَــــاخِبْ
من يُنادِي في عَصْرِنا "الفَنُّ لِلْفَــــــنِّ" غُروراً فَمُدَّعِي الشِّعْرَ كـــاذِبْ

فابن خميس في الأبيات السابقة يحدد رسالة الشعر تجاه المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر ، لذلك نراه يطالب شعراء مجتمعه بعدم الانكفاء على أنفسهم ، وترك الأغراض الشعرية القديمة التي لن تضيف إلى رصيدهم شيئاً، ولن تكسبهم احترام وتقدير مجتمعهم ماداموا منعزلين عن قضاياه ومشكلاته. ثم يلتفت إليهم حاثاً إياهم على مشاركة الشعب آلامه وآماله ، والأخذ بأيدي أبنائه وتوجيههم الوجهة الصحيحة في حياتهم (١):

أَسْمِعُونا من مَنْبَرِ الشِّعْرِ صَوْتاً جَهْورِيّاً يَشْفِي النُّفوسَ اللَّـواغِبْ
أَيْقِظُوا نائِماً ورُبُّوا حُمـــــــاةً أَنْقِذوا جاهِلاً وغَذُّوا مَـــــواهِبْ
ليس أَوْلَى من شَعْبِنا بِهُـــــداةٍ من مُجِيدي سَبْرِ الدُّروبِ اللَّواحِبْ

ويشاركه هذا الشعور والإحساس بدور الشعر في توجيه المجتمع وقيادته والتأثير عليه ، ومن ثم البلوغ به إلى أقصى ما يطمح إليه من تقدم ورقي،

---

(١) ينظر المصدران السابقان : جريدة البلاد السعودية ، ص٤ . وديوان على ربى اليمامة ، ط٢ ، ص٦٥٦ .

الشاعر طاهر الزمخشري ، يظهر ذلك في قوله مخاطباً رفاقه من الشعراء ، حاثاً إياهم على أن يكونوا المشاعل التي تضيء لأبناء المجتمع طريقهم في مهامه الحياة ودروبها المتشعبة [1] :

يا رَفِيقِي ولا إِخَـالُكَ تَأْبَى أَنْ نَكُونَ الشُّمُوعَ في الظَّلْماءِ
نَحْنُ في أَوْجِنا نَمُـدُّ دُروبَ الْـ ـعَيْشِ بِالْفِكْرِ رَاقِصَ الـلأْلاءِ
وبِنَا تَعْرِفُ الجُمُوعُ سُرَاها وتَشَيدُ الحَيَاةَ في الجَـوْزَاءِ
إِنْ شَدَوْنَا فمن نِياطِ قُلُـوبٍ فَيْضُها دَافِقٌ بِأَحْـلَى غِنَاءِ
أَوْ أَرَدْنا فمن صَمِيمِ حَـيَاةٍ نَحْنُ فيها الشُّدَاةُ للسَّـرَّاءِ
أَوْ نَطَقْنا فالرَّجْعُ في كُلِّ أُفْقٍ يَتَهادى بِصَـوْتِنا الْبَنَّاءِ
وبِأَيْمانِنَا نُخَـلِّدُ لِلتَّا ريخ سِفْراً سُطورُهُ من دِمَـاءِ
نُلْبِسُ النَّاسَ من عُقُـودِ لآلٍ صَوْغُها نَسْجُ عِـزَّةٍ وإِبـاءِ
وبِإِشْعَاعِها نَسِيرُ على الـدَّرْ بِ ونَبْنِي الصُّـرُوحَ لِلأَبْنَاءِ
وبِهِ نَمْخُرُ العُـبَابَ إِلى القَصْـ ـدِ ومَجْدَ افُنا طَـرُوبُ الأَداءِ
يَتَغَنَّى على سَفِينِ اللَّـيالِي لِيَطُوفَ الْمُنَى بِـدُنْيَا البَـهَاءِ

(١) مجموعة الخضراء ، طاهر الزمخشري ، تهامة – جدة ، ط(١) ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ص ١٠١ .

الباب الأو ل

****

موضوعات الشعر الاجتماعي

الفصل الأول

****

النهوض بالمجتمع

النهوض بالمجتمع

أولى الشعراء السعوديون مسألة النهوض بمجتمعهم جل اهتمامهم ، فما إن انبثق فجر الوحدةالتي انتظمت سائر أرجاء البلاد ، ورفرفت راية التوحيد خفاقة ، معلنة قيام دولة فتية ، اسمها «المملكة العربية السعودية» [(١)] ، حتى شرع الشعراء في دعوتهم للنهوض بمجتمعهم ، والانطلاق به من حالة التخلف والجمود التي كان يعيشها إلى مدارج السمو والرفعة .

وقد شجعهم على التبكير في تلك الدعوة ودفعهم إلى الإلحاح عليها ، ما كان لمجتمعهم في العصور السابقة من دور رائد في نشر العلم ، وبناء الحضارات السامقة ، بفضل الرسالة الإسلامية التي أشرقت شمسها من أراضيه ، وحمل أبناؤه السابقون مهمة إيصال أنوارها إلى سائر أرجاء المعمورة ،والحالة التي آل إليها الآن.

ففي الوقت الذي قطعت فيه كثير من المجتمعات أشواطاً طوالاً في طريقها إلى التقدم والرقي ، يكاد يكون مجتمعهم «خلواً من المدرسة والمستشفى والطريق ، خلوه من المعلم والطبيب ، والمهندس ورجل المال والاقتصاد والإدارة. تعوزه حتى الخبرات المهنية الأولى ، وتتفشى فيه –بفعل القرون والأجيال الخالية –الأمية إلى جانب المرض والفقر ، ولا يميزه عن المجتمعات البدائية الأولى إلا إيمان أهله بالإسلام ديناً سماوياً ينير طريق الدنيا والآخرة» .[(٢)]

ونظراً لوقوف الشعراء على وضع بلادهم المالي والاقتصادي في الفترة التي تلت إعـــــــلان وحدتها [(٣)] ، وسبقت اكتشاف البترول ، والبدء في جني عوائده المالية ، وحرصهم على نهضة مجتمعهم وتقدمه ؛ وجدناهم يحثون عامةالشعب على الإسهام

---

(١) كان ذلك في ٢١/٥/١٣٥١هـ – ٢٢/٩/١٩٣٢م .

(٢) معجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ، المطابع الأهلية اللبنانية ، ط(٣) ١٩٧١م–١٩٧٢م/١٣٩١هـ–١٣٩٢هـ ، ص ٣٠١ –٣٠٢ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ٤٥٠/ والمملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير ، عبد الكريم غزال ، ط(٢) ١٤٠٣هـ–١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م –١٩٨٤م ، ص٢٢٤.

والمشاركة في تحقيق ذلك الحلم ، عن طريق تبرعاتهم المالية ، مهما كانت تلك التبرعات بسيطة .

وحتى لا يكون ذلك الحث مجرد دعوى تنقصها الأدلة والبراهين على صدق الشعراء فيما ذهبوا إليه ، فقد حرصوا على أن يكونوا أول المتبرعين والمشاركين ؛ ليصبح ذلك الحلم واقعاً ملموساً ، تسر برؤيته النفوس قبل الأحداق[1] .

وبعد اكتشاف البترول ، وشروع الدولة في تحصيل عوائده المالية - التي كانت تأخذ في الازدياد عاماً بعد عام[2] تزايد اهتمام الشعراء بنهوض مجتمعهم ، خاصة في ظل توافر المال الذي يعد حجر الزاوية في إحداث التنمية الاجتماعية التي يطمح إليها المجتمع ، حكومة وشعباً .

وللوقوف على مشاركات الشعراء في هذا الميدان ، ومحاولة إبراز الأفكار التي دار حولها شعرهم ، والتي رأوا أن تحقيقها مجتمعة سيقود المجتمع إلى ما يطمح إليه من تقدم ورقي في شتى الميادين والمجالات ، رأينا تناول ذلك في ثلاثة مباحث رئيسة ، مرتبة حسب الأهمية .

وهي كما يأتي :

المبحث الأول : الدعوة إلى نشر العلم والحث عليه .

المبحث الثاني :الدعوة إلى إنشاء المشاريع الإنمائية .

المبحث الثالث : الدعوة إلى العمل والحث عليه .

---

(١) انظر : جريدة أم القرى ، العدد ، (٥٩٢) في ١٣٥٥/١/١٨هـ ، ص٢ . وجريدة صوت الحجاز ، العدد (٢٤٥) في ١٣٥٥/١٢/٥هـ ، ص١٠ .

(٢) اكتشف البترول أول مرة في منطقة الأحساء سنة ١٣٥٢هـ -١٩٣٣م ، ولم تحصل المملكة على دخل منه إلا في سنة ١٣٥٨هـ -١٩٣٩م .

المبحث الأول

الدعوة إلى نشر العلم والحث عليه

حمل الشعراء السعوديون مشاعل الدعوة إلى العلم ، أملاً في القضاء على دابر الجهل ، وشروعاً في وضع اللبنة الأولى والدعامة الأساس للنهوض بالمجتمع من كبوته ، ورغبة في بناء حضارة سامقة تكفل للمجتمع تقدماً ورقياً في سائر أوجه الحياة المختلفة ، على نور من هدي الدين الإسلامي الحنيف ، وما توصل إليه العلم الحديث بمختلف فروعه ومعارفه .

والمتأمل في ديوان الشعر السعودي يقف على غزارة ما قيل فيه عن العلم ، ولعل في ذلك دليلاً على عمق وعي الشاعر السعودي وسعة إدراكه بأهمية العلم وقدرته – متى ما وظف في صالح البشرية – على تحقيق أقصى ما تطمح إليه من تقدم ورقي ، وعلى حرصه الشديد على بلوغ مجتمعه المكانة السامية التي يستحق أن يتبوأها .

وقد بدأ الشاعر السعودي دعوته إلى نشر العلم بمختلف فروعه ومعارفه بالترغيب فيه ، عن طريق بث فضائله ، وبيان دوره في محاربة الجهل ، الذي كان يشكل عقبة في طريق النمو والتطور ، إضافة إلى توثيقه لأواصر الأخوة والمحبة التي تربط بين أبناء المجتمع السعودي في بلادهم المترامية الأطراف .

وهو عن طريق ذلك يسعى إلى أمرين مهمين :

أولهما : حث أبناء المجتمع على الالتحاق بركب العلم ، والتزود منه بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع والفائدة .

ثانيهما : تحفيز الدولة على نشر العلم وتعميمه ، وتيسير سبله لقاصديه .

فهذا الشاعر أحمد الغزاوي ، يشيد بالعلم ، ويبين فضائله ، مرغباً أبناء مجتمعه في الالتحاق بدوره ومدارسه ، قائلاً[1] :

إِنَّمـا العِـلْمُ سُـلافٌ   واكْتِشافٌ في ضِيـاهْ
وهو نُــورٌ وأَمَــانٌ   واتِّــزانٌ في خُطــاهْ
وجَــلالٌ وجَمَــالٌ   كُــلُّهُ عِــزٌّ وجَـاهْ
وهــو حَـوْضٌ لم يَرِدْهُ   غَيْرُ طُــلَّابِ النَّجَـاهْ

ويحقر الجهل ، ويحث على تدميره ، لترحل الجرائم والمصائب التي تسفر عنه ، وتنهد ا لعقبات والحجب العاتية التي تقف في وجه التقدم والرقي المنشود[2]:

إِنَّما الجَهْـلُ بَــلاءٌ   وجُســورٌ لِلْجُنــاهْ
إِنَّهُ حَــقٌّ صَحِيحٌ   قَــوْلُهُمْ فيمــا أَراهْ
مَنْ بنى مَــدْرسةً   أَغْــلقَ السِّجْــنَ وراهْ

ويشاركه هذه النظرة البعيدة لأثر العلم في محاربة الجهل وما تسفر عنه من أدواء وعلل ، تهدد أمن البلاد ، وتقف شامخة كالطود في وجه التقدم والنهضة التي يصبو إليها الجميع ، الشاعر حسين عرب ، يظهر ذلك في قوله حاثاً المسئولين على نشر العلم في سائر أرجاء بلادهم المترامية الأطراف[3] :

عَلِّموا النَّشْءَ وانْشُروا الـ   ـعِـلْمَ في البَدْوِ والحَضَرْ
لاتنالُوا بِلَــــوْمِكُمْ   جاهِــــلاً ضَيَّعَ العُمُرْ
إِنَّــكُمْ سِــرُّ جَهْلِـــهِ   وتَفَــانِيهِ في الهَــذَرْ
إِنَّمــا يَــرْجِعُ المَـــلا   مُ عليكم مــدى الـدُّهُرْ
واتَّــقوا اللَّهَ في الأُلَـــى   آد مَسْــعاهُــمُ القَـدَرْ
خَطَـرُ الجَهْــلِ شَا نَهُمْ   فَــادْرَأُوا عَنْهُـمُ الخَطَـرْ

٣٣٨٥

---

(١) جريدة أم القرى ، العدد (٨٤٢) في ١٣٦٠/١/١١هـ ، ص٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص٣ .
(٣) المجموعة الشعرية الكاملة ، حسين عرب ، شركة مكة للطباعة والنشر ، ط(١) بدون تاريخ ، جـ(٢) ، ص٢٢٩ – ٢٣٠ .

فمـن العِـلْمِ مـا أعـَـزَّ شعُوبـاً من البَشَـرْ
ومن العِلْـمِ مـا تَهَـلَّلَ عـن طَيـِّبِ الأثَـرْ
إنَّ في العِـلْمِ لِلْـبِلا دِ عن الشَّرِّ مُـزْدَجَرْ

أما الشاعر حسين سرحان ، فيلتفت إلى بيان دوره في تقوية أواصر المحبة والأخوة والوحدة التي تنتظم سائر أبناء المجتمع ، رغم اختلاف مواقعهم وأماكن وجودهم ، قائلاً[1] :

ويا أُمـَّـةً تَبْغِي حَيَاةً وعِـزَّةً يُرَدِّدُها ذِكْـرٌ ويَشْدو بها فَـمُ
ألا كَوِّني من رُوحِـكِ الحيِّ وِحْدَةً تَضُمُّ شَتاتَ الشَّعْبِ فهو مُقَسَّـمُ
وصُونِي حَيَاةَ العِلْمِ من كُلِّ عابِثٍ فما ثَـمَّ إلاَّ وِحْـدَةٌ وتَعَـلُّمُ
إذا أَصْبَحَ التَّعْلِيـمُ فينا مُعَمَّمـاً وأَمْسَتْ تَعاليمُ النُّهـى تَتَحَكَّـمُ
فقد قَوِيَتْ فينا الأَواصِرُ والعُـرى وأَصْبَحَ شُحْرورُ العُـلا يَتَرَنَّمُ [2]

في حين تصدى عدد من الشعراء لإبراز دوره الفاعل والمؤثر في تحقيق النهوض والتقدم الذي تتطلع إليه أحداقهم وتشرئب إليه نفوسهم ؛ حتى يقبل شباب المجتمع على النهل من ينابيعه الثَّرَّة .

ومن أولئك الشعراء الذين اهتموا ببيان دوره في تحقيق آمال الجميع وتطلعاتهم الشاعر حسين فطاني ، حيث يقول[3] :

إِنَّما العِلْمُ رَمْزُ كُلِّ عَـلاءٍ فهو سِرُّ النُّهوضِ سِرُّ التَّفاضُلْ

ويشاركه هذا الإحساس والشعور بأهمية العلم الشاعر حمـد الحجي ، فالعلم كما يرى نور يهدي طلابه إلى جلائل الآثار ، ويحقق لهم كل ما يطمحون إليه من مجد ورقي ، وعز وفخر . ولذلك نراه يلح على طلب العلم ، والانشغال به عما سواه

---

(١) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٥٥) في ١٣٥٢/١/٦هـ ، ص٢ .
(٢) شحرور : الشحرور طائر فويق العصفور يصوت أصواتاً .
(٣) جريدة أم القرى ، العدد (٩٣١) في ١٣٦١/١٠/٢٠هـ ، ص٢ .

من أمور الدنيا [1] :

العِلْـــمُ يَخْطُــو بالشُّعـوبِ لأَنَّهُ ... يَهْـــدِ يهمُو لِجَــلائِلِ الآثَـــارِ
ويُميطُ عن وجْهِ الخَـفِيِّ قِنَاعَــهُ ... حتَّى يُرَى كالصُّبْحِ في الأَسْفارِ
ويُحَقِّقُ الأَمَــلَ البَعِيــدَ مَـرَامُهُ ... حتَّى يَعُــودَ حَقِيــقةً بِنَهــــارِ
إنْ لم نَكُنْ بالعِـلْمِ نَشْغَـلُ وقْتَنَا ... وحَياتَنَا مــا قِيمَــةُ الأَعْمـــارِ

ويؤكد الشاعر عبد ا لرحمن العبيد على أهمية العلم وقيمته ، فهو الثروة الحقيقية التي يجب على الجميع السَّعي لتحصيلها ، ومن ثم نشدان ما نصبو إليه عن طريقها . وفي ذلك يقول [2] :

إنِّي أرى في العِلْــمِ ثَــرْوَتَنَا إذا ... نَضَبَتْ بنا واسْتُنْفِـدَ المَجْهُــودا
هو آيَةُ العَصْرِ الحَـدِيثِ ومُرْتَقىً ... رامُوا بِهِ نَـحْوَ الفَضَــاءِ صُعُــودا
هو طَاقَةٌ كُـــبْرى تَفِيضُ سِيادَةً ... وقِيــــادَةً نَسْمُــو بها ووقُـــودا
نَالَتْ بِــهِ أُمَمٌ كَـــرِيمَ حَيَاتِـــها ... وتَلَقَّتِ التَّمْجِــــيدَ والتَّـــأْيِيدا
وإذا الشُّعوبُ تَخَلَّصَتْ من جَهْلِها ... فَكَّــــتْ إِسَاراً غَلَّهـــا وقُـيودا

وعلى هذا النحو تأتي مشاركة الشاعر عبد الله الفيصل ، في قوله مبيناً أهمية العلم ، ودوره الفاعل والمؤثر في الوصول بالمجتمع إلى سدة المجد والمكـــانة التي تليق به : [3]

المَجْــدُ يُبْنى بالعُـــلو ... مِ تَهُزُّ عالَمَنَا العُجَـــابْ
والعِلْمُ رايــةُ كُلِّ شَـــعْـ ... ـبٍ ناهِضٍ سامِي الرِّغَـابْ
وعَلَيْـــهِ فَلْنَبْنِ الحَـــيَا ... ةَ ولا نُسَاوِمُ فـي الثَّـــوابْ
ولْنَنْطَلِـــقْ في عَـــزْمِنا ... مِثْلَ انْطِلاقـاتِ الشِّـــهابْ
كَيْمَا نُـرَى فَـــوْقَ السُّهَا ... كَيْمَا نُمَـجَّدَ في المَـــآبْ

(١) شعراء نجد المعاصرون ، دراسة ومختارات ، عبد الله بن إدريس ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ط(١) ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م ص٢٠٦ .

(٢) جريدة أخبار الظهران ، العدد (٨٠) في ١٣٨١/٧/١٨هـ ، ص٤ .

(٣) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٢٩٤) في ١٣٧٢/٦/٥هـ ، ص٢ . وديوان وحي الحرمان ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، ط(٢) ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ص٥٠ - ٥١ .

وحتى لا تكون دعوة الشعراء إلى نشر العلم والحث عليه ، وبيان دوره في تحقيق التقدم والنهوض الذي يتطلع إليه الجميع ، مجرد دعوى تنقصها الأدلة والبراهين ، وجدنا عدداً منهم يحرصون على حشد الشواهد التي تؤكد صدق دعوتهم وصواب نظرتهم ؛ لحمل المسئولين على نشره وتعميمه ، وشباب المجتمع على الالتحاق بركبه المشرق ، والحرص على تحصيله وجني ثماره .

فهذا الشاعر عبد ا لكريم الجهيمان ييمم وجهه شطر ماضي أمته التليد ، لافتاً انتباه شباب المجتمع إلى المكانة العالية التي تبوأها آباؤهم وأجدادهم فيه ، مطلعاً إيَّاهم على دور العلم ، وبيان فضله فيما وصلوا إليه من مجد وعز [1] :

والعِلْـمُ مِصْباحُ الحَـيَاةِ وإنَّما   سَعْيُ الحَريصِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مُخْفِقُ
والعِلْمُ مَهَّــدَ لِلْجُــدودِ مَكَــانَةً   شَمَّاءَ يُبْصِرُها الحَكِيمُ فَيُطْـرِقُ

ويستشهد الشاعر أحمد العربي في تأكيده لدور العلم في تحقيق النهوض والتطور ، بما وصل إليه المسلمون قديماً من مجد وحضارة ، والغرب في العصر الحديث من تقدم ورقي ، قائلاً [2] :

وعلى العِلْمِ تَنْبَنِي نَهْضَةُ الشَّعْـ   ـبِ وَيَزْهُــو بِهِ رَبِيــعُ شَبَــابِهْ
فعلى العِلْمِ أَثَّلَ العُــرْبُ مَجْداً   يَتَحَــدَّى الأَجْيالَ في أَحْقابِهْ
وبِهِ اليَوْمَ أَبْدَعَ الغَــرْبُ مَجْداً   عَبْقَــرِيَّاً يَرُوعُ سِحْرُ عُجَـابِهْ

ويحشد لهم عدداً من الاختراعات والإنجازات التي توصل إليها الغرب بفضل العلم الحديث بفروعه ومعارفه المختلفة [3] :

تِلْكَ آثارُهُ يَجِيشُ بها الكَــوْ   نُ وتَدْوي أَصْداؤُها في شِعَابِهْ
سُفُنٌ تَنْهَبُ ا لفَضَاءَ وأُخْـرى   تَتَحَدَّى في اليَمِّ لُــجَّ عُبَـابِهْ
ومناطِيدُ تَرْجُمُ الطَّيْرَ في الجَــوِّ   وتَلْــوي بِنَسْـرِهِ وعُقَـابِهْ

---

(١) جريدة أم القرى ، العدد (٨٤٣) في ١٨/١/١٣٦٠هـ ، ص٤ .
(٢) المصدر السابق ، العدد (٩٤٣) في ١٦/١/١٣٦٢هـ ، ص٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٣ .

وجَمَادٌ يُحَدِّثُ النَّاسَ في الشَّـــرْ قِ وفي الغَرْبِ وهو بين صَحَـــابهْ
وعَتَادٌ في الحَــرْبِ أرْبى على كُـــلِّ عتَـادٍ في هَـــوْلِهِ وعَــــذَابهْ
كَــادَتِ الأَرْضُ أَنْ تَميــدَ بِـهِ ذُعْـراً ويُطْــوى عُمَارُها في خَـــرَابهْ
وأَسَالِيبُ في العِـلاجِ وفي الطِّـــــبِّ تُعـانِي مـا عَـــزَّ من أَوْصَــابِهْ
وأَعاجِيبُ في الحَضَارةِ أَضْحى الـ عَصْــرُ يُزْهــى بها على أَتْرابِـــهْ
سَخَّـــرَ اللَّهُ كُـــلَّ ذلك لِلْعِـــلْـمِ وبالْعِلْــمِ راضَ مَتْنَ صِعَـــابِهْ
فهو أُسُّ النُّهوضِ في كُـلِّ جِيْـــلٍ وهو سِرُّ النَّجــاحِ في أَرْبَـــابِهْ

والتفت عدد من الشعراء في دعوتهم لأبناء مجتمعهم إلى الالتحاق بركب العلم، وبيان دوره في تحقيق الآمال والطموحات التي يصبو إليها الجميع ، إلى وصف بعض الاختراعات التي وصل إليها الغربيون بفضل العلم ، كالإذاعة[(١)] ، والمطابع[(٢)] ، والطائرة[(٣)] ، والباخرة[(٤)] ، والسيارة [(٥)] ....الخ .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر علي حافظ واصفاً الطائرة ، ومبيناً أثر العلم الذي هدى الإنسان إلى صناعتها [(٦)] :

بِنْتَ الهـــوى والأَثِيْــرِ وأُخْتَ سِرْبِ ا لنُّســورِ
لأَنْتِ أَعْجَـــــبُ شَــيءٍ في مُعْجِـزاتِ الدُّهــورِ
وأَنْتِ مَصْـــدَرُ عِـــزٍّ لِكُــلِّ شَعْبٍ فَخُـــورِ
قد صَا غَ جِسْمَكِ قَــوْمٌ بِكُـــلِّ عَقْـــلٍ مُـــنِيرِ
في لُجَّــةِ العِلْمِ غَاصُـوا لِنَيْلِ أَسْمَى الأُمُـــورِ
لأَنْتِ كَوْكَـــبُ عِلْــمٍ في ذا الفَضَاءِ الكَــبِيرِ

(١) انظر : جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٠٨٣) في ١٣٧١/١/٣هـ ، ص١ . وديوان وحي الفؤاد ، فؤاد شاكر ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ط (١) ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٢) انظر : ديوان العواد ، جـ(٢) ، مطبعةدار العالم العربي ، ط(٣) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، ص١٨٢-١٨٣ .
(٣) انظر : جريدة المدينة المنورة ، العدد (١٠٨٥) في ١٣٨٢/٣/٧هـ ، ص٢ .
(٤) انظر : جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٩٠٢) في ١٣٧٤/١١/٣٠هـ ، ص١ .
(٥) انظر: مجلة المنهل ، ذو الحجة ١٣٥٧هـ ، المجلد (٣) ، ص٢٥ .
(٦) ديوان نفحات من طيبة ، علي حافظ ، مطبوعات تهامة ، ط(١) ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ، ص١٧٣ .

وتلك الالتفاتة من بعض شعرائنا إلى وصف تقدم الغرب وبعض الإنجازات والاختراعات التي أسهموا في وجودها بفضل تقدمهم العلمي والتقني ، تحمل في ثناياها تحريضاً لشباب المجتمع على مجاراة الغرب في تقدمه ورقيه ، ودعوة إلى وأد الكسل والخمول ، ومعهما اليأس من صعوبة تحقيق ذلك الحلم الجميل ، الذي بإمكانهم الوصول إليه وتجاوزه ، متى ما عظمت في نفوسهم المقاصد والآمال ، وأظهروا العزم والتصميم على تحقيقها على أرض الواقع .

وما إن أعلن عن تأسيس وزارة خاصة تعنى بأمور التعليم في البلاد (وزارة المعارف) ، وعهد بها إلى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز(١) ، حتى أخذ الشعراء في المطالبة بنشر العلم على أوسع نطاق ، وتشييد المدارس والمرافق المناسبة لتلقيه ، وإنشاء المعاهد بأنواعها المختلفة ، والكليات والجامعات . وذلك لتتاح الفرصة لكل أبناء المجتمع في الالتحاق بركب العلم في فروعه المختلفة ، حسب رغباتهم وحاجة البلاد في مرافقها ومشاريعها التنموية التي تغذ نحوها الخطى.

فهذا الشاعر علي زين العابدين يقول حاثاً وزير المعارف على نشر العلم وتعميمه ، وجعله مشاعاً لطالبيه كالماء والهواء (٢) :

يا وزِيرَ العُلومِ شَعْشِعْ ضِياها ... وارْوِ منها البِقاعَ والأَطْلالا
واجْعَلِ العِلْمَ في البِلادِ مُشاعاً ... كالهوى والشَّرابِ وقْفاً حَلالا

أما الشاعر سعد أبو معطي فيطالب بتشييد المدارس ودور العلم المهيَّأة لذلك ، قائلاً (٣) :

يا بَنِي قَوْمِي أُحَيِّيكُمْ ولا ... أَكْتُمُ النُّصْحَ فما يُجْدي القُعُودْ
ليس يُجْدِينا التَّغَنِّي بالذي ... قد أَضَعْناهُ من المَجْدِ التَّلِيدْ

---

(١) كان ذلك في عام ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م ، وقبل ذلك كانت تتولى الإشراف على التعليم إدارة المعارف ، التي أنشئت عام ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م . انظر : مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازاتها ، عبد الله بن راشد السنيدي ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م ، ص٣٠ .

(٢) ديوان تغريد ، علي زين العابدين ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ط(١) شوال ١٤٠٤هـ ، ص٢٤٣ .

(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص٢٤٢-٢٤٣ .

ليس يُجْـدِينا سِوَى ما نَبْتَنِـــي   من مَعَـــالٍ راسِيــاتٍ ونَشِيدْ
فابْتَنُوا لِلْعِلْمِ صَـــــــرْحاً عالياً   رُكْنُهُ بالخَالِقِ العـــالي مَشِيدْ

وينوه الشاعر محمد سراج خراز بحاجة البلاد إلى جامعات ، ينال فيها شباب المجتمع تأهيلاً علمياً عالياً ، يساعدهم على استئصال الجهل من جذوره ، ويمكنهم من المشاركة الفاعلة في النهوض بمجتمعهم [1] :

يا وزِيرَ العُلـــومِ إنَّا عَقَـــدْنا   بِكَ آمـــالَنا شُيوخاً ومُـــــرْدا
قد قَطَعْنا في العِلْمِ شَوْطاً ولَكِنْ   مِنْكَ تَرْجُـو البِلادُ أَبْعَدَ قَصْدا
(جَـــامِعاتٍ) تَشِعُّ بالنُّورِ دفَّـــا   قاً وتَسْتَأْصِلُ العَـــدُوَّ الأَلَـــدَّا
(وقُصُــوراً) تَزِينُها رَوْعَـــةُ الفَــــــــنِّ وَنَفْحُ الرِّيـــاضِ مِسْكـــاً ونَـدَّا

وانطلاقاً من مسئولية الدولة تجاه رعيتها ، وإيماناً منها ومن القائمين على شئون التعليم فيها بأثر العلم وأهميته في القضاء على الجهل ، وإرساء دعـائم النهضة ، ودفع عجلة التطور والتنمية التي يصبو إليها الجميع ، فقد شرعت في افتتاح المدارس في سائر أرجائها ، وعدد من المعاهد العلمية والمهنية ، وقامت بتسيير البعثات العلمية للمتفوقين من أبنائها إلى الجامعات العربية والغربية على السواء .

ومع تزايد أعـداد طالبي العلم من أبنائهـا ، وتكاثر المؤهلين منهم للدراسـة الجامعية ، أخذت في إنشاء الجامعات والكليات العلمية والعسكرية [2] .

---

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٤٤٩) في ١٤/٥/١٣٧٣هـ ، ص٤ . ومجلة المنهل ، جمادى الأولى ١٣٧٣هـ ، المجلد(١٤)ص٣٤٦ . وديوان غناء وشجن ، مطبعة اليمامة بالرياض ، ط (١) ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م ، ص ١٣ .

(٢) للوقوف على النهضة العلمية التي شهدتها المملكة العربية السعودية في الفترة المحددة لهذه الدراسة ، ينظر في الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب ، أو التي اهتمت به إلى جانب اهتمامها بالنواحي الأخرى ، ومنها على سبيل المثال :

-التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره واستشراف مستقبله ، عبد الوهاب عبد الواسع ، تهامة ، جدة ، ط(٢) ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- التعليم في المملكة العربية السعودية ، د. عبد الله محمد الزيد ، ط (٢) ١٤٠٤هـ .

- معجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ، ص ٧٧٧-٨٣٤ .

-المملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير ، عبد الكريم غزال ، ص٣٠٢ -٣٠٧ .

- الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ، حسن الفكهاني ، الدار العربية للموسوعات ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، جـ(٣) ، ص١٣٧-٢٢٠ .

ولم تتوقف جهود الدولة والقائمين على شئون التعليم فيها في نشر العلم وتعميمه عند هذا الحد ، فبالإضافة إلى إتاحته مجاناً لأبنائها ، قدمت مكافآت تشجيعية للطلاب ، ترغيباً منها وتحفيزاً لهم على طلب العلم ، ووقفت إلى جانب الراغبين من أبنائها في التزود بالعلم النافع ، والالتحاق بركبه البهي ، وكانت تحول حاجة أسرهم دون تحقيق تلك الرغبة في التعليم[١] .

وقد كان لكل ذلك صداه في وجدان الشاعر السعودي ، فمشاعر الفرحة والاغتباط بالنقلات الواسعة والممتدة في مجال التعليم يكاد لا يخلو منها شعر شاعر ، والإشادة بجهود الدولة الموفقة في نشر التعليم ، وتيسير سبله لطالبيه ، ملمح بارز في النصوص الشعرية التي احتفت بالعلم وحثت عليه .

فهذا الشاعر سعد أبو معطي ، يقول مبدياً سروره وفرحته ، ومترنماً بتلك الصروح الشامخة التي شيدتها الدولة وأرست دعائمها في سائر أرجائها [٢] :

يارَعَى اللَّهُ صُروحاً شُيِّدَتْ   سَامِقاتٍ لِلْمَعَــــالِي تُبْتَنَى

يَرِدُ النَّشْءُ إليها ظَــــامِئاً   فَيُلاقِــي الــرِّيَّ فَنَّاً مُتْقَنا

ويُصَاغُ المَــرْءُ فيها قُــوَّةً   يَجْعَــلُ الأَيَّــامَ عنه أَلْسُنا

والشعراء :حمد الحجي[٣] ، وأسامة عبد الــرحمن[٤] ، ومحمد بن علي السنوسي[٥] ،

---

(١) انظر : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(٢) ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ، جـ(٢) ، ص٦٤٦ . ومعجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ، ص ٣٠٥ .

(٢) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٤٥ .

(٣) انظر:جريدة البلاد السعودية ، العدد (٢٦٢٣) في ١٩/٥/١٣٧٧هـ ، ص٤ . وشعراء نجد المعاصرون ، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٤)انظر: مجلة الرائد ، العدد (٣٢) في ١٨/٤/١٣٨٠هـ ، ص٩ .

(٥)انظر: مجلة الجزيرة ، العدد (١) ذو القعدة ، ١٣٨٢هـ ، ص٢٢ . والأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، مطابع الروضة ، جدة ، ط(١) ١٤٠٣هـ ، ص٢٩٠ - ٣٠٠ .

ومحمود عارف[1] ، وحسين عرب[2]، وأحمد الغزاوي[3] ، أبدوا سعادتهم لقيام الدولة بإنشاء عدد من الجامعات في كبريات مناطقها .

ومن ذلك ما جاء في قول ا لشاعر محمد بن علي السنوسي محتفلاً بإنشاء جامعة الرياض* [4] :

هذا هو الأَمَلُ المَنْشُودُ مُنْـــدَفِقاً ... مِـلْءَ الحَقِيقَةِ تَجْري من فَـمٍ لِفَـمِ
وهذه مُنْيَةُ الأَحْـــلامِ مـــاثِلَةٌ ... أَمــامَ عَيْنَيْكَ فَانْظُرْ رَوْعَةَ الحُـلُمِ
تَنَفَّسَ الصُّبْحُ عنها وهي بـــاذِخَةٌ ... كالطَّوْدِ في سُمْكِها العالي وكالْهَرَمِ
صَرْحٌ تُظَلِّلُهُ الأَمْـــلاكُ خاشِـــعةً ... (لِلْعِلْمِ) في جِيْلِهِ السَّامِي إلى القِمَمِ
وكَوْكَبٌ قُدُسِيٌّ الـــرَّوْضِ مُنْطَلِقٌ ... بِهِ السُّرى في سماءِ المَجْدِ والعِظَـمِ

ولما كان الشباب هم عماد المستقبل ، وعليهم يعول المجتمع في نهوضـــه وتقدمه ، فقد توجه إليهم الشعراء ، حاثينهم على الالتحاق بركب العلم ، والنهل من ينابيعه ، والحرص على الاستفادة من الأمم التي قطعت شوطاً بعيداً في تحصيله وجني ثماره ، ومن ثم سد النقص الموجود في المرافق التنموية في البلاد ، والمشاركة الفاعلة في النهوض بالمجتمع ، والتصدي للجهل ومحاربته وتخليص البلاد من شرِّه .

ذلك التوجـه الجميل نجده عند عـدد كبير من شعـرائنا المتطلعين إلى نهضة اجتماعية قوية ، ورقيٍّ وتقدم ملموسين .

فالشاعر إبراهيم فطاني يحث شباب مجتمعه على طلب العلم ، وتحمل الصعاب التي تواجههم في طريقهم إلى تحصيله مهما كانت ، قائلاً [5] :

وبالعِـلْمِ سُودوا وغَذُّوا النُّفوس ... ففيه شِفَاءٌ لما في الصُّـــدورْ

---

(١) انظر: ديوان الشاطيء والسراة ، محمود عارف ، نادي جدة الأدبي ، دار عكاظ ، جدة ١٣٩٨هـ ، ص٧١-٧٤ .

(٢) انظر: المجموعة الشعرية الكاملة ، جـ(٢) ، ص٢٧٩ .

(٣) انظر: جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢٦٢٨) في ٢١/١٠/١٣٩٢هـ ، ص٢ .

* تغير اسمها إلى جامعة الملك سعود ، وذلك عام ١٤٠٢ هـ .

(٤) مجلة الجزيرة ، العدد (١) ذو القعدة ١٣٨٢هـ ، ص٢٢ . والأعمال الكاملة، ص٢٩٢ .

(٥) مجلة المنهل ، شعبان ١٣٦٩هـ ، المجلد (١٠) ص٢٩٩-٣٠٠ .

وجَارُوا الطَّمُوحَ ومُدُّوا الخُطا ... ولَكِنْ حَذارِ حَذارِ الغُرورْ
ولا تَبْخَلوا في سَبيلِ العُلا ... فَدونَ المعالي غَلاءُ المُهورْ
وروضُوا الصِّعابَ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ ... فما ذَلَّلَ الصَّعْبَ إلاَّ الجَسُورْ

ويلفت الشاعر أحمد قنديل انتباه شباب مجتمعه إلى ضرورة الاستفادة من الغرب ، والأخذ عنهم ما لا يتعارض مع قيمهم ومبادئهم الإسلامية ، يظهر ذلك في قوله [1] :

واستَلْهِمُوا النَّسقَ العَصْرِيَّ ما نَطَقَتْ ... فيه البَراعَةُ والإعْجَازُ فانْسَجَما
خُذُوا العُلومَ على ا لطَّرْزِ الحَدِيثِ خُذُوا ... مِنْهُ الفُنونَ خُذُوا الأَفْكارَ والنُّظُما
خُذُوا الصِّناعاتِ والأَعْلاقَ مِنْهُ دَعُوا ... ما لم يَكُنْ وجَلالَ العُرْبِ مُلْتَئِما
ولْتَنْفِرُوا عن سُمومٍ مِنْهُ أَفْتَكُها ... ما خَالفَ الدِّينَ ما قد خَالفَ الشَّمَما

ولم يغفل الشاعر السعودي وهو في غمرة انشغاله بحث أبناء مجتمعه على العلم ، والاستفادة من الأمم المتقدمة فيه ، عن توجيههم إلى ضرورة التمسك بهدي الدين الإسلامي الحنيف وأخلاقه الفاضلة ؛ حتى يكون البناء الذي سيرسون دعائمه وينهضون به قوياً ومتيناً .

نقف على ذلك التوجيه في قول الشاعر أحمد الغزاوي ، حاثاً شباب مجتمعه على التزود بالعلم النافع في شتى مجالاته وميادينه ، والتمسك بعرى الدين الإسلامي وشريعته السمحة [2]:

وما العِلْمُ إلاَّ أَنْ تَصِحَّ (عَقَائِدٌ) ... ويَسْلَمَ (إيمانٌ) لنا و(يَقِينُ)
ولا العِلْمُ إلاَّ ما بَنَى صَرْحَ أُمَّةٍ ... على هامَةِ الجَوْزاءِ وهو فُنونُ
ولَيْسَتْ قُصاراهُ كَلامٌ مُزَخْرَفٌ ... ولا هو وَهْمٌ باطِلٌ وظُنونُ

---

(١) ديوان الأبراج ، أحمد قنديل ، مطابع نصار، بيروت ، ١٢٧٠هـ - ١٩٥١م ، ص ٣٠ .
(٢) جريدة أم القرى ، العدد (٧٨٣) في ١١/١١/١٣٥٨هـ ، ص٥ .

ولا هو في الجُـلَّى قَصيدَةُ شاعرٍ ولا هو لَهْـــوٌ زائِفٌ ومُجـــــونُ
ولَكِنَّهُ في حَوْمَةِ البَحْــثِ حُجَّـــةٌ وبين مَيادينِ الكِفَـــــاحِ حُصُونُ
وفي مَعْرِضِ الإِنْتاجِ حَرْثٌ ومِنْجَلٌ بِهِ الجَـدْبُ خَصْبٌ والهَشِيمُ غُصونُ
و(نَسْجٌ) و(تَعْدِينٌ) وحِذْقُ (صِناعَةٍ) تَلُــوذُ بهــا أَمْثالُهـــا وتَـــدِينُ

ويؤكد الشاعر إبراهيم فطاني على ضرورة تلازم الدين والأخلاق والعلم في بناء النهضة التي يتطلع إليها الجميع ، قائلاً [1] :

بالدِّينِ والعِلْمِ والأَخْلاقِ نَهْضَتُنا تَقومُ لا بِخُـــرافاتٍ وتَسْفِيهِ

وما إن بدأ الشباب السعودي في التوافد على دور العلم ، وأخذ يحقق التفوق والنجاح ، سواء في بلاده أو في البلدان التي ابتعث إليها ، حتى وجدنا الشاعر السعودي يعلن فرحته بهم ، ويبارك جهودهم ، ويصور الآمال والطموحات المنوطة بهم.

فهذا الشاعرسعد أبو معطي يبدي فرحته الغامرة بتوافد شباب مجتمعه على دور العلم ومدارسه ، قائلاً [2]:

يا رِياضَ العُلـومِ مَرْحى وبُشْرى فالصَّباحُ الجَدِيدُ فيــكِ تَبَسَّمْ !
هل رَأَيْتِ الجُموعَ تَخْطُرُ أَفْــوا جاً إلى سَاحِكِ الرَّحِيبِ المُكَرَّمْ ؟
أَقْبَلَتْ كــالسُّيولِ تَهْتَزُّ أَشْـــوا قاً وتَخْتَالُ في الجَلالِ المُفَخَّـمْ !
لِتَرى العِلْمَ كيف تَزْكُو غِـــراساً وتَطِيبُ الثِّمــارُ مِــنْهُ وتَنْعَــمْ

ويشاركه هذه الفرحة بإقبال أبناء المجتمع على ينابيع العلم ومناهله ، الشاعر حسن بن عبد الله القرشي ، حيث يقول مباركاً سعيهم الدءوب في سبيل تحصيله [3]:

مَرْحباً بِالعُــلى يُرَقْرِقُها العِــلْـ ـمُ فَتَحْيا بِهـــدْيِهِ وشِعَـــارِهْ
مَرْحباً بالشَّبابِ يُوقِظُهُ العَــــزْ ـمُ فَيَسْمُو الكَرِيمُ من أَوْطَـــارِهْ

(١) مجلة المنهل ، ربيع الأول ١٣٦٦هـ ، المجلد (٧) ، ص١٢٩ .
(٢) شعراء نجد المعاصرون ، ص٢٤٣ .
(٣) ديوان حسن بن عبد الله القرشي ، المجلد (١) دار العودة ، ط (٣) ١٩٨٣م ، ص٢١٥ - ٢١٦ .

عَصَفَتْ بالخُمولِ آمَــالُهُ الشُّـــــمُّ تَصُدُّ العَتِيَّ من إعْصــــارِهْ
وانْبَرَتْ لِلْحَيَاةِ أَهْواؤُهُ العُـــظْمى تُريقُ الضِّياءَ في مِضْمارِهْ

ويروح المعلم المتَّقدة حماساً يتوجه إليهم الشاعر إبراهيم فطاني ، مبيناً حاجة بلادهم إليهم في شتى مرافقها ، حتى ينوعوا في اختصاصاتهم ومجالات دراساتهم [1] :

وَلْيَكُنْ مِنْكُمُ الأَدِيبُ المُجَـلِّي والزِّراعِـيُّ والطَّبِيبُ المُؤَسِّي
والمُرَبِّي المُخْتَصُّ مِنْكُمْ ومِنْكُمْ عَبْقَرِيٌّ يَجُولُ في كُـلِّ دَرْسِ
ولْيَكُنْ مِنْكُمُ النُّسورُ الـدَّواهِي يُمْطِرونَ العِدا بِـوابِلِ نَـحْسِ

وحتى لا ينال منهم السأم ، ويصيب عزائمهم الفتور ، حرص الشعراء على تعهدهم بالحث والتشجيع ، وإطلاعهم على الآمال والطموحات الملقاة على عاتقهم ؛ لكي يهيئوا أنفسهم لحملها ، ومن ثم تحقيقها على أرض الواقع .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر حسن بن عبد الله القرشي ، مخاطباً شباب مجتمعه ، باثاً الحماس فيهم ، ومشعلاً فتيل الهمة في نفوسهم[2]:

زُنُدَ الشُّـــعوبِ تَحِـــيَّةً عَصْمـــاءَ لَنْ تُهْـــدى لِنَابِ
أنت الُّلبـــابُ فَحُـــزْ بِعَـــزْ مِكَ وامْتَـــلِكْ لُبَّ الُّلـــــبابِ
وارْفَـــعْ مَنارَ العِلْـــمِ لا تَخْنَعْ لِعَجْـــزٍ واضْطِـــرابِ
إِنَّ الحَـــياةَ تَقَـــدُّمُ لا تَسْتَقِـــرُّ علـــى تَبَـــابِ
إِنَّ الشَّبابَ هـــو الحَـــيا ةُ وما الحَيَاةُ سِـــوَى الشَّبـابِ

في حين يذكرهم الشاعر عثمان بن سيار بحاجة بلادهم إليهم ، ويصور لهم الحالة التي آلت إليها ، وشوقها العارم لعقولهم النيرة ، وسواعدهم القوية [3] :

إِلَيْكُمْ شَبابَ البِـلادِ الغَيور تَلَفَّتَ قَلْبُ البِـلادِ الظَّمِـي

(١) مجلة المنهل ، ربيع الأول والثاني ١٣٦٩هـ ، المجلد (١٠) ، ص١٤٣ .
(٢) ديوان القرشي ، جـ (١) ، ص٢١٣ .
(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص٢٣٨.

لقـد لَفَحَتْهُ شُموسُ الهَجِير　　　وأَضْناهُ سَوْطُ الشَّقا المُؤلِمِ

لِكُـمْ مَوْطِنٌ لَفَحَتْهُ الحَيَاة　　　على كَوْنِها المائِجِ المُضْطَرِمِ

رأى فيكُمُ هِمَّةَ المُنْقِذِين　　　أَغِذُّوا إلى الهَدَفِ المُعْلَمِ

وعلى هذا النحو تأتي مشاركة الشاعرين : أحمد الغزاوي[1] ، وعلي زين العابدين[2].

ويخص الشاعران : أحمد قنديل ، وطاهر الزمخشري ، ابنيهما بذلك التوجيه والتذكير بما لبلادهما عليهما من الحقوق والواجبات ، حيث يقول القنديل[3] :

وتَذَكَّرْ مَـوْطِناً .. يَهْفُو إِلَيْكْ

ساعِـداً قـد شَـدَّ زَنْدَهْ

بانِياً قد شادَ مَجْدَهْ

راعِياً لِلْعَهْدِ عَهْدَهْ

واغْسِلِ الماضِيَ بالحَاضِرِ ..نُوراً

وتَثَقَّفْ !

وانْشَقِ العِلْمَ . . زُهوراً .. وعُطوراً

وأَشِعْهُ .. نَفَحاتٍ .. من جَلالْ

وأَبِحْـهُ لِلْهوى الحالِي .. خَيَالْ

مُدَّ لِلْآمالِ .. آمالاً تَلِيها !

---

(١) انظر : جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٠١٣) في ١٣٧٠/٧/٣هـ ، ص٤ .

(٢) انظر : ديوان تغريد ، ص٢٢٥ -٢٢٦ .

(٣) ديوان شمعتي تكفي ، أحمد قنديل ، ط (٢) ١٩٧٣م ، ص ٣٥ .

ويقول الزمخشري في ذلك [1] :

فَلْذَتي يا فُؤادُ ياقُرَّةَ العَيْـنِ ويا غَرْسةً نَمَتْ في يَدَيَّا
أنت طِبِّي متى رَأَيْتُكَ الْخَيْـرِ تُؤَدِّيه بُكْرةً وعَشِيَّا
تَتَحدَّى الخُطوبَ تَسْخَرُ بالصَّعْـبِ وتَمْشي على الطَّريقِ سَوِيَّا
وتَمُدُّ اليدينِ تُعْطي المَواثِيـقَ وتَبْقى على الزَّمانِ وفِيَّا
لِلْبِلادِ التي رَعَتْكَ وغَذَّتْـكَ بِضَرْعٍ مازالَ يَنْدَى سَخِيَّا
والوفاءُ الذي أُريدُ بِأَنْ تَفْـدي ثَراها لِكَيْ تَعيشَ رَضِيَّا
فَلَها الرُّوحُ إِنْ أَرَدْتَ فِداءً بَعْضُ دَيْنٍ عليكَ بَلْ وعَلَيَّا
نَحْنُ منها لها وأَنْتَ بما تَحْـمِلُ مَصْلاً ومِبْضَعاً ومُدِيَّا
سَوْفَ تَأْسُو الجِراحَ في الكَبِدِ الذَّاوي وتُعْطِي السَّقِيمَ بَرْداً ورِيَّا
لا بِطَوْلٍ في راحَتَيْكَ وحَوْلٍ بل بِعَوْنٍ أَرْجوهُ أَنْ يَتَهَيَّا

وعندما بدأت قوافل المبتعثين في التوافد على البلاد ، وأخذت رياض العلم التي غرست فيها تؤتي ثمارها الناضجة ، ألفينا شعراء نا في طليعة المهنئين بما حققه أبناؤهم من تفوق ونجاح .

فهذا الشاعر ضياء الدين رجب يقول مهنئاً أحد أبناء بلاده بنجاحه وتفوقه ، ومبدياً سروره وفرحته به ، مطلعاً إياه على ما يتوجب عليه القيام به تجاه مجتمعه [2] :

تَغَرَّبَ عن أَهْلٍ وفارقَ مَوْطِناً فَآبَ وقُوراً غانِماً أَيَّ غانِمِ
فأَثْنى عليه المَجْدُ والفَضْلُ جُهْدَهُ وشَادَ صُروحاً عالِياتِ الدَّعائِمِ
وإِنَّ بِلاداً أَكْرَمَتْهُ لِشَأْنِهِ وعادَتْ بِهِ تَشْدو كَشَدْوِ الحَمَائِمِ
وقد لَمَسَتْ مِنْهُ الحَيَاةَ ورُوحَها بِفَنٍ عَزيزٍ نَالَهُ خَيْرُ حازِمِ

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (١٣٧٤) في ١٣٨٨/٧/٥هـ ، ص٥ . ومجموعة الخضراء ، ص٤٠٢-٤٠٣ .
(٢) ديوان ضياء الدين رجب ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، ١٤٠٠هـ ، ص٥٨ .

رَأَتْكَ الأَمانِيُّ العِذابُ مُحَـمَّداً		فَوافَتْ تُحَيِّيْ قادِماً تِلْوَ قـادِمِ[1]
كَأنَّكَ فيهـا باقَةٌ قـد تَفَتَّحَتْ		عن الأُقْحُوانِ الغَضِّ أَجْمَـلَ باسِمِ
نُرِيدُكَ تِمْثالَ الفَخَارِ ورَمْـزَهُ		ونَرْجُوكَ عُنْـوانَ الطَّبيبِ المُسَـالِمِ
لِتَكْشِفَ عنها بالأَشِعَّةِ دَاءَ هـا		وتُذْهِبَ عنها مُغْرِياتِ الطَّـلاسِمِ
فليس لِشَعْبٍ في البلادِ تَفَاخُـرٌ		إذا لم يُفَاخِرْ في طَبِيبٍ وعـالِمِ

وهذا التفاعل من الشعراء مع النجاح الذي حققه شباب المجتمع في مجال العلم ، سواء في داخل بلادهم أو خارجها ، لا نعدمه عند شعراء آخرين ، كالغزاوي[2]، وأحمد العربي[3] ، وفؤاد شاكر[4] ، وعبد الله بن خميس[5] وأحمد قنديل[6] ، وعلي زين العابدين[7] ، وغيرهم .

---

(١) محمد خالد خاشقجي ، من أوائل الأطباء السعوديين ، وهو صاحب فكرة إنشاء أول مصنع للجبس في المملكة العربية السعودية ، وأول مدير لذلك المصنع . انظر : أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ، محمد علي مغربي ، تهامة ، جدة ، ط(١) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص١٩٧ -٢٠٦ .

(٢) انظر : جريدة أم القرى ، العدد (٥٩٢) في ١٣٥٥/١/١٨هـ ، ص٢ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص٥ .

(٤) انظر : ديوان وحي الفؤاد ، ص٢٠٠-٢٠٢ ، وص ٢٣٣-٢٣٤ .

(٥) انظر : ديوان على ربى اليمامة ، عبد الله بن خميس ، ط(٢) ، ص٧٧-٨٠ .

(٦) انظر : ديوان أصداء ، أحمد قنديل ، مطابع نصار ، بيروت ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م ، ص٣٨ - ٤٠.

(٧) انظر : ديوان تغريد ، ص٢١٧-٢٢١ ، وص٢٢٢-٢٢٨ .

المبحث الثاني
الدعوة إلى إنشاء المشاريع الإنمائية

ألح الشاعر السعودي في الدعوة إلى نهضة اجتماعية وتنموية شاملة منذ وقت مبكر ، وقد شجعه على ذلك عدة أمور ، أهمها :

أولاً :افتقار بلاده إلى المصانع والمعامل ، وإنفاق الدولة للأموال الطائلة ، في سبيل تأمين كل ما يحتاج إليه أفراد المجتمع من الدول المتقدمة صناعياً وتقنياً .

ثانياً : طموح الجميع (حكومة وشعباً) إلى النهوض القويٍّ بالمجتمع في شتى ميادين الحياة ومجالاتها المتعددة .

ثالثا : معرفته بما تدخره أراضي بلاده من كنوز وخيرات ، ومدى مقدرتها على تحقيق كل ما يطمحون إليه ، إن هي استغلت الاستغلال الأمثل ، ووظِّفت عائداتها في النهوض بالمجتمع .

ولما كان التصنيع «هو حجر الأساس في عملية التنمية الاقتصادية»[1] فقد وجه إليه الشعراء اهتمامهم ، ولم يغفلوا الزراعة أو يهملوها ، بل رأينا معظمهم يضعونها جنباً إلى جنب مع التصنيع ، ويؤكدون على تلازمهما في عملية النهوض بالمجتمع .

وإن جاء التصنيع في المقدمة من حيث اهتمام الشعراء ، فلأن التصنيع أقدر من الزراعة وأسرع في تحقيق كل ما يطمح إليه من تقدم ورقي ، في ظل وجود المواد والخامات الأساسية التي يقوم عليها وينشط ، ووفرة عائداته مقارنة بالزراعة وعائداتها .

ولم تخل دعوة الشعراء إلى الاهتمام بالتصنيع من توجيه الأنظار إلى الخيرات الوفيرة التي تكتنزها أراضيهم في أعماقها ، أملاً في استغلالها عن طريق إنشاء المصانع والمعامل الكبيرة ، والاستفادة من عائداتها في مشاريع التنمية التي تتشوق إلى رؤيتها الأحداق ، بعد تحقيق الاكتفاء الذاتي منها .

---

(١) معجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ، ص٦١٤ .

فهذا الشاعر حسين فطاني ، يقول حاثاً على إنشاء المصانع ، ومبيناً دورها الفعَّال في التنمية والنهضة الشاملة التي يتطلع إليها أبناء المجتمع [1] :

أَمَوْلاي أنت اليَـوْمَ آمـــــالُ أُمَّةٍ تُطالِعُ ما تَبْنِي وما أَنْتَ آمِـــــرُهْ

فَأَرْشِدْ هُموأَنْ يَنْهَضُوا بِبِلادِهـمْ وهل يَرْتَقِي بالحَيِّ إلاَّ عَشَـــائِرُهْ

فَشَيِّدْ أَفانِينَ الصِّـــــناعَةِ بَيْنَهُمْ لِتُخْرِجَ كَنْزاً خابِياتٍ ذخَـــــائِرُهْ

وهل تَنْهَضُ الأَوْطَـــــانُ إلاَّ بِوَثْبَةٍ إلى المَجْدِ يُذْكِيها من الجَهْدِ آخِرُهْ

فَقَدْنا إلى أَسْبابِ كُــلِّ حَضَارةٍ إلى مَنْهَلٍ لِلْعِزِّ تَحْلُو مَصَـــــادِرُهْ

وتأخذ الدعوة عند العلاف منحى آخر ، فهو لا يباشرها ، وإنما يكتفي بإطلاق عدد من الأسئلة ، ولدتها في عالمه حالة الخمول والتقهقر التي تعتري أبناء مجتمعه ، والتقوقع من المقتدرين منهم مادياً أمام خزائنهم يرصون فيها النقود أكواماً، بدلاً من تشغيلها في إنشاء المصانع والمعامل التي عمل وجودها على تقدم الغرب في المجالات كافة ، وأدَّى افتقارنا لها إلى تراجعنا عن المكـــــانة التي تبوأناها في سالف الزمان .

وهو من خلال تلك الأسئلة يسعى إلى بث الوعي لدى أبناء مجتمعه بأهمية الصناعة ، ويهيب بالقادرين منهم مادياً إلى المشاركة في إنشاء المصانع ، والإسهام الفاعل في دفع حركة التقدم والتطور المأمول .

حيث يقول[2] :

فِيمَ البَقَاءُ على الرُّكُـــــودِ نُطِيقُهُ وإلامَ عَيْشُ الخَـــــامِلِينَ إلاما ؟

كيف السَّبِيلُ إلى النُّهوضِ وشَأْنُنا حَجْزُ النُّقُــودِ نَرُصُّها أَكْوامـــا ؟

أو كيف يُرْجى أَنْ يَعِيشَ مُعَـــزَّزاً مَنْ ليس يَرْفَعُ لِلْمَصانِعِ هـــاما؟

---

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٤٨٨) في ١٣٧٣/٩/٣٠هـ ، ص٤ .

(٢) ديوان وهج الشباب ، إبراهيم خليل علاف ، ط (٢) عام ١٣٨٤ هـ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

مابَرَّنا الغَـــــرْبُ الفَتِيُّ بِبَأْسِهِ لولا الصِّنَاعةُ لم يَكُـــنْ مِقْـداما

ويواصل تساؤله في نص آخر ، محاولاً بث الوعي لديهم بأهمية المرحلة التي يعيشونها ، وموجهاً إياهم إلى الخيرات الوفيرة التي تنعم بها أراضيهم وهم في غفلة عنها ، مبيناً لهم أن مثل تلك الخيرات أسهمت في بقاع أخرى من العالم في تقدم ورقي شعوبها (١) :

متى الوعْيُ يَطْغى والرُّكودُ يُغـادِرُ متى المَجْدُ يَدْنو والقُوَى تَتَضـافَرُ ؟
أَسِفْتُ لِطاقـــــاتٍ تَبَدَّدَ شَمْـــلُها بَعَرْضِ الفَيافِي لم تَقُدْها البَصائِرُ !
تَبادَلتِ الدُّنْيا تَجـارِبَ نُجْـــحِها وَطَوَّرهـا بَحْثٌ وعِـلْمٌ مُـؤَازِرُ
وَصالَتْ صِناعَاتٌ وأَرْبَتْ زِرَاعَـــةٌ بها أُمَمٌ عَـــزَّتْ وهَبَّتْ تُتَاجِـــرُ

أما الشاعر ضياء الدين رجب فيحث على عدم إهمال الصناعة ، لما لها من أثر فعَّالٍ في تحقيق الآمال والطموحات التي تتشوق إلى رؤيتها أحداق أبناء المجتمع بكل فئاته ، قائلاً (٢) :

هي المَصَانِعُ فَلْتَصْنَعْ بِهـــا أَمَلاً ضَخْماً فكم صَانَتِ الأَيْمانُ إيْمَـانا
إِنْ فَاتَنا الأَمْسُ لا يَلْوي على ثِقَـــةٍ فَلْنَنْسَ إِهْمَـــالَنا ولْنَعْمَـــلِ الآنا
نَمْضي على شُعْلَةِ الأَهْدَافِ صَادِقَةً فالخَـــيْرُ يُنْبِتُ أَنْصـــاراً وأَعْـوانا

ويوضح الشاعر علي حافظ أثر المصانع وانتشارها في نهضة البلاد ، وتحقيق الرفاهية للمنضوين تحت لوائها ، قائلاً (٣) :

إِنَّ المَصَانِعَ في البلادِ حَيَاتُها تُهْدي الشُّعوبَ من الرَّفاهِ كَثِيرَا

وكما اهتم الشاعر السعودي بالصناعة ، اهتم بالزراعة ، وقد شجعه على ذلك اتساع رقعة الأراضي الزراعية في بلاده ، وصلاحيتها «لشتى أنواع المحاصيل

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٢ .
(٢) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٩١ .
(٣) نفحات من طيبة ، ص١٠٩ .

والمنتجات الزراعية بسبب تنوع أشكال التربة والمناخ فيها»[1].

فالشاعر محمد إبراهيم جدع، يمني نفسه برؤية جميع أراضي بلاده وقد ارتدت حللاً سندسية، تدخل البهجة في النفس، وتشيع الرخاء في المجتمع[2]:

ولي أَمَلٌ ورجَاءٌ كَبيرْ تُحَقِّقُهُ السُّلْطَةُ الزَّاعِيَهْ
بِأَرْضِ الزِّراعَةِ والإبْتِهاجْ فَتَبْعَثُها جَنَّةً زاهِيَهْ
تُعِيدُ لنا العَهْدَ فيما مَضَى وأَزْهَى .. تَتِيهُ على الماضِيَهْ
وتَنْشُرُ فينا الهنا والرَّخا وتُنْفِقُ عن سَعَةٍ ساخِيَهْ

وحتى يتحقق ذلك نجد الشاعر علي زين العابدين يحث أول وزير للزراعة على تشجيعها، والاهتمام بها، والمضي بها قدماً في سائر أرجاء البلاد[3]:

وامْضِ سُلْطانُ بالزِّراعَةِ حتَّى يَرْقُصَ الصَّخْرُ بالزُّهورِ دَلالا[4]
وتَروحُ الدَّهْناءُ تَزْهو رِياضاً تَسْبَحُ الطَّيْرُ في رُباها اخْتِيالا
جِئْتَ والأَرْضُ تَشْتَكِي من صَدَاها لوْ طاقَتْ لنا شَدَتْكَ انْفِعالا
فاسْقِها هِمَّةً وسَعْياً وجَهْداً وامْحُ عنها الجُدُوبَ والأَمْحالا
إِنَّ في أَرْضِنا كُنُوزاً وخَيْراً هل حَرامٌ إذا حَصَدْنا الغِلالا ؟!

ويشاركه هذا الحث على الاهتمام بالزراعة الشاعر عبد الله بن خميس، حيث يقول مبيناً أثرها في نهضة الشعوب قديماً وحديثاً[5]:

إِيهِ يا سُلْطانُ جَرِّدْ حَمْلَةً واقْلِبِ الصَّحْراءَ رَوْضاً مُعْشِبا

---

(١) المملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير، عبد الكريم غزال، ص٣١٨.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، محمد إبراهيم جدع، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط(١) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٧٤١.

(٣) ديوان تغريد، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٤) المقصود بسلطان هنا: صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، أول وزير للزراعة في المملكة العربية السعودية. وقد كان ذلك في عام ١٣٧٢هـ-١٩٥٣. وقبل ذلك كانت تتولى الإشراف على الزراعة في المملكة مديرية الزراعة التى أنشئت فى عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م. انظر ذلك في: مراحل تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازاتها، ص١٣٦.

(٥) جريدة البلاد السعودية، العدد (١٤٥٥) في ٢١/٥/١٣٧٣هـ، ص٤.

وامْلأ الأسْـــواقَ من خَيْراتِها		كيف تَبْقَى لِلأعادِي مَجْـلَبَا ؟
واحْفَظِ الثَّرْواتِ من أَمْواهِـــها		طالمـــا تَنْسابُ في اليَمِّ هَبَا
كيف والقُـــــرْآنُ قد حَـدَّثَنا		عن جِنَانٍ يانِعَـــاتٍ في سَبَا ؟!
سُنَّةٌ قد آمنَ الغَـــــرْبُ بها		تَرَكَ الكُثْبانَ حَقْلاً مُخْصِــبا
وعَزَفْنا عن هُدَاها فَغَـــــدا		طَيِّبُ الأَرْضِ لدينا مُجْـدِبا

ولما كان اعتماد الزراعة في المملكة العربية السعودية على مياه الأمطار والسيول ، وجدنا الشاعر السعودي يدعو إلى توفير المياه اللازمة لري الأراضي الزراعية الشاسعة ، بدلاً من انتظار الأمطار التي لا تفي بحاجاتها ، ولا تساعد على تحقيق النهضة الزراعية التي يطمح إليها الجميع .

ومن الحلول التي طرحها الشاعر السعودي للنهوض بالزراعة في بلاده ، إنشاء السدود لحفظ مياه الأمطار ، وحفر الآبار ، ومن ثم الاستفادة من هذين المصدرين في ري الأراضي الزراعية في حالة شح الأمطار وقلتها .

فهذا الشاعر علي حسن غسال ، يدعو إلى إنشاء السدود ، ويحث على الاستفادة مما توصل إليه العلم الحديث في شئون الزراعة [1] :

لَدَيْكَ الشَّبابُ الـذي يُرْتَجى		حُمَاةُ الزِّراعَةِ صُوَّانُــــها
فَخَلِّ الصَّحارِيَ مُخْضَــرَّةً		تَفُوحُ وتَمْرَحُ أَغْصَـــــانُها
فما القَفْرُ قَفْرٌ أَمامَ ا لعُـلو		مِ بَلِ الجَبَلُ الصَّـلْدُ بُسْتَانُها
أَقِمْها سُدوداً علـى أَرْضِنا		يَفِيضُ لدى القَحْطِ خَـزَّانُها
وخَـــلِّ المِياهَ بِوِدْيــــانِها		تَسِيلُ وتَـــدْفُقُ شُطْــآنُها

---

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٤٥٢) في ١٧/٥/١٣٧٣هـ ، ص٤ .

ويؤكد السنوسي الأثر الذي ستخلفه السدود – إن هي أُقيمت – في النهضة الزراعية في البلاد ، قائلاً [1] :

يَـــدٌ لِلَّهِ خَصَّ بهـــــا بلادي ... فَسُبْحانَ الذي أَعْطى وحَــابا !
فكيف إذا أُقِيمَ (السَّدُّ) حِصْناً ... يَصُدُّ الجَدْبَ عنها والخَــرَابا ؟
ويُغْلِقُ في وجُوهِ القَحْطِ بـابــاً ... ويَفْتَحُ من وجُوهِ الرِّزْقِ بــابـا
ويَحْفَــظُ مـاءَهـا والمـاءُ رُوحٌ ... ومَنْ حَفِظَ الحَيَاةَ فقد أَصــابا
لأُقْسِمُ أَنْ تَصِيرَ البِيدُ رَوْضاً ... وتَغْدُوَ جَنَّةً طــابَتْ شَـــرَابا

وإذا كان جل الشعراء قد ركزوا على دور الصناعة والزراعة في تحقيق الاكتفاء الذاتي وعدم الاحتياج إلى الآخرين ، بالإضافة إلى التطور والنهوض ، فإن الشاعرين: محمد بن علي السنوسي ، وإبراهيم خليل علاف ، يتجاوزان ذلك إلى بيان أثرهما في إيجاد فرصٍ للعمل بالنسبة لشباب البلاد ، والقضاء على البطالة وما ينجم عنها من عللٍ وأدواء .

وفي ذلك يقـــــول السنوسي [2] :

فهل لي أَنْ أَراكَ وقـــــد تَجلَّتْ ... بِكَ الأَحْلامُ رائِعَـــةً عُجــــابـا
وقد شَغَلَتْ (مَصَانِعَكَ) العَطَـــالى ... وقد مَلأَتْ (مَزَارِعَــكَ) الصُّيابا[3]

ويقول العلاف [4] :

أحيِ الزِّراعةَ والصِّناعَـــهْ ... واحْفُزْ لِحِضْنِهما الجُماعَـهْ
واعْلَـمْ بِـــأَنَّ كِلَيْهِمـــا ... قَيْدُ البَطَـــالةِ والمجَــاعَهْ

ولم تتوقف دعوات الشعراء المتعطشين إلى نهضة اجتماعية وتنموية شاملة عند

---

(١) مجلة المنهل ، محرم وصفر ١٣٨٠هـ ، المجلد (٢١) ، ص٤٨ . والأعمال الشعرية الكاملة ، ص٢٤٠-٢٤١ .
(٢) ينظر المصدران السابقان : مجلة المنهل ، ص٤٨ ، والأعمال الكاملة ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .
(٣) الصُّيابا : الجماعة .
(٤) ديوان الإنسان ، إبراهيم خليل علاف ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ط (١) ١٣٨٤هـ ، ص٥ .

الحث على الاهتمام بالصناعة والزراعة فحسب ، وإنما أتبعوها بكل ما يحمل في طياته بشائر التطور والنماء للمجتمع .

ويعد العلاف من أكثر شعرائنا اهتماماً بالنهضة التنموية الشاملة ، وقد أفصحت عن ذلك قصائده الكثيرة في هذا المجال ، وإن جاءت معظمها كأمانٍ يتشوف إلى رؤيتها وقد أضحت حقائق ماثلة للعيان. ومن تلك الأماني ما جاء في قوله [1] :

وَيْحَ نَفْسِي متى أَراكَ حَفِيّاً ... بِنُبوغٍ يَكُنُّ أَسْنى الهِبَاتِ(٢) ؟
ومتى الفَنُّ والعُلومُ جميعاً ... تَتَلَقَّى عَدَالةَ اللَّفَتَاتِ ؟
ومتى المَكْتَباتُ تُبْنى وتَغْنَى ... بِتُراثٍ يُشِيعُ خَيْرَ الصِّفاتِ ؟
ومتى تَسْمُقَ المَداخِنُ شَتَّى ... كَبَنَانٍ تُشِيرُ للنَّهَضَاتِ ؟

ويقول في أخرى (٣) :

ويْحَ نَفْسِي متى أَراها تَـزَيَّتْ ... بِاكْتِفَاءٍ يَحُفُّهُ التَّصْدِيرُ ؟
واسْتَحالَ الفَراغُ منها امْتِلاءً ... وكَسَاها بِحُسْنِهِ التَّعْمِيرُ
واسْتَقامَتْ مَسَالِكٌ ومُرورٌ ... وترامى بِظِلِّهِ التَّشْجِيرُ
وغدا القَفْرُ مُشْبَعاً باخْضِرارٍ ... خَالِفٍ بَعْضُهُ رَواهُ النَّمِيرُ
والمواشِي تَزِينُهُ مُطْلَقَاتٍ ... في مَرَاعٍ مَتَاعُها إِكْسِيرُ
وجِبالُ السَّراةِ تِبْرٌ وزِنْكٌ ... وحَدِيدٌ يَشُوبُهُ القَصْدِيرُ
وكُنوزٌ خَفِيَّةٌ حَضَنَتْها ... باعْتِزازٍ مَصَانِعٌ لاتَبُورُ
تَوَّجَتْها مَصَائِفٌ ورِيَاضٌ ... تَتَغَنَّى على رُؤَاها الطُّيورُ

---

(١) ديوان أشواق وآهات ، إبراهيم خليل علاف ، ط (١) القاهرة ، ١٣٨٠هـ ، ص ١٤٣ .

(٢) أسنى : أشرف .

(٣) ديوان أشواق وآهات ، ص ١١١ – ١١٢ .

ولم تتأخر الدولة في تحقيق وتلبية تلك المطالب لأبنائها ، وإنما أتبعتها بتوفير كل ما من شأنه السمو والنهوض بالمجتمع ، وتحقيق الرفاهية لأبنائه .

فقد قامت بتأسيس المصانع والمعامل العملاقة ، وشيدت السدود ، وحفرت الآبار ، وعملت على إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية ونشرها في سائر أرجاء البلاد ، وعبّدت الطرق ، وأرست الموانىء ، وأنشأت المطارات ، وأدخلت الكهرباء ومعها خدمات الاتصال المتعددة ، وشجعت الزراعة ، وقدمت للمزارعين مساعدات عديدة ، تمثلت في إمدادهم بالوسائل العلمية الحديثة ، والخبرات الفنية دون مقابل ، وقبل ذلك أنشأت بنكاً مختصاً بالزراعة (بنك التسليف الزراعي) مهمته منح المزارعين قروضاً يستفيدون منها في إصلاح أراضيهم وزراعتها بدون أرباح أو فوائد ، كما قامت وزارة الزراعة بدفع خمسين بالمائة (٥٠٪) لكل آلة زراعية يشتريها الفلاّح ، وأمدت المواطنين الراغبين في إنشاء مساكن لهم تتوافر فيها كل شروط الصحة اللازمة بالمال عن طريق (بنك التنمية العقار ي) الذي تنحصر مهمته في هذا الشأن ، ويتم تسديد ذلك القرض من المستفيد منه على دفعات ميسرة ، تسلم سنوياً للبنك المذكور (١)

وما إن وقعت عينا الشاعر السعودي على أحلامه وأمانيه التي طالما تمناها

---

(١) للوقوف على ما تم إنجازه من مشاريع تنموية في هذه الفترة ، ينظر في الدراسات التي اهتمت بهذا الشأن ، ومنها :

- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، د. عبد الفتاح حسن أبو علية ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م . ص١٣٧-٢٦٣ .

- معجزه فوق الرمال ، أحمد عسه ، ط(٣) ، ص ٥٣٩-٧١٠ / ٨٣٥-٨٤٥ .

- الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ، حسن الفكهاني ، جـ (١) ص ٢٦٧-٢٨٤/جـ (٢) ص ١١-٧٦/ وص١٧٥-٢٣٥/جـ (٣) ص ٢٣٩-٢٤٤ .

- المملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير ، عبد الكريم غزال ، ص٢١١-٣١٧/ ، ص ٣١٨-٣١٩ .

وانظر : مجلة الإذاعة السعودية ، العدد (٧٥) جمادى الثانية ١٣٨١هـ ، ص٣٠ ، ٣٤ ، ٥٠ ، والعددين (٨٧-٨٨) جمادى الثاني ورجب ، عام ١٣٨٢هـ ، ص ٢٢-٣٢ ، وص ٥٤-٦١ ، وص ٨٤ ، وص ١٠٣ ، ص١٢٢-١٢٣ .

وانظر : جريدة المدينة المنورة ، الأعداد : (٣٣٣٤) في ١٤/٣/١٣٩٥هـ ، ص ٢-٧ . والعدد (٣٣٣٥) في ١٥/٣/١٣٩٥هـ ، ص ٤ والعدد (٣٣٣٦) في ١٦/٣/١٣٩٥هـ ، ص٦ .

لمجتمعه ، وعانق إنسانها تلك المشاريع التنموية الضخمة ، حتى بدأ في الترنم بما يراه ، معلناً سروره وفرحته بتجليات النهضة والتطور التي تشهد ها بلاده ، مشيداً بجهود الدولة الموفقة للنهوض بالمجتمع في المجالات كافة .

فالشعراء : أحمد إبراهيم الغزاوي[١] ، وفؤاد شاكر[٢] ، وأحمد قنديل[٣] ، ومحمد بن علي السنوسي[٤] ، ومحمد بن أحمد العقيلي[٥] ، وطاهر الزمخشري[٦] ، وعبد الله بن خميس[٧] ، احتفوا بتدفق المياه من باطن الأرض ، عن طريق حفر الآبار ، وإجراء العيون ، وإيصال المياه لبعض المدن التي كان أهلها يجدون مشقة وعنتاً في جلبها .

واستوقفت السدود عدداً من الشعراء ، أمثال : علي حافظ[٨] ، وزاهر الألمعي[٩]، وأحمد قنديل[١٠] ، وفؤاد شاكر[١١] ، وعبد الله بن خميس[١٢]، فأشادوا بها ، وأشاروا إلى أثرها في النهضة الزراعية التي يتحراها الجميع .

---

(١) انظر : مجلة الحج ، ملحق العدد (٧) في ١٣٦٧/١/٨هـ ، ص٢٥-٢٨ .
(٢) انظر : المصدر السابق ، ص ٤٠ -٤٢ . وديوان وحي الفؤاد ، فؤاد شاكر ، ص ١٩٦ -١٩٧ .
(٣) انظر : مجلة الحج ، ملحق العدد (٧) في ١٣٦٧/١/٨هـ ، ص ٣٧ -٣٨ .
(٤) انظر : جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٩٧٠) في ١٣٧٥/٢/٢٥هـ ، ص ٣ .
(٥) انظر : المصدر السابق ، العدد (١٩٨٠) في ١٣٧٥/٣/٨ هـ ، ص٣ .
والمجموعة الشعرية الكاملة ، محمد بن أحمد العقيلي ، ط (١) ١٤١٣هـ -١٩٩٢م ، ص ٤٢١-٤٢٨ .
(٦) انظر : مجموعة النيل ، طاهر الزمخشري ، تهامة ، جدة ، ط (١) ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
(٧) انظر : جريدة البلاد ، العدد (٣١١٤) في ١٣٨٩/٢/٢٩هـ ، ص ٤ . وديوان على ربى اليمامة ، ط (٢) ، ص٢١٧-٢٢٠ .
(٨) انظر : نفحات من طيبة ، ص ١٩١ .
(٩) انظر : ديوان الألمعيات ، زاهر بن عواض الألمعي ، ط (١) ، ١٣٩١هـ ، ص٦٧ -٧١ .
(١٠) انظر : ديوان أصداء ، أحمد قنديل ، ص٥٥ - ٥٧
(١١) انظر : جريدة البلاد ، العدد (٣٦٧٣) في ١٣٩١/١/٢٥هـ ، ص٥ .
(١٢) انظر : المصدر السابق ، العدد (٣٦٧٤) في ١٣٩١/١/٢٦هـ ، ص ٥ ، وديوان على ربى اليمامة ، ص٣١٩ -٣٢٤ .

وأشاد الشعراء : أحمد إبراهيم الغزاوي [1] ، وإبراهيم خليل علاف[2] ، وإبراهيم الزيد[3] بجهود الدولة الموفقة في تعبيد الطرق ، وتذليل الصعب منها .

والشعراء : محمد إبراهيم جدع ، وأحمد إبراهيم الغزاوي ، وإبراهيم خليل علاف ، أشادوا بالمصانع التي عملت الدولة على إنشائها .

ومن ذلك ما جاء في قول الجدع مشيداً بالمصانع العديدة التي أنشئت لاستغلال البترول وخيراته الوفيرة [4] :

رَأَيْتُ رَوائِعَ الإِنْسانِ تَسْعــــى ... وتَسْلُكُ في البَقَاءِ بنا سَبِيــلا
رَأَيْتُ مَصانِعاً ورَأَيْتُ مَجْـــداً ... يُقَوِّمُ صَرْحَنا زَمَناً طَـــوِيلا [5]
هُنَا (البِتْرولُ) يَمْنَحُنا رَخَـــاءً ... ويَبْعَثُ نَهْضَةً ويُقِيمُ جِـــيلا
ولِلْبِتْرولِ في الـــدُّنْيا شُئونٌ ... يُشَيِّدُ عِـــزَّةً تَبْقى مَثِيـــلا
لقد نَـــالَتْ بِهِ أُمَمٌ مُنَـــاهــا ... ونَالَتْ مَجْـدَها بَسْطاً وطُولا

ويقول العلاف فرحاً بما يراه على أراضي بلاده من مصانع عملاقة[6] :

إنِّي أَرى أَرْضَ الجَزِيرَةِ ضَاعَفَتْ ... عُلْيا المَـداخِنِ والمعَـادِنُ تُصْهَرُ
وأَرى الثَّقِيلَ من الصِّناعَةِ مُـرْدَفاً ... بِخَفِيفِها وأَرى السِّـلاحَ يُزَمْجِـرُ

ويحيي الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي مصانع الجيش التي أنشئت في الخرج ، ويعلن فرحته بها ، قائلاً (٧) :

حَيٍّ (بالخَرْجِ)من مَعاقِلِ نَجْــدٍ ... «قَاذِفاتِ اللَّهِيْبِ» حَيٍّ (الطَّلائِعْ)
واملَأْ الأَرْضَ والسَّمَاءَ اخْتِيــالاً ... أَيْنَما اسْتَشْرَفَتْ إِلَيْكَ (المَجَامِعْ)

---

(١) انظر : جريدة الندوة ، العدد (١٩٢) في ١٤/٣/١٣٧٩هـ ، ص١ .
(٢) انظر : ديوان الإنسان ، ص ٩٠ – ٩١ .
(٣) انظر : ديوان أغنية الشمس ، إبراهيم الزيد ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط (١) ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م ، ص١٠٧ – ١١٠
(٤) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٦٦٥ – ٦٦٦ .
(٥) مصانعاً : صرفها الشاعر حتى يستقيم له الوزن .
(٦) المجموعة الكاملة ، إبراهيم خليل علاف ، مطابع الصفا بمكة ، ط (١) ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م . ص ٤٥١ .
(٧) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٥٨١) في ٢٦/١٠/١٣٧٣هـ ، ص١ .

بالضُّحَى المُسْتَنِيرِ بالأَمَـــلِ المُنْـ   ـشُودِ بالسِّلاحِ القَـــامِــــعْ

بينما اهتم عدد من الشعراء بإبراز معالم النهضة الشاملة التي تعيشها بلادهم، وقدموا صوراً زاهية مشرقة لها ، تعكس مدى حرص الدولة والقائمين عليها ، على النهوض بالمجتمع في شتى الميادين والمجالات .

ويأتي الشاعر أحمد الغزواي في مقدمة شعرائنا من حيث الاهتمام بإبراز معالم النهضة الحديثة الشاملة ، فقد وقفنا لديه على عدد من القصائد ، سجل فيها الإنجازات والمشاريع التنموية التي شهدتها بلاده في مراحلها المختلفة[1] . ومنها قوله واصفاً بعض ما أنجز في عهد الملك عبد العزيز –رحمه الله – [2] :

كُنْتِ ظَمْأَى وَتَشْرَبِينَ أُجَـــاجاً   فَجَرى فيكِ بالفُــراتِ (المــــاءُ)

واسْتَبَدَّ الظَّلامُ فيكِ (دُهُـــوراً)   ثُمَّ نَصَّتْ عُقودَهـا (الكَهْـــرباءُ)

وبكِ افْتَرَّتِ (الإذاعَةُ) تُـــزْجي   (ثَمَراتِ) العُقُـــولِ وهي جَـــلاءُ

واسْبَطَرَّ (العُمْرانُ)من كُلِّ (قَصْرٍ)   بين (أَبْهـــائِهِ) يَشِيعُ البَهـــاءُ

ويقول السنوسي محتفلاً بعدد من المشاريع التنموية التي ازدهت بها بلاده في عهد الملك سعود –رحمه الله–[3] :

أَيُّ عَصْـــرٍ هذا وأَيَّةُ دُنْيـــا   شادَها سَيِّدُ الـــبِلادِ (سُعودُ)

المطـــاراتُ والقِطـاراتُ والأَضْـ   ـواءُ والهاتِفـــاتُ والتَّـــعْبِيدُ

والرُّقِـــيُّ الحَـــدِيثُ والعَمَـــلُ البَنَّاءُ والانْطِـــلاقُ والتَّشْـــيِيدُ

كُلُّ هذا وَبَعْـضُهُ يَفْـدَحُ الأَحْـ   ـقابَ والدَّهْرَ ثِقْـــلُهُ ويَـــؤودُ

---

(١) انظر على سبيل المثال : جريدة أم القرى ، العدد (٧٣٧) في ١٣٥٧/١٢/٧هـ ، ص٩ .
– جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٥٨١) في ١٣٧٣/١٠/٢٦هـ ، ص١ .
– ومجلة المنهل ، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ ، المجلد (٢١) ، ص ٣١٥ –٣١٦ .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٩٥٣) في ١٣٦٩/١٢/٨هـ ، ص٨ .

(٣) مجلة المنهل ، ذو الحجة ١٣٧٨هـ ، المجلد (١٩) ص ٥٢٦ . والأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .

شَادَهُ العاهِلُ العَظِيمُ ولَمَّا يَمْضِ من عَهْدِهِ السَّعيدِ عُقودُ
وبَنَى كُلَّ ما بَنَاهُ لِشَعْبٍ تَاجُهُ في قُلوبِهِ مَعْقُودُ

ويقدم العلاف صوراً زاهية للنهضة التي شهدتها البلاد في عهد الملك فيصل –رحمه الله – قائلاً [1] :

بُشْرَاكِ مُسْتَقْبَلٌ قد هَبَّ حاضِرُهُ يُصْبِيهِ عَزْمٌ وتَخْطِيطٌ وإقْدَامُ
بُشْرَاكِ تَعْبِئَةٌ بُشْرَاكِ تَنْمِيَةٌ جُرْدُ الصَّحارِي بها زَرْعٌ وأَنْعامُ
ولِلْمَعادِنِ والتَّصْنِيعِ صَلْصَلَةٌ ولِلتِّجَارَةِ والتَّصْديرِ أَهْرامُ
ولِلدِّفاعِ ولِلنَّجْداتِ أَعْتِدَةٌ أَصِيلَةٌ نَذْخَرُها لِلْبَغْيِ إِحْجامُ
ولِلثَّقافَةِ تَرْسِيخٌ وعَبْقَرَةٌ قد عَزَّزَتْها كَفاءاتٌ وأَرْقامُ
بُشْراكِ لِلْبَحْرِ تَكْرِيرٌ وغَلْغَلَةٌ إلى كُنوزٍ عليها العِلْمُ نَمَّامُ

ويحدثنا العقيلي عن النهضة العمرانية والصناعية والزراعية والعلمية التي شهدتها البلاد وربوعها المترامية الأطراف في عهد الملك فيصل–رحمه الله – قائلاً [2]:

من كُلِّ ناطِحَةِ السَّحابِ تَغَلْغَلَتْ في الأُفْقِ نافَسَتِ النُّجومَ بَهاءَ
أَغْفَى الجَمالُ على سنا غُرُفاتِها وتَوَسَّدَ الصَّالاتِ والأَبْهاءَ
وإذا الفَيَافِي الرُّبْدُ رَجْعُ مَصانِعٍ وهَدِيرُ آلاتٍ تُصِمُّ نِداءَ
كَشَفَتْ بِسَاطِعِ نُورِها سِتْرَالدُّجى وأَحَالَتِ الصُّبْحَ المُبِينَ مَساءَ
وتَرَى المَصَارِفَ والسُّدودَ تَخَالُها شُمَّ الصُّروحِ مَتَانَةً وبِناءَ
بَحْرٌ يَمورُ ورَاءَها وأَمَامَها بَحْرٌ تَمَوَّجَ خُضْرَةً ونَماءَ
وتَرَى (الجَوامِعَ) والمَعَاهِدَ شُيِّدَتْ أَنَّى اتَّجَهْتَ تَخَايَلَتْ شَمَّاءَ

(١) المجموعة ا لكاملة ، ص ٤٤١ – ٤٤٢ .
(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٤٧٥ – ٤٧٩ .

ضُمَّتْ لِأَعْلَى الكُـــلِّياتِ وهُيِّئَتْ	لِلْعَبْقَـــرِيَّةِ والنُّبوغِ رجَـــاءَ
وتَــرَى الوَسَائِطَ والوَسائِلَ غُيِّرَتْ	بِأَجَـــلِّ منها رَاحـــةً ورَفاءَ
طُـــرُقٌ مُمَهَّدَةٌ يَـــزِلُّ النَّملُ في	أَرْجَائِهِـــنَّ مَـــلاسَةً وصَفَاءَ

وقد أسعد ذلك التقدم والرقي في شتى المجالات الشعراء عامة ، وأدخل البهجة والانشراح إلى نفوسهم ، فعبروا عن ذلك أصدق تعبير . ولعل في قول الشاعر محمد ابن سليمان الشبل مبدياً فرحته بما يراه ماثلاً أمام عينيه من أمارات وضيئة للنهضة الشاملة التي تعيشها بلاده ، وينعم بها مجتمعه ، ما يد ل على ذلك ، حيث يقول(١) :

وطني انظُـرْ حَـــوالَيْكَ فـــما	نَظَـــرَتْ عَيْنَاكَ إلاَّ وتَقَـــرُّ
قد زَرَعْنا البِيْدَ حتَّى لـــم يَعُـــدْ	لم يَعُدْ في هذه الصَّحْـــراءِ قَفْـــرُ
ووَرَدْنا العِلْـمَ عَـــذْباً صَـــافِياً	فارْتَـــوى عَقْلٌ بِهِ وازْدانَ فِـــكْرُ
وبَنَيْنَا فيـه جِـــيلاً مُؤْمِـــناً	كُـــلُّهُ بالحَـــقِّ إيمـــانٌ وطُهْرُ
وغَرَسْنا فـــي دُجـــى اللَّيلِ ضُحىً	تَنْفِـــرُ الظَّلْمـــاءُ مِـنْهُ وتَفِـــرُّ
كم مَضَى من عَهْدِكَ الزَّاهِي الذي	لم يُخِفْ يَوْمـــاً ولم يُرْهِقْهُ جَـــوْرُ
كم مَضَى من عَهْدِكَ الزَّاهِـــي هُنا	كم مَضَى وهـــو على أَرْضِكَ بِـــكْرُ
هَـــا هُنا النُّعْمى عليك ائْتَلَقَـــتْ	لا الأَذَى يَـــدْنو ولا الخَـوفُ يَمُرُّ
مـا ارْتَقَبْنا أَمَـــلاً إلاَّ أَتَـــى	واقِعاً حُـــلْواً بِـــهِ الدُّنْيـــا تُسَـــرُّ
واقِعاً تَـــرْضى بِـــهِ أَنْفُسُـــنا	لم يُقَـــدِّمْهُ لنا مِـن قَـــبْلُ عَصْـرُ

(١) جريدة الندوة ، العدد (٣٨٣٩) في ١٣٩١/٨/٥هـ ، ص٤ .

الدعوة إلى العمل والحث عليه

كان لقيام الدولة بإنشاء المصانع والمعامل والكثير من المرافق التنموية الضخمة حافز كبير لدى الشعراء لدعوة أبناء مجتمعهم إلى العمل ، والمشاركة بفاعلية في دفع عجلة التطور والنهوض الذي تسعى إليه الدولة ، ويتشوف إليه كل أفراد المجتمع ، خاصة وقد اتضحت لكل ذي عينين حاجة تلك المصانع والمرافق إلى عقول وسواعد أبناء المجتمع ، بدلاً من الاستعانة والاعتماد على الأيدي العاملة الوافدة ، التي تكلف الدولة كثيراً من الجهد والمال ، مما يقلل بدوره من إسهام تلك المصانع والمعامل في إحداث التطور المنشود في الوقت المحدد له والمرسوم .

لذا كان لزاماً على شباب المجتمع تهيئة أنفسهم لتحمل المسئولية ، والقيام بها على أكمل وجه . وذلك لا يكون إلاَّ عن طريق العمل المثمر البنَّاء ، بعد أن نالوا حظهم من التعليم بأنواعه المختلفة ، واكتسبوا معه الخبرة الكافية ، سواء في داخل البلاد أو خارجها .

ولم تتوقف جهود الدولة الموفقة في محاولتها الدءوب لاحتواء أبنائها واستقطابهم لساحات العمل عند التهيئة العلمية والتقنية لهم ، وإنما أتبعت ذلك بما يهيئهم نفسياً ، ويبث الطمأنينة في وجدانهم . فقد أوجدت نظاماً لصيانة الطبقة العاملة في المجتمع ومن في حكمها ، فكفلت به حقوقهم ، وتقاعدهم ، وإعالة أسرهم بعد وفاتهم [(١)] .

وانطلاقاً من حرص الشعراء على نهضة مجتمعهم وتقدمه ، وعلى مصالح المنتمين إليه ، فقد شاركوا بفاعلية في هذا الميدان ، حيث وجدناهم يكثرون حث أبناء مجتمعهم على الالتحاق بتلك المصانع والمعامل والمرافق التنموية المتعددة والمتنوعة ، والعمل فيها بكل جد وإخلاص .

---

(١) انظر: معجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ، ص ٧٢٧ – ٧٥٦ .

والنصوص الشعرية المتوافرة في هذا المجال ، تكشف عن تعدد الطرق والأساليب التي انتهجها الشعراء في دعوتهم إلى العمل والترغيب فيه .

فمنهم من باشر الدعوة ، وأسهب في الحث والتوجيه لأبناء مجتمعه على المسارعة إلى الالتحاق بالأعمال المتاحة والمتوافرة ، ووأد الخمول والكسل ، والركون إلى الماضي التليد وما حفل به من أمجاد دون عمل للحاضر .

ومنهم من لم يباشر تلك الدعوة ، وإنما انتهج في دعوته إلى العمل عدة طرق ، كتمجيد العمل ، والاحتفاء ببعض أبناء المجتمع العاملين بكل جدٍّ وأمانة ، كل في مجاله وميدانه ، والسخرية من العاطلين عن العمل مع قدرتهم عليه . وغاية الشعراء من كل ذلك التأثير في عقول الشباب ، ودفعهم إلى ما فيه صالحهم وصالح مجتمعهم.

ومع تفاوت تلك النصوص في الطرق والأساليب التي انتهجها أصحابها ، إلاَّ أنها اتفقت على أهمية العمل وضرورته ، وعلى قيام الشاب السعودي بدوره بتلك الأعمال ؛ حتى يحافظ على ثروات المجتمع ومصالحه ، بدلاً من الاكتفاء ببعضها ، وضياع بعضها على الأيدي العاملة الوافدة .

فهذا الشاعر حسين فطاني ، يهيب بشباب مجتمعه ، حاثاً إياهم على العمل ، خاصة وأن المجتمع بكل فئاته ، يعول عليهم كثيراً في بلوغ ما يتطلعون إليه من تقدم ورقي ، قائلاً [1] :

يا شَبابَ البلادِ فِيْكُمْ أَقامَتْ ... كُلَّ آمالِها لِحَلِّ المعَاقِلْ

أَثْبِتُوا أَنَّكُمْ جَدِيرُونَ حَقّاً ... فازَ بالمَجْدِ كُلَّ فَرْدٍ يُنَاضِلْ

كافِحُوا إِنَّما الحَيَاةُ كِفَاحٌ ... وَجَدِيرٌ بالخُلْدِ في القَوْمِ عَامِلْ

ويلقي الشاعر إبراهيم فطاني بمسئولية النهوض بالمجتمع على عاتق الشباب ، فهم وحدهم – عن طريق الجد والاجتهاد في الأعمال التي توكل إليهم – القادرون

---

(١) جريدة أم القرى ، العدد (٩٣١) في ١٣٦١/١/٢٠هـ ، ص ٢ .

على الوصول بمجتمعهم إلى المكانة العالية ، التي يستحق أن يتبوأها [١] :

إِيْــهِ يــانَشْءَ بــلادي أَنْتُمْ — عُــدَّةُ الشَّعْبِ وحُرَّاسُ التُّخُومْ

وبِــكُمْ يَـرْقى ويَسْمو لِلــذُّرى — وبِكُمْ يَبْلُغُ أَقْصى مــا يَــرُومْ

وعلى أَكْتافِكُــمْ أَعْبَــاؤُهُ — فَانْهَضُوا بِالْعِبْءِ فَالْعِبْءُ جَسِيمْ

جَــرِّدُوا العَــزْمَ وسِيرُوا لِلْمُنى — إِنَّما الفَــوْزُ لِمِقْدامٍ عَــزُومْ

إلاَّ أن تلك الدعوات والصيحات التي أطلقها الشعراء لم تجد في بادىء الأمر من يصيخ لها ، إما بسبب سيطرة بعض التقاليد القبلية على عقولهم ، كاحتقار العمل اليدوي أياًكان [٢] ، وإما بسبب الكسل والخمول ، ومعهما اليأس من تحقيق ما يخلدهم في صفحات التاريخ ، كما هو الحال مع آبائهم وأجدادهم . فاكتفوا بذلك الماضي ، وما خطه الآباء والأجداد في أسفاره المشرقة ، يباهون به ويفاخرون .

وقد أزعج ذلك الشعراء وآلمهم ، إلاَّ أنهم لم ييأسوا ، وواصلوا دعوتهم أبناء مجتمعهم إلى العمل ، وتحذيرهم من مغبة الكسل والركون إلى الماضي دون عمل للحاضر . وفي ذلك يقول الشاعرسعد أبو معطي [٣] :

أيُّ فَخْــرٍ لِشَبابٍ خَامِــلٍ — قَــانِعٍ بالْعَيْشِ ذُلاًّ وعَــنَا

خَائِرِ العَزْمِ يرى من جَهْـلِهِ — لَــذَّةَ العَيْشِ فِــراشاً لَيِّنَا

وحُطامــاً يُقْتَنى زَائِـلُهُ — ورِيــاشاً غَالِياتٍ ثَمَــنا

إِنْ دعا المَجْدُ اكْتَفى أَنَّ لَهُ — في قَدِيمِ الــدَّهْرِ مَجْداً بَيِّنَا

ليس يُجْدِيكَ الذي فَاتَ فَقُلْ — يا دُعاةَ المَجْـدِ إِنِّي ها هُنا

ويلفت الزمخشري انتباه أبناء مجتمعه المحتفين بماضي آبائهم وأجدادهم إلى

---

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٢٩٦) في ١٠/٦/١٣٧٢هـ ، ص٤ .

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، ط(٥) شباط (فبرايل) ١٩٨٦م ، ص٣٠١-٣٠٢ / وحركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، د. عثمان الصالح العلي الصوينع، ط(١) ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، جـ(١) ، ص ٧٧ .

(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٤٥ .

انقضاء ذلك الماضي ، وتَرَحُّل كل الأشياء الجميلة التي حوتها صفحاته ، ولم يخلِّف للأحفاد إلاَّ ذكريات ، ستطولها أيدي النسيان ، قائلاً [١] :

كُــلُّ أَمْجادِنا الوضِيئَةِ عَادَتْ ذِكْــرياتٍ صَدَّاحةً بالسُّؤالِ
عن مَغَاوِيْرَ شَيَّدُوها صُـرُوحاً بِالقُـــوى بِالجُهودِ بالأَعْمالِ
عن صَنَادِيْدَ كُلَّما لاحَ هَــوْلٌ بَـــدَّدُوهُ بِصَـــــارِمٍ قَـتَّالِ
فإذا بالصُّـروحِ تَــلْقى عَفَاءً كادَ يُلْقِي بها لِكَــفِّ المُحَالِ

وحتى لا يسرف شباب المجتمع في التَّغنِّي بذلك الماضي والتباكي عليه أحياناً ، وينسوا الآمال والطموحات التي يتطلع إليها الجميع وينتظر تحققها على أيديهم ؛هبَّ الشعراء في وجوههم محذرين إياهم من الانصراف عن العمل ، ومؤكدين لهم مقدرتهم على كتابة فصول جديدة تزدهي بهم ، تضاف إلى ما خطَّه الآباء والأجداد في أسفار التاريخ المشرقة ، متى ما نزلوا إلى ساحات العمل ، وأبدعوا فيه كما كان أسلافهم .

وفي ذلك يقول الشاعر محمد بن علي السنوسي [٢] :

بَكَيْنَا عـــلى الماضِي كَثِيراً وإنْ يَــكُنْ خَطِيراً فما يُجْـــدِي البُــكا والتَّفجُّعُ
مضى السَّلَفُ الأَبْرارُ يَعْبَقُ ذِكْـــرُهُمْ فَسِيرُوا كما سَارُوا على الدَّهْرِ واصْنَعُوا
ومـا الفَـخْرُ بالمـاضِي إذا لم يَـكُنْ لَهُ من الحـاضِرِ الزَّاهِـي بِنَاءٌ مُـــرَفَّعُ
خُـــذُوا بِأَكُــفِّ الأُسْدِ من أَسْهُمِ العُلَى نَصِيْباً فَإِنَّ الحــاضِرَ الـــيَوْمَ أَوْسَعُ
يَـــدُ الـــدَّهْرِ لاتَسْخُو بِمَجْدٍ لِعَاجِزٍ ضَـعِيْفٍ ولا تَنْــدَى ولا تَتَبَـرَّعُ
لــقد أَفْصَحَتْ عــن سِرِّها لو تَكَلَّمَتْ حَيَاةٌ بِقَـــدْرِ السَّعْي تُــعْطِي وتَمْنَعُ
ومــا قِيْمَةُ الأَوْطَــانِ إِنْ لم يَكُنْ لها رِجَـــالٌ يَلَـــذُّونَ الشَّقاءَ لِيَنْفَعُــوا

---

(١) مجموعة النيل ، طاهر الزمخشري ، ص ٣٦٠ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٢– ١٤ .

وهناك شعراء دعوا الشباب إلى العمل ، وحثوهم عليه ، إلاَّ أنهم لم يباشروا الدعوة كسابقيهم ، إنما حاولوا بث الوعي لدى معشر الشباب بضرورة العمل ومدى أهميته عن طريق تمجيدهم للعمال ، والإشادة بمن يستحق الإشادة منهم ، والسخرية من القاعدين عنه مع مقدرتهم عليه .

فالشاعر ماجد الحسيني ، يحيي العامل في كل موقع يكون فيه ، ويعلن افتخاره بالأيدي التي تعمل دون كلل أو ملل ، جالبة الخير لأصحابها وللمجتمع الذي تنتمي إليه [(١)] :

لا تَحْتَقِرْهُ فليس يُحْتَقَرُ ... هو مِثْلُنا هو مِثْلُنا بَشَرُ
يَدُهُ التي عَلِقَ التُّرابُ بها ... إنِّـــي أُقَبِّلُها وأَفْـــتَخِرُ

في حين يشيد الشاعر عبد القدوس الأنصاري بالفلاَّح الذي يفلح أرضه ، ويظل يتعهدها بالرعاية ، في دأب وصبر شديدين ، منتظراً ما تجود به عليه من ثمار، قائلاً [(٢)] :

بِحَسْبِكَ يا (شَيْخَ الفِلاحَةِ) جَنَّةٌ ... بها الوَرْدُ رَيَّانَ بِهِ الزَّهَـــراتُ
بِحَسْبِكَ يا(شَيْخَ الفِلاحَةِ) رَوْضَةٌ ... بها الغَرْسُ فَيْناناً بِـــهِ الثَّمَراتُ
فما في حَياةِ النَّاسِ أَهْدَأُ راحَةً ... وأَنْعَمُ بالاً (والحَـياةُ تِـــرَاتُ)
من الحَارِثِ المَكْدُودِ يَحْرُثُ حَقْلَهُ ... فَتَسْمُقُ أَشْجَارٌ بِهِ نَظِـــراتُ
وَيأْكُلُ من (كَـدِّ الجَبِينِ) مُنَعَّماً ... وتُنْعِشُهُ نَسَمَـاتُهُ العَـــطِراتُ
يُحَدِّقُ في دَوْحَـــاتِهِ ونَبَـــاتِهِ ... فَتُبْهِجُ قَلْباً تِـــلْكُمُ النَّظَـــراتُ

ويقول مبيناً دوره في حياة الناس ، وتقدم المجتمع ورقيه [(٣)] :

بِمَسْعاكَ تُحْيِي النَّفْسَ والأَهْلَ والأُولَى ... يَرُومونَ في تِسْيارِهِـمْ دَرَكَ العُــلْيا

---

(١) ديوان ضياع ، ماجد الحسيني ، النادي الأدبي بالرياض ، ط (١) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ١٢١ .
(٢) ديوان الأنصاريات ، عبد القدوس الأنصاري ، مطبعة الإنصاف ، جدة ، ١٣٨٤هـ ، ص ٤٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

تَزِينُ بِـكَ الأَرْضُونَ بَــعْدَ اغْبِرَارِها وتَحْيا وكــانَتْ قَبْلَ رفْشِكَ ماتَحْيـا[1]
فأنت (أبو النَّهْضَـاتِ) في كُــلِّ أُمَّةٍ وإِنْ طَمَــرَ الأَجْيالُ فَضْلَكَ والسَّعْـيا

أما الشاعر عبد الله الصالح العثيمين فيتَّخذ من السخرية من أحد الشباب القاعدين عن العمل مسلكاً لدعوته لشباب المجتمع إلى الالتحاق بركب العمل ، وحثهم عليه ، حيث يقول على لسان ذلك العاطل ، المكتفي بما تجود به أيدي ذويه والناس من حوله عليه [2] :

مُسْتَكِينٌ لـم أُزَاوِلْ أَيَّ جُهْــدٍ بِيَدَيَّهْ
مُسْتَقِرٌّ لـم يُحَـرِّكْ أَيَّ ظَرْفٍ قَــدَمَيَّهْ
مُسْتَدِرٌّ أَتَغَـــذَّى من فُتَاتِ البَشَرِيَّهْ
أُنْفِقُ الأَيَّامَ بَحْــثاً عن يَدٍ تَحْـنُو عَلَيَّهْ
عن أَكُفٍّ تَصْنَعُ القُو تَ لِتُسْدِيـــهِ إِلَيَّهْ

ويرسم نظرة المجتمع بكل فئاته إلى ذلك الشاب ومن هم على شاكلته ، قائلاً على لسانه [3] :

كُــلُّ ما حَـوْلي يُدَوِّي صَـوْتُهُ عَنِّي تَــرَحَّلْ
أنا لِلْعَـــالَةِ من بَيْـ نِ البرايا لَسْتُ أَقْـبَلْ
أنا لا أَقْــبَلُ مَـــخْلو قاً من الإِنْتَاجِ أَعْــزَلْ
غَيْرُهُ يُعْــطِي ويَحْــيا هو كالطِّفْلِ المُـــدَلَّلْ
يُطْعَمُ القُــوتَ من الأَيْـ دِي التي تَبْنِي وتَعْـمَلْ

وحتى لا يموت حب العمل في نفوس أولئك الشباب ، نجد الشاعر سعد البواردي يحذِّر أبناء مجتمعه من التعاطف معهم ، ومد يد العون لهم ، لمقدرتهم على

---

(١) رفشك : الرَّفش : المجرفة من الخشب التي تجرف بها الأرض .
(٢) ديوان عودة الغائب ، عبد الله الصالح العثيمين ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص٢٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨.

العمل والكسب ، قائلاً [1] :

أَغْفِلُـــوهُ ودَعُـــوهُ　　　يتَـــدَلَّـــى بيدَيــه
كُلُّ مَنْ أَعْطـاهُ قِرْشاً　　　حَـــطَّمَ الإنْسانَ فيه
إنَّـــهُ مَسْخُ شَبــابٍ　　　راعِـــشٍ لارُوحَ فــيه
وهـــو تِمْثالٌ ولَكِـــنْ　　　ناطِـــقٌ يَحْكِي بفيه

وقد كان لتلك الدعوة الموجهة من الشعراء لأبناء مجتمعهم إلى الــعمل أثرها ، فما إن تجاوزت أسماعهم إلى أفئدتهم ؛ حتى شرعوا ينفضون غبار الكسل والخمول عن أجسادهم ، ويلقون بالعادات القبلية المتوارثة التي تتنكر للعمل اليدوي وتراه عيباً وراء ظهورهم ، وسارعوا إلى الالتحاق بالأعمال المتوافرة في القطاعات الحكومية ، والمرافق التنموية المنتشرة في سائر أرجاء بلادهم المترامية الأطراف .

ولم يقف الشعراء صامتين إزاء تلك الانتفاضة الرائعة من أبناء مجتمعهم ، والالتفاتة الجميلة إلى المشاركة عملياً في نهضة بلادهم وتقدمها ، وإنما استقبلوها معلنين سرورهم وفرحتهم بشباب مجتمعهم ، وبمزيد من الحث على التعاون والجد ، والصبر على ا لصعوبات التي سيواجهونها في طريقهم الطويل المكلل بالمجد والفخار.

فهذا الشاعر محمد بن علي السنوسي ، يتوجه إليهم مذكراً لهم بحاجة البلاد إلى عقولهم وسواعدهم الفتية ، في رحلتها صوب المجد والرفعة [2] :

نَحْنُ في فَتْرَةِ التَّطَـــــوُّرِ والتَّـكْـ　　　ـوينِ والإنْتِقَـــالِ والتَّـجْدِيــــدِ
فَاحْشِدُوا حَوْلَها الكَفاءاتِ وامْضُوا　　　حُسَّراً عَـــن سَواعِـــدٍ من حَـديدِ
واسْتَحِثُّوا الخُطى هَوىً واشْتِياقــاً　　　نَحْـــوَ مُسْتَقْبَـــلٍ أَغَـــرٍّ مَجيدِ

وحتى يستطيعوا الوصول بها إلى المكانة التي تليق بها ، لابد من العمل بجدٍّ

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (٢٧) في ١٣٧٨/٨/١٦هـ ، ص٤ . وديوان أغنية العودة ، سعد البواردي، دار الإشعاع ، مطابع الرياض ، ص ٦١ .

(٢) مجلة المنهل ، ذو الحجة ١٣٧٢هـ ، المجلد (١٣) ، ص٥٩٤. والأعمال الكاملة ، ص٤٠ .

وتفانٍ ، لأن بلوغ الآمال العريضة ، وتحقيق الأماني السامقة ، لا يتأتى كما يرى الشاعر أحمد العربي إلاّ عن طريق الجد والاجتهاد ، وترجمة الأقوال إلى أفعال(1):

بالجِدِّ تُكْتَسَبُ العُلا ... لا بِالأَمانِي والغُـرورْ
لو أَنَّ بالآمـالِ والـ ... أَقْوالِ تَنْقَادُ الأُمُـورْ
لم يُلْفَ في الجُلَّى لنا ... نِدٌّ ولم يُـذْكَرْ نَظِيرْ

ويشاركه هذا التوجيه الشاعر عبيد مدني ، داعياً عبره معشر الشباب إلى تهيئة نفوسهم وإعدادها لتحمل الصعاب ، حتى تنقاد لهم الأماني والآمال وهن صواغر(2):

هل تَنْجَحُ الآمالُ إِنْ صَوَّرْتَهـا ... في النَّفْسِ ما لم يَسْتَحِثَّ كِفَـاحُ
ما الصَّعْبُ تَهْيِئَةُ الجُسومِ وصَقْلُها ... الصَّعْـبُ أَنْ تَتَهَـيَّأَ الأَرْوَاحُ
وإذا نَبَتْ دَارٌ بِمُقْتَحِـمِ العُـلا ... فالأَرْضُ عند العَـامِلِينَ مَـرَاحُ

ونظراً لطول الطريق الذي سيقطعه أبناء المجتمع نحو الغاية التي يطمحون إليها، وازدحامه بالصعاب ، وجدنا شاعرنا القنديل يحثهم على السعي الدءوب ، والتزود بالصبر ،لأنهما – في رأيه – قادران على تبليغهم غايتهم التي ينشدونها (3) :

ومَنْ رَجَا وسَعَى بالجِدِّ مُتَّشِحاً ... بالصَّبْرِ مُدَّ رِعاً نَالَ المُنَى نِعَمـا

ولم يبخس الشعراء أبناء مجتمعهم الذين نزلوا إلى ساحات العمل ، وأظهروا تفوقهم وجدهم فيما يوكل إليهم من أعمال ، حقهم من الإشادة والتشجيع .

فالشاعر محمد حسن عواد يبدي إعجابه بالعاملين من أبناء مجتمعه في مجال الأمن ، عن طريق إشادته بأحد رجاله المخلصين ، وحرصه الشديد على سلامة الناس وممتلكاتهم ، قائلاً (4) :

أَبْصِرْهُ يَغْـدُو مُقْبِلاً ومُدْبِـراً ... ومُسْتَدِيراً جُهْـدَهُ أَنْ يَنْظُـرا

---

(1) جريدة أم القرى ، العدد (592) في 1355/1/18هـ ، ص2 .ووحي الصحراء ، جمعه : محمد سعيد عبد المقصود ، وعبد الله عمربلخير ، تهامة ، جدة ، ط2 ، 1403هـ – 1983م ، ص123 .
(2) مجلة المنهل ، محرم 1358هـ ، المجلد (3) ، ص71 .
(3) ديوان الأبراج ، ص 28 .
(4) ديوان العواد ، جـ(2) ، ص 173 .

كَـأنَّهُ البـاشِقُ يَبْغِي الجُـــؤذرا   أَوْ نَجْمَةُ الصُّبْحِ تُحِيطُ المَنْظَـرا [1]
يَرْقُبُ مَنْ مَـرَّ وئِيداً أَوْ جَـرَى   وَمَنْ أَغَـذَّ السَّيْرَ أَوْ تَأَخَّــرا
وَيدْفَعُ الشَّرَّ إذا مـا أَبْــدَرا   كَأَنَّهُ المِيزانُ في هـذا الــوَرَى

في حين يبدي الشاعر إبراهيم فلالي افتخاره بأحد أبناء مجتمعه العاملين في مجال الطب ، مشيداً بنباهته وتفوقه وأخلاقه [2] :

يا واحِدَ الطِّبِّ إنَّ الطِّبَّ مُفْتَخِـــرُ   بِشَخْصِكَ الفَذِّ فَلْيَفْخَـرْبِكَ البَشَــرُ
سَجَّلْتَ صَفْحَةَ فَخْرٍ راحَ يَقْــرَؤُها   في عالمِ الطِّبِّ مَــنْ لِلْحَقِّ يَنْتَصِرُ
إنَّا نُفَاخِرُ مَـنْ يَأْتِي يُفَاخِــرُنـــا   فَإِنَّ صُنْعَكَ قد سارَتْ بِـــهِ السِّيَرُ
ما الفَخْرُ بالمالِ .. لَكِنْ فَخْرُنا رَجُلٌ   جَمُّ الفَضَائِلِ لِلأَحْداثِ مُـــدَّخَـرُ
حُلْوُ الشَّمَائِلِ ذو نَفْسٍ مُهَـــذَّبَةٍ   ما ضَلَّهُ -أَبَداً- عُجْبٌ ولا أَشَــرُ

أما الشاعر أحمد قنديل فيقدم لنا صورة زاهية للعاملين من أبناء مجتمعه في حقل ا لزراعة ، مبيناً مدى أهمية ما يقومون به في حياة الناس ، قائلاً [3] :

أَبْصَرْتُهُمْ مُتَقَوِّسِينَ يُداعِبونَ التُّرْبَ حُـرَّهْ
وَصَحِبْتُهُمْ مُتَهَلِّلِينَ يُأَنِّقُونَ الأَرْضَ خُضْرَهْ
وأَلِفْتُهُمْ مُتَعَاوِنِينَ يُقاسِمونَ البَعْضَ كِسْرَهْ
فَعَشِقْتُهُمْ لِلنَّاسِ .. رَمْزَ النَّـاسِ ..
لِلإنْسانِ .. إنْساناً أَصِيْلا ..
عـاشوا فَعَـاشَ بِفَضْلِهِمْ
في الكَوْنِ .. جِيْلاً .. ثُمَّ جِيْلا !
أما الذين تَبَعْثَروا .. بين الصُّخُورْ ..

(١) الباشق : اسم طائر من فصيلة الجوارح ، والجؤذ ر : ولد البقرة .
(٢) ديوان ألحاني ، ، إبراهيم هاشم فلالي ، دار المعارف بمصر ، ١٣٦٩هـ ، ص ٢٤٣ .
(٣) جريدة البلاد ، العدد (١٦٤٦) في ١٣٨٤/٢/٢٣هـ ، ص ٣ .

في الحَقْلِ في الغَاباتِ في القِمَمِ العَلِيَّةِ لن تَغِـيضْ
في السَّهْلِ في الواحاتِ في الوادِي الكَرِيْمِ بما يَفِيضْ
فَهُمُ الذين تَرَسَّلَتْ بِهِمُو .. لِتُرْسِلَ نُـورَهَـا ..
هُمْ ذلك النَّفَرُ المُضيءُ لنا الحَيَاةَ .. وسِرَّها ..
النَّاشِرينَ مع البُذورِ الحُبَّ .. تَعْرِفُهُ القُلُـوبْ ..
الصَّادِياتُ إلى المَحَبَّةِ .. لِلسَّلامِ بلا نُضُوبْ !

الفصل الثاني

* * * * * *

الأسرة

الأســــــرة

تعد الأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية على الإطلاق ، ذلك لأنها نواة أي مجتمع من المجتمعات وسر بقائه . فيها يولد الفرد ، وتظل تتعهده بالرعاية والاهتمام، وتعمل على توفير كل ما يحتاج إليه نفسياً واقتصادياً ، وتقوم بتعليمه وتهذيبه ، وإعداده إعداداً سليماً يجعله فرداً صالحاً ، يعرف واجباته تجاه أسرته وتجاه المجتمع الذي ينتمي إليه .

ولذلك تجد الابن يرتبط مع أفراد أسرته بروابط نفسية وروحية عميقة ، مما يجعل من الأسرة وحدة نفسية ، تتمثل في وحدة أهدافها وأمانيها التي تخطط لبلوغها منذ البدايات ، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها . وتتكون الأسرة من الزوجين والأبناء .

وقدحفل ديوان الشعر السعودي بعدد وافر من النصوص الشعرية المتعلقة بالأسرة وشئونها .

وفي هذا الفصل الذي سأتناول فيه الشعر الذي دار حول الأسرة وقضاياها ومهامها ، رأيت تقسيمه إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : قضايا المرأة .

المبحث الثاني: الزواج .

المبحث الثالث : الطلاق .

المبحث الرابع : تربية الأبناء .

المبحث الأول
قضايا المرأة

عني الإسلام بالمرأة عناية فائقة ، حيث أحلها المنزلة والمكانة الرفيعة التي تستحق أن تتبوأها ، وقرر لها من الحقوق المادية والمعنوية ما يكفل لها حياة كريمة في جميع أطوار حياتها المختلفة ، من ساعة ولادتها إلى ساعة توديعها الحياة الدنيا(١) .

ونتيجة للجهل الذي أطبق على الأمة الإسلامية في عصور الضعف والانحطاط، وما ترتب عليه من تخلف وجمود ، وقصور في فهم الدين الإسلامي الفهم الواعي الصحيح ؛ تراجعت مكانة المرأة في المجتمعات الإسلامية ، وحل محل ذلك التكريم الذي أولاها إياه الإسلام قدر كبير من الظلم والهوان .

وما إن دوت الصيحات في أرجاء العالم الإسلامي في العصر الحديث ، منادية بتحرير المرأة ، والدعوة إلى تعليمها ، وخروجها إلى ساحات العمل وميادينه ، ومشاركتها في شئون الحياة المختلفة(٢) ، حتى تلقفها العلماء ، والمفكرون ، والأدباء ، بين مؤيد ومعارض ، ومنهم من وقف منها موقفاً وسطاً ، فأقر منها ما أقره الإسلام لها ، ورفض منها ما رفضه(٣) .

ونظراً لما حفلت به تلك الدعوة من إيجابيات وسلبيات ، فقد وقف جل

---

(١) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام ، د . عبد العزيز الخياط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، ط(١) ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، ص١١٢ -١٣١ .

(٢) تأثرت الدعوة إلى تحرير المرأة في المجتمع الإسلامي بحركة تحرير المرأة في أوروبا ، خاصة عند الذين قدر لهم الالتحاق بركب العلم في بعض بلدانها ، كرفاعة الطهطاوي ، وقاسم أمين .

انظر ذلك في : تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج ، د . ماهر حسن فهمي ، مؤسسة الرسالة ، ط (١) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص٢٠ .

(٣) انظر : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(٦) ، ١٩٧٧م ص٢٥٤-٢٧٠ .

الشعراء السعوديين منها موقفاً وسطاً ، يستمد مرجعيته من الإسلام وشريعته السمحة ، حيث وجدناهم يعلنون مناصرتهم للمرأة في مجتمعهم ، مطالبين بمنحها حقوقها التي أقرها الإسلام لها ، ورافضين ما سواها ،إيماناً منهم بمكانة المرأة ، ومدى أهميتها في أي مجتمع من المجتمعات البشرية . وذلك لأن المرأة « ليست جنساً خالصاً ولا حرماناً وكبتاً وضياعاً ، بل هي أنيس ورفيق ومعين في رحلة الحياة الطويلة ، وهي قلب يحنو وأم تربي وزوج يشارك ، وأخت تسعد ، وابنة يمتد من خلالها المرء ويتواصل ذكره ، فالمرأة بشكل عام هي (نصفنا الثاني) وهي خير العالم وجماله »[1] وقد عرف شعراؤنا لها كل ذلك ، وعبر بعضهم عنه في شعره ، ومن ذلك ما جاء في قول العلاف[2] :

أَنْتِ أَسْمى من الهوى المِعْثارِ ... أَنْتِ أُمٌّ عَظِيمَةُ المِقْدارِ
أَنْتِ نِصْفُ الحَيَاةِ بل ثُلُثَاها ... وانْبِعاثُ الشَّرِيكِ لِلْأَوْطارِ
أَنْتِ وحْيُ الفُنونِ أَنْتِ هُداها ... أَنْتِ لُطْفٌ مُشَوِّقُ الأَسْرارِ
أَنْتِ مَجْلى أَناقةٍ وجَمالٍ ... أَنْتِ رَمْزُ السَّلامِ والإِيْثارِ

والشعر المتعلق بالمرأة في هذه الفترة دار حول عدد من قضاياها المطروحة على الساحتين : العربية والإسلامية ، إلا أن الذي يعنينا منه في هذا المبحث ، هو الوقوف على مشاركة شعرائنا في قضيتين من قضاياها المثارة وهما :

أولاً : الحجاب والسفور .

ثانياً : تعليم المرأة .

---

(١) الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية ، القسم الأول « الشعر في شرقي الجزيرة » د .عبد الله آل مبارك ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٣م ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٢) ديوان وهج الشباب ، ص٨١ .

أولاً :الحجاب والسفور

كان لدعوة السفور التي أطلقها وروج لها (قاسم أمين) في كتابيه: (تحرير المرأة)و (المرأة الجديدة) صداها لدى شعرائنا ، رفضاً وقبولاً.

فهناك من أعجب بها إعجاباً منقطع النظير ، ودعم إعجابه ذلك بالدعوة إلى السفور في مجتمعه ، كمحمد حسن عواد ومحمد حسن فقي .

إلا أن الشاعر محمد حسن فقي لم يمض في إعجابه بتلك الدعوة والمناداة بها كثيراً ، فقد عاد إلى رشده سريعاً ، وأصبح من أشد المناصرين لحجاب المرأة الإسلامي ، بعد أن وقف على مساوئ السفور والحرية المزعومة التي خدعه بريقها وبهرجها في بادئ الأمر ، وعلى حقيقة تلك الدعوة والذين يقفون خلفها من أعداء الإسلام والأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها .

أما العواد فقد تمادى في تأييده للسفور ، وقد ظهر ذلك جلياً في نثره [(١)] أكثر من شعره .

وإذا كان موقفه من السفور لم يتضح تماماً في قصيدته :(بين الحجاب والسفور)[(٢)] ، التي جاءت على شكل موازنة بينهما ، فإنه قد أبان عن تأييده للسفور في مقطوعته :(ما وراء النقاب). والجديد الذي حملته تلك المقطوعة ، أن المبررات والدواعي التي ساقها العواد لفتيات مجتمعه للسفور وهتك الحجاب لم تصمد طويلاً ، إذ سرعان ما تداعت وتلاشت أمام سيل رغباته الدفينة التي كشف عنها بعد أن أعياه تكتمه عليها طويلاً ، حيث يقول [(٣)]:

يا وَجْهَهَا الثَّاوي وَرَاءَ نِقَابِها الـ　　　قاسِي الغَلِيْظِ الصَّارِمِ المُتَجَبِّرِ

(١) ديوان العواد ، ج (٢) ، ص٣٧٣ –٣٧٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج (١) ١٩٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ج (١) ص٧٦ .

ما كانَ إلاَّ حُسْنُ نَغْمَةِ صَوْتِها الـــــرَّ نَّانِ سَلْــوى العاشِــقِ المُتَـحَيِّرِ

هل طَلْعَةٌ كالشَّمْسِ مِنْكِ بِسَــاعَةٍ أَوْ وَمْضَـــةٌ كالبَـرْقِ لِلْمُتَـحَسِّـرِ

كُنْ كالطَّبيعَةِ تَمْنَـحُ الإنْسَــانَ ما تَغْلُو تُقَدِّسُ من مَجيـدِ العُنْـصُرِ

تُعْطِيهِ آياتِ الكُـنُوزِ مَــنا جِـماً وتُبِيحُـهُ خَـلْعَ الصَّــباحِ المُسْـفِرِ

فالعواد في هذه الأبيات يبدي تذمره من ذلك الحجاب الصفيق ، لا لأنه يقف حائلاً بين المرأة في مجتمعه وحقوقها في التعليم والتقدم والنهوض كما يدَّعي ذلك في نثره ، وإنما لأنه يقف سداً منيعاً في وجه لهفته العارمة وشوقه المشتعل لرؤية ما يواريه خلفه من جمال وفتنة .

لذلك نراه يلح في دعوة المرأة إلى التبرج والسفور ، حتى تكون كالطبيعة التي لا تضن بجمالها على المولعين به ولا تتمنع .

أما الشاعر محمد حسن فقي ، فقد كان يرى الحجاب عائقاً للمرأة في مجتمعه عن التقدم والنهوض الذي ينشده لها ، ولذلك وجدناه – قبل أن يقف على مساوىء السفور – يحرض فتيات مجتمعه على هتكه ، والانطلاق من أسره، قائلاً [(١)] :

يا فَتَاةَ الحِجَازِ ما يَرْتَضي الحُـــــرُّ غِطــاءً ولا يَعِـيشُ سَجِـــينا

إنَّ هذا الجِدارَ قد يَحْجُبُ الـنُّو رَ وقد يُذْبِـلُ النُّهـــى والفُتُونـا

فانْهضِي تُسْعِـدي القُلوبَ فَإِنَّـا طـالما بالجُـمودِ منـكِ شَقِـينا

وقد تصدى لتلك الدعوة والمنادين بها طائفة من الشعراء ، جعلت كل همها تبصير المرأة في مجتمعهم بمدى خطورة تلك الدعوة وبطلانها ، وتحذيرها من الاغترار ببريقها الزائف ، والانجراف في مهاويها السحيقة .

---

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (١) ،ص ٣٢١ .

والنصوص الشعرية المتوافرة في هذا الشأن تكشف عن الاهتمام الكبير الذي يوليه الشعراء للمرأة في مجتمعهم ، والمكانة الرفيعة التي تتبوؤها في وجدانهم ، والحرص على الحيلولة بينها وبين كل ما من شأنه أن يحط من قيمتها ، أو ينزل من قدرها ، في أعينهم وأعين من حولهم .

والذي يمعن النظر في تلك النصوص يقف على تعدد الوسائل والأساليب التي انتهجها الشعراء في تصديهم لتلك الدعوة المضللة ، وعلى توفيق عدد منهم في استثمار السلبيات العديدة التي نتجت عن السفور والاختلاط بين الجنسين ، سواء في أوروبا منبت تلك الدعوة ومهدها الأصلي ، أو في المجتمعات العربية والإسلامية التي أشرعت لتلك الدعوة أحضانها ، واستخدامها في إقناع المرأة والقائمين على أمرها في مجتمعهم بمدى بطلان تلك الدعوة وزيفها ، وكشف النقاب عن الغايات البعيدة التي يطمح إلى جنيها الواقفون خلفها من أعداء الإسلام والمسلمين .

وأول ما اهتم به الشاعر السعودي في هذا الشأن ، هو بيان مكانة المرأة التي أولاها إياها الإسلام ، وحث القائمين على أمرها على حمايتها وصيانتها ، والحيلولة بينها وبين ما يروج له دعاة السفور والحرية المنفلتة من كل القيود .

فهذا الشاعر إبراهيم هاشم فلالي يقول مبيناً منزلة المرأة الرفيعة ، والمكان الملائم والطبيعي لصيانتها والمحافظة عليها ، ومحذراً من السفور وما يجره خلفه من الويلات والمآسي الجسام (١) :

إِنَّ النِّسَاءَ ودائِعٌ ... فَدَعُوا الوَدَائِعَ في القُصُورْ

فالخِدْرُ أَوْلَى بالنِّسَا ... ءِ وهُنَّ نُورُ لِلْخُدورْ

والغَابُ يَزْخَرُ بالذِّئَا ... بِ وبالثَّعالِبِ والنُّمورْ

---

(١) ديوان ألحاني ، ص١٧٥ .

وشَريعَــةُ الغَــابِ الـعَـتِي — العَـيْـثُ بِالظَّـــبْيِ الغَـرِيرْ

والظَّـبْيُ إِنْ تَتْرُكْـهُ يَمْـــ — ـرَحُ سَوْفَ يَسْقُطُ في الجُحورْ

مـا الغِيْـــدُ إِلاَّ لُــــؤْلُــــؤٌ — صَـــدَفَــاتُهُ مُهَـجُ الصُّـــدورْ

ثم يدعوها إلى الالتزام بالحجاب والمحافظة عليه صراحة ، مؤكداً لها وهم القائلين بوقوفه حجر عثرة في طريق تقدمها ونهوضها ونبوغها في العلم خاصة، وكاشفاً مساوىء السفور الذي اتخذه دعاة تحرير المرأة والمحرضون لهم وسيلة للتغرير بفتيات الأمة الإسلامية والإيقاع بهن ، قائلاً [1] :

تَخِـذي التَّـــصَوُّنَ مَبْــدأً — ودَعِي التَّبَرُّجَ في المَسِيرْ

ودَعِـــي التَّفَرْنُــجَ إِنَّـــــهُ — رُوحُ المَفَاسِدِ والشُّـــرورْ

وخُذي اللُّبابَ من العُـــــلو — مِ ولا تَهيمي بِالقُشُـــورْ

ما العِلْمُ في سِيْرِ النِّسَـــا — ءِ سَـــوا فِراً بين الوُعُــورْ

ما العِلْمُ في رَقْصِ الحِسَـــا — نِ مَعَ الشَّبابِ على الزُّمورْ

ما العِلْمُ في العُرْيِ الــــذي — يَـــدَعُ الدِّمَـاءَ لَـــهُ تَفُــورْ

وَسَلِـــي الشَّـــواطِىءَ إِنَّهَـــا — ودَّتْ بِـــــأَهْـــلِـها تَـــــغُورْ

ويحذرها الشاعر ضياء الدين رجب من الإصغاء لتلك الدعاوي التي يروج لها المنبهرون بوهج الحضارة الغربية ، ويبين لها قيمة الحجاب الإسلامي الذي يحرص أدعياء المدنية الحديثة والتحرر المنفلت من كل القيود على سلخها منه[2]:

يا فَتَـــاةَ الجَـزِيـرَةِ العَرَبِيَّــه — لا تَكُوني للــعابِــثِينَ ضَحِيَّـــهْ

إِنَّ مَجْدَ الفَـــتَاةِ أَكْبَرُ مِمَّـــا — صَوَّروهُ في بَهْـــرَجِ المَدَنِيَّـــهْ

---

(١) المصدر السابق ، ص١٧٦ – ١٧٧ .

(٢) مجلة قافلة الزيت ، العدد (١١) ذو القعدة ١٣٨٧هـ ، المجلد (١٥) ص٢٨ . وديوان ضياء الدين رجب ، ص٢٣٢ .

فِي السِّيَاجِ الخَفِيِّ تَحْمِيهِ أَحْدا ... ثُ فَـإِمَّـا أُمْنِـيَّةٌ أو مَنِـيَّـهْ

شَـرَفٌ بـاذِخٌ تُتَـوِّجُهُ الدَّهْـ ... ـرَ من الصَّوْنِ هَالَةٌ عَسْجَدِيَّـهْ

وفي قصيدة أخرى « يحاول رجب تجديد أسلوب الوعظ والإرشاد والحمل على الطهر فيجنح إلى إيماءات تحمل الدلالة حملاً إيحائياً دون أن يباشر المعالجة ، ففي حديثة عن التبرج يتخيل فيلسوفاً متوفى وفتاة تغط في نوم عميق، وينشأ حديث بينهما يشمل وصايا من الأم ينقلها ذلك الرمز »[1] ، قائلاً [2] :

وَوِصَاةً منها إِلَيْكِ عـلى البُـعْـ ... ـدِ خُـذِيها كَبُـشْرَياتِ البَـشِيرِ

أَنْ تُقِيمي على العَفَافِ على الصَّوْ ... نِ بِمَنْجًى من عـالَـمٍ مَسْـحورِ

بَهَرَتْهُ الأَضْـواءُ بالخُـلَّبِ البا ... رِقِ لا مـاطِـرٍ ولا مَمْـطُـورِ

فَتَـبَدَّى وقـد تَسَـرْبَلَ بالعُـرْ ... يِ وعِزُّ الجَمَالِ في المَسْـتُـورِ

واسْتَراحَ الأَوْغَادُ إِذْ وجَدُوا العَـلْ ... ـيـاءَ مَبْـذُولةً بِغَـيْرِ مُهُـورِ

ويشاء الله أن يقف الشاعر محمد حسن فقي على مساوىء السفور وتلك الحرية العشواء التي خدعه بريقها ، فأبدى تعاطفه معها ، وتوج ذلك التعاطف بالدعوة إليها في مجتمعه ، فما كان منه إلا أن أعلن تبرأه مما أقدم عليه ، وهرع إلى فتيات مجتمعه مبدياً ندمه العميق ، وحاثا إياهن على الالتزام بحجابهن والمحافظة عليه ، ومحذراً من الانخداع ببهرج وبريق تلك الدعوة المضللة ، التي جعلت من حرية المرأة والمجاهرة بها قناعاً تخفي وراءه ما تخفي من أدواء وسموم ، تستهدف المرأة الركن الأساس في الأسرة ، ومن ثم

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د . حسن بن فهد الهويمل ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض ١٤١٢هـ -١٩٩٢م ، ص٣٣٢ .

(٢) ديوان ضياء الدين رجب ، ص١٥٢ .

المجتمع ، لتقويضه وهد بنيانه. وفي ذلك يــقول :[1]

لا تَقُولي حُرِّيَّتي فَأَنَــا المــــ ـنحُ ما قَادَنَا لِهَـــذا البَـــلاءِ
أَتُراني أنا الضَّحِـــيَّةَ أم أَنْـــ ـتِ بهذي الحُرِّيَّةِ العَـــشْـــواءِ
خِلْتُها أَنَّها تَقُودُ إلى النُّـــــو رِ فَـقَادَتْ لَكِنْ إلى الظَّـلْماءِ
غَيْرَ أَنِّي اهْتَدَيْتُ في ظُلْمَةِ الدَّرْ بِ بِخَيْطٍ مُشَعْشِعٍ من دِمَـائِي
فَارْجِعي أَيُّها الصَّبِيَّةُ فَالــدَّرْ بُ مُخِيفٌ يَعِـــــجُّ بِالأَرْزاءِ

ويلفت انتباههن إلى أن العفاف وحده ليس كافياً لحصانتهن وحمايتهن من المتربصين بهن ذات الشمال وذات اليمين ، ما لم يتوج ذلك العفاف بالدروع الساترة والحجاب المتين :[2]

لا تَظُنِّي العَفَافَ هذا أَمَـــاناً حين لا يَلْبَسُ العَفَافُ الــدُّرُوعَا
فالضَّـوارِي تَحِـــنُّ لِلْفَتْكِ إلَّا إنْ أَبَيْنَا على الضَّوارِي الخُضُوعَا
فَاحــْـــذَرِيها فَإنَّها تَتَشَهَّا كِ بَنَاناً رَخْصاً وَقَلْباً هَلُــــوعاً

ولم يتوقف الشعراء الذين انبروا لتلك الدعوة عند مجرد التحذير لفتيات مجتمعهم من السفور والاستجابة لما يروجه أدعياء المدنية الحديثة المنفلتة من كل القيود ، وإنما سارعوا إلى بيان العواقب الوخيمة التي تنتظرهن إن انسقن وراء تلك الدعوة ، فأعلن تمردهن على الحجاب ، وخرجن إلى الدروب متبرجات . وهم عن طريق ذلك يسعون إلى تعميق وترسيخ العلاقة المتينة التي تربط فتياتهم بالحجاب الإسلامي الذي نشأن عليه ، حتى أصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهن التي تميزهن من غيرهن ، والوقوف بينهن وبين تلك الدعوات والصيحات المدوية في سائر الأقطار العربية والإسلامية التي وصلت

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢١٩٩) في ١٣٩١/٥/٢هـ ، ص١٢ . الأعمال الكاملة ، المجلد (٤) ص٥٣٩ .
(٢) ينظر المصدران السابقان ، ص١٢ ، و ص٥٣٩ .

أصدقاؤها إليهن،حتى لا يقعن في شركها،فيخسرن دينهن ودنياهن التي يحلمن بها .

فهذا الشاعر محمد حسن فقي يفصح عن المخاوف التي يزدحم بها وجدانه عليهن إن سفرن عن وجوههن ، وخرجن على الناس متبرجات ، ويرسم لهن وحشة الدروب واكتظاظها بالذئاب والثعالب الآدمية المسعورة التي تتحين الفرص للانقضاض على فرائسها وإشباع نهمها منها ، والعاقبة التي سيكتوين بنارها ، ويشرقن بصابها وعلقمها، قائلاً[1] :

أنا أَخْشَى عليكِ زَهْوَ الغَرَانيـ ـقِ وأَخْشى تَمَلُّقَ الخُلَعَاءِ [2]
فيكِ ما يَحْمِلُ الغَوِيُّ على الغَيِّ وفيهم مَجَانَةُ السُّفَهاءِ

ويعلل مخاوفه عليهن من ذلك الدرب الذي سيسرن فيه بقوله [3] :

إنَّ فيه ثَعَالِباً وذِئاباً يَتَرَبَّصْنَ بِالفَرَائِسِ جُوعاً
فإذا سِرْتِ في الطَّرِيقِ تَواثَبْـ ـنَ فما تَمْلُكِينَ إلاَّ الوُقُوعا
من سَيَحْمِيكِ في المَفَاوِزِ منها وهي غَرْثى تَقُدُّ منكِ الضُّلوعا [4]

وحتى لا تكون تحذيرات الشعراء وتنبيهاتهم فتيات مجتمعهم إلى الأخطار التي تنجم عن السفور والتبرج ، وحثهم لهن على الالتزام بالحجاب والتأكيد على دوره في حمايتهن وصيانتهن ، مجرد دعوى تنقصها الأدلة والبراهين ، وجدناهم يحشدون لهن عدداً من الصور القادرة على توضيح وتبيين دور الحجاب في المحافظة والذود عن المرأة التي ترتديه ، والسلبيات التي ترتبت على هتكها له في المجتمعات التي جعلت من المرأة الأوروبية المتحررة أنموذجاً ينبغي لفتياتها

---

(١) ينظر المصدران السابقان : ص١٢ ، و ص٥٣٩ .

(٢) الغرانيق : الشباب البيض .

(٣) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢١٩٩) في ١٣٩١/٥/٢هـ ، ص١٢ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٤) ص٥٣٩ .

(٤) غرثي : الغرث : أيسر الجوع ، وقيل شدته ، وقيل : هو الجوع عامة ، وتقد : تقطع .

الاقتداء به والسير على منواله .

فالشاعر محمد حسن فقي يقدم لهن صورة تبين الأثر العميق الذي يحدثه الحجاب الذي ترتديه المرأة في نفوس من حولها ، وتوضح دوره الفاعل في الحيلولة بينها وبين الطامعين فيها من الخلعاء والماجنين .

حيث يقول على لسان أحدهم مبرراً تصرفاته الشائنة،ومطامعه الدونية، وراسماً أثر الحجاب في ردعه وتحجيم رغباته وإجهاضها [(١)] :

لـولا تَبَـرُّجُها لما طَمِـعَتْ بهـا ... نَفْـسِي ولا رَاوَدْتُهَـا بِعُيـونِي

هذي شَقِيقَتُها لِفَـرْطِ تُقَـاتِهـا ... مِنِّي تكادُ تَكُـونُ فَـوْقَ ظُـنونِي

تَمْشِي ويَمْشِي خَلْفَها من حَزْمِها ... حَـرَسٌ يَـرُدُّ تَطَـاوُلَ المَأْفُـونِ

جَرَّبْـتُ في إِغْرائِهـا فَتَـمَنَّعَـتْ ... وسَمَتْ على الإِغْـرَاءِ كُـلَّ فُنونِـي

أنا عِنْدَها الملْعونُ فـي نَـزَواتِـهِ ... ولدى الفَرِيـسَةِ لَـسْتُ بِالملْعـونِ

أما الشاعر إبراهيم هاشم فلالي فيضعهن وجهاً لوجه أمام السلبيات التي ترتبت على انسياق المرأة وراء تلك الدعوة التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب ، والأضرار التي ستتجاوزها إلى مجتمعها الذي شجعها على التمرد على طبيعتها ، فألقت بحجابها وراء ظهرها ، وخرجت تذرع الدروب طولاً وعرضاً وهي في كامل زينتها [(٢)] :

رُفِعَ النِّقابُ عن النِّـسا ... ءِ فَبُؤْنَ بالثَّوبِ القَصِـيرْ

وإذا الشَّوارِعُ كالمَـعَا ... رِضِ لِلْخُصورِ وللنُّحـورْ

وإذا الحَرِيرُ يَنِمُّ عـــن ... جِسْمٍ أَرَقَّ من الحَـرِيرْ

وإذا الأَوانِسُ كالزُّهـــو ... رِ يَنُؤْنَ بالعَنَسِ المَرِيـــرْ

(١) جريدة البلاد ، العدد (١٧١٨) في ١٩/٥/١٣٨٢هـ ص ٣ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٥) ، ص٣٤٩ .

(٢) ديوان ألحاني ، ص١٧٧ .

وإذا الشَّبابُ تَرَمَّلُــوا		فِعْلَ الذي عَجَمَ الأُمــورْ
وإذا الحَرائِرُ كـالرَّقِــيـ		قِ جَلَسْنَ صَفَّاً لِلأُجُــورْ
وإذا البُيُــوتُ خَوالِيـاً		من كُلِّ ما يَهَبُ السُّرورْ

فالصور المتتابعة التي تحفل بها هذه الأبيات ، تبدي الحالة السيئة التي وصلت إليها المرأة عندما تمردت على مكانها الطبيعي ، ونسيت الوظيفة الأساسية التي خلقت من أجلها ، ومعها قيم ومبادىء دينها الإسلامي الحنيف ، الذي كرمها ، وأحلها المنزلة العالية اللائقة بها ، وشرع لها من الحقوق والواجبات ما يجعلها بمنأى عن ذلك التردي المشين ، والسقوط الذريع ، الذي قادها إليه النموذج الذي بالغ دعاة التحرر في بهرجته وزخرفته ومن ثم تقديمه لها .

وهي بلا شك صور منفرة ، من شأنها التأثير في فتيات المجتمع ، ومن ثم حملهن على عدم الانخداع بتلك الدعوة ، التي ملأت آثارها أحداقهن ، وزرعت الروع في قلوبهن .

وإذا كان الشعراء :إبراهيم فلالي ، وضياء الدين رجب ، ومحمد حسن فقي، قد اهتموا في تصديهم لتلك الدعوة بكشف زيفها ، والتأكيد على بطلانها ، ودعموا تحذيرهم لفتيات المجتمع من الانخداع بها بمشاهداتهم ، وما تناهى إلى أسماعهم من الأضرار والآثار السلبية التي نجمت عنها في المجتمعات التي تبنتها ، فإن هناك شعراء آخرين لم يلتفتوا إلى كل ذلك في مواجهتهم لتلك الدعوة ، وإنما وجدناهم يسلكون مسلكاً آخر ، حرصوا فيه على تحصين فتيات المجتمع ضد السموم الخبيثة التي تحملها تلك الدعوة بين فكيها ، حيث قاموا بحثهن على التمسك بعرى الدين ، والتحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ، التي تعد بمثابة الدرع الواقي والحصن الحصين للإنسان المتخلق بها ، ذكراً كان أو أنثى .

فالطهارة والتقوى كما يرى الشاعر علي زين العابدين ، جوهرتان ثمينتان، تحولان بين الفتاة المتحلية بهما وبين الرؤى الخلابة التافهة التي تلقي بها الحياة

صباح مساء ، وتزيدانها جمالاً فوق جمالها . ذلك ما نقف عليه في قوله مخاطباً إحداهن [١]:

تَغْرِيدُ ما هذي الحَيَاةُ سِـوَى رُؤًى خَـلَّابَـةٍ فَــحَذارِ من مُـجَّانِــها
تَغْرِيدُ فَالْتَمِسي الطَّهارَةَ والتُّــقَى هاتان لو تَدْرِينَ زَيْــنُ حِـسانِهــا

وينوه الشاعر مقبل العيسى بقيمة الأخلاق في عالم المرأة ، ويؤكد على أنها سر جمال المرأة وجاذبيتها [٢]:

أَعْشَــقُ الحُسْنَ غَيْرَ أَنِّي أَراهُ في جَـمَـالٍ تَصُونُـهُ الأَخْــلاقُ
قِيمَةُ الحُسْنِ أَنْ يَكونَ شَـمُوخاً بل شُمُوعاً يَروعُ منها احْتِــراقُ
واحْتِرامُ الجَمَالِ عندي سَيَبْقَــى لي حَيَــاةً فَمَبْـدَئِي عِمْــلاقُ

ويتجاوز الشاعر عبد السلام هاشم حافظ في دعوته إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة فتيات مجتمعه ، فيعمم الدعوة ، ويطلق الصيحة ، لتصل إلى أسماع فتيات الشرق الإسلامي كافة ، حيث يقول [٣]:

وإذا عَقَلْتِ وعُدْتِ لِلْوَكْرِ الحَصِينْ
حَيْثُ التَّكامُلُ بالأُمومةِ والحَنِــينْ
والصَّوْنِ والخُلُقِ الحَميدِ وما يَزِينْ
فلقد غَدَوْتِ حَقِيقَةً إِلْفــاً أَمِــينْ
والشَّرْقُ يَأْمَلُ فِيْكِ إِصْـلاحَ البَنِـينْ
حَوَّاءُ هذا مُرْتَقـاكِ إلى العَرِيـنْ
أُنْثى تُخَلِّدُها الرِّسَــالَةُ والفُنُــونْ

---

(١) ديوان تغريد ، ص١٨ .
(٢) ديوان الهروب من حاضر ، مقبل العيسى ، ط (١) ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، ص٨٢ .
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، عبد السلام هاشم حافظ ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، جـ (١) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، ص ٥٨٢ .

ومما يتصل بالحجاب والاحتشام في دعوة شعرائنا ، حثهم لنساء بلادهم على ارتداء الملابس الشرقية الساترة والفضفاضة ، القادرة على احتواء جمالهن ومواطن الفتنة فيهن ، وحجبها عن الأعين المتعطشة لرؤيتها .

وقد حفزهم إلى ذلك وشجعهم عليه ، انتشار الملابس والأزياء الغربية الضيقة والمكشوفة في الأسواق .

ويأتي الشاعر عبد السلام هاشم حافظ في مقدمة الشعراء الذين اهتموا بهذا الجانب ، حيث نراه يندد بالملابس والأزياء التي تبدي المفاتن الجسدية في المـــــــرأة ، (كالكاب)[١]، (والبنطلون)[٢] ، ويستخف ويسخر من اللائي يرتدينها . في حين نجده يمجد الفستان الشرقي الفضفاض ، ويبدي محاسنه ، ساعياً إلى تجميله في عيون نساء مجتمعه ، حتى لا يهجرنه إلى سواه ، بدافع المدنية والتقدم ومسايرة الموضة [٣] :

يا لَهُ فُسْتَانُها الشَّــرْقِيُّ أَحْـلى ... ما عَرَفْنا من عَبَــاءاتٍ وكَــابْ
وهو فَنٌّ وهو سِـتْرٌ لـيس يَبْـلَى ... يَقْهَرُ التَّيَّارَ والحِــسَّ المعُــابْ
حَسْبُهُ أَوْحَى لِبَعْضِ النَّاسِ فِكْرَهْ ... وانْتَشَى دَرْبٌ بِهِ لَفَّتْ خُطَـاهـا
حَسْبُهُ أَهْدَى إلى الأَوْهـامِ حَسْرَهْ ... يا لَهُ من مَنْــظَرٍ أَجْلى رُؤَاهــا
في اعْـتِدالٍ واحْـتِشامٍ واكْتِمالْ ... هــذه حَـوَّاءُ في أَبْـهى مِثَــالْ

وللشاعر علي الفيفي مشاركة في هذا الجانب ، قام فيها بحث المرأة في مجتمعه على الابتعاد عن ارتداء الملابس والأزياء التي تبدي مفاتنها وتجعلها فرجة للآخرين ، وعرضة لسخريتهم وانتقاداتهم اللاذعة [٤] .

(١) انظر : ديوان ترانيم الصباح ، عبد السلام هاشم حافظ ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط (١) ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م ، ص١٢٢-١٢٦ .
(٢) انظر : المصدر السابق ، ص١٢٧ - ١٢٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٩ - ١٢١ .
(٤) ديوان أجراس ، علي حسين الفيفي ، ط (١) ١٣٨٨هـ ، ص٢٩ - ٣٠ .

أما الشاعر محمد هاشم رشيد فقد استهوته وهيجت مشاعره تلك العلاقة الحميمة بين المرأة في مجتمعه والعباءة التي تقوم بإخفاء جمالها وحجبه عن أعين الطامعين في التلذذ بمرائيه ، فانطلق بما أوتي من مقدرة فائقة على الوصف والتحليق في سمائه معبراً عن تلك العلاقة ، قائلاً [(١)] :

جَلَّلَتْـها عَـبَـاءَةٌ جَـسَّدَتْـها ... حُلُماً رائعاً يَفِـيضُ جَمَـالا

عانَقَتْ صَدْرَها الشَّمُوخَ وعِطْفَيْـ ... ـها وأَبْـدَتْ جَبِـينَها يَتَـلالا

وتَهَاوتْ مُنْسابةً في انْحِـنـاءٍ ... يَسْتَثِيرُ الخَيالَ من حَيْـثُ جالا

وطَوَتْ خَصْرَها عن الأَعْيُنِ الظَّمْـ ... ـأَى وضَـمَّتْ جَمالَها المُخْـتالا

والذي ينبغي أن نشير إليه في نهاية عرضنا لموقف شعرائنا من تلك الدعوة المضللة ، أن تلك الدعوة لم تجد من يصيخ لها من فتيات المجتمع . وذلك لأن الحجاب بالنسبة للمرأة السعودية علاوة على كونه مطلباً إسلامياً ، فهو يعد من جملة الأعراف والتقاليد السائدة التي اكتسبت صفة الثبات في مجتمعها ، وأي محاولة تبذل للتنصل من تلك الأعراف أو العادات تعد عيباً شائناً ، يستحق مرتكبها كل ألوان الازدراء والاحتقار من كل فئات المجتمع . لذلك تجد حتى النساء اللائي تقدمت بهن السن فيه يحافظن على الحجاب محافظة الشابات عليه .

ومما ساعد على تعميق تلك العلاقة الوطيدة بين المرأة في المجتمع السعودي وبين حجابها الإسلامي بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا ، موقف الدولة وولاة الأمر السَّوي من السفور والتبرج ، الذي يتمثل في الأوامر والتعليمات التي أصدرها الملك فيصل بن عبد العزيز – رحمه الله – التي تقضي بمنع النساء من

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد هاشم رشيد ، دار العلم الطباعة والنشر ، جدة ، من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط (٢) ١٤١١هـ – ١٩٩٠م ، ص٣٦٥ – ٣٦٦ .

الدخول إلى المسجد الحرام أو المسجد النبوي الشريف متجملات في لباس غير محتشم ، ومن الخروج إلى الأسواق والدكاكين في وضع يدعو إلى الإغراء والفتنة ، واختلاطهن بالرجال في المعارض ، وفرض العقوبات على كل من يتهاون في تنفيذ تلك الأوامر والتعليمات [1] .

(١) انظر : دور المرأة في المجتمع الإسلامي ، توفيق علي وهبه ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ط (٢) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٩٨ - ٩٩ .

ثانياً : تعليم المرأة

لم تنل المرأة في المجتمع السعودي حقها في التعليم النظامي إلا في فترة متأخرة ، حيث لم يبدأ الشروع فيه إلا بعد ثلاثين عاماً من توحيد المملكة العربية السعودية [١] .

ومع ذلك فقد تهيأ للمرأة السعودية في بعض المناطق الالتحاق بالكتاتيب الموجودة فيها[٢] ، التي كان يقتصر فيها على تعليم المرأة أمور دينها ، ومبادىء القراءة والكتابة ، وقليلاً ما كانت تتجاوز ذلك إلى تعلم مبادىء الحساب ، وتحسين الخط [٣] ، أو بالمدارس الأهلية التي ظهرت في بعض مدن المملكة الكبرى ، لا سيما في منطقة الحجاز [٤] .

وقد كان ذلك التأخير في منح المرأة السعودية حقها في التعليم النظامي راجعاً إلى سببين رئيسين :

أولهما : عدم توفر الإمكانات التي تمكن الدولة من إتاحة الفرصة لكلا الجنسين في الالتحاق بركب التعليم .

ثانيهما : عدم سعي الدولة في مستهل نشأتها إلى إقرار ذلك النوع من التعليم ؛ حرصاً منها على استقرار أوضاعها السياسية والاجتماعية [٥] .

وعندما اطمأنت الدولة إلى أوضاعها السياسية والاقتصادية ، ووقفت على

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د . بكري شيخ أمين ، ص١٦٨ -١٦٩ « بتصرف ».
(٢) المرأة السعودية والتعليم ، فوزية بكر البكر ، الدائرة للإعلام ، الرياض ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ، ص٢٥ .
(٣) صفحات من تاريخ التعليم بالمملكة العربية السعودية ، تعليم البنات ، مركز التوثيق التربوي ، الرياض ، محرم ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص١٠ .
(٤) المرأة السعودية والتعليم ، فوزية بكر البكر ، ص٢٨ - ٣٠ .
(٥) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص ١٦٩ « بتصرف » .

حاجة المجتمع بكل فئاته إلى المرأة المتعلمة اتجهت إليه بكل قوتها ، يدفعها إلى ذلك واجبها تجاه مجتمعها .

وقد تعددت الآراء حول تعليم المرأة السعودية ، وحول نوع التعليم الذي تحتاج إليه ، والمرحلة التي ينبغي للمرأة التوقف عندها [(١)] .

وكان للشعر حضور قوي وفعال في هذه القضية ، حيث ناصر الشعراء المرأة في مجتمعهم ، ووقفوا إلى جانبها ، حتى تنال حقها في التعليم ، وذلك لأهمية المرأة ، من خلال الأدوار التي تنهض بها في أي مجتمع من المجتمعات ، ولمشروعيته بالنسبة لها أو عليها .

وقد كان الشاعر السعودي سباقاً إلى المطالبة بتعليم المرأة ، إلا أن مطالبته تلك لم تأت بصورة مباشرة في بادئ الأمر ، نظراً لموقف المجتمع المتحجر من تعليم المرأة آنذاك .

وفي ذلك يقول شاعر رمز لاسمه ب (ح . ع . س) [(٢)] :

طَحَا بِنَا الجَهْلُ وأَلْوى بِنَا حتَّى حَسِبْنَا كُلَّ عِلْمٍ دَدَا[(٣)]
اتَّخَذَ الغَرْبُ بِعِزْفَانِهِ أَرِيْكَةَ الشَّمْسِ لَهُ مَقْعَدا

---

(١) انظر في ذلك : كتاب فتاة الجزيرة ، سعد عبد الرحمن الدريبي ، مطابع النضال ، دمشق ١٣٨٥هـ .
وكتاب المرأة في معرض الرأي ،عصمت موسى الخطيب ، مطابع دار الثقافة ، مكة - الزاهر ، ط (١) ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
(٢) صوت الحجاز ، العدد (١٢٤) في ٢٢/٥/١٣٥٣هـ ، ص٤ .
(٣) ددا : الدد : اللهو واللعب .

يَسْعَى كلا الجِنْسَيْنِ كُـلٌّ علـى مَبْدَئِهِ ما إِنْ يَخَــافُ الـرَّدَى
هذي تَحُوطُ النَّسْلَ تُعْـنَى بِـهِ وذاك في الحَرْبِ يَصُدُّ العِـدَى
اشْتَــركـا فــي مَبْـدَأٍ لَيْـتَنا نَجْعَــلُهُ مَبْـدَأَنــا الأَوْحَـدا
العِـلْمُ لـــو لُذْنَـا بِـأَبْوابِــهِ أَزَالَ عَنَّـا لَيْلَــنا الأَسْـوَدَا
راحَــتْ مَسَــاعِينا ولــو أَنَّهَا في العِلْمِ ما رَاحَتْ علينا سُدَى

وهي دعوة كما يرى الدكتور عبد الله الحامد «تمشي على استحياء ، ولا يستطيع الشاعر أن يصعدها ، في الوقت الذي أمرت فيه الدولة مدير المعارف طاهر الدباغ ، بإيقاف التسجيل مؤقتاً في مدارس تعليم الإناث آنذاك حرصاً على تهدئة النفوس والبعد عن دواعي الفتنة بين الناس ، ولذلك يأتي الرمز في الاسم والدوران في العرض »(١).

يبدو ذلك في قوله (٢):

ما زَهْرةٌ في الرَّوْضِ رَفَّافَــةٌ تَهْمي عليها قَطَراتُ الـنَّــدَى
يَنْفَحُ منها أَرَجــــاً عا بِقــاً (٣) راحَ على جَنْباتِها واغْــتَدَى
يَوْماً بِأَسْمى من فَتَاةٍ مَــشَتْ إلى العُلا سَيْراً بَعيدَ المَـدَى
وانْتَهَلَتْ كَأْسَاً من العِلْـــمِ لا تَبْغِي سِواهُ أَبَــداً مَــوْرِدا
فَتِلْكَ بالخَالِدِ من فِعْلِــــها كُلُّ لِسَانٍ عَبْقَريٍّ شَـــــدَا

وما إن تولى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ، مهام وزارة المعارف ، حتى عاود الشعراء السعوديون مطالبتهم ، ونشطت الدعوة إلى تعليم المرأة نشاطاً واضحاً وجلياً ، وقد دعموا دعوتهم بما يؤيد صواب نظرتهم ،

---

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د . عبد الله الحامد ، ص٢٦٧ .
(٢) صوت الحجاز ، العدد (١٢٤) في ١٣٥٣/٥/٢٣هـ ، ص٤ .
(٣) كذا والصواب : أرجٌ عابقٌ .

ويعمق حرصهم الشديد على مصلحة مجتمعهم والمنتمين إليه .

ولما كان النهوض بالمجتمع والسمو به هو الغاية التي ينشدها الجميع ، فقد رأى الشعراء ، أن تأخر المجتمع مرتبط بجهل المرأة ، ولذلك طالبوا بتحريرها من عبودية الجهل ، وتعليمها ؛ لتكون قادرة على تربية الأبناء ، وإدارة شئون البيت، لأن المرأة الجاهلة لا تحسن صنع الرجال ، ولا تعرف كيف تدبر بيتها ، ومجتمعها الصغير ، فينشأ الأبناء كما علمتهم أمهاتهم(١) .

وقد بدأ الشعراء دعوتهم ببيان موقف الإسلام من تعليم المرأة ، والتذكير به ، فهو حق من حقوقها ، وفي الوقت نفسه واجب عليها تحريه وطلبه ، لأنه فريضة عليها وعلى الرجل على السواء .

وفي ذلك يقول الشاعر إبراهيم خليل علاف (٢) :

وللفَتَاةِ رَجاً لولا الحِجَابُ لما وَقَفْتُ عنها لَدَيْكَ الآنَ أُبْدِيهِ
العِلْمُ في شِرْعةِ الإسْلامِ مُشْتَرَكٌ ما كَانَ وقْفاً على جِنْسٍ فَيَحْويهِ
وأَفْضَلُ العِلْمِ ما يَرْعَى أُنوثَتَها حَذَارِ أَنْ تُدَّرَى فيها بِتَشْويهِ (٣)

في حين يناشد الشاعر علي غسال وزير المعارف الوقوف إلى جانب فتيات المجتمع ، ومنحهن حقهن في التعليم ، والتصدي للواقفين حجر عثرة في طريق تعليمهن من أبناء المجتمع ، قائلاً :(٤)

وعَلِّمْ فَتَاةَ الحِمَى إنَّها تُنَادِي فَيَسْكُتُ أَعْوانُها
وأَنْتَ لِآمَالِها المُرْتَجَى وإنَّكَ في الحَقِّ مِعْوانُها

(١) الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث ، د . محمد شحادةعليان ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط(١) ١٩٨٧م، ص١٦١ « بتصرف » .
(٢) ديوان وهج الشباب ، ص٧٠ .
(٣) تدرى : بتشديد الدال ، تغتال وتؤذى من حيث لا تشعر ولا تدري .
(٤) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٤٥٢) في ١٧/٥/١٣٧٣هـ ، ص٤ .

هي اليَوْمَ لِلْجِنْسِ لا لِلنُّهى — وأَمْعَنَ في الجَهْلِ إِثْخانُهـا

ولا لِلشَّجاعةِ في يَوْمِـــهـا — تَخُضُّ فَيَسْحَرُ تِبْيانُـهـــا

ولا الحُبُّ في ذِهْنِها فِكْـرَةٌ — بَلِ الحُبُّ فُوها وأَحْضَـانُها

أَنِرْ دَرْبَها لِكَرِيْــمِ الحَيَــاة — فقد أَحْكَمَ القَيْدَ سَجَّـانُها

وقُـــلْ لِمُعَارَضــةٍ رَأْيَهــا — على أَبَدِ الدَّهْرِ حِرْمانُهـــا

أَفِيقي فقد سَارَ دَرْبُ الحَيَاة — وهَزَّ المَنَــابِرَ سَحْـــبانُها

وتأخذ الدعوة لتعليم المرأة لدى الشاعر عبد الله بن خميس طابع التساؤل عن الموانع التي تقف بين المرأة السعودية والتعليم ، ما دامت الشريعة التي نأتمر بأوامرها وننتهي بنواهيها قد منحتها ذلك الحق . وهو عن طريق ذلك التساؤل يسعى إلى إقناع القائمين على شئون التعليم ، والرافضين له من أبناء المجتمع ، بأحقية المرأة له ، وبمدى أهميته في حياتها ؛ حتى يسارعوا إلى إعطائها ذلك الحق، ويمهدوا لها الدروب لتلقيه . وفي ذلك يقول مخاطباً وزير المعارف[1] :

يا نَصِيرَ العِلْمِ هـل من شِرْعةٍ — تَمْنَعُ التَّعْلِيمَ عن ذاتِ الخِبا

إِنَّها في ذَاتِها مَـــــدْرسَـــةٌ — إِنْ خَبِيثاً أَنْجَبَتْ أَوْ طَيِّــبا

فَمَعاذَ اللَّهِ أَنْ تَبْـقى بِنــَـــا — دُمْيَـــةً لِلَّـــهْوِ فيـنا تُجْتَبى

وإذا كان الشعراء : إبراهيم علاف ، وعلي حسن غسال ، وعبد الله بن خميس، قد باشروا الدعوة إلى تعليم المرأة ، فإن الشاعر منصور الحازمي يسلك مسلكاً آخر في دعوته لتعليم المرأة ، حيث منح إحدى فتيات مجتمعه الفرصة لتعبر عن رغباتها ، وتبدي طموحاتها التي سيبلغها إياها التعليم الذي

---

(١) المصدر السابق ، العدد (١٤٥٥) في ٢١/٥/١٣٧٣هـ ، ص٤ ، وديوان على ربى اليمامة ، ط (٢) ، ص٥٦٨-٥٦٩.

تتشوق إلى إتاحته لها ، وفي ذلك يقول على لسان ابنة أخيه الصغيرة [1] :

عَمِّي .... عَمِّي
وجَرَتْ طِفْلَتُنا نَحْوِي
بيدَيْها تَحْمِلُ قِرْطاسا
وبَقايا قَلَمٍ مَحطُومْ
وهَوَتْ باللَّثْمِ على خَدِّي
وتَعانَقَ خَلْفِي كَفَّاهَا
عَمِّي : عَلِّمْني حَرْفاً
يَمْتَدُّ بِقِرْطاسِي ظِلَّا
أَتَفَيَّأُ فيه ولا أَسْلُو
وأَشيدُ بِهِ قَصْرَ أَمَانٍ
وذُرَى أَحْلامٍ حُلْوَهْ
ومَشَارِفَ أَوْدِيَةٍ خَضْراءْ .

وقدم الشعراء في ثنايا دعوتهم لتعليم المرأة الدواعي والأسباب التي تدفعهم إلى ذلك . وكان من أهمها ، تهيئتها لبيت الزوجية ؛ لتحسن عشرتها ، وتقوم بتربية أبنائها التربية التي تجعلهم ثمرات صالحة يرجو المجتمع خيرها .

فهذا الشاعر محمد حسن عواد يبين أهمية التعليم بالنسبة للمرأة ، فهو يعدها إعداداً سليماً ، ويهيئها لتنشئة أبنائها تنشئة صحيحة [2] :

واجِبٌ تَهْذِيبُها فهي لَنَـــا الـــ   أُمُّ والزَّوْجَةُ والحِصْــنُ المَكِــينْ

(١) جريدة البلاد ، العدد (١٢٥) في ١٣٧٨/١٢/٢٦هـ ، ص٤ . وديوان أشواق وحكايات ، منصور الحازمي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص٣٦ .
(٢) ديوان العواد ، ج (١) ، ص٧٥ .

هي تُعْطِي الطِّفْلَ من مَبْـــدَئِهِ   وِجْـهَةَ الفَهْمِ وسِـــرَّ المُدْرِكِــينْ
فـإذا أَهْــدَتْــهُ مــن فِطْرَتِهـــا   حِكْمَةً أَمَّ طَـــــرِيقَ النَّابِهِينْ
وإذا مـــا نَفَـــثَتْ فـــيه على   جَهْلِها الجَهْلَ نَأَى في الخَامِلِينْ
فَفَتَاةُ الشَّرْقِ في الشَّرْقِ هُــدًى   وبَنَاتُ الشَّرْقِ آسَــاسُ البَنِــينْ

ويتكرر هذا المعنى في قول الشاعر إبراهيم علاف مبيناً الدواعي التي تجعله يلح على إتاحة الفرصة للمرأة في مجتمعه لنيل حظها من التعليم [(١)] :

والأُمَّهاتُ إذا مـــاكُنَّ فـــي سَفَـــهٍ   فَاحْكُمْ على الجِيلِ أَنَّ النَّقْصَ حَادِيهِ
ولِلْــــوِراثَـــةِ عِـــرْقٌ لا تَـــدُبُّ لَـــهُ   عَوامِلُ الوَهْنِ أو يُـرْجَـى تَفَانِــيهِ

ويتجاوز الشاعر عبد الله بن خميس تلك الأسباب التي قدمها الشعراء إلى سبب آخر ، ستترتب عليه آثار اجتماعية بالغة الخطورة ، ويتمثل ذلك في انصراف شباب المجتمع عن الاقتران بفتيات مجتمعهم ؛ خشية من الآثار السلبية التي ستنتجم عن جهلهن ، سواء في حياتهم كأزواج ، أو في حياة أبنائهم . وفي ذلك يقول [(٢)] :

كيف يَرْضَى عَالِمٌ جَاهِلَةً   تَقْلِبُ البَيْتَ جَحِيماً مُلْــهِبا
يَخْرُجُ الأَطْفَالُ منها صُورَةً   إِنْ يَنَالُوا العِلْمَ ضَلُّوا الأَدَبا

ذلك لأن الزوجة المتعلمة كما يرى شاعرنا الغزاوي ، تعد مصدر سعادة وأنس دائمين لزوجها، حيث يقول مبيناً أثرها ودورها في بيت الزوجية :[(٣)]

ولقد نَظَرْتُ فلــم أَجِــدْ   كالعِلْمِ أَجْـدَرَ بالفَتَــاهْ
ووجَـدْتُ كُـلَّ كَـرِيهَـةٍ   أَسْبَابُها عَنَـــتُ الغُــلاهْ
إِنَّ المُهَــذَّبَ لا يَكَـــا   دُ يَعِيــشُ إِلَّا فــي حِمَاهْ

---

(١) ديوان وهج الشباب ، ص ٧٠ – ٧١ .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٤٥٥)في ٢١/٥/١٣٧٣هـ ، ص٤ . وديوان على ربى اليمامة ، ط (٢) ص٥٦٩ .

(٣) جريدة البلاد ، العدد (١٦٦٥) في ١٧/٣/١٣٨٤هـ ، ص٣ .

فـي ظِــــلِّ بَيْــتٍ آمِــنٍ ما فيه « أُفٍّ » لا « وآهْ »

في «جَنَّةٍ» مـن رَحْمَـــةٍ أَوْ « جنَّةٍ » تَجْلو صَـــدَاهْ

ويطالب الشاعر محمد حسن عواد في قصيدته: (تعليم البنات) ، بالمساواة بين الذكور والإناث في التعليم دون اعتبار للفوارق الجسدية بين الجنسين ، ويبين فيها مدى حاجة المجتمع لبناته المتعلمات للعمل في بعض المرافق التي لا يصلح فيها سواهن [1]:

قَلَمُ البنْتِ في يَدِ البنْتِ مِفْـتَا حٌ لإنْـشَاءِ أُمَّــةٍ تَــزْعَاهَـا

وأَفَــانِينُ طِـــبِّها لبنَـــاتٍ في حَيَــاةٍ عَظِيـمَةٍ نَـهْـواها

فإذا سُـــلِّمَ الولِــيدُ إليـــها حين تَأْتي فلن يَعافَ لُغَـــاها

ويمنح الشاعر منصور الحازمي فتاة بلاده الفرصة للحديث عن سر حبها للعلم، واستعدادها للتضحية في سبيل تحصيله بكل ما يدخل البهجة والسرورإلى عالمها الوجداني ، من ثياب مزركشة ، وخواتم وأساور ذهبية، حيث يقول على لسانها [2]:

لن أَلْهوَ أَبداً لن أَلْهُو

الورْدُ سَأَغْرِسُهُ حقْلا

والنُّورُ أُفَجِّرُهُ نَهْرا

وأَشيعُ البَهْجَةَ في الكُوخِ

والعُشُّ سَأَجْعَلُهُ قَصْرا

لن أَلْهوَ أَبَداً لن أَلْهو

---

(١) ديوان العواد ، ج (٢) ، ص١٧٢.

(٢) جريدة البلاد ، العدد (١٢٥) ، في ١٣٧٨/١٢/٢٦هـ ، ص٤ . وديوان أشواق وحكايات ، ص٣٦ .

فالدُّمْيَةُ والثَّوْبُ الأَحْمَرْ
وأَسَاوِرُ مُذْهَبَةٌ تَضْوِي
وخَواتِمُ في كَفِّي تَلْمَعْ
ما عَادَتْ في عَيْنِي شَيْئًا
ما عَادَتْ لِطموحِي أَهْلا
كم ضِقْتُ بِأَلْعابِي دَهْرَا
سَأُغَسِّلُ كَفِّي من طِينٍ
وأُنَظِّفُ من قَدَمِي الوحْلَا .

وعندما استجابت الدولة لتلك المطالب ، وشرعت في فتح مدارس البنات [1]، أبدى كثير من الشعراء فرحتهم وسرورهم بذلك .

فهذا الشاعر منصور الحازمي يزف التهاني والتبريكات لفتيات مجتمعه ، قائلاً [2]:

لَكِنَّما صَغِيرَتي
سَتَعْرِفِينَ نَقْشَةَ الحُروفْ
سَتَكْشِفِينَ طَلْسَمَ الكَلِمْ
سَتَعْرِفِينَ ما السُّجودْ
ما الرُّكوعْ
وما الوُجُودْ !

(١) كان ذلك في عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
(٢) أشواق وحكايات ، ص١٤ -١٥ .

وتَعْرِفينَ ما العَدَمْ

أَجَلْ ... أَجَلْ

وتَعْرِفينَ أَرْضَنَا

تُراثَنَا وَمَجْدَنَا

تَاريخَنَا مُنْذُ القِدَمْ

سَتَعْرِفينَ أَمْسَنا .. ويَوْمَنا

آمالَنا ... وحُلْمَنا

فَتَعْرِفينَ ما الوَطَنْ .

وعلى الرغم من تلك الفرحة العارمة التي عانقت أفئدة الشعراء ومعهم من معهم من أبناء المجتمع النابهين ، إلا أن تردد كثير من أولياء الأمور في إلحاق بناتهم بتلك المدارس ظل قائماً . ولعل السبب في ذلك راجع إلى الظلال التي ألقت بها تجربة تعليم الفتاة في بعض الأقطار العربية والإسلامية ، التي لم تكن مشجعة للفتيات ولا لآبائهن على الإطلاق [(١)] .

وقد لمس الشعراء تلك المخاوف وعرفوا دواعيها ومبرراتها ، فهرعوا إليهم مطمئنين ، ومؤكدين لهم سلامة نظام تعليم فتياتهم من كل ما يدعو إلى القلق والخوف ، خاصة وقد تولت الإشراف على مدارس البنات رئاسة عامة مستقلة يتولى الإشراف عليها المفتي العام للدولة [(٢)] .

ومن الشعراء الذين تصدوا لهذه المهمة الشاعر طاهر الزمخشري ، فها هو

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د . حسن بن فهد الهويمل ، ص٣٢٤ « بتصرف » .

(٢) انظر : معجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ، ص٥٦٨ – ٥٦٩ .

ذا يقول مؤكداً سلامة التعليم،واستقامة مناهجه ، وموضحاً الغاية منه [١] :

ما رَفَعْنا الحِجَابَ عَنْهُنَّ لَكِنْ　　قد قَشَعْنَا سَحَائِبَ الظُّلُمـاتِ
قد فَتَحْنا عُيونَهُنَّ على الـعِلْـ　　ـمِ فَنَافَسْنَ بالسَّنَا النَّـيِّراتِ
وتَبَـارَيْنَ فـي أَدَاءِ الرِّسَـالا　　تِ فَطابَ الإِسْراءُ بالمُحْصَنَاتِ

وعندما وقف الشعراء على تردد عدد كبير من فتيات مجتمعهم في اقتحام دور العلم التي أعدت لهن ، أنشأوا يحثونهن على المسارعة في الالتحاق بركب العلم البهي، مبينين أهميته بالنسبة لهن ، خاصة وأن الزمان الذي يعشن فيه لم يعد يحفل إلا بالمتعلمين والمتعلمات .

فهذا الشاعر إبراهيم الزيد يقول مخاطباً فتاة بلاده [٢] :

بِنْتَ الجَزيرَةِ أَسْرِعي　　إِيَّـــاكِ أَنْ تَتَـرَدَّدي
هَلَّا نَظَرْتِ لِعَـــالَمٍ　　فيه الجَهُولُ بِـــلَا غَدِ
فِتْيانُهُ ....فَتَياتُهُ　　يَتَـــدافَعُونَ لِمَعْــــهَدِ

وفي قصيدة الشاعر محمد إبراهيم جدع :(فتاة الجيل)،نجد ترغيباً لفتيات بلاده على الالتحاق بدور العلم ، مدعماً ذلك الترغيب ببيان الثمار التي سيجنيها عن طريقه [٣] :

أَلَسْــتِ تَوَدِّينَ أَنْ تَسْــعدي　　بِنَيْلِ البَنِــينَ بِعَيْــشٍ رَغِيـدْ
أَمِ الجَهْلُ يَسْلُبُ مِنْكِ الحِـجَى　　فلا تَشْعُرِينَ بِقَوْلِي السَّــدِيدْ
فَقُدِّي قُيودَكِ قَـبْلَ الفَــوات　　فما القَـيْدُ إِلاَّ لِـذُلِّ العَبِيـــدْ
وسِيْرِي بِجَنْبِي لِمَجْدِ الحَــيَاة　　لِنَعْمَلَ جَمْــعاً لِعَهْدٍ جَــدِيدْ

---

(١) مجموعة الخضراء ، ص٤١٠ .
(٢) جريدة عكاظ ، العدد (٧٩٧) ، في ١٣٨٧/٧/٩هـ، ص٤ . وديوان أغنية الشمس ، ص٤٣ .
(٣) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص١٠٤ .

وقد كان لتلك الدعوات الموجهة من الشعراء صداها ، سواء لدى فتيات بلادهم اللائي كن يقدمن رجلاً ويؤخرن أخرى ، أو أولياء أمورهن ، حيث سارع الآباء بتسجيل بناتهم في المدارس الخاصة بهن ، بعد أن لمسوا منهن الرغبة في ذلك والإصرار والعزم على دحر الجهل الذي كان يخيم عليهن .

ولم يقف الشاعر السعودي صامتاً وهو يرى فتيات بلاده يتوافدن على مدارسهن أفواجاً ، وإنما سارع إلى إبداء فرحته وإعلان سروره باهتمامهن الكبير بالعلم . ولم ينس – والفرحة تهز كيانه – أن يسكب في أسماعهن نصائحه وتوجيهاته ، حيث قام بحثهن على التمسك بالأخلاق الفاضلة ، والابتعاد عن صرخات المدنية الحديثة وقشورها الزائفة .

فهذا الشاعر أحمد الغزاوي يتوجه في قصيدته : (الزاد أنت) ، إلى إحداهن قائلاً [1] :

كُـــوني لِكُـــلِّ طَمُوحَـةٍ　　　مِشْكَـــاتَها فِيمَنْ تَـرَاهْ
ما سِرُّبُكُنَّ سِوى الـرَّوا　　　ئِـدِ لِلنُّـهوضِ ولِلْحَـــيَاهْ
كافِحْـــنَ ما سَبَقَتْ بِهِ　　　عِبَــرٌ تُنَهْـنِهُ كُـــلَّ واهْ
واخْتَرْنَها « مَدَنِـــيَّةً »　　　« دينِـــيَّةً» تَبْني الحَيَاهْ
بَيْضَاءَ تَعْتَنِقُ الخُـــلو　　　دَ ولا تَضِلُّ مع الغُـــواهْ
تَدْعو إلى حَرَمِ الفَضِيـ　　　لَةِ في القُصورِ وفي الفَلاهْ

ويبدي الشاعر طاهر الزمخشري سروره بتزاحم فتيات بلاده على دور العلم المعدة لهن ، ويباهي بمحافظتهن على حجابهن الشرعي الذي لم يقف

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (١٦٦٥) في ١٧/٣/١٣٨٤هـ ، ص٣ .

عائقاً لهن على طلب العلم كما يدعي ذلك دعاة السفور [١]:

من وراءِ الخِـمارِ أَلْمَـحُ إشْـــعا   عاً أَعادَ الماضـــي إِلَيْنا مُنِيـــرا
مُشْرِقَ الصَّفْحَتَيْنِ يَزْهو بمن قُمْـ   ـنَ يُنافِـسْنَ بالعُلومِ الذُّكـــورا
ما تَزَيَّنَّ بالـــذي يَكْـسِبُ الإثْــ   ـمَ مُجــوناً وبَهْرَجـاً وغُــــرورا
بـل تَحَـلَّيْنَ بالـذي يَجْعَـلُ الـدُّو   رَ جِنَــانــاً والمُحْـصَناتِ بُــدورا

وواصل الشعراء حثهم لفتيات مجتمعهم على طلب العلم ، وتشجيعهن على مواصلة دراستهن ، والاستزادة من العلم النافع أينما كان ؛ لكي يكن مؤهلات لخدمة بلادهن ، ويشاركن في تقدمها ورقيها ، سواء عن طريق سدهن للمرافق التنموية التي لا يصلح فيها سواهن ، أو إعداد جيل يعرف واجباته تجاه مجتمعه الذي ينتمي إليه .

وفي ذلك يقول الشاعر محمد علي مغربي ، وهو يودع ابنته المتأهبة لمغادرة البلاد من أجل مواصلة دراستها [٢]:

يا زَهْرةً في رِياضِ الدَّرْسِ نَاضِرةً   تَهْفُو إلى العِلْمِ تُصْبِيها رَوائِــــعُهُ
عُبِّي من العِلْمِ أَرْوِي من مَنَــــاهِلِهِ   فُؤادَكِ الحُـــــرَّ إِنَّ العِلْمَ يَنْفَــعُهُ
شُقِّي إلى المَجْدِ دَرْباً أَنْتِ رائِــدُه   لِنُخْبَةٍ من بَنَاتِ العُــرْبِ مَشْــرعُهُ
حتَّى تَعُدْنَ إلى أَحْـضَانِ أُمَّتِـكُمْ   فَتْحاً يَدِلُّ بِـــهِ الرَّائِي وسَـــامِعُهُ
تَنْهَضْنَ بالوَطَنِ الغَالِي على سَـنَنٍ   مِــنَ الفَـضَائِلِ تَهْـدِينا مَطَالِعُهُ

واحتفوا باللاتي حققن النجاح والتفوق في دراستهن ، سواء في داخل البلاد أو خارجها . ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر طاهر الزمخشري مهنئاً

---

(١) مجموعة النيل ، ص٤٩٧ .

(٢) مجلة المنهل ، جمادى الأولى ، ١٣٨٩هـ ، المجلد (٣٠) ص٧٠٨.

إحدى فتيات بلاده بتخرجها من كلية الآداب بالقاهرة ، قسم الصحافة [1] :

يا رَجاءَ الـــوَطَنِ الغَـا ـِلي وآمـــالَ بِـلادِي
ـِبكِ يا بَسْـمَةَ مَهْـدِ الـــنُّورِ في أَكْــــرَمِ وادِي
بِـكِ يـــا مَشْــرِقَ آمــا لٍ وأَمْجــادٍ تُنـادِي
بكِ يَشْدُو صَيْدَحُ الحُــــبِّ وحَــبَّاتُ الفُـــؤادِ
لِيرَاعٍ مُرْهَـــفِ الحَــــــدِّ تَصَدَّى لِلْجِــــهادِ
في مَـجَالٍ رَادَهُ خَـــطْـ ـــوُكِ والعَــزْمَةُ حَـادِي
لم يَــكُنْ قَبْــلَكِ دَرْ باً لِــــــرَبابٍأوسُعادِ
فــإذا أَنْــتِ بِــهِ الــرَّا ئِدُ مَـشْحوذُ الـــزِّنـادِ
فاجْهَرِي بالصَّـوْتِ في رأْ يٍ يُـضَــوِّي بالسَّــدادِ

(١) مجموعة النيل ، ص٦٨٩ .

المبحث الثاني

الـــزواج

الزواج نظام يلتئم به شمل كل شيء حولنا ، ويصلح عليه وجوده ، وتخرج به ثماره ، [1] وهو ليس « مقصوراً على الإنسان والحيوان والنبات ، بل هو سنة كونية دقيقة واسعة المدى ، اتخذت مكانها في أنواع الكائنات ، وقسمت أفراد كل نوع قسمين ، أو زوجين ... وحلت في أحد القسمين بسر يخالف السر الذي حلت به في القسم الأخر » [2].

« وكل فرد من نوع الإنسان : الذكر والأنثى – بناء على هذا – هو شطر سنة من سنن الله يجب أن يلتئم شطرها الآخر ، ليكمل وجوده ، ويخرج زهره وثمره»[3] .

وفي ذلك يقول الحق – جل شأنه – : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** [4].

وقد أوجب الإسلام الزواج ورغب فيه ، وجعله أصلاً من أصوله الاجتماعية، فعن طريقه يوجد النسل الإنساني الشريف ويتكاثر ، لتحصل عمارة الأرض .

وفي ذلك يقول الله – سبحانه وتعالى –:**(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم)**[5]، ويقول:**(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء)** [6] .

(١) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، البهي الخولي ، دار القلم -الكويت ، ط (٤) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، ص٣٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

(٤) سورة الروم ، الآية : ٢١ .

(٥) سورة النساء ، الآية : ٣ .

(٦) سورة النساء ، الآية : ١

ويقول الرسول الكريم – ﷺ – : (يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)(١).

وحث الراغب في الزواج على اختيار ذات الخلق والدين ، وفي ذلك يقول المصطفى – ﷺ – :(فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) (٢) .

كما حث على تحري هاتين الصفتين في الشخص المتقدم للزواج ، وفي ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام – : (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَونَ دِيْنَهُ وخُلُقَهُ فَزَوِّجُوه ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأَرْضِ وفَسَادٌ عَرِيضٌ) (٣) .

وأعطى المرأة حق اختيار الزوج ، فلا ترغم على الزواج من إنسان لا ترغبه ، وفي ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام – : (لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ) (٤) ، وأجاز الرؤية حين الخطبة ، حتى لا يفاجأ كل منهما بما لا يرغبه في الآخر ليلة الزواج ، فيحدث النفور وربما الطلاق ، حيث يقول – عليه الصلاة والسلام – : (اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا) (٥) .

ورغب في تيسير المهر والقصد فيه ، وفي ذلك يقول – ﷺ – : (إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مؤونَةً) (٦).

وبعد هذه الالتفاتة العجلة إلى الزواج ومشروعيته في الإسلام ، وترغيبه فيه وحثه على تسهيل أموره كافة ، يحسن بنا أن نعود إلى مشاركات الشعراء في

---

(١) سنن ابن ماجه ،المجلد (٢) ، ص٤٠٦ .
(٢) المصدر السابق ، المجلد (٢) ، ص٤١٥ .
(٣) صحيح الترمذي ، بشرح الإمام ابن العربي المالكي ، المجلد (٤) ، ص٣٠٥ .
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد(٢) ، ص٤٣٤ .
(٥)سنن ابن ماجه ، المجلد (٢) ، ص٤١٩ .
(٦) مسند الامام أحمد بن حنبل ، المجلد (٦) ، ص٨٢ .

هذا الشأن ، للتعرف على مواقفهم من كل ما يمت إليه بصلة ، ومناقشتهم لقضاياه التي عاشوها وتعايشوا معها .

والمتصفح لديوان الشعر السعودي يقف على تعدد مشاركات الشعراء في أمر الزواج ، ومناقشة قضاياه التي جاء بعضها نتيجة لجهل معظم أبناء المجتمع بحقوق المرأة ، وخضوعهم لعادات وتقاليد ضارة ، ما أنزل الله بها من سلطان . ومنها ما جاء بسبب جشع وطمع بعض أولياء الأمور ، خاصة بعد الطفرة الاقتصادية التي عاشتها البلاد .

كما اهتم الشعراء بالترغيب في الزواج ، وصوروا ثماره ، وجسدوا مظاهر الفرحة والاغتباط التي يعيشها كل من الشاب والشابة المقبلين على الزواج ، وحثوا الفتيات المقبلات على الزواج وذكروهن بما يجب عليهن من الحقوق والواجبات لأزواجهن ، وما ينبغي عليهن عمله ؛ كي يساعدن أزواجهن على السير بسفينة الأحلام إلى بر الأمان ، وإدارة دفتها بكل اقتدار ، وحثوا الشباب على حسن اختيار الزوجات،ورغبوهم في الاقتران بذات الدين والأخلاق الفاضلة .

ومما جاء في الترغيب في الزواج في مشاركات الشعراء ، وبيان مدى أهميته في تكاثر النوع الإنساني الشريف ، ومن ثم تعمير الأرض ، ما جاء في قول الشاعر عبد السلام هاشم حافظ ، مؤكداً على أن الزواج هو الميلاد الحقيقي لأي إنسان كان، لأنه سنة من سنن الله في الكون (١) :

هَذِي بِدَايةُ نَشْئِنا وطَرِيقِنا ... هي سُنَّةُ الأَحْياءِ عَبْرَ جُدودِنا
ويَكونُ هذا الكَوْنُ بَدْءَ خُلودِنا ... ونُعَمِّرُ الأُخْرى بِسِرٍّ وجُودِنا

ويرسم الشاعر إبراهيم فودة بعض مظاهر الزواج القائم على الحب

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج (١) ، ص٤٧٩ .

والتفاهم بين الزوجين ، ويدغدغ المشاعر والأحاسيس ، ويستفزها بثماره التي تدخل البهجة والسرور إلى عالم كل زوجين [1] :

والزَّواجُ الصَّحِيحُ ليس سِوَى الحُـبِّ وِثَاقاً قد شُدَّ حَوْلَ وِثَاقِ
يَلْتَقِي العَاشِقانِ فيه علـى العَهْـدِ كَرِيماً والمَنْهَلِ الدَّفَّاقِ
والأماني تُرَقْرِقُ الرُّوحَ والفِكْـرَةَ تُورِي زِنادَها بالعِناقِ
وإذا قُوَّتانِ قد أَلَّفَ الحُـبُّ قُواها في رِقَّةٍ وَوِفَاقِ
فَتَشُقُّ الطَّرِيقَ في مَهْمَهِ الدُّنْـيا مُضِيئاً بالحُبِّ والأَشْواقِ
وتَدُعُّ الآلامَ عنها الأماني والأماني على الهوى كاللُّعَاقِ[2]
وإذا بالبَنِيْنَ كالثَّمَرِ الطَّـيِّبِ في المَنْبَتِ الكَرِيمِ السَّواقِي
يَجِدُ الوالدانِ فيهم غِذاءً لِمَعَانٍ مَوْصولةٍ في لِحَاقِ
تَصِلُ الحَاضِرَ السَّعِيدَ بِدُنْيا مِن أمانٍ مَمْدُودةِ الآفاقِ
كُلَّما طالعا وجُوهَ المَوالِيـدِ تَرَاءَتْ فيهِنَّ كالإِشْراقِ
لَمْحَةٌ إِثْرَ لَمْحَةٍ إِثْرَ أُخْرى وَجَدِيدٌ من الأماني العِتَاقِ
هكذا هكذا الزَّواجُ ازْدِواجٌ بين رُوحَيْنِ وُحِّدا في اتِّفَاقِ

ولما كان ذلك هو شأن الزواج ، وتلك هي حقيقته ، فإن أحداق الشباب والشابات تظل متشوقة إلى رؤية ذلك الحلم الجميل وقد أضحى واقعاً ملموساً، يعيشونه بكل أحاسيسهم ومشاعرهم .

فهذا عبد السلام هاشم حافظ يجسد فرحة إحدى فتيات مجتمعه ، بعد أن تقدم للزواج بها أحد الشباب ، مطلعاً المتلقي على المشاعر والأحاسيس

(١) ديوان مجالات وأعماق ، إبراهيم فوده ، ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، ص١٤٧ - ١٤٨.

(٢) اللعاق : اللعاق (بضم اللام) ما بقي في فيك من طعام لعقته .

الجميلة التي يزدحم بها عالمها الغض ، ومعها خميلة من الآمال والأحلام ، قائلاً على لسانها (١):

أنا فَرْحَةٌ أنا يَقْظَـــــةٌ أنا فَـاتِنَـهْ ... أَزْهُو وأَرْقُبُ لَيْلَةَ العُمْرِ الطَّـــرُوبْ

بي لَهْفَةٌ ظَمْآى بِنَفْسِي الواسِــــنَهْ ... لِأُزَفَّ بالأَمَلِ العَرِيضِ إلى الحَبِيبْ

ويرى لِذَاتي زَفَّتي بين النُّجُـــومْ ... والأَهْلُ يُلْقُونَ الوُرودَ لِمَفْــــرِقي

ويُوَدِّعُـــونِي بالقُــلوبِ وبالحُــلومْ ... وأنا أَسِــيرُ إلى طريقي المُشْرِقِ (٢)

ونجد تلك الرغبة وذلك التوق للحياة الزوجية بكل مرائيها لدى معشر الشباب ، حيث يطلعنا الشاعر منصور الحازمي على آمال أحد الشباب المقبلين على الزواج ، قائلاً على لسانه (٣) :

عَيْنَاكِ كالضَّوْءِ انْدَفَقْ

خَدَّاكِ في لَوْنِ الشَّفَقْ

شَفَتَاكِ زَنْبَقَةٌ ...

وعُودُكِ مِثْلُ بانٍ مَادَ في بَحْرِ الأَلَقْ

فَأَعِيشُ في حُلْمٍ طَوِيلْ

أَرْتادُ أَفْياءَ الخَيَالْ

وأَشِيدُ عَرْشاً أَشْقراً فَوْقَ الأُفُقْ (٤)

لَكِ أَيُّها « النِّصْفُ الجَمِيلْ »

لَكِ ..... أولنا

(١) ديوان ترانيم الصباح ، عبد السلام حافظ ، ص١٠٦ – ١٠٧ .

(٢) حذف الشاعر حرف النون من الفعل المضارع (يودعوني) حتى يستقيم له الوزن .

(٣) جريدة حراء ، العدد (١١٢) في ١٣٧٨/١/٢٧هـ ، ص٢ . وديوان أشواق وحكايات ، ص١٧ –١٨ .

(٤) أشقراً : صرفها الشاعر حتى يستقيم له الوزن .

أو لِلْهوى يَغْزُو القُلوبْ

ويَسْتَبِيحُ حِمَى الجَمَالْ .

وحث الشعراء شباب مجتمعهم على حسن اختيار زوجاتهم ، وأوصوهم بالاقتران بذات الدين والأخلاق الفاضلة . وفي ذلك يقول الشاعر حمزة شحاته (١) :

يا خاطِبَ الظَّبْيَةِ الحَسْناءِ مُحْتَقِباً ... عنها الأَحادِيثَ ماذا خَلْفَ ظاهِرِها؟

لا تَطْلُبِ الحُسْنَ تَجْلُوهُ مَفَاتِنُها ... واطْلُبْهُ حُسْنَ خَلاقٍ في مَعَاشِرِها

فَرُبَّ فاتِنَةٍ يُخْفِي مَقابِحَها ... عن نَظْرَةِ المُتَمَنِّي وشْيُ مِئْزَرِها

الحُسْنُ مَطْلبُ أَيَّامٍ يُقَصِّرُها ... عَجْزُ المَلِيحَةِ عن إِشْبَاعِ سَاتِرِها

وعندما لمس الشعراء انصراف بعض أبناء المجتمع المتعلمين إلى الزواج من الخارج ، بحجة جهل فتيات مجتمعهم ، وغلاء المهور فيه ، وجدناهم ينتقدون ذلك التصرف منهم ، مذكرين لهم بفتيات مجتمعهم اللاتي ينتظرنهم ، ومحذرين من النهاية المؤلمة التي تنتظر زواجهم من بيئة غير البيئة التي نشأوا فيها وترعرعوا ، خاصة وأن لكل بيئة عاداتها وتقاليدها التي قد لا تلائم ما فطروا عليه في بيئتهم من مبادىء وقيم وعادات .

ويأتي الشاعر منصور الحازمي في مقدمة شعرائنا الذين انتقدوا ذلك العزوف والانصراف عن فتيات المجتمع ، حيث يقول مذكراً بفتيات مجتمعه أحد الشباب الذين غرتهم الأماني وخدعتهم الرؤى والأحلام بالزواج من الخارج ، ومعاتباً له على صنيعه ذاك (٢) :

وحينما غرقت يا صديق

(١) ديوان حمزة شحاته ، دار الأصفهاني للطباعة والنشر ، جدة ، ط (١) ، ١٤٠٨هـ — ١٩٩٨م ، ص٣٣٩ .

(٢) جريدة البلاد ، العدد (٧٤) في ٢٠/١٠/١٣٧٨هـ ، ص٤ . وديوان أشواق وحكايات ، ص٣١ .

فِي مَوْجَةِ السُّرورْ
ومِعْزَفي تُهيجُهُ اللُّحونْ
إذا بِوَجْهِ مَنْ عَرَفْنا من سِنِينْ
يُطِلُّ بِالأَحْزَانْ
بالدَّمْعِ السَّخِينْ
فَتَاتُنا ...
حَبِيبَةُ القُلوبِ .. أُقْحوانةُ الدِّيارْ
رَفيْقَةُ الصِّبا وأُخْتُ اللَّيْلِ والنَّهارْ
رَأَيْتُها تَغَصُّ ...
تَتَّقِينا بالذُّهُولْ
تُحَرِّكُ الشِّفَاهْ
فَتَجْمُدُ الحُروفُ في الشِّفَاهْ
وتُسْبِلُ الجُفُونْ
كَأَنَّها خَرْسَاءُ لا تُبِينْ .

في حين يجسد الشاعر عبد السلام هاشم حافظ مأساة الشاب (رؤوف) ، الذي حرص على إشعال قناديل فرحه في بيئة غير بيئته ، ليفيق على مطامع عروسه وأهلها ، وقبل ذلك على المسافة الشاسعة بين العادات والتقاليد التي نشأ عليها وبين ما يراه ماثلاً أمام عينيه في بيئة زوجته ، مبدياً ندمه العميق على تفريطه في فتاة بلاده ، ومعلناً عودته إليها (١) .

وَدارَتْ بِذِهْنِ رَؤُوفَ الفِكَرْ

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ (١) ، ص٦٢٦-٦٢٧.

يُرَدِّدُ في نَفْسِهِ الحَائِرهْ :

أَكُنَّا نُمَثِّلُ هذي السَّخَافَهْ

يرى النَّاسُ فيها الفَرَحْ

وعنها نَقُولُ سَتَغْدُو خُرَافَهْ

فلا فَرْقَ بين الرُّبَا و (القَرَافَهْ)

وكَانَ اخْتِباراً عَتِيًّا

فهل كُنْتُ غِرًّا غَبِيًّا ؟

وهل كَانَ حَتْماً أَغَصُّ بِعُرْسِي ؟

وَتَزْهَقُ نَفْسِي

ولم أَجْنِ إلاَّ المَصَائِبْ

فَأَيْنَ غَفَلْتُ عن الحَاضِرِ

وكَيْفَ تَرَدَّيْتُ كالخَاسِرِ

عَمِيتُ عن الواقِعِ المُظْلِمِ

ولابُدَّ من أَنْ أَعُودْ

لِحُرِّيَّتي الضَّائِعَهْ

لِبلْدَتِيَ الرَّائِعهْ

وأَخْتَارُ منها شَرِيكَةَ عُمْرِي

وما لي سِوَى اللَّهِ عَوْناً نَصِيْراً .

ولما كان الزواج رحلة طويلة ، ومسئولية جسيمة ، تتخللها الكثير من المعاناة ، وليس رحلة ترويحية ، وإسرافاً في نيل الأماني والأحلام ، خاصة من الفتيات ، رأينا الشاعر السعودي حريصاً على توجيه فتيات مجتمعه ، حتى يكن خير معين لأزواجهن على تحمل أعباء الحياة الزوجية ومتطلباتها ، وحثهن على القيام بحقوق أزواجهن عليهن ، والحرص على مواصلة السير بسفينة الأحلام التي تقلهم ، وجعلها قادرة على مواجهة الرياح العاتية ، والزوابع المثيرة للأمواج .

فهذا الشاعر إبراهيم فودة يقدم النصيحة ، ويحسن في الحث والتوجيه لفتيات مجتمعه ، وهو يوصي بنتيه بزوجيهما خيراً (١) :

أَوْصَيْتُهُنَّ بهـم بِرّاً ومَـرْحَمَةً ... وطَاعَةً بِمَعَانِي الخَـيْرِ تَلْتَـزِمُ
وأَنْ يَكُنَّ لِبَاسَ السِّتْرِ مُتَّشِـحاً ... بالنُّورِ يَسْطَعُ مِنْهُ السَّعْدُ والشَّمَمُ
وأَنْ يَكُـنَّ رُواءَ الـرُّوحِ لاهِبَـةً ... بالحُـبِّ ظَـامِئَةً لِلْحُـبِّ تَلْـتَهِمُ
وأَنْ يَكُـنَّ غِـذَاءَ الفِـكْرِ يَـأْلَفُهُ ... قُوتاً ولا يَتَعَرَّى فَوْقَـهُ الدَّسَـمُ
وأَنْ يَكُنَّ رَفِيقَ الدَّرْبِ يَسْـلُكُهُ ... وعراً فَتَمْلَأُهُ من حُـبِّهِ النِّعَـمُ
وأَنْ يَكُنَّ مُعِيناً حَـافِزاً أَبَـداً ... على النُّهوضِ إذا ما زَلَّتِ القَـدَمُ
وأَنْ يَكُنَّ مِثالَ الأُمِّ خَيِّـرةً ... فَكَمْ يَدِينُ لِصُنْعِ الأُمِّ مَنْ عَظُمُوا
بَرَّتْ بِهِنَّ فما كَـلَّتْ ولا بَخِلَتْ ... كِبرِّها بِيَ والأَيَّـامُ تَضْـطَرِمُ

وانتقد الشعراء الإسراف المبالغ فيه في حفلات الزواج[٢]، أو من بعض الزوجات ، غير آبهات بما قد يترتب على ذلك من آثار وعواقب وخيمة في حياة

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (٤٧٢٢) في ١٣٩٤/٨/٨هـ ، ص٥ ، وديوان مجالات وأعماق ، ص٢٠٢ – ٢٠٣ .
(٢) انظر : الأعمال الشعرية الكاملة ، عبد السلام هاشم حافظ ، ج (١) ص٦١٨ .

أزواجهن وأبنائهن ، وفي ذلك يقول العلاف[1]:

أَفي كُلِّ شَهْرٍ مَلْـبَسٌ يَتَجَـدَّدُ   ثَمِـينٌ وحَفْــلٌ بَاهِرٌ يَتَرَدَّدُ ؟
وَتَكْلِفَةٌ يَشْكُو الثَّرِيُّ اطِّـرَادَها   فما بَالُ أَمْثالي وَدَخْلِي مُحَدَّدُ ؟

وقدموا الصورة المثالية التي ينبغي أن تكون عليها الزوجة في بيتها ، حتى يقتفين أثرها ، ويحاولن أن يكن مثلها ، وفي ذلك يقول الجدع [2] :

انْظُـرْ إلى تِـلْكَ التي   تَرْعَى جَمَـالَ ضِـيائِها
وتَصُـونُه فــي بَيْتِـها   وتَعِيـشُ في أَجْـوائِها
تَرْعَى حُقُوقاً في الزَّوا   جِ على طَرِيقِ بَقَــائِها
وإذا مَشَتْ لِنِــضَـالِها   عَمِلَتْ لِرَفْعِ بِنَائِـــها
شَتَّانَ بـين شَـــرِيفَةٍ   بِكَمَالِهــا ورِدَائِهـــا
وَحَقِيرَةٍ ضَاعَتْ مع ال   أَيَّـامِ في إِعْيـــائِها

ولم تتـوقف عطاءات الشـعـراء في شـأن الزواج عند هذا الحـد ، وإنما وجدنا بعضهم يدعو إلى حسن معاملة الزوجات [3] ، وإلى العدل بينهن في حالة اقتران الرجل بأكثر من واحدة [4] ، والتحذير من الخيانة الزوجية وتقبيحها [5]، والتـفـريط من بعض الفـتـيات في الزواج ؛ حـرصـاً منهن على المحـافظة على جمـالهن من أن تطوله أيدي الأزواج فتبطش به ، وتذبله وتذهب بنفحه حضـانة الأبنـــاء والسهر على راحتهم [6] .

---

(١) ديوان الإنسان ، ص٢٦ .
(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص٥٩٣-٥٩٤ .
(٣) انظر : المصدر السابق ، ص١١٢ .
(٤) انظر : جريدة المدينة المنورة ، العدد (٧٣٦) في ١٣٨٦/٥/٢هـ ، ص٤ . والأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٦) ص٢٦٣-٢٦٥ .
(٥) ينظر المصدران السابقان : العدد (٢١٩٣) في ١٣٩١/٤/٢٤هـ ، ص٧ . والمجلد (٥) ص٥٧٤-٥٧٨ .
(٦) جريدة البلاد ، العدد (٤٦٧٢) في ١٣٩٤/٦/١٠هـ ، ص٥ . وديوان ضياء الدين رجب ، ص٣٣٧-٣٣٨ .

وحملوا على بعض العادات الاجتماعية الضارة ،كعدم تمكين الراغب في الزواج من رؤية الفتاة التي يود الاقتران بها قبل إتمام عقد النكاح [1]، وانحسار الزواج سواء للأبناء أو للبنات على الأقارب وأفراد العائلة الواحدة [2] .

إلا أن المتأمل فيما خلفه الشعراء في أمر الزواج وقضاياه وظواهره المتعددة ، يقف على تركيزهم على ظاهرتين اثنتين من ظواهره .

ويبدو لي أن السبب وراء ذلك راجع إلى سريانهما في المجتمع وتفشيهما فيه ، مما حدا بالشعراء إلى الوقوف عندهما طويلاً ،تدفعهم إلى ذلك كله وتغذيهم عاطفة اجتماعية ووطنية صادقة ، هدفها تحصين المجتمع ، والحرص على بقائه سالماً من الشرور والأدواء التي ستنجم – لا محالة – عن ديمومتهما .

والظاهرتان اللتان شغلتا الشعراء وانشغلوا بهما كثيراً هما :

أولاً : ظاهرة غلاء المهور .

ثانياً : ظاهرة إكراه الفتيات على الزواج ممن لا يرغبن فيه .

أولاً : ظاهرة غلاء المهور

من الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالزواج ، ظاهرة غلاء المهور ، التي استشرت في المجتمع واستفحلت عقب الطفرة الاقتصادية التي عاشتها البلاد.

وقد كان لجشع الآباء وحب الظهور من جهة ، والابتعاد عن هدي الإسلام في تيسير المهر والصداق من جهة أخرى ، أثر كبير في تفشي تلك الظاهرة ، وذلك الغلاء الفاحش .

---

(١) انظر : جريدة حراء ، العدد (١٢٢) في ١٣٧٨/١/٢٧هـ ، ص٢ . وديوان أشواق وحكايات ، ص١٨-١٩ .
(٢) انظر : الأعمال الشعرية الكاملة ، عبد السلا هاشم حافظ ، ج (١) ، ص٣٧٨-٣٧٩ .

ولم تخل النصوص الشعرية الموجهة لانتقاد تلك الظاهرة من اللوم لمعشر الآباء ،الذين غرتهم الحياة الدنيا ببريقها الزائف ، وفتنهم المال بسحره الأخاذ ، ليجعلوا من فلذات أكبادهم سلعاً يرجون من ورائها الثراء والغنى الواسع ، وتذكيرهم بتيسير الإسلام للمهر ، وبيان العواقب الوخيمة التي ستترتب على ذلك الغلاء الفاحش التي ستتجاوزهم وفتياتهم إلى المجتمع الذي ينتمون إليه ، ويعيشون من خيراته .

فهذا الشاعر محمد إبراهيم جدع ، يقول ساخراً من سلوك أحد أولياء الأمور المغالين في المهور مع أحد المتقدمين للزواج من إحدى بناته (١) :

إِنْ جَاءَ خَاطِبُ بِنْتِهِ مُتَقَدِّماً   طَلَبَ المكاسِبَ لا يَعِفُّ ويُشْفِقُ
وكَأَنَّها في البَيْتِ سِلْعَةُ رابِحٍ   في صَفْقَةٍ تُشْرى لَدَيْهِ وتُنْفَقُ

ويقول منددا بجشع ذلك الأب وجهله ، طالباً منه الكف عن الوقوف في طريق السعادة التي تنشدها ابنته والمتقدم للزواج بها ، مذكراً إياه بتيسير الشرائع السماوية – بما فيها الإسلام – للمهر والحث على القصد فيه (٢) :

تَوْراةُ مُوسى أو بِعيسى قَبلَـنا   وبِدِينِنا مُثُلٌ تَزِينُ وتُشْـرِقُ
ما قِيْلَ فيها إِذْ تُغَالِي مَهْـرَها   وتَبِيعُ فيها خِطْـبَةٌ وتُسَـوِّقُ
ما كَانَ لِلْعُمْرِ الطَّويلِ هِـدايةٌ   تُثْنِيكَ عن حُمْقٍ يَضُرُّ ويُوبِـقُ
يا صَاحِ أَقْلِعْ عن جَهالاتٍ شَقَتْ   منها النُّفوسُ وأَنْتَ فيـها تَغْـرَقُ
فَإِلامَ ذا الإِسْفافُ منكم والقَـذَى   وإلى متى تَهْوى الهَوانَ وتَعْـشَـقُ

ويبدي الشاعر عبد الله سالم الحميد استياءه الشديد من استشراء تلك الظاهرة ، عبر سؤاله عن الفائدة التي سيجنيها أولياء الأمور من مغالاتهم في

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص٦٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص٦٥٩ .

مهور بناتهم ، مبيناً لهم ما يترتب على ذلك الغلاء من حرمان لبناتهم من الزواج ممن تتوافر فيهم المعايير والصفات التي حث الإسلام على تحريها في الزوج ، حيث يقول (١) :

فما تَبْتَغُوا يا أَوْلِيــــاءَ أُمـــورِنا   من "الطَّمَعِ المَذْمومِ " وهو حَــقِيرُ

ألا تَقْبَلونَ "الشَّهْمَ" صِهْراً مُناسِباً   وتَرْضَونَ فيه "الدِّينَ" وهو غَــيورُ

ويذكرهم بأبناء مجتمعهم العاجزين عن تحصين أنفسهم بالزواج ، بسبب جشعهم وطمعهم ، قائلاً :

ألا أَيُّهــــا الآباءُ والخَطْبُ فادِحٌ   أما هَزَّكُمْ نحو الشَّبابِ "شُعورُ"

رَدَدْتُمْ خَطِيباً جاءَ يَخْطُبُ وُدَّكُمْ   وقد سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ "ضَمِــيرُ"

وما المَهْرُ إلَّا واجِبٌ فَخُــذُوا بِهِ   بِغَــــيْرِ مُغَــالاةٍ فَثَــمَّ فَقِــيرُ

ولانعدم الإشارة إلى تلك الظاهرة ، والتأكيد على استشرائها في المجتمع ، عند شعراء آخرين ، كالغزاوي (٢) ، وعلي الفيفي (٣) .

وقد قدم الشعراء في تصديهم لظاهرة غلاءالمهور ، ومحاولتهم الجادة لعلاجها ، وتخليص المجتمع منها ، صوراً تعكس سلبيتها ، وتبدي للآباء العواقب الوخيمة التي تجرها خلفها على بناتهم وأبنائهم وعلى ا لمجتمع بأسره.

فالشاعر إبراهيم علاف يقدم في قصيدته:(مشكلات الشباب) إحدى الصور السلبية التي ترتبت على ذلك الغلاء الفاحش ، والجشع المشتعل في أحداق وبطون أولياء الأمور ، وقد تمثلت تلك السلبية في اختلال المعايير

---

(١) جريدة الرياض ، العدد (٢٣٠٩) في ١٣٩٢/١١/٢٢هـ ، ص٨ . وديوان أمل جريح ، عبد الله بن سالم الحميد ، ط(٢) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص٦١ -٦٢ .

(٢) انظر : مجلة المنهل ، ربيع الثاني ١٣٨٦هـ ، المجلد (٢٧) ، ص٤٠٨-٤٠٩ .

(٣) انظر : ديوان رحلة العمر ، علي حسين الفيفي ، مطابع الزايدي ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، ط (١) ١٣٩٧هـ ، ص٢٦ ، وص٣٦ -٣٧ .

والصفات المطلوب توافرها في الزوج وتبدلها .

وهو في تلك القصيدة يحكي حكاية شاب مكتمل الرجولة ، مشهود له بالتدين والأخلاق الفاضلة ، تقدم إلى إحدى الأسر طالباً الاقتران بإحـدى بناتها ، وقد أنست به من وقع عليها الاختيار وفرحت به كثيراًبعد أن تمكنت من رؤية ما يشدها ويجذبها إليه خلسة . وما إن فرغ من إبداء رغبته وطلب حاجته ، حتى انصرف تاركاً لأهل الفتاة حرية السؤال عنه .

ولم يتأخر أهل الفتاة كثيراً في البحث والتحري عن ذلك الشاب ، إلا أنهم نشدوا شيئاً آخر غير الأخلاق والدين ، وعندما وقفوا على حاله الذي لم يدخل البهجة والسرور إلى أنفسهم الجشعة ، أوصدوا في وجهه الأبواب ، غير آبهين برأي ابنتهم وسعادتها .

وفي ذلك يقول العلاف منتقداً (١):

وانْبَرى ساري التَّحَرِّي ناشِداً دَخْلاً وَفِـــيرا
يَضْمَنُ التَّرْفِيهَ جَــمَّاً يَجْعَلُ الفَخْرَ قَرِيـــرا
وإذا عُقْبَـــاهُ دَلَّــت أَنَّهُ شَــــبٌّ فَقِــيرا
ليـــس مــا يَمْلِكُ إِلاَّ جُــهْدَهُ يَحْــيا أَجِيرا
إِرْثُــهُ غُـرُّ السَّجايـا بالهُدَى أَزْكَى ضَــمِيرا
وعِصَامِيٌّ هُمَـــــامٌ يَحْصُدُ الجِدَّ مَرِيـــرا
ذُخْرُهُ نَزْرٌ كَفَـــافٌ ليس يَزْدَادُ كَثِـــيرا

إلى أن يقول :

واقْتَضَى المِيعَادُ رُجْعى وارْتَضى عنه سَفِيــرا

(١) المجموعة الكاملة ، ص٤٦٨ -٤٦٩ .

عَادَ لَكِنْ دُونَ بُشْـــرى   فَغَدا الحُزْنُ سَمِـــيرا
كَانَ سُخْفاً من ذَوِيــها   أَنْ يَــرُدُّوا مُسْتَنِيـــرا

ولدى الشاعر علي الفيفي نقف على صورة تعكس مدى سلبية تلك الظاهرة وضررها ، حيث يطلعنا على مأساة فتاة ، ظل والدها يغالي في مهرها حتى بلغت من العمر عتيا دون زواج ، ويجسد حسرتها على نفسها ، وألمها السحيق من ظلم والدها الذي وقف حجر عثرة في طريق سعادتها وتحقيق حلمها في الحياة . قائلاً على لسانها (١) :

إلاَ هي .. أَبَى والدي أَنْ أَعيشَ   كَأَبْنَاءِ جِنْـسِي وأَتْـــرَابِيـــهْ
أَبِي كُلَّـــما جَـاءَهُ خَاطِـــبٌ   يَــــرُدُّ بِلَهْجَتِـه القَـاسِـيهْ
أَيَحْسِبُنِـــي والـــدي سِلْـــعةً   يُحَـــدِّدُ قيمَـتَها الغَـالِيهْ
ولو أَنَّ لي إِخْـــوةً يُنْكِـــرونَ   عَلَيْـــهِ طَريقَـتَهُ الخَـاطِـيهْ
لما كُنْتُ وَدَّعْتُ سِنَّ الشَّـــبابِ   وودَّعْـــتُ أَجْمَـلَ أَحْـــلاميهْ

أما الشاعر أحمد الغزاوي ، فقد زرع تفشي تلك الظاهرة الخوف والهلع في قلبه ، فانطلق بدافع الحرص على سلامة مجتمعه من الشرور والأدواء التي ستنجم عنها ، محذراً من استشراء تلك الظاهرة وديمومتها ، ولافتاً انتباه معشر الآباء المغالين في مهور بناتهم إلى الجرم الكبير الذي يرتكبونه في حق بناتهم وأبنائهم على السواء ، ومن ثم في حق المجتمع الذي يحتضنهم ؛ حتى يتخلوا عن جشعهم ، ويعملوا بهدي الإسلام في تيسير أمور الزواج ، حيث يقول (١) :

كيف السَّلامَةُ تُرْتَجى مِـن أُمَّةٍ   ما هَمُّها إِلاَّ الثَّراءُ الفَـــاحِـشُ
كُـــلٌّ وراءَ خِـداعِهِ مُتَرَبِّـصٌ   وعــلى الدَّراهِمِ كالذِّئَابِ يُحَارِشُ
أَمَّـــا الدِّيــانَةُ والأَمَـانَةُ والتُّقَى   فالسَّهْمُ فيها حَيْثُ يُطْلَقُ طَائِشُ

---

(١) ديوان أجراس ، ص٢٧-٢٨ .

(٢) شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب ، عبد الكريم بن حمد بن إبراهيم الحقيل ، ط (١) ١٣٩٩هـ ، ص٢٣٦ .

ثانياً : ظاهرة إكراه الفتيات على الزواج ممن لا يرغبن فيه

وقد ترتبت هذه الظاهرة على سابقتها ، فنظراً لافتقاد الراغبين في الزواج من شباب المجتمع لما يشبع نهم الآباء من المال ويروي عطشهم ، فقد دفعهم حرصهم على الثراء على إكراه بناتهم على الزواج ممن يستطيع أن يحقق لهم ذلك ، حتى وإن كانوا شيوخاً طاعنين في السن .

والإسلام كما مر بنا آنفاً قد اشترط موافقة المرأة على الإنسان المتقدم للزواج بها ، وأعطاها مطلق الحرية في البقاء مع الإنسان الذي زوجت به بالإكراه أو عدمه .

(فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ جَارِيَةً بِكْراً أَتَتِ النَّبِيَّ - ﷺ - فَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وهِيَ كَارِهَةٌ ، فَخَيَّرَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمْ)(١) .

وحديث ابن بريدة عن أبيه (قَالَ جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَتْ : إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ ، قَالَ : فَجَعَلَ الأَمْرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ قَدْ أَجَزْتَ مَا صَنَعَ أَبِي ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ")(٢).

والنصوص الشعرية التي عرضت لتلك الظاهرة تتفق وتتآزر على نقد إكراه الفتيات على الزواج ممن هم في أعمار آبائهم وأجدادهم ، طمعاً في أموالهم ، دون اعتبار لاحتياجات الفتاة وسعادتها مع الإنسان الذي سترتبط به ، وستعيش معه بقية حياتها .

ويأتي العواد في مقدمة الشعراء الذين تصدوا لتلك الظاهرة وانتقدوها .

(١) سنن ابن ماجه ، المجلد (٢) ، ص٤٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، المجلد (٢) ، ص٤٢٤ .

نلمس ذلك في عرضه لمأساة الفتاة (لمياء) التي دفعها أهلها إلى أحضان شيخ هرم ، لم يعد يقوى على السير في دروب الحياة ، فضلاً عن القيام بواجبات الحياة الزوجية ، طمعاً في الأموال التي عرضها عليهم مقابل الاقتران بها.

حيث يقول واصفاً ذلك الشيخ المتصابي بما يدعو إلى التقزز والاشمئزاز منه(١):

قَرَنُوها قَسْراً إلى رَجُـلٍ نا   مَتْ على قِحْفِ رَأْسِهِ الأَدْهَارُ

شَبَحٌ قد أَحَالَهُ الهَرَمُ المُـزْ   مِنُ شَيْئاً مُهَـزَّءاً سَـيَّارُ

فهو كالمُومِياءِ عارٍ من الـرُّو   حِ ، سَخِيفٌ مُسْتَقْطَعٌ خَـوَّارُ(٢)

لَطَمَتْ وجْهَهُ الحَيَاةُ بِصَـفْعٍ   من قَفَا كَفِّها .. فَفِيهِ انْدِحَارُ

جَازَ تِسْعِينَ حِجَّةً فَدَبِيبُ النَّـمْلِ أَمْضَى من دَلْفِـهِ لو يُـغَارُ

وإذا كانت (لمياء)قد عارضت زواجها من ذلك الشيخ الهرم ، وأرغمت عليه من أهلها ، فإن الفتاة التي عرض مأساتها الشاعر محمد سعيد الخنيزي في قصيدته:(المعبود الثاني) ، لم تكن تعلم أصلاً أن شخصاً ما قد تقدم راغباً في الزواج منها ، ولذلك فقد فاجأها والدها بطلبه منها الاستعداد لحفل زواجها ، الذي أبرم عقده وحده ، وقبض ثمنه وأترع به خزائنه الشرهة ، فلم تحر المسكينة جواباً . وعندما أفاقت من هول الصدمة ، انطلقت الأسئلة من فيها وتوالت تباعاً ، مبدية استنكارها ودهشتها من تزويجها لشخص لا تعرف عنه إلا ما يوحي بثرائه الذي سال له لعاب والدها ، فدفع بها إليه دفعاً ، وكأنها دمية لا تملك من الأحاسيس والمشاعر ما يحمل ذلك الوالد الجشع على مشاورتها وأخذ رأيها في أمر يخصها هي وحدها دون سواها .

---

(١) ديوان العواد ، ج (١) ص١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) المومياء : الجسد المحنط .

يقول الشاعر على لسانها (١) :

إنَّ في ذا الصَّباحِ والــــدِيَ الشَّيْـ ... ـخَ رَمَى بي فَرِيسَةً لِجَـــــــهُولِ
قال : بُشْرَاكِ جَنَّةٌ مــن نَعِـــــيمٍ ... بِقِـــرَانٍ بما جِــــدٍ بَهْلُــــــولِ
أَبتَي مَنْ يَكُونُ هـذا ، أَبِــنْ لـــي ... من شَرِيكي ومَنْ يَكُــونُ خَلِيــلِي ؟
هو نو الثَّـــرْوَةِ العَظِيــمَةِ والجَــا ... هِ وربُّ النُّـضَارِ ... رَبُّ النَّــخِيلِ(٢)
سَتُزَفِّينَ بَعْـــدَ خَمْـــسٍ إِلَيْـــهِ ... فَتَعِيـــــــشِينَ تَحْــتَ ظِلٍّ ظَـلِيلِ
في القُصُورِ البَيْضَاءِ في حُلَّةِ الوَشْـ ... ـي إلى جَنْبِ سَـيِّدٍ مَـأمُـــــولِ
في نَعيمٍ وظِـــــلِّ عَيْــشٍ أَنِيقٍ ... مِثْلِ أَحْـلامِ عُرْسِـكِ المَعْـسُولِ

ويقدم الشاعر عبد السلام هاشم حافظ مأساة أخرى ، حيث يقول على لسان فتاة تئن من جور والدها وطمعه ، ناعية حظها التعيس (٣) :

الأَمْسُ مَاتْ ...
كَفَّنَتْهُ حُضْنَ الحَرِيرْ
من قَلْبِيَ الشَّاكِي الكَسِيرْ
وأبي العَتِيُّ بِمُهْجَتِي (٤)
سَيَبِيعُنِي جَسَداً هُزَالْ
طَيْفاً .. خَيالاً من جَمالْ
لِلْهَيْكَلِ الوَحْشِيِّ من شَرِهِ الرِّجَالْ

(١) ديوان النغم الجريح ، محمد سعيد الخنيزي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ط (١) ١٣٨١هـ – ١٩٦١م . ص٤٨–٤٩ .
(٢) النُّضار : الذهب والفضة .
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج (١) ص ٣٨٧ .
(٤) المقصود بالآباء الذين يبيعون فلذات أكبادهم من أجل المادة والمصالح الشخصية .

وإذا كان طمع الآباء قد تسبب في إكراههم بناتهم على الزواج ممن يفوقونهن في العمر كما مر بنا في النصوص السابقة ، فإن الشاعر عبد السلام هاشم حافظ في قصيدته:(كبدي التي وأدوها)يطلعنا على سبب آخر ، وهو مادي بالدرجـــة الأولى ، حيث يقول على لسان أم (عبلة) التي أحزنها موقف زوجها وذويه من تزويج (عبلة) من الإنسان الذي ترغب في الاقتران به ، لا لسبب وجيه غير أنه من خارج العائلة ، والقيام في الوقت نفسه بإكراهها على الزواج من ابن عمها ، حتى يحافظوا على أموال الأسرة ومواريثها من أن تصل إليها أي يد غريبة [١] :

تَكاثَرَ خُطَّابُها ..
وجاءَ نَبيلُ
بِكُلِّ صَبابَتِهِ والحَنينْ
بِكُلِّ أَمانِيِّهِ الطَّيِّباتْ
ولَكِنَّ زوجي الغَليظْ
أَبوُها الضَّعيفَ الفِكرْ
وإِخْوانُهُ الخَادِعونْ
أَصَرُّوا على قَهْرِها
تُزَوَّجُ قَسْراً بِابْنِ العَميدْ
كَبيرُ بَني عَمِّها ..
لِصَوْنِ المواريثِ لِلأُسْرةِ
لِئَلَّا يُصيبَ الدَّخيلُ

(١) المصدر السابق ، ج (١) ، ص٣٧٨ – ٣٧٩ .

من الزَّهْوِ والثَّرْوةِ ...

لِحَفْرِ قَنَاةِ العَدَمْ

وراحَتْ ضَحِيتَهُمْ غَرْسَتِي...

رَجَائِي الحَبِيبَةُ عَبْلَهْ !..

وليس بخاف أثر ذلك الظلم الفادح من معشر الآباء علـى أنفس بناتهم ، خاصة وأنهن لا يملكن من أمورهن شيئاً ، وليس لهن إلا الإذعان لما يطلب منهن.

وكل الذي يستطعنه الشكوى إلى خالقهن من غلظة آبائهن ، ومن جشعهم الذي أودى بهن في مهاوي الألم السحيقة .

وفي ذلك يقول الشاعر علي زين العابدين متألماً(١) :

ظَلَمُوهَا وزَوَّجُـوهَا أَبَـاهـا ... ويْحَهُم هـل دَرَوْا طَويلَ بُكـاها

سَوْفَ تَحْيا قَرِيحَةَ العَيْنِ تَبْكِي ... نَحْسَ أَيَّامِها وبُؤْسَ صِبـاها

تَشْتَكِي لِلإِلهِ إِجْحافَ أَهْـلٍ ... قَبَضُوا مَهْرَها وبَاعُوا حِمَـاها

ولم يتوقف الشعراء في تصديهم لتلك الظاهرة عند نقد أولياء الأمور على ما يرتكبونه في حق بناتهم فحسب ، وإنما تجاوزوا ذلك إلى مفاجأتهم بسلبيات تلك الظاهرة وعواقبها الوخيمة ؛ لحملهم على الإقلاع عن إكراه بناتهم على الزواج ممن لا يرغبن فيه ، سواء من الشيوخ الطاعنين في السن أو غيرهم .

وتأتي العاقبة التي قدمها العواد في قصيدته :(لمياء) ، في المقدمة من حيث قدرتها على التأثير في أبناء المجتمع ، الذين يأنفون من حياة الذل والهوان ، ويجدون في الموت راحة لهم من أن يعيشوا أذلة صاغرين .

فـ (لمياء) التي أكرهها أهلها على الزواج ممن يكبرها في السن

(١) ديوان هديل ، علي زين ا لعابدين ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ط (١) شوال ١٤٠٤هـ ، ص١٥٩ .

بمراحل، خانها صبرها على برود زوجها وعجزه ، فأرغمتها غريزتها القوية على سلوك دروب الرذيلة والانغماس في أوحالها ، لتجلب العار لنفسها ولأهلها الذين لم يراعوا الفارق الكبير في السن بينها وبين من زوجت به ، أمام بريق أمواله :[1]

وَتَلَظَّتْ (لَمْيَاءُ) بالأَمَـلِ المَحْـ طومِ واشْتَطَّ في أذاها الضِّرَارُ
وارْتَمَتْ في جَحِيمِها وتَمادَى الشَّيخُ في سِجْنِها وسَاءَ الإِسَارُ
وانْتَهَتْ في دِمَائِها صَرْخَةُ الجِنْـ سِ إلى الكَبْتِ واسْتَبَدَّ الأُوارُ
فَتَحَلَّتْ بالاعْتِصامِ عَفَافاً ورَوى الخَطْبَ دَمْعُها المِدْرارُ
غَيْرَ أَنَّ الحُدودَ ضَاقَتْ بهذا الصَّبْرِ واسْتَعْبَدَ الفَتَاةَ انْذِعارُ
وأَلَحَّتْ على فضَائِلِها الحَا جَةُ والطَّائِشونَ والأَشْرارُ
فَتَرَدَّتْ في بِيئَةِ الإِثْمِ مُقْضِيًّا عليها وقد طَواها العِثارُ
وذَوَتْ أُمُّها من العَارِ والعِلَّةِ يَغْـزُوهُما الطَّوى والصَّغارُ
وانْزَوى قَومُها وشَاخَ أبوها وجَفَاها المُحِيطُ والسُّمَّارُ
فَرَأَتْ أَنَّ في الفِرارِ عِلاجاً من تَبَارِيحِها فَكَانَ الفِرارُ
وتَوارَى من أُفْقِهِ ذلك الكَوْ كَبُ وانْحَلَّ ذَلِكَ النَّوَّارُ

(١) ديوان العواد ، ج(١) ، ص١٣٠-١٣١ .

المبحث الثالث

الطـــــلاق

من القضايا الأساسية التي عرض لها الشاعر السعودي في محيط الأسرة والمجتمع قضية الطلاق ، وما يترتب عليه من ضياع للأبناء ، وهتك لأواصر المحبة والتواصل بين الأسر .

والطلاق « أمر خطير ، أباحه الإسلام على كراهة ، حتى لا يغشاه أحد إلا لضرورة إليه » [1] .

وفي ذلك يقـــول الـرسول – ﷺ– :(أَبْغَضُ الْحَـــلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّـــلَاقُ)[2] .

والنصوص المتوافرة في هذا الشأن ، لم ينظر فيها أصحابها إليه من حيث مشروعيته وبغضه ، وإنما اكتفوا بتقديم بعض دواعيه ومسبباته في المجتمع السعودي ، وألمحوا إلى أثره العميق في وجدان الأبناء وحياتهم .

والناظر في تلك النصوص التي دارت حول الطلاق ، يقف على صدق الشعراء مع أنفسهم والمحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه ، فهم لم ينحازوا إلى جانب الرجل في مسألة الطلاق ، ولم يرموا باللوم كله على المرأة في حدوثه ، وإنما أشركوهما معاً ، وتجاوزوهما إلى الأسرة التي ينتمي إليها الزوجان .

وإذا عدنا إلى الأسباب والدواعي التي ساقها الشعراء ، وجدنا أن أغلبها ينطلق من الأسرة وإليها يرجع ، وكثيراً ما تكون أسرة الزوجة هي المتسببة في ذلك ، لأمرين مهمين :

أولهما : عدم إتاحة الفرصة لكل من الزوجين في رؤية كل منهما الآخر قبل إتمام عقد الزواج .

(١) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، البهي الخولي ، ص٩٩ .

(٢) سنن ابن ماجه ، المجلد (٢) ص٥٠٠ .

ثانيهما : عدم تهيئة الابنة (الزوجة) فكرياً ونفسياً للزواج ، وتذكيرها بما لزوجها عليها من حقوق وواجبات ، وإرشادها بناء على الخبرة الطويلة ، إلى الوسائل والطرق التي تجعلها قادرة على المحافظة على حياتها الزوجية من التصدع والانهيار .

وقليلاً ما تكون أسرة الابن (الزوج) هي المتسببة في حدوث الطلاق ، خاصة عندما تقدم على تزويج ابنها وهو في مرحلة من عمره لا تسمح له بإدارة دفة الحياة الزوجية ، والقيام بأعبائها ، إما لعدم نضجه ، أو لاعتماده عليها في تدبير أمور معيشته ، نظراً لافتقاده القدرة على العمل الذي يجلب له ولزوجه قدراً من الطمأنينة أمام تقلبات الحياة وظروفها .

وأحياناً يكون الزوج هو المتسبب في حدوث الطلاق ، وكثيراً ما يقع من طالبي اللذة والمتعة الذين لا يجدون حرجاً من الزواج والطلاق المتكرر ، لإشباع رغباتهم ونزواتهم .

ويحسن بنا بعد هذا العرض لدواعي الطلاق المستخلصة من مشاركات الشعراء ، أن نباشر النصوص التي حملتها لنا ، وفق تنوع تلك الأسباب والدواعي .

فالشاعر منصور الحازمي يقدم لنا في قصيدته : (الصفقة)، واحداً من تلك الأسباب التي تعجل بالطلاق . فعدم رؤية الزوج لزوجته قبل إتمام عقد النكاح ، واكتفاؤه – بعد أن أوصدت كل الأبواب في وجهه – برؤية الخاطبة لها ، والتي لا يعنيها إلا الكسب ، والسريع منه ، حتى لو ألجأها ذلك إلى الكذب والتدليس على كل منهما . وما إن تقع أحداق كل منهما على صاحبه ، ويقف على ما لا يرغبه ، حتى تثور ثائرتهما ، ويعلن كل منهما تمرده على الآخر ، وربما يصل الأمر إلى انفصالهما ، ولم يمض على احتفالهما بالزواج ساعات .

يقول الحازمي على لسان أحد شباب مجتمعه المتضررين من تلك العادة التي تتنافى مع ما شرعه الله – عز وجل – ، مجسداً مغالاة الخاطبة في وصفها للفتاة التي رغب في الاقتران بها (١) :

وَتؤوبُ خَاطِبَتِي العَجُوزْ
فَأَقولُ إِيهِ ما الخَبَرْ ؟
هاتي فَعِنْدِي تَسْتَوِي الأَفْراحُ والأَحْزانُ....
عِنْدِي صَبْرُ أَيُّوبَ الجَمِيلْ
فَتَشدُّني بِحِكايَةِ العُودِ النَّحيلْ
والثَّغْرِ والطَّرْفِ الكَحِيلْ
والبَدْرِ يُشْرِقُ في الذِّراعِ وفي الجَبِينْ .

وما إن عانق سمعه ذلك الجمال والحسن الفريد ، حتى أشرأبت الأحلام في عالمه ، وتراقصت الأماني في عينيه التواقتين لاحتضان كل تلك المرائي والمشاهد اللطاف ، ليقرر في نهاية رحلته اللازوردية تلك ، الهروب من الوحدة القاسية ، والانطلاق إلى عالم تضوع بين جنباته نسائم المحبة ، وتنثال فيه أصوات العنادل ، راسمة جواً لا يعرف إلا الحب ، ولا تخطر في فضائه الجميل إلا السعادة ولا شيء سواها (٢) :

فَأَضُمُّ في لَهَفٍ على قَلْبِي الضُّلوعْ
ويَكْتَوِي فِيَّ الحَنِينْ
يا كم .. وكم أَطْلَقْتُ أَفْكارِي
وبِتُّ أَضُمُّها
وتَضُمُّنِي

(١ – ٢) جريدة حراء ، العدد (١٢٢) في ١٣٧٨/١/٢٧هـ ، ص٢ . وديوان أشواق وحكايات ، ص١٨-١٩ .

حتَّى لأَخْجَلُ أو أَفِرُّ مع الظَّلام إلى الظَّلامْ .

فلقد تَحَطَّمَتِ « العُزوبَةُ » لا رُجُوعْ !

ولقد وَجَدْتُ « عروستي » فَلْتَرْقُصِ الأَفْراحُ

في بَيْتي .... وفي الكُوى بيضُ الشُّموعْ[1].

إلا أن تلك الأحلام لم تصمد أمام هول الصدمة ، فما إن انتهت حفلة الزفاف ، حتى انطلق وفتاة أحلامه إلى منزل الزوجية ، وهناك حدثت المفاجأة ، لتنقلب أفراحه إلى جحيم ، وتتهاوى تلك الصور الخلابة التي أبدع في رسمها خيال الخاطبة ، فما كان منه إلا أن عاد إلى حياته الأولى باختياره[2]:

وتُزَفُّ لي ....

في ذاتِ يَوْمٍ ماجَ بالأَلْوانِ

والوَرْدِ المُضَفَّرِ ... والطُّبولْ

حتَّى إذا هَدَأَ الضَّجيجْ

وأَغْمَضَتْ عَيْنا القَمَرْ

حتَّى إذا عُدْنَا – أنا وعروسَتي نِصْفِي الجَميلْ –

لِلْعُشِّ ... لم أَلْقَ ما غَنَّيتُهُ

غَيْرَ الضَّياعْ ...

وغَيْرَ غُصَّاتِ الأَلَمْ

وتَهَاوَتِ الأَحْلامُ في صَمْتٍ ذَليلْ

وكذا سَفِينَتُنا رَسَتْ

قَهْراً على شَطٍّ غَريبْ

لأَعُودَ لِلَّيلِ الكَئيبْ .

(١) الكوى : الكو والكوة : الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه .

(٢) جريدة حراء العدد (١٢٢) في ١٣٧٨/١/٢٧هـ ، ص٢ وديوان أشواق وحكايات ، ص١٩-٢٠ .

ويحمل الشاعر عبد السلام هاشم حافظ المرأة مسئولية حدوث الطلاق ، خاصة إذا كانت من الصنف الذي تحمله غيرته المدمرة إلى الشك في نزاهة الزوج ، وملاحقته بالأسئلة التي تفوح منها رائحة الإدانة ، وافتعال الشجار بسبب وبدون سبب .

كل تلك الأمور من شأنها حمل الزوج على تخليص نفسه من ذلك الجو الملبد بالضجر والسأم . وهذا ما حدث لشاعرنا عندما خانه صبره ، ليتجرع بعد ذلك مرارة ابتعاد أبنائه عنه ، وابتعاده عنهم ، وفي ذلك يقول [١] :

الأَسَى يَجْثُو بِصَدْري
والرُّؤَى النَّكْراءُ تَحْبُو في طَرِيقي
في بُعَادِي عَنْكُمُ يا سِرَّ صَفْوي
أَنْتُمُ يا حُبِّيَ البَاقِي وشَدْوِي
يا نَتَاجَ الحُبِّ والزَّوْجِ الغَيورْ .

ويبرر طلاقه لأمهم ، ومن ثم فراقه لهم وابتعاده عنهم،بقوله [٢] :

آهةٌ حَرَّى علينا
يا تُرَى ماذا جَنَيْنا ؟
أَمْ أَطْفَالي تَعِيشُ الشَّكَّ كُلَّهْ
تَصْحَبُ الوِسْواسَ خِلاًّ لا يُفَارِقْ
غَيرَةٌ عَمْياءُ تَأْتِي بِالمهَالِكْ
تَلْبَسُ الظَّنَّ المقِيتْ
في ضَميري لم تَثِقْ في طُهْرِ قَلْبي
طِيلَةَ الأَيَّامِ هذي ...

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج (١) ص٦٠٥ -٦٠٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص٦٠٦ .

والعناد من النساء ، والاعتداد بالنفس على حساب الرجل وحقوقه ، ومن ثم تجاهله ، من الأسباب التى تؤدي إلى الطلاق . وقد عرض لنا الشاعر علي زين العابدين شيئاً من ذلك ، إلا أن الطلاق لم يحدث هذه المرة ، لتدخل الزوجة السريع ، وتذكيرها لزوجها بأبنائه الذين سيشقون كثيراً بسبب فراقهما .

وقد جاءت تلك الأحداث في قصيدتين ، وصف في الأولى معاناته من زوجته التي لا يعجبها العجب ، قائلاً [1] :

كُلَّما حَاولْتُ أَنْ أَكْــــسَبَ حُبَّكْ	زَاغَ عَنِّي
بالرِّضـا والعَطْفِ كم حَاولْتُ قُرْبَكْ	فَانْتَبَـذْنِي
ليتني أَعْلَمُ ما يَجْــذُبُ قَلْـــبَكْ	ليت أَنَّـي
خَبِّريني ما الذي يُرْضِيكِ عَــنِّي	قد عَجِزْتُ
أَنْتِ لو يُرْضِيــكِ أَنْ أَفْـقَأَ عيــني	لَفعَـــلْتُ
لو أَرَدْتِ الرُّوحَ أَنْ تَخْــرُجَ مِــنِّي	لا مْتَثَلْــتُ
بِضْعُ عَشْرٍ قد تَمَضَّتْ في عَـذَابْ	فَارْحَمِيني
لم أَذُقْ مِنْـكِ حَــنَاناً أَوْ ثَــوابْ	فامْنَحِيني
احْفَظِي الأَوْلادَ من سَطْوِ الخَـرَابْ	واحْفَظِيني
سَوْفَ تَجْنِينَ عَلَيْــنا بالــدَّمَارْ	باعْتِـدَادِكْ
سَوْفَ لا يُجْدِيكِ دَمْــعٌ واعْتِـذَارْ	من عِـنَادِكْ
سَــوْفَ لا يَهْنِيــكِ لَيْـلٌ أَوْ نَهَـارْ	من سُهَادِكْ

وما إن أحست الزوجة بهدير غضبه ، حتى سارعت إليه مذكرة إياه بفلذات أكباده ؛ لتهدأ من ثورته ، وتستدر عطفه وشفقته ، فتضطره إلى عدم تطليقها ،

---

(١) ديوان هديل ، ص١٩٧-١٩٩ .

وفي ذلك يقول على لسان الزوجة (١) :

وابْنُكَ الأَوْحَدُ ... هل تَقْتُلُ حُـــــبَّهْ ؟
إِنَّهُ فَرْعُكَ هل تَرْغَبُ شَجْـــــــبَهْ ؟
مَنْ يُنَمِّيهِ ومَنْ يُشْبِعُ جَـــــــدْبَهْ ؟
مَنْ تُرَى يَهْدِيه إنْ أَخْطَــــأَ دَرْبَـهْ ؟
إنْ تَقُلْها مَسَّتِ الطَّـــــــعْنَةُ قَلْبَهْ !

* * *

لا تَقُلْها إنَّهـا تَهْـــــــــــدِمُ بَيْتَكْ
إنْ تَقُلْــــها فالشَّقَـا يَقْــتُلُ بِنْتَكْ
يَقْتُلُ الأُنْثى التي تَصْـنَعُ قُـــوتَكْ
يَدْفِنُ النَّبْعَ الذي رَعْـــرَعَ نَبْتَكْ
لا تَقُلْها إنَّها تُغْـــــــــرِقُ يَخْتَكْ !

ويشرك الشاعر محمد إبراهيم جدع الأسرة مع ابنها في حدوث الطلاق ، وذلك حين تقدم الأسرة على تزويج ابنها وهو لا يزال محتاجاً لرعايتها ، حتى يفرحوا ويتباهوا به أمام الملأ ، دون مراعاة منهم لما ستسفر عنه شمس الغد . وفي ذلك يقـــول (٢) :

تِلْكَ حَالُ العَــاجِلِ السَّـــا عِـــي لِحُـــبٍّ وَوِصَــــالْ
قَــبْلَ أَنْ يَنْضَــــجَ في دَوْ رِ التَّسَامي والنِّضَـــــالْ
قَبْلَ أَنْ يَعْـرِفَ حَقَّ الــــــنَّـسْـلِ في دُنْــيا الرِّجَــــالْ
فَرِحُوا بالإبْنِ في جَـــمْـ ـعٍ كَبِـــيرٍ واحْتِـــــفالْ

(١) المصدر السابق ، ص١٩٤ .
(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٦١٤- ٦١٥ .

فــإذا الفَرْحَـةُ تُــزْوى بَـيْنَ طَيْــشٍ وخَــبَـالْ
وإذا النَّــسْلُ يُقَــاسِــي غَلْــطَةً منــها الوَبَــالْ

وهناك رجال أنعم الله عليهم بالمال ، وعندما لم يجدوا طريقاً ينفقونه فيه، دأبوا على إشباع رغباتهم ونزواتهم ، فتراهم وهم يتزوجون ، وسرعان ما يصدمك نبأ تطليقهم لمن تزوجوهن . وهكذا تمضي بهم الحياة ، دون تحقيق منهم لهدف أسمى يخلد ذكرهم ، سوى إخماد تلك الرغبة التي ما تلبث أن تشتعل ويستفحل أوارها من جديد .

وفي هذا الصنف يقول الجدع [1] :

عِنْدَهُ المَرْأَةُ مَخْــلُو قٌ تَبَدَّى للــزَّواجْ
يُمْكِنُ الإبْــدالُ عنها أَيَّ أُخْرى بانْــدِماجْ
ويُقَضِّـي العُمْرَ يَغْشى كُــلَّ دارٍ لِلــزَّواجْ
هــذه تَأْتي وأُوْلَــى قد رَمَاها بِاعْوِجَــاجْ

(١) المصدر السابق ، ص٦١٣ .

المبحث الرابع
تربيـــة الأبناء

إن تربية الأبناء في مرحلة مبكرة من العمر تربية سليمة من أهم الواجبات الملقاة على عاتق الأسرة . ذلك لأن الأسرة هي المدرسة الأولى في حياة الطفل، فمن معينها الثر ينهل ويعل ، وعلى هدى منها تتشكل شخصيته . فالطفل « حين يولد يولد على فطرة التوحيد ، وعقيدة الإيمان بالله ، وعلى أصالة الطهر والبراءة ... فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية ، والخلطة الاجتماعية الصالحة ، والبيئة التعليمية المؤمنة ... نشأ الولد – لا شك – على الإيمان الراسخ ، والأخلاق الفاضلة ، والتربية الصالحة ... » (١) .

لذا كان لزاماً على الآباء والأمهات واجب الاعتناء بفلذات أكبادهم ، وإعدادهم إعداداً سليماً ، حتى يكونوا ثماراً صالحة ، يجنون والمجتمع الذي ينتمون إليه خيرها في مستقبل حياتهم .

والطريق إلى تحقيق ذلك يبدأ من القدوة الحسنة ، والحرص من الآباء والأمهات على إشاعة المثل والقيم الأخلاقية الرفيعة في محيط الأسرة ، ومن ثم المتابعة الدقيقة لكل ما يصدر عن أبنائهم وبناتهم من سلوك ، والمسارعة إلى تعديل المعوج منها وإصلاحه قبل أن يستفحل ويصبح طبعاً يصعب عليهم تعديله ، أو التخلص منه من الأبناء عندما يشبون عن الطوق .

وقد كان لشعرائنا مشاركات في هذا الجانب ، تمثلت في حثهم معشر الآباء والأمهات على الاهتمام بتربية أبنائهم وبناتهم وتنشئتهم على مكارم

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط(٣) ١٤٠١هـ –١٩٨١م ، جـ (١) ص١٥٢ .

الأخلاق ، وتحذيرهم من الإفراط في الحنان عليهم ، والإغضاء عن الهفوات والأخطاء الصادرة عنهم ، والاستجابة لكل مطالبهم ، درءاً للآثار السلبية التي ستنبثق عن ذلك كله ، والتي سيشقون بسببها كثيراً عند مواجهتهم للحياة وتقلباتها .

فهذا الشاعر محمد حسن فقي يتوجه إلى معشر الآباء حاثاً إياهم على الاهتمام بفلذات أكبادهم ، وتعهدهم بالرعاية والتوجيه ، ومساعدتهم على معرفة أخطائهم التي يقعون فيها وتلافيها ، ومن ثم الحرص على عدم تكرارها ، مؤكداً لهم أن كل ذلك من الواجبات التي يحملها الآباء على عاتقهم تجاه أبنائهم في كل زمان ومكان . ومتى أهمل الآباء تلك الواجبات وقعوا في دائرة اللوم ، وأصبحوا عرضة للتَّأنيب من أبنائهم الذين أهملوا تربيتهم وإعدادهم للحياة .

وفي ذلك يقول (١) :

إذا ولدي أَسَاءَ ولم أَزِعْهُ ... فَإنِّي قد أَسَأْتُ إليه عَمْدا(٢)

فما جَنْوى الأُبُوَّةِ وهي تُلْقِي ... بُنُوَّتَها إلى الأَهْواءِ صَيْدا

رعاكَ اللَّهُ إِنِّي كُنْتُ إِبْناً ... وقد أَمْسَيْتُ بَعْدُ أَباً وجَدَّا

لقد كانوا الحِراصَ عليك فَاحْرَصْ ... عليه وكُنْ لَهُ في الغَيِّ رُشْدا

ويدعوهم العلاف إلى إشاعة القيم والمبادىء الأخلاقية الرفيعة في محيط الأسرة، والحرص على غرسها في أبنائهم في المراحل الأولى من عمرهم ، حتى تصبح تلك القيم والمبادىء جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم المميزة التي سيعرفون بها بين الناس (٣) :

ربُّوا الصِّغارَ على الشَّجاعَةِ إِنَّها ... سِرُّ التَّقَدُّمِ : ما بِهِ نَتَدَرَّعُ

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (١٢٩٣) في ١٣٨٨/٣/٢٩هـ ، ص٨ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٢) ١٩٣ .

(٢) أزعه : أكفه .

(٣) ديوان أشواق وآهات ، ص١١٦ .

وعلى العَــدَالَةِ والتَّــعاونِ خَالِصـاً ... لِلْبِرِّ : ليس رِبـا يَجُــودُ ويُطْمِــعُ
وعلى الصَّرَاحَةِ والتَّسامُحِ والنَّدَى ... وعلى النَّزاهَــــةِ واجْتِهَــادٌ يَنْفَــعُ
وعلى سِوَاها من فَضَــائِلَ جَــمَّةٍ ... الدِّينُ يَجْمَعُــها ومنـــها يَنْصَــعُ

ولأن أطفال اليوم هم رجال الغد الذين سيبلغ بهم المجتمع آماله العريضة ، وعليهم يعول في الدفاع عن حياضه والمحافظة على أمنه ومنجزاته ، نجد الشاعر سعد البواردي يهتم بلفت انتباه الأسرة إلى ذلك كله ، داعياً إلى إعداد الأبناء لتحمل أعباء الحياة ، وحب العمل والتفاني فيه . وحتى لا يساء فهمه ، نراه يتوجه إلى الأبوين مؤكداً لهم أن ذلك لا يتأتى إلا بالحث ، وإشعال جذوة الطموح في حناياهم ، والمتابعة الدقيقة لكل مايصدر عنهم ، ومن ثم توجيههم الوجهة الصحيحة في حياتهم، حتى يكونوا مصدر فخر واعتزاز لهما وللمجتمع الذي ينتمون إليه (١):

أَنَتْرُكُهُمْ في الطَّرِيقِ حَيَارى ... وفي البَيْتِ بين عَصىً وقُبَـلْ
أَنَتْرُكُهُمْ يَغْمِـطونَ الحَـياةَ ... وَيلْقُونَها في مَجَارِي الوَحَـلْ
أَنَتْرُكُهُمْ دُونَ بَعْثٍ جَـــديدٍ ... يَشِيدُ العَرِينَ ويُحْيي الأَمَــلْ

إلى أن يقول :

أَعِــدُّو هُمو شُعْــــلَةً لِلزَّمانِ ... إذا ما خَبَتْ في الحَيَاةِ الشُّعَلْ
دَعُــــوهُمْ لِعِزَّتِها يَعْمَـــــلونَ ... لِنَبْعِ الحَيَاةِ .. ونُبْلِ الأَجَـــلْ
دَعُوهُـــمْ بِأَقْدامِهِـمْ يَمْـلَؤُوها ... ومن وِرْدِهِمْ كُـلُّ ظَــامٍ نَهَــلْ
أَذِ يقُوهُمو الجِدَّ حــــينَ نَجِدُّ ... وطَعْــمَ الدُّعَــابَةِ حــينَ الهَزَلْ
أَعِــــدُّو هُــمو فِتْيَةً قَادِرِينَ ... لِيَــوْمِ الــنِّزالِ إذا مــا نَــزَلْ

---

(١) ديوان أغنية العودة ، ص٧١ -٧٢ .

وإذا كان الشعراء في النصوص السابقة قد خصوا الأسرة – وعلى رأسها الأب – بحثهم على الاهتمام بتنشئة أبنائهم على مكارم الأخلاق ، وإعدادهم لخوض غمار الحياة ، وتسور الصعاب التي تلقي بها في طريقهم ، فإن هناك شعراء توجهوا مباشرة إلى الأبناء أنفسهم ، ساكبين في أسماعهم نصائحهم وتوجيهاتهم . ويأتي الشاعر أحمد قنديل في مقدمتهم ، فقد قاده حبه لحفيده ، وحرصه عليه ، إلى إهدائه مجموعة من الدرر والجواهر الثمينة ، مصحوبة بآماله وتطلعاته ، والصورة التي يحب أن يراه عليها دائما (١) :

وإلى الأَعْلى بِمَرْقَاكَ..
تَطَلَّعْ !!
وعن الأَدْنى .. بِدُنْياكَ ..
تَرَفَّعْ !!
وتَسامَ .. وتَصَدَّرْ
وتَعالَ وتَحَرَّرْ
واقْتَحِمْ كَوْنَكَ .. عَدْواً
لا وَئِيدا ..
واحْتَرِمْ فَنَّكَ .. شَأْواً
لا وَصِيدا
لا تَكُنْ في النَّاسِ بين النَّا
سِ صِفْراً
بل فَكُنْ رَقْماً بِهِ الصُّورَ
ةُ كُبْرى

---

(١) ديوان اللوحات ، أحمد قنديل ، مؤسسة قنديل التجارية ، بدون تاريخ ، ص١٢٤-١٢٧ .

وبِمَا تُؤْمِنُ : –

عِشْ –

في الكَوْنِ حُرّاً

وبِغَيْرِ اللَّهِ فَرْداً

وبدُونِ العَقْلِ حَدّاً –

لا تَثِقْ – لا تَتَقَيَّدْ !!

فَتَقَدَّمْ وتَجَرَّأْ

لا تَقِفْ لا تَتَعَقَّدْ

إِنَّهُ الدَّرْبُ مُمَهَّدْ

فنحن هنا أمام عدد من المواعظ الهادفة ، والنصائح الثمينة التي تتجاوز حفيد القنديل إلى غيره من أبناء المجتمع . فالتطلع الدائم إلى معالي الأمور، والابتعاد عن سفاسفها ، والاحتكام إلى صوت العقل والتصرف في الحياة على هدى منه ، والإيمان العميق بالله قبل كل ذلك ، من شأنها مجتمعة أن تكون شخصية فريدة لها حضورها القوي والمميز في أوساط الناس .

ويتوجه الفقي إلى ابنه حاثاً إياه على الاقتداء به ، والسير على منواله في الحياة ، حتى لا تتقاذفه الدروب ، ويجرفه التيار إلى آفاق وعوالم لا تتناسب والمكانة والمجد الذي حصله بجهده وكفاحه ، قائلاً (١) :

نَسَلَتْكَ أَصْلابٌ تَدِينُ لِمَجْدِها ... النَّاسُ والأَحْداثُ والأَمْصَارُ

لَكَ أُسْوَةٌ بِأَبِيكَ عَاشَ مُحَلِّقاً ... فَوْقَ السَّحابِ لَهُ هُناكَ مَسَارُ

---

(١) الاعمال الكاملة ، المجلد (٤) ص١٩٥-١٩٦ .

يَرْنُو إلى التَّيَّارِ وهو مُناضِلٌ فَيَحارُ كيف يَجُـــرُّهُ التَّيَّـارُ

ومن حق الآباء الذين دأبوا على تعهد غرسهم الجميل بالتشذيب والتهذيب ، أن يفاخروا بنجاحهم في أداء أدوارهم المتعددة وواجباتهم ، ويباهوا بطيب الثمار التي جنوها وجمالها .

والشاعر إبراهيم فوده أحد أولئك الآباء الذين حملوا على عاتقهم مهمة إعداد أبنائهم وبناتهم للحياة ، وعندما رأى منهم ما أدخل البهجة والسرور إلى عالمه ، انطلق مباهياً بنجاحه ، ومفاخراً بأدائه لواجباته تجاههم ، حيث يقول مبيناً دوره في تنشئة بناته على دعامتي الدين والخلق الحميد ، وتهيئتهن لتحمل أعباء الحياة الزوجية في مستقبل حياتهن والقيام بها على أكمل وجه (١) :

رَبَّيْتُهُنَّ كما يَرْضى الكَمَالُ على رَكِـــيزَتَيْنِ هُمَا البُنْيَانُ والـدِّعَمُ

هما الفَضِيلَةُ: في دِيْنٍ وفي خُلُقٍ والعِلْمُ حَوْلَهُما سُورٌ ومُعْتَــصَمُ

ولِلْجَمَالِ مَعَانٍ ما انْفَـرَدْنَ بــها ولاكُمُلْنَ ولَكِنْ طَــابَتِ القِـسَمُ

رَبَّاتُ بَيْتٍ صَنَاعٌ فــي دَخَــائِلِهِ يُدْرِكْنَ من أَمْرِهِ ما تُدْرِكُ الهِمَمُ(٢)

ولم يغفل الشعراء عن لفت انتباه الآباء والأمهات إلى بعض الأمور التي يقدمون عليها بدافع الحب لأبنائهم ، غافلين عن آثارها السلبية وعواقبها الوخيمة، التي سيشقى الأبناء بسببها كثيراً في مستقبل حياتهم .

فالإفراط في الحنان على الأبناء ، والتغاضــي عن هفواتهم ، والاستـــجابة لكـــل مطالبهم ، من الأمور التي تفسدهم ، وتبذر وتنمي في نفوسهم حب الراحة ، والإخلاد إلى الخمول والكسل والتواكل ، وتجعلهم- في نهاية المطاف - عرضة لتأنيب أبنائهم ولومهم ، خاصة عندما يقفون على فشلهم الذريع في اقتحام الحياة ، وتسور صعابها .

(١) جريدة البلاد ، العدد (٤٧٢٢) في ١٣٩٤/٨/٨هـ ، ص٥ . وديوان مجالات وأعماق ، ص٢٠٢ .

(٢) صناع : امرأة صناع : حاذقة بالعمل .

وفي ذلك يقول الجدع على لسان شاب بالغت أمه في الحنان عليه ، ملقياً عليها باللوم ، ومحملاً إياها نتيجة فشله وعجزه في أن يكون عضواً فاعلاً ونافعاً في المجتمع (١) :

أُمَّاهُ قد أَمْعَنْتِ فـي إيـــــذائِي ... بِحَنانِك الفَيَّاضِ فـي إنْــشَائِي
فَورِطْتُ في كُلِّ الأُمـورِ مُحَــاذِراً ... حَدَّ المَخاطِرِ فَافْتَـقَدْتُ هَــنَائِي
وبَقِيتُ لا أَقْوى علـى نَيْــلِ المُـنَى ... وأَمِيلُ لِلأَوْهامِ فــي أَهْــوائِـي
أُماهُ لو كَبُرَتْ بَنَاةُ مَقَاصِـــدي ... ونَشَأْتُ بالتَّوْجِيهِ في إِنْمَــائِي
لَنَشَأْتُ بين العَامِلِينَ بِهِـــمَّةٍ ... فَيَّاضَةٍ تَرْمي إلــى إعْــلائِي
ونَشَرْتُ بين العَامِلينَ رِســالَتِي ... وفَرَضْتُ نَفْسِي في طَرِيقِ رَجَائِي
وعَلَوتُ عن سُخْفِ النُّفُوسِ ووَهْمِها ... وبَقِـــيتُ حُـرَّاً لا يُـهَدُّ بِنَائِي
أُمَّـاهُ مـا نَـيْلُ الفخَـــارِ طَرَاوَةٌ ... ومُيــوعَةٌ تَجْـــنِي على الأَبْنَـاءِ
لَكِنَّ جُـهْداً وارْتِــقَاءَ مَصَـاعِبٍ ... تَسْمُــو بِأَمْثَــالِي إلــى العَلْــياءِ

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص٦٧ .

الفصل الثالث

* * * * * * * *

التكـــــافل الاجتمـــــاعي

التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي مبدأ إسلامي ، شرع إرساء لقواعد العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي . وهو يعني فيما يعني التساند والتضامن والاجتماع من أبناء المجتمع الواحد ، أو الأمة الواحدة (١) .

وأقصد به في دراستي هذه الوقوف إلى جانب الفقراء وذوي الحاجة والعوز من أبناء المجتمع ، ومد يد العون لهم ؛ حتى يتسنى لهم العيش في هذه الحياة في أمن وسلام .

وقد حثت شريعتنا الإسلامية الغراء على ذلك ، ورغبت في التعاون على البر والخير ، وفي ذلك يقول الحق جل شأنه : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ (٢).

ويقول الرسول الكريم - ﷺ - :(**مَثَلُ المُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى**)(٣) .

وجعلت من تمام الإيمان أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، وفي ذلك يقول الرسول - ﷺ - :(**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**) (٤).

وقد استلهم شعراؤنا في هذا المجال قيم الأخوة الإسلامية وما تمليه من مشاطرة على فعل الخير ، دونما منة أو فضل ، فهو حق معلوم أوجبه الله - سبحانه وتعالى - على كل قادر . حيث يقول جل شأنه : ﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم** ﴾ (٥) .

---

(١) المجتمع المتكافل في الإسلام ، د . عبد العزيز الخياط ، ص٧٤ ، « بتصرف » .
(٢) سورة المائدة الآية : ٢ .
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ، ص٢٧٠ .
(٤) المصدر السابق ، المجلد (٣) ، ص١٧٦ .
(٥) سورة المعارج الآية : ٢٤ - ٢٥ .

والشعر المنضوي تحت هذا الإطار غزير ومتنوع ، وحتى يتسنى لنا الوقوف عليه ، رأينا تناوله في ثلاثة مباحث ، وهي :

المبحث الأول : التعريف بالفقراء والمحتاجين في المجتمع والتذكير بهم .

المبحث الثاني : الدعوة إلى مد يد العون للفقراء والمحتاجين ومساعدتهم .

المبحث الثالث : المشاركة في بعض الحوادث والكوارث الاجتماعية .

المبحث الأول

التعريف بالفقراء والمحتاجين في المجتمع والتذكير بهم

وقف الشعراء السعوديون عند نماذج عدة يشع من جنباتها الفقر والحاجة والعوز ، كالطفل اليتيم ، والشيخ الطاعن في السن ، والفتاة البائسة الحزينة ، والأرملة العفيفة ، والرجل المسن ، وسكان البادية من أبناء مجتمعهم .

إلا أن اهتمامهم – كما تفصح النصوص – قد تقاسمه اليتيم (ذكراً أو أنثى) ، والمرأة البائسة الفقيرة (شابة أو أرملة) ، مع عدم إغفال الحالات التي أشرت إليها آنفاً .

ويبدو لي أن السبب وراء ذلك الاهتمام راجع إلى مخاوف الشعراء من انحراف ذلك الطفل اليتيم المحروم من كل متع الحياة وملذاتها عن الجادة ، وسلوكه دروباً وعرة ، لا تجعله – في نهاية المطاف – فرداً صالحاً يعول عليه المجتمع كثيراً في المشاركة في نهضته وتطوره ، والمحافظة على أمنه ومنجزاته .

وما قد يحدث لتلك المرأة ، إن ظلت تعاني من فقرها المدقع ، فقد يدفعها الجوع وسطوته ، إلى التضحية بحيائها ، وإراقة شرفها ، واحتراف ما يبلغها غايتها ، ويمكنها من تدبير أمور معيشتها .

وفي ذلك خطر عظيم ، على مجتمع يكاد يكون فريداً في حياتنا المعاصرة في المحافظة على الشرف والعفة والمروءة .

ولنتوقف في بداية رحلتنا مع النصوص الشعرية التي عرضت لتلك الحالات عند اليتيم الذي حظي باهتمام الشعراء ، فاستلهموا معاناته ، ودعوا إلى كفالته وإعانته ؛ حتى يكون فرداً صالحاً في المجتمع .

والمتأمل في تلك النصوص يقف على توفيق الشاعر السعودي في تصويره

لليتيم ، وبراعته في استثارة عواطف أبناء مجتمعه القادرين على مساعدته ، وتهييج مشاعر الشفقة والرحمة فيها ، عن طريق رسمه لمعالم وآثار الفقر البادية عليه ، وتجسيد معاناته النفسية وأبعادها ، بعد فراقه لأحد أبويه أو كليهما معاً ، لا سيما في يوم العيد ، حيث تتضح المفارقات بينه وبين لداته من أبناء المجتمع ، الذين ينعمون في ظل والديهما بكل ما يدخل البهجة والسعادة إلى أنفسهم ، خاصة الأغنياء وميسوري الحال منهم .

والذي يلفت النظر ، أن اليتيم في كل التجارب الشعرية التي عرضت له دائماً يكون طفلاً صغيراً في السن . ولعل ذلك راجع إلى إحساس الشعراء بعمق مأساته التي يعيشها ، وبمدى حاجته – وهو في مثل تلك السن – إلى من يعوله ويحنو عليه ؛ حتى يذهب روعه من قسوة الحياة ، وتعود إليه الطمأنينة التي فقدها بفقده لأبويه أو أحدهما .

فاليتيم عند الشاعر حسن بن عبد الله القرشي ، عانٍ ، مشرد الفكر ، يتصارع الألم بين جنبيه ، يديم التحليق ببصره في الفضاء الرحيب ، فيقتنص رؤى الغد المليئة بالفواجع والأحزان ، في ظل غياب الفرقدين اللذين كانا يضيئان له حياته ، وتركهما له وحيداً ، يصارع الصعاب ، رغبة في الحياة (١) :

أَيُّ عانٍ مُشَرَّدِ الفِكْرِ سَـاهِرْ لَفَّـهُ اللَّـيلُ مُكْـفَهِرَّ السَّـتَائِرْ
الصِّبا الغضُّ طَيُّ بُرْدَيهِ لَكِـنْ مِلْءُ أَجْوائِهِ اللَّظَى والهَـواجِرْ
يَتَظَنَّى الحَيَاةَ زَوْرَقُـهُ الحَـيْـ ـرانُ في لُجَّةِ الخِضَمِّ الثَّـائِرْ
ويرى النَّاسَ في مَواكِبِ بِشْرٍ حَافِلاتٍ وهو الغَرِيبُ المُحَـاذِرْ
شَاخِصٌ والرُّؤَى لِعَيْنَيْهِ أَشْـبا حُ جِهامٌ تَرْعى الوَحِيدَ المُسَامِرْ

ولأنه طفل لم يقو على مواجهة الحياة بعد ، فقد خلف رحيلهما في أعماقه

(١) مجلة المنهل ، ربيع الثاني ، ١٣٦٦هـ ، المجلد (٧) ص١٧٣ –١٧٤ ، وديوان القرشي ، المجلد (١) ص٢٢٢–٢٢٣ .

حزناً سرمدياً ، ذلك لأن أحلامه وأمانيه كطفل مقبل على الحياة ومباهجها لن تتحقق . وقد صعد ذلك من أحزانه ، وأشعل أوارها في حناياه ، مما جعله يصب سخطه على أبويه ، كما فعل ذلك (أبو العلاء المعري) من قبله :(هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد) لأنهما - كما سولت له نفسه - أصل شقائه وبؤسه (١) :

لیس تَدْرِي طَعْمَ الرُّقادِ عُيوني غَيْرَ تَذْرِيفِ ضَوْئِها المتَناثِرْ
إيهِ أُمِّي ، أبي تعالا خُذاني واقْهَرا قَسْوةَ الزَّمانِ الجَائِرْ
أَنْتُما أَصْلُ شِقْوتِي وابْتِئاسِي فَامْضِيا بي حَيْثُ النَّعيمُ المُبَادِرْ
حَيْثُ يَسْري الدِّفءُ اللَّذيذُ بِنَفْسِي بَعْدَ بَرْدٍ عاتي الطَّبِيعَةِ جَائِرْ
حَيْثُ أَشْدو كالطَّيْرِ لا هَمَّ يُضْنِيـ ني ولا تَحْتَوِي فُؤادي المَخَاطِرْ
أَيَظَلُّ الصَّدى يُرَاوِدُ أُذْنِي لا أرى في الحَيَاةِ بي غَيْرَ ساخِرْ

ويختلف تماماً يتيم البواردي عن يتيم القرشي ، ففي الوقت الذي نجد فيه يتيم القرشي مشدوداً إلى الحياة ، عبر نداءاته المتكررة لأبويه ، ورغبته في النعيم، والتحليق في الأجواء كبلبل غريد ، نجده عند البواردي زاهداً في الحياة ، تعانق عينيه أجواء سوداوية ، فهو لا يتوقع - وهو في مقتبل العمر - إلا الإهانة والذل ، والجوع والتشرد والضياع (٢) :

لقد يَئِسْتُ بِأَنِّي حَقِيقَةٌ في الحَيَاهْ
مُذْ غَلَّ خَطْوي التَّجَنِّي وظِلُّ دُنْيايَ تَاهْ
مُذْمَاتَ في أُفْقِ دَارِي حُلْمٌ تَلاشَى صَغِيرْ

---

(١) ينظر المصدران السابقان : مجلة المنهل ، ص١٧٣-١٧٤ . وديوان القرشي ، ص٢٢٤-٢٢٥.
(٢) ديوان أغنية العودة ، ص٨٣ .

وَدكَّ ليَـْـلي نَهَـارِي　　　حتَّى تَهاوَى ضَـــرِيرْ

ولا نَـصيرَ لِصُـبْحِي　　　إلَّا البُكـا والأَنِــينْ

ولا ضِـمادَ لِجُـرْحي　　　إلَّا غُبَـارَ السِّنِـينْ

ويجـأر بالشكوى ، ويصب سخطه على الأيام ، وعلى الناس اللاهين عن معاناته بأبعادها الحسية والمعنوية ، قائلاً (١) :

يا وَيْـحَ أيَّـامِ عُمْـرِي　　　كم ناصَبَتْنِي العَـذابْ

فكَـانَ لِلْيُـتْمِ أَمْـرِي　　　وكَانَ حُلْمِي سَـرَابْ

فما وَجَدْتُ نَصِـيراً　　　أَشْكِي لَـهُ بِدُمُـوعِي (٢)

عُمْراً تَعَرَّى ضَـرِيراً　　　مَـا بين رَوْعِي وجُوعِي

وليس بخاف أثر الصورتين السابقتين اللتين حملتا معاناة اليتيم في عالم المتلقي . فهما قادرتان على إثارته ، ونثر المخاوف في دروبه ، وإشعال فتيل الأسئلة في عالمه ، ومن ثم حمله على المسارعة إلى احتوائهما قبل أن تستفحل معاناتهما ، فكلاهما معرض للانحراف إن ظلا يرتعان في حياتهما تلك ، لأن عدم بلوغهما الحياة التي يطمحان إليها سيزرع في نفسيهما الحقد والكره لكل ما حولهما . وهذان الأمران سيدفعان بهما إلى تهديد أمن الناس وترويعهم ، والاستيلاء على ممتلكاتهم ، وفي ذلك خطر عظيم على المجتمع والمنضوين تحت لوائه .

في حين يقدم الشاعر علي الفيفي اليتيم في حالتين متباينتين ، حالته وأبويه كالشجرة الوارفة الظلال ، يسبغان عليه من حنانهما ما يجعله دائم الابتسام، مشرق الوجه ، هادئ البال ، لا يكدر صفوه وأنسه مكدر ، وحالته وقد اقتلع

---

(١) المصدر السابق ، ص٨٤ .

(٢) كذا والصواب ، « أشكو »

الموت تلك الشجرة ، ليزول الظل ، ومعه شمس أيامه المشرقة ، لتتحول الأيام والحياة بعدئذٍ إلى أهوالٍ ومآسٍ جسام (١):

أَيُّ هَوْلٍ وأَيُّ خَطْـــــبٍ جَسيمِ لا يُساوى بِهَوْلِ هـــذا اليَتيمِ
كَانَ بالأَمْسِ باسِـمَ الثَّغْرِ يَـبْدو هَادِىءَ البَالِ من جَميعِ الهُـمُومِ
عَاشَ في ظِـلِّ والِدَيْـهِ عَزيــزاً ناعِمـــاً بِالحَنـانِ والتَّـكْريمِ
كُلَّما قَالَ : يا أَبي قَـالَ : لَبَّـيْـ كَ فَقَدْ كَانَ كالصَّدِيقِ الحَـميمِ
وعلى وجْهِهِ الصَّغِيـرِ عَـلاما تُ الرِّضَـا والهَنَا وكُـلُّ النَّـعِيمِ
ليس يَدْرِي بما تُـكِنُّ اللَّـيالي من شَــقاءٍ لَـهُ وكَـيْدٍ عَظيـمِ
صَارَ ما بين لَيْــلَةٍ وضُـحَاها بَاهِتَ الوَجْهِ شَاحِباً كالـسَّقِيمِ

ففي هذه الأبيات توجيه لمعشر الآباء ، وإشعار بأن أبناءهم معرضون لمثل هذا التقلب في الحياة من نعيم إلى بؤس ، فعليهم أن يعطفوا على مثل هذا اليتيم،حتى إذا صار أبناؤهم أيتاماً وجدوا من يعطف عليهم ويواسيهم .

وإذا كان الشعراء في النصوص السابقة قد وقفوا عند اليتيم ، وصوروا معاناته وآلامه في كل أيام حياته ، فهناك من الشعراء من تعمد تصويره، وتجسيد ما يمور في وجدانه،في الأيام التي ترتسم فيها البهجة على أحداق الجميع وقسمات وجوههم ، كأيام العيد .

ويأتي الشاعر أحمد العربي في مقدمة شعرائنا الذين اهتموا بإبراز معاناته في تلك الأيام ، حيث قدم لنا صورة تحمل في فضائها وبين زواياها مشاعر وأحاسيس طفل يتيم ، خرج من داره صبيحة يوم العيد ليحتفل مع

---

(١) ديوان رحلة العمر ، ص١٧ .

رفاقه ، وعندما وقعت عيناه عليهم هاله منظرهم وهم يرتدون أجمل الثياب وأغلاها ، فانكسر الصغير ، وانطلقت عبراته ، راسمة حزنه من واقعه المرير ، وما هي إلا لحظات فإذا هو لائذ بحضن أمه ، ولسان حاله يقول : لم لا أكون مثلهم ؟! فما استطاعت المسكينة مغالبة أحزانها ، فانكفت تبكي ، معلنة – بلا تلفظ – عجزها عن تحقيق كل ما يتمناه طفلها اليتيم ويحلم به (١) :

أَيُّهــا العِيدُ رُبَّ طِــفْلٍ يُعَــانِي ... فيْكَ من بُؤْسِهِ عَــذابَ الهُـــونِ
هَاجَهُ تِرْبُهُ بِمَلْبَسِــهِ الـــــزَّا ... هِي وكم فيه لِلْغَبَا مــن فُــنونِ؟!
فَرَنا نَحْوهُ بِطَـــــرْفٍ كَلِيـــلٍ ... ليس يَقْوى على احْتِمالِ الشُّـجُونِ
ثُمَّ ولَّى والحُزْنُ يَفْرِي حَــشَاهُ ... مُسْتَغِيثاً بعَطْــفِ أُمٍّ حَــنُونِ
وجَثَا ضَارِعــاً إِلَيْهــا يُنَـاجِيـ ... ـها بِدَمْعٍ من مُقْلَتَـيْهِ هَــتُونِ
ويـُحَها ما عــسى تَنَالُ يَـدَاها ... وهي خِلْوُ الشِّمالِ صِفْرُ اليَمِــينِ
كُــلُّ ما تَسْتَطِيعُــهُ عبَــراتٌ ... من عُيونٍ مُقَرَّحــاتِ الجُــفُونِ

ويعتمد البواردي في تجسيده لمعاناة اليتيم في العيد ، وإبراز أبعادها المختلفة ، على الحوار الذي أداره بنجاح ، بين طفل يتيم معدم ، وآخر ينعم بحنان والديه وعطفهما ، حيث يقول على لسان ذلك الطفل المبتهج بالعيد وملابسه الجديدة ، بعد أن أدهشه منظر صنوه اليتيم البائس (٢) :

ابـْنُ مَنْ أَنْتَ ما لِــوجْهِكَ كالفَقْـ ... ـرِ ذَليلٌ تَضِجُّ فــــيه الكآبَــهْ؟!
لا أَرَى بَسْمَــةً تُداعِــبُ جَـفْـنَيْـ ... ـكَ فَتَمْحُو من نَهْرِ رِيقِكَ صابَهْ !
أَنْتَ في العِيدِ .. أين بُرْدَتُكَ البَيْـ ... ـضا تَكَلَّمْ لِلَّهِ مـــاذا أَصَـابَهْ ؟!

---

(١) وحي الصحراء ، ص١١٤.
(٢) ديوان اغنية العود ة ، ص٩٦ .

وقد كان لتلك الأسئلة البريئة التي انطلقت من فم ذلك الطفل مفعول الشرر حينما يسري في الهشيم ، فقد حركت لواعج ذلك اليتيم ، وأثارت ما كان مكنوناً في وجدانه من آلام ثقال وأحزان دفينة . فما إن أنهى ذاك سيل أسئلته ، حتى بادره الآخر بشكواه المرة من سوء حاله ، وصمت وإحجام من حوله عن مديد العون له ، وانتشاله من قعر المعاناة التي يتجرع صابها منذ أن أقبل على الحياة (١):

إِنَّنِـــى جائِعٌ شَرِيدٌ بـــــــلا أَهْـ ـلٍ وظِلٍّ حَمَلْتُ وَهْني وَوَهْنَـــــكْ

مُنْذُ أَنْ كُنْتُ ما تَذَوَّقْتُ أَعْــــــيا داً ولا ذُقْتُ في حَيَـاتِيَ فَـــــرْحَهْ

خَلَّفَتْنِي السِّنــونَ لِلآهِ وحْـــــــدِي ورَمَتْنِي الشُّجونُ ذُلاًّ وقُـــــــرْحَهْ

وعُيُــونِي ما كَـحَّلَتْها تَـبَـــاشِيـ رُنَهَا رِحُلْوٍ ... وكم رُمْتُ صُـــبْحَهْ

أَيْنَــهُ العِـيدُ ويْحَ قَـلْبِكَ كـــم يَقْـ سُو فما العِيدُ في حَيَاتِي وعُـمْرِي؟

كم خطا القادِرونَ في فَرْحَةِ الأَعْـ يادِ ثَمْلى ومـا وَعَـوا فـــيه أَمْرِي

إِنَّما العِيـــدُ أَنْ يُهَــادِنَنِي الجُــو عُ ولــو مَــــرَّةً فَيُثْــلِجَ صَـدْرِي

وكما استوقف اليتيم ومعاناته الشاعر السعودي في يوم العيد وغيره من الأيام ، فقد استوقفته الفتاة البائسة الفقيرة ، والأرملة التي ما تزال في ريعان الشباب .

والنصوص الشعرية التي عرضت لهذين النموذجين ، تكشف عن تفاوت الشعراء البين في طرق العرض والتناول .

فهناك شعراء اكتفوا بالوقوف عند مظاهر الفقر وآثاره الخارجية البادية عليهما ، محاولين عبر ذلك الرصد استدرار مشاعر العطف والشفقة عند جمهور المتلقين .

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٦-٩٧.

وهناك من تجاوز المظهر الخارجي ، إلى تجسيد المشاعر والأحاسيس والهموم المتصارعة في عالم كل منهما .

في حين استطاع عدد من ا لشعراء الجمع بين المظهرين ، وتجاوزهما إلى إبراز الآثار والعواقب الوخيمة التي ستترتب على استمرار فقرهما وحاجتهما الشديدة إلى المال .

والغاية التي يرنو إليها الشعراء من وراء ذلك ، لفت أنظار أبناء المجتمع إليهما ، ومن في مثل ظروفهما من نساء المجتمع ، والحث على مساعدتهن جميعاً ، حتى لاتضطرهن الحاجة إلى إراقة حيائهن ، والتضحية بعفتهن ، ومعهما كل القيم والمبادىء التي فطرن ونشأن عليها .

ويأتي الغزاوي في مقدمة الشعراء الذين اهتموا بوصف الفتاة البائسة الفقيرة ، وتجسيد معاناتها ، وهي ترى لداتها ممن أنعم الله عليهن بالثراء والمال الوفير ، يتنافسن في اقتناء الملابس الغالية ، بينما تتجرع هي مرارة الحرمان ، وتصطلي بنيرانه (١) :

نَشَأتْ تَحْـتَ سَـــماءٍ غَائِـــمةْ (طِفْلَةٌ) تَحْيا وتَفْنى (صَائِمَةْ)
عالَهـــا حِيـْـناً فلَمَّـا أَيْنَـعَتْ واشْـــرَأَبَّتْ لِلْأَمَــانِي الحَائِمَةْ
عادَ (كَهْلاً) يَعْثُــرُ الخَـطْوُبِــهِ وهـــي تَشْـدُو في رُؤَاهـا واهِمَـةْ
ورأَتْ أَتْرابَـهـا مــــن حَـــوْلِها يَتَنَافَسْنَ (المُروطَ) النَّاعِـــمَةْ (٢)
أَكْـــؤُساً صَـــــافِيةً يَشْرَبْنَها ويُداعِبْنَ (الثُّغُـــورَ) البَاسِـــمَةْ
وهي في (رَيْعَــانِها) مَبْـــهورَةٌ تَارَةً تَسْلو وأُخْـــــرى نَادِمَةْ
وهي من نَسْجِ المُنَى كَـــــاسِيةٌ وهي من سُؤْرِ (المآسي) طَـاعِمَةْ (٣)

---

(١) شعراء الحجاز في العصر الحديث ، عبد السلام طاهر الساسي ، ط (٢) ١٤٠٢هـ،ص ٨٥ .

(٢) المروط : المرط : كساء من خز أو صوف أو كتان ، وقيل : هو الثوب الاخضر .

(٣) سؤر : السؤر : بقية الشيء .

راعَـها (فَقْـرُ) أَبيـها فَبكَــتْ وانْطَوتْ تَشْكُو الهُمومَ الجَاثِمَــةْ
كَبُرَتْ في صَدْرِها (أَشْجَانُــها) وهـي في الخِـدْرِ (الفَتَاةُ) الحَـالِمَةْ
كُـلُّ مـا تَـمْلِكُه من شَــأْنِها أَنَّها في (عُقْرِها) كالسَّائِمَــــةْ(١)

وهي عند فؤاد شاكر ، فتاة عفيفة ، قد هد جسدها الفقر ، وهتكت أسمالها نوائبه (٢):

مَشَتْ وهي في أَسْمَالِها تَتَعَـثَّرُ فَتَاةُ علـيها عِفَّـةُ الطُّهْرِ مِئْزَرُ
تُسَائِلُني فــي ذِلَّـةٍ وتَفَــجُّعٍ ومَدْمَعُها مــن قَلْبِـها يَتَفَــجَّرُ
ومن حَوْلِها طِفْلٌ وأُمٌّ وطِـــفْلَةٌ وشَيْخٌ على أَعْطَـافِهِ يَتَــكَسَّرُ
إذا سَــتَرتْ وَجْـهاً حَيِيَّاً بِبُرْقُعٍ تَبدَّى بِهِ الفَقْرُ الذي ليس يُـسْتَرُ

وعلى هذا النحو من السطحية والمباشرة والاكتفاء برصد آثار الفقر البادية على جسد تلك الفتاة ، تأتي مشاركة الشاعر إبراهيم الـزيد ، ففتاته يتيمة بائسة ، ذهبت بإشراقة وجهها حرارة دموعها ، وقوس ظهرها اللدن جوعها الشديد ، حتى أصبحت غير قادرة على السير في دروب الحياة الطويلة (٣) :

يَتِيـمةٌ قد شَــواها الـوَجْدُ هائِمَـةٌ لم تَدْرِ طَعْمَ الكَرَى .. واللَّيلُ قد مالا
تُصَارِعُ الخَطْبَ إِذْ سُلَّتْ خَنَـاجِرُهُ في صَدْرِها الغَضِّ ..تَمْزِيقاً وإِيْغـالا
تَمْشِي فَتَسْقُطُ من نَجْـلاءِ طَعْنَــتِهِ آهاً من الدَّهْـرِ أَوْجَــاعاً .. وإِذْلالا
تَقَوَّسَ الظَّهْرُ ..بل مَــاتَتْ لُـدُونَــتُهُ وطَـرْفُها السَّاحِرُ القَتَّالُ .. قد دالا
جَبِينُها شَاحِبٌ .. والوجْــهُ مُمْتَـقِعٌ يَرْتَجُّ هَيْكَلُها .. خَطْــباً .. وإِهْـمَالا
وحُمْرَةُ الخَدِّ .. قد جَفَّتْ وقـد ذَبـلَتْ ودَمْعُها السَّاخِنُ الرِّقْراقُ قـد سـالا

ويعتمد الشاعر محمد هاشم رشيد في قصيدته :(ضحايا الإنسانية) ،

(١) عقرها : أي منزلها ، والسائمة : الماشية أو ا لدابة ، وشبهت بذلك لأنها لا تملك من أمرها شيئ .
(٢) ديوان وحي الفؤاد ، ص١٨٧.
(٣) مجلة الرائد ، العدد (٣٤) في ٢٥/٤/١٣٨٠هـ ، ص٣٤ . وديوان المحراب المهجور ، د. إبراهيم الزيد ، نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٨هـ – ص٧٩ .

على اللغة التصويرية الموحية ، بحيث « يحس القارىء لها وكأنه أمام هذه الأرملة البائسة وجهاً لوجه ، يرى منظر الأسى والحزن المتجسد ، وأطياف العذاب التي تطفح من عيونها .. ويرى صورة البؤس مجسماً في جسدها ، وقد أنحلها الهم، وأضناها الغم ، ومزق الدهر ما على جسدها من ثوب حتى بدا جنباها من شقوقه ، وقد نام وليدها على ساعدها (كشلو طعين) حتى يمس أوتار القلوب بمنظر بؤسها وطفلها ، وحتى يستثير في النفس شعور المشاركة الإنسانية»(١)

حيث يقول (٢):

أَبْصَرْتُها في هَـــدْأةِ الشَّـــارِعِ   تَنَامُ فَوْقَ الأَرْضِ فَوْقَ التُّــرابْ
في مُقْلَتَيْهَا نَظْرَةُ الضَّـــــارِعِ   وفي مُحَيَّاها .. ظِلالُ العَـــذابْ
نَامَتْ على الأَرْضِ وطِفْلٌ صَغِيرْ   مُوَسَّـــدٌ سَاعِـــدَها المُجْهَـــدا
تَضُمُّهُ والرِّيـــحُ كالـــزَّمْــهَرِيرْ   تُرْعِشُ نَهْدَيْها ، وتَطْوي اليـــدا
وتَرْفَعُ الأَسْمَالَ عن سَاقِـــــها   عَابِـــثَةً بالجَسَـــدِ الوَاهِـــنِ
والأَدْمُـــعُ الحَـــرَّى بِآمـاقِـها   تُنْبِـــىءُ عن سِرِّ الأسى الكامِنِ
مِسْكِينَةٌ يَخْطُو عليـــها الشِّـــتاءْ   وَيَدْرُجُ اللَّيـلُ الدَّجِـــيُّ الطَّـــويلْ
وجِسْمُها المَكْدودُ تَحْتَ السَّـــماءْ   يَحْنُو على الطِّفْلِ الشَّقِيِّ العَـلِيلْ

ويقدم الشاعر محمد حسن فقي نموذجاً آخر ، فهناك أرملة ، مات عنها زوجها، مخلفاً لها طفلين ولا شيء غيرهما . ولأنها على قدر كبير من الحيوية والجمال ، انهالت عليها الإغراءات ، وتجمهرت حولها الذئاب الآدمية المسعورة ؛ طمعاً في التلذذ بجمالها الآسر . وبرغم فقرها الشديد ، وحاجتها الماسة إلى المال ، إلا أنها لم تستسلم لتلك الإغراءات ، حفاظاً على شرفـــها وعفتـــها من

(١) التجربة الإبداعية عند محمد هاشم رشيد ، د . محمد الصادق عفيفي ، مطبوعات النادي الأدبي بمنطقـة الباحة ، ط (١) ١٤١٧هـ -١٩٩٦م،ص١٤٨ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد هاشم رشيد ، ص١٠٩-١١٠ .

الامتهان . وحتى لا ترغمها الحاجة على ما تأنف منه وتأباه ، شرعت في البحث عن عمل ، تستطيع بعائده إسكات صراخ الجوع في أعماقها ووليها .

يقول الفقي على لسان تلك الحرة العفيفة (١) :

قَدْ جِئْتُ أَسْأَلُ سَيِّدي عَمَــلاً والحُرُّ يَنْجَحُ عِنْدَهُ السُّــؤْلُ
إِنَّ الذِّئابَ غَـدَتْ تُنَاوِشُــنِي وأنا يُذِيبُ حَشَاشَتِي الأَكْـلُ
فَإِذا اسْتَلَنْتُ فقـد تُسَمِّمُـنِي أَمَدَ الحَيَاةِ نُيوبُها العُصْـلُ
فَاعْجَلْ إِلَيَّ فَقَدْ يُدَاهِمُنِـي خَطَرٌ وقد يَتَحيَّـفُ المَـطْلُ
ولو انَّنِي في البُؤْسِ واحِـدَةٌ لم يَطْوِني – لِكِلَيْهِما – الـذُّلُّ

ومثل تلك الأرملة الفاتنة تستطيع أن تعيش العيشة التي تليق بها ، كما تستطيع أن ترتدي أجمل الثياب وتتزين بأغلى الجواهر ، لو أنها ألقت بكرامتها وما نشأت عليه من قيم ومبادىء وراء ظهرها . إلا أنها أبت كل ذلك ، مفضلة العيش حرة كريمة تحت سياط الجوع الملتهبة ، على أن تعيش مرفهة مهدورة الكرامة والشرف ، وفيها يقول الشاعر يحي توفيق (٢):

ولو شَاءَتْ لَعاشَتْ كيف شَاءَتْ مُنَعَّمَةً تُهَدْ هِدُهَــا الإمــاءُ
تَنَامُ على فِـرَاشٍ مِــن حَـــريرٍ وتَفْعَلُ مــا تُرِيـدُ ومـا تَـشاءُ
ولَكِنْ كم يَرُومُ المَـرْءُ أَمْــراً ويَمْنَـــعُهُ ضَـمِيرٌ أو إِبَــاءُ

والتفاوت في تحمل الصعاب بين الناس – لا سيما النساء – أمر بدهي ، وتبعاً لذلك التفاوت قد تضطر المرأة (شابة أو أرملة) أمام قسوة الحياة ، وأنياب ومخالب الجوع الفتاكة ، إلى التضحية مرغمة بأعز ما تملك .

وهذا ما حدث لفتاة الآشي الحسناء ،عندما لم تستطع مغالبة جوعها الشديد.

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ص٥٢٩ .

(٢) جريدة البلاد ، العدد (١٥٤٦) في ١٨/١٠/١٣٨٣هـ ، ص٥ وديوان أودية الضياع ، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، بدون تاريخ ، ص ١١٧ .

يقول الآشي واصفاً تلك الفتاة وما كان منها (١) :

غَادةٌ كالصَّباحِ مَرْأًى وإِشْـــرا قاً وقَطْرِ النَّدى طَهارَةَ نَفْــسِ
صَوْتُها النَّاعِمُ الشَّجِــيُّ كَنـايٍ يُطْرِبُ السَّمْعَ في حَنَانٍ وجَرْسِ
لَفَّها السِّحْرُ بالفُتـــونِ فكَـانَتْ دُمْيَةَ الحُسْنِ في غِلالَةِ عُــرْسِ
لَمَحَتْ في النَّدِيِّ حُرّاً كَـــريماً أَمَّلَتْ فيه كُلَّ خَيْــرٍ وأُنْـــسِ
فَانْتَحَـــتْ نَحْـــوهُ تَبُـثُّ أَسـاها وأَتَـــتْ دَارَهُ تَنُـــوءُ بِيَـــأْسِ
أَسْلَمَتْ عِرْضَها لِتَـأْخُـــذَ مِــنْهُ ثَمَنَ العِرْضِ باخِساً أَيَّ بَــخْسِ

ويشاء الله أن تقع تلك الفتاة البائسة في يد رجل نبيل ، يقدس الشرف ، ويرعى الحرمات ، فقدم لها كل ما تحتاج إليه ، بعد أن قام بتوبيخـها على فعلتها ، وحذرها من تكرار ذلك العرض مهما كانت ظروفها . وفي هذا الموقف الجميل دليل على ما يزخر به المجتمع من نماذج صالحة ، ظلت متمسكة بقيمها ومبادئها في وقت طغت فيه الماديات على كل ما سواها .

يقول الآشي مجسداً موقف ذلك الحر الكريم (٢) :

فَنَهاها وقَالَ وهــو يُنَـــاجِي مُقْلَتَيْها في رَهْبَـــةٍ وتَأَسِّي
يا فَتَاةَ الشَّقاءِ والبُؤْسِ هَوْناً لا تَبِيعي الأَعْلاقَ فِيكِ بِوَكْسِ (٣)

ومن النماذج التي استوقفت الشاعر السعودي في رحلته مع الفقراء والبائسين ومستحقي المساعدة والعون في مجتمعه ، الشيخ الطاعن في السن ، الذي لا يجد من يقوم على رعايته ، أو يمد له يد العون وهو في تلك المرحلة من عمره .

---

(١) مجلة المنهل ، رجب وشعبان ، ١٣٧٤هـ ، المجلد (١٥) ص٤٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص٤٣٢ .
(٣) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء . وكس : نقص .

فها هو ذا الشيخ عند الشاعر عبد الله العثيمين ، قابع في الطريق ، يحاول التقاط أنفاسه المتساقطة ، بعد أن نال منه الإعياء ، تتقاسم سحنة وجهه فلول الشيخوخة ومناسم الفقر والبؤس (١) :

أَبْصَرْتُهُ مُتَغَضِّـــــنَ الـ   قَسَماتِ مُمْتَعِـضَ الأَسِـرَّهْ
وعلى مُحَــــــيَّاهُ رُؤًى   تُبْدِي تَعاسَــتَهُ وفَـــــقْرَهْ
مُتَتابِعَ الزَّفَــراتِ مَـــــــلَّتْ جَــذْوةُ الآهاتِ صَــدْرَهْ
مُتَعَثِّرَ الخَطواتِ شَـــــــلَّتْ مَوْجَـةُ الإِعْـياءِ سَيْـــرَهْ

بينما نجده عند السنوسي سائراً على غير هدى ، تتقاذفه الدروب الطوال ، يقوده أمله إلى كل الزوايا ، ماداً يديه ، رغبة في الحياة (٢) :

أَبْصَرْتُهُ يَمْشِي وقد شَخَصَتْ   عَيْناهُ واعْتَمَدَتْ عَصــاهُ يَـدُهْ
تَهْوِي بِهِ رِجْلاهُ حَيْثُ هَــوَتْ   والدَّرْبُ يَلْفِظُهُ ويَـــــزْدَرِدُهْ (٣)
في كُلِّ زاوِيةٍ لَــهُ أَمَــــلٌ   يَقْتادُهُ من مُحْــسِـنٍ يَجِدُهْ
مَمْــدُودَةٌ يَــدُهُ مُتَمْـتِــمَةٌ   شَفَتاهُ ما يُوحِــيهِ مُعْــتَقَدُهْ

ويضطر ذلك الشيخ الهرم إلى البوح بمعاناته مع الفقر ، والإفراج عن الآلام الحبيسة المكبوتة في حناياه ، إثر إلحاح الشاعر صالح الوشمي عليه بالسؤال عن الحالة التي هو فيها ، وسبب إجهاده لجسده المتهالك وقدميه الواهنتين صباح مساء ، قائلاً (٤) :

لم تَتْــــــرُكِ الأَيَّامُ لــي   مالاً فَأَنْكَـرَني الحَـبِيبْ
رَبَّاهُ لُطْـفَـــــاً إِنَّ عَيْـــ   شي كَانَ بِالفَقْرِ مَــشُوبْ

---

(١) شعراء نجد المعاصرون ، ص١٩٣ .
(٢) جريدة البلاد ، العدد (١٦٦١) في ١٢/٣/١٣٨٤هـ ، ص٣ . والأعمال الكاملة ، ص٣٧٩ .
(٣) يزدرده : يبتلعه .
(٤) مجلة المنهل ، جمادى الأولى ، ١٣٧٩هـ . المجلد (٢٠) ص٣١٨ .

مُنْذُ الطُّفُــولِةِ رَاعَــنِي وازْدادَ عَيْبِــي بالمَــشِيبْ
والبُؤْسَ أَصْبَحَ صَــاحِبِي والجُوعُ لي بِئْـسَ الرَّبِـيبْ

ولدى الشاعر حسين سرحان نقف على نموذج آخر للفقر يختلف تماماً عن النماذج السابقة التي قدمها الشعراء ، حيث يقدم لنا معاناة رجل قـوي مع الفقر ، لا لعيب فيه ، أو توان منه أو كسل ، وإنما لعدم إقبال الناس على شراء واقتناء ما يصنع،نتيجة للتطور الحضاري الذي يعيشه المجتمع في الميادين والمجالات كافة ، وانغلاق الأبواب التي طرقها بحثاً عن عمل أو عون في وجهه ، وفي بيته زوجة وابنان ، ولا طعام لديهم ، فما عساه يصنع وصراخ ابنيه يدوي في أذنيه ؟!

يقول السرحان على لسان ذلك الرجل شاكياً سوء حاله،وقسوة الناس من حوله وغلظة قلوبهم (١) :

حِرْفَتِي بَارَتْ وحَظِّــي عَــاثِرٌ والنَّدَى أَدْلَجَ جُنْحاً من ظَـلامْ
وفَشَا البُخْلُ فما من واجِــدٍ يَتَمَنَّى أَنْ يُسَمَّى في الكِـرامْ
كَلَـبٌ رَانَ على النَّاسِ فهـل تَبْتَغِي في جَذْوةِ القَيْظِ رَبِيــعا؟!
أين مَنْ يُقْرِضُهُ أو يَمْــنَحُهُ ساءَ مَمْسَاهُ وأَبْكَى مَصْبَحُهُ ؟
أَلْفُ بَابٍ أُغْلِقَتْ فــي وَجْــهِهِ وتَحَــدَّتْهُ كِــلَابٌ تَنْبَحُــهُ

فكيف سيتصرف ذلك الأب المفلس بعد أن سدت في وجهه كل الأبواب ، وقد شرع الليل يمد رواقه ويرخي سدوله على الأفق ؟ أيعود من حيث أتى خالي الوفاض؟! وأنى له ذلك وهو يعلم أن زوجته وطفليه يتضورون من شدة الجوع منذ ساعات الصباح الأولى ؟!

---

(١) جريدة عكاظ العدد ، (٦٥٦) في ١٣٨٦/٩/٩هـ ، ص٨ . وقد نشرت تحت عنوان (بين الفهماء وبين الكلمة) وفي ديوان الصوت والصدى ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، نشرت تحت عنوان (المجرم المفلس)، ص ٦٠ .

نقف على إجابة تلك الأسئلة في قول الشاعر حسين سرحان ، لافتاً انتباه المجتمع بأسره إلىعاقبة البطالة وإحجام الأثرياء والقادرين عن مديد العون إلى من هو في حاجتها :

لم يَعُدْ صَبْرٌ وقد أَضْواهُ لَيْـــلٌ فَمَشى في السُّوقِ وانْتَـاشَ رَغيفا
وأَتَاهُ صَـــائِحٌ مِــن خَــلْفِهِ ورأى - فيما رأى - حَشْداً كَثِيفا
أَجْمَعُوا الأَمْرَ وقـالوا : سَـارِقٌ وسَـــرَى الـــقَوْلُ عليه فَأُشِيعا

ولم يتوقف الشاعر السعودي في سعيه الجاد للتعريف بفقراء مجتمعه والمستحقين للعون والمساعدة عند حدود المدينة أو القرية التي يعيش فيها ، وإنما وجدنا منهم من تغلغل في الفيافي والقفار البعيدة عن الأنظار ؛ ليقدم نماذج أخرى غير مشاهدة وألواناً من المعاناة ، لا يشعر بها معظم أبناء المجتمع ، لتعذر الوصول إليها ، ومن ثم الوقوف على حالها واحتياجاتها .

ومن حق تلك النماذج ما دامت تنتمي إلى المجتمع وتنضوي تحت لوائه ، واجب المساعدة والعون ، وتوفير كل ما يلزمها ويكفل لها العيش في أمن وسلام .

ومن شعرائنا الذين لفتوا الأنظار إلى معاناة أبناء البادية ، الشاعر ماجد الحسيني ، حيث قدم في قصيدته :(أفلاذ الصحراء) صوراً عدة ، تجسد بؤس وشقاء أبناء البادية ، وتنضح بمعاناتهم التي لا حد لها (١) :

رُبَّ باكٍ مِــنْهـمُ في لَــيْلِهِ لم يَجِدْ قُوتاً ولم يَلْـقَ رُواءَا
وصَغِـيرٌ فتَكَ الـدَّاءُ بِـهِ وتَراهُ الأُمُّ يَسْتَجْدِي القَضَـاءَا
سَهِرَتْ في جَنْـبِهِ تَرْمُـقُهُ وتُدَاوي صَرْخَةً حالَتْ عُـواءَا
رُبَّ حُبْلى جَهِدَ السُّـقْـمُ بهـا لا القُوى جادَتْ ولا المَقْدُورُ جَاءَا

(١) ديوان ضياع ، ص٤٢-٤٥ .

وضَعَـــتْ في شِقْــوَةٍ أَحْمَــالَهَا　　لِيَــدِ الرَّمْـلِ وأَنَّــتْ بُـرَ حَــاءَا

مَاتَ رَاعِيها وضَــلَّتْ شَــاتُها　　في فَــمِ الـذِّئْبِ فلم تَـلْقَ دِمَــاءَا

عَثَرَ الرَّكْبُ بها فـــي مَنْهَـــجٍ　　وهي تُزْجي الرُّوحَ تَسْتَرْحِمُ(مَاءَا)

وصَـــغيرٌ راقِــدٌ مــن جَنْبِهــا　　يَعْصِرُ الثَّدْيَ ويَسْتَجْدِي خَــواءَا

شَرَدَتْ من شَفَتَيْها هَمْسَـــــةٌ　　ما وَعَيْنَاها فـــهل كَـانَتْ رَجَـاءَا

ورَأَيْـنا خَلْـجَةً فـي طَـــــرْفِها　　ثُمَّ ولَّتْ رُوحُــها تَرْجُو السَّــماءَا

رُبَّ كَـهْلٍ عَصَفَ الجُــــوعُ بِـهِ　　فَمَضَى يَطْلُبُ في الرَّكْبِ مَفَــاءَا

جَاءَ يَسْتَجْـدِي وأَلْـقى ثِقْــلَهُ　　صَارِخـاً في لُجَّةِ الــرَّمْلِ عَياءَا

رَدَّدَ الطَّرْفَ أَسىً في لَـــوْعَــةٍ　　يَـرْمُقُ الـرَّكْبَ الـذي كَانَ تَنَاءَا

وأَرادَ المَشْـــيَ يَرْجُـو مُنْقِــذاً　　من لَظَى الصَّيْفِ فلم يَمْلِكْ قُــواءَا

هَمْهَـــمَتْ في شَــفَتَيْهِ صَـرْخَةٌ　　ورَنَا لِلأُفْــقِ يَسْــتَرْجِي المَسَاءَا

غَيْــرَ أَنَّ الظِّـــلَّ لم يُمْهِـــلْهُ　　فَلْيَمُتْ في وَقْدَةِ الـرَّمْلِ انْتِــهاءَا

فالحسيني في هذه الأبيات يضع المتلقي وجها لوجه أمام ما يعانيه إخوانه من أبناء البادية ، وما يقاسونه في حياتهم البعيدة عن الأنظار ، من جراء فقرهم المدقع ، وانتشار الأمراض والأوبئة بين ظهرانيهم ، وافتقادهم للخدمات والمرافق الضرورية التي تعينهم على مواجهة قسوة تلك الحياة ،وتعينهم على تحملها .

وهي بلا شك تحمل مشاعر إنسانية واجتماعية نبيلة ، تهدف إلى استدرار مشاعر الشفقة والعطف على أولئك المشردين في الصحراء ، ودفع أبناء المجتمع إلى انتشالهم من حياة البؤس والشقاء التي يعانونها ، وتسعى جاهدة إلى خير المجتمع وازدهاره بتعميق أواصر الترابط والإخاء بين أبنائه .

المبحث الثاني

الدعوة إلى مديد العون للفقراء والمحتاجين ومساعدتهم

أتبع الشعراء عرضهم لتلك النماذج التي تستدعي العطف والشفقة بسبب فقرها ، بالدعوة الجادة إلى مديد العون لها ، والمسارعة إلى انتشالها مما هي فيه من الفاقة والبؤس .

وكثيراً ما وجدناهم يعنفون في نقد ولوم البخلاء من أغنياء المجتمع ، وينعون عليهم غفلتهم عن الواقعين بين براثن الفقر والحاجة والعوز من أفراد مجتمعهم ، وإحجامهم عن منحهم حقوقهم الشرعية في أموالهم المكدسة والمكنوزة .

ويأتي اليتيم الفقير في المقدمة من حيث اهتمام الشعراء ، فقد أسهبوا في التذكير به ، والحث على مساعدته والوقوف إلى جانبه .

فهذا الشاعر أحمد العربي يتوجه بخطابه إلى الأثرياء والموسرين ، مذكراً لهم بالأيتام ، وحاثاً إياهم على الرفق بهم والعطف عليهم ، ويلومهم على تقصيرهم تجاههم ، وعدم الإحساس بمعاناتهم ، قائلاً (١) :

أَيُّها المُوسِرُونَ رِفْقاً وعَطْفاً ... وحَنَاناً بالبَائِسِ المَحْزونِ
رُبَّما بَاتَ جَارُكُمْ طَاوِياً جُوعاً ... وبِتُّمْ تَشْكُونَ بُشْمَ البُطونِ
رُبَّما ظَلَّ طِيلَةَ العِيدِ يَسْتَخْفِي ... من الصَّحْبِ قَابِعاً كالسَّجِينِ
يَتَوارَى من سُوءِ مَنْظَرِهِ المُزْرِي ... ومن حَالِهِ الكَرِيهِ المَهِينِ

ويسلك البواردي في دعوته إلى الأخذ بأيدي الأيتام مسلكاً آخر ، من شأنه التأثير في وجدان الأثرياء وغيرهم من أبناء المجتمع ، ومن ثم حملهم على التعاطف مع تلك الثمار التي هي بحاجة ماسة إلى من يتعهدها بالرعاية

---

(١) وحي الصحراء ، ص١١٥ .

والاهتمام ، حتى تنمو وتترعرع وتؤتي أكلها . حيث قام بمنح أحد أبناء الأثرياء الفرصة لمطالبة والده بمديد العون لصبي يتيم ، وقعت عيناه عليه ، فهاله بؤسه ، وهيجت معاناته مشاعر الشفقة والعطف في عالمه الغض ، فما كان منه إلا أن هرع إلى والده ، طالباً منه مساعدة ذلك الصبي ، مذكراً له بحاجته – وهو في تلك السن – إلى كل ما يدخل البهجة والسعادة إلى نفسه ، ويعينه على مواجهة الحياة ، ويخفف عنه أعباءها(١):

ارْحَمْ أبي أَشْلاءَ أَنْفاسِهِ ... فَإِنَّهُ مثلي يُرِيدُ "الحَيَاهْ"

وإِنَّهُ مِثْلي فَتًى يافِعٌ ... سَطَا بِهِ البُؤْسُ فَأَوْهَى "بِنَاهْ"

وإِنَّهُ مِثْلي بَشُوشُ الحَشَا ... (اليُتْمُ) و(الفَقْرُ) أَقَضَّا حَشَاهْ

وإِنَّهُ مِثْلي يُرِيدُ البَقَا ... أبي لَكَ الغُفْرانُ دَعِّمْ بَقَاهْ

وهناك عدد من الشعراء استغلوا بعض المناسبات الدينية للتذكير بالفقراء والمحتاجين ، والدعوة إلى مساعدتهم ، والحث على الإكثار من أعمال البر والخير .

فالشاعران : إبراهيم الدامغ ، وإبراهيم فلالي ، يستغلان قدوم شهر رمضان المبارك ، فيتوجهان إلى الأغنياء والقادرين من أبناء المجتمع ، حاثين إياهم على الالتفات إلى الفقراء والمساكين ، ومد يد العون لهم ، خاصة في مثل هذا الشهر الذي تكثر فيه الأعمال الصالحة ، وتتضاعف فيه الحسنات والأجور .

حيث يقول الدامغ مذكراً لهم بالأيتام وحاجتهم إلى ما يعينهم على مواجهة الحياة ، طالباً مديد العون لهم ، وانتشالهم من معاناتهم وبؤسهم (٢):

صُومُوا وقُومُوا بِبَذْلٍ في تَطَلُّعِكُمْ ... إِنَّ اليَتِيمَ علَى الأَيَّامِ مَعْدُودُ

---

(١) ديوان أغنية العودة ، ص١٠٦ .

(٢) ديوان شرارة الثأر ، إبراهيم الدامغ ، دار العلوم ، الرياض ، بدون تاريخ ، ص٤٩ .

لا تَحْسَبوهُ على جُوعٍ ومَسْــغَبَةٍ   عُضواً أَشَلَّاً فَعَيْشُ الذُّلِّ مَحْـدودُ
جُودُوا عَلَيْهِ إذا هَانَــتْ بَرَاعَــتُهُ   حتَّى يَعُودَ إلى فَيْــنَانِهِ العُـــودُ

في حين تتسع الدعوة لدى الفلالي ، فتشمل الأيتام والأرامل اللائي لا يجدن ما يسد حاجتهن ، خشية عليهن من العثرة التي لا تحمد عقباها (١) :

هَـــلَّا أَضَـــــــــــأْتُمْ بِالزَّكا   ةِ نُفُوسَ أَيْـــــــــــتامٍ صِغَارْ
ومَنَحْـــتُمو سِــــــــرْبَ الأَرا   مِلِ ما يَقِيهُنَّ العِـــــــــــثارْ

وقد نعى عدد من الشعراء على الأثرياء غفلتهم عن تلك الفئات التي ترزح وتئن تحت وطأة الفقر والفاقة ، وإحجامهم عن إعطائهم حقوقهم التي أقــرها الله – عز وجل– لهم في أموالهم .

فالشاعر أحمد الغزاوي يتوجه إليهم محذراً من عواقب تلك الغفلة ، وحاثاً على أعمال البر والخير المشرعة الأبواب ، للقضاء على الفقر ، وتخليص الواقعين من أبناء المجتمع تحت كلاكله ، قائلا (٢) :

أَيُّها المُثْـــرونَ مــا أَغْفَلَكُمْ   هل على الأَرْضِ ظِلالٌ دائِمَهْ
فَاتَّقُـــوا اللَّهَ وآتُـــوا حَقَّهُ   وأَعِينُوا كُلَّ نَفْسٍ هَــــائِمَهْ

وينعي الشاعر حسين أبو بكر قاضي على الأثرياء إفراطهم في الاهتمام بأنفسهم ، وحرصهم على إشباع رغباتها ، وتحقيق كل ما يبهجها ويسعدها ، ونسيان الفقراء والمساكين وما لهم عليهم من الحقوق والواجبات ، وتركهم لهم يتجرعون مرارة الفقر ، ويشرقون بآلامه ، حيث يقول (٣) :

أَيُّها الشَّـــارِبُ مِــن مُخْــتَلِفٍ   يَبْعَثُ الدِّفْءَ .... ويَجْرِي بالدِّماءْ

---

(١) ديوان صدى الألحان ، إبراهيم هاشم فلالي ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٢م ، ص١٠٦ .
(٢) شعراء الحجاز في العصر الحديث ، ص ٨٧ .
(٣) مجلة المنهل ، ربيع الثاني ، عام ١٣٦٨هـ ، المجلد (٩) ص١٧٥ .

أَيُّها الآكِلُ مِمَّـا يَشْتَهِي		حين عَزَّ القُوتُ عِنْدَ الفُقَراءْ
أَيُّها اللَّابِسُ مِمَّـا راقَـهُ		جَيِّدَ الصُّوفِ ثِياباً وعَبَاءْ
حين عَزَّ السِّتْرُ عن ذي حَاجَةٍ		حَائِرِ النَّظْرةِ مَكْتُومِ البُكَاءْ
أَيُّهَا الغَافِلُ فِي مَرْقَدِهِ		أَتَخَيَّلْتَ عَنَاءَ البُؤَسَاءْ؟!

ويتوجه إليهم الشاعر صالح الوشمي مذكراً بالأسس والدعائم التي ينبني عليها صرح المجتمع الإسلامي، ويناشدهم أن يتنبهوا من تلك الغفلة ، ويعلموا أن للفقراء عليهم حقوقاً وواجبات ، وأن عليهم أداءها وانتظار الجزاء والمثوبة من الله.وفي ذلك يقول (١):

أُسُسُ التَّعَاوِنِ رَحْمَةٌ		تَنْجابُ عن عَطْفِ القُلوبْ
ليس التَّعاوُنُ أَنْ نَرى الـ		مُعْتَزَّ تُشْغِلُهُ الخُطوبْ
والمُسْلِمونَ علـى هُدًى		فَصُدودُهُمْ شَيْءٌ عَجِيبْ
اسْمَعْ وصِيَّةَ نَاصِحٍ		أَوْسِعْ لها الصَّدْرَ الرَّحِيبْ
كُنْ خَيِّراً وابْذُلْ يَدَ الـ		مَعْروفِ في نَفْسٍ تَطَيبْ
فَالْمَالُ عَوْنٌ لِلضَّعِيـ		فِ وبَسْمَةُ العَانِي الغَرِيبْ
واصْدُقْ بِعَوْنِكَ مُخْلِصاً		فاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ يُثِيبْ

في حين يعمد الشاعر يحي توفيق إلى إثارة ذكريات المجتمع الإسلامي الأول في حثه لأغنياء مجتمعه على البذل والإنفاق ، لحملهم على اقتفاء آثار تلك الصفوة ، وذلك السلف الصالح ، والسير على منوالهم (٢):

بَنِي دِيني أَعِينُوا مَنْ يُعَانِي		كَفَافَ العَيْشِ يُضْنِيهِ الحَيَاءُ

(١) المصدر السابق ، جمادى الأولى عام ١٣٧٩هـ ، المجلد (٢٠) ص٣١٨ .
(٢) جريدة البلاد ، العدد (١٥٤٦) في ١٨/١٠/١٣٨٣هـ ، ص٥ .

فَإِنْ كُنْتُمْ رَغيدَ العَيْشِ نِلْـــتُمْ فَغَيْرُكُمو يُسَهِّدُهُ الخَـــــواءُ
سَلُوا التَّارِيخَ يُخْبِرْكُمْ بِـــرَبْعٍ أَقَامُوا المَجْدَ يَحْدُوهمْ رَجَــاءُ
أَشَاعُوا الجُودَ في بَذْلٍ كَـرِيمٍ وهَانُوا المالَ رائِدُهُمْ سَخَـــاءُ

وقدم بعض الشعراء في ثنايا دعوتهم الصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها أصحاب المال والثراء في المجتمع .

فهذا الشاعر محمد هاشم رشيد يقول على لسان ثري وقف على معاناة الفقراء والمساكين في مجتمعه ، بعد أن نال منه الجوع والعطش في نهار رمضان (١) :

أَأَنا والحَـــيَاةُ مِلْـكُ يَميـــــني وجَبيني مُتَوَّجٌ بالنُّضَـــــــارِ ؟
لَسْتُ أَقْوى على الصَّدَى ويَقُدُّ الـ جوعُ جِسْـمِي بِسَيْفِهِ البَــتَّارِ
كيــف يـــا رَبِّ هَــؤُلاءِ ومــاذا سَوْفَ يَلْقى الضِّعافُ من أَضْرارِ ؟
رَحْمَةً أَسْبِـــغِ الظِّــلالَ وأَطْـفِئْ بِعَصيرِ السَّحَــابِ قَلْبَ القِــفَارِ!
وأَتَى الكُوخَ قَـــائِلاً : أَيُّهــا القَوْ مُ هَلُمُّوا فَأَنْتُمُو في جِـــــــوَارِ
اهْجُرُوا الكُوخَ وانْزِلُوا فـي رِحَابـي أَنْـتِ أُمِّـي وهَـــؤُلاءِ صِـــغَاري!

ويقول الشاعر ماجد الحسيني على لسان أحد الأغنياء (٢) :

أَيُّهذا الفَقِيرُ ظَــــــلْمٌ إذا بِــــــتُّ قَريراً وبِتَّ بالــــدِّفْءِ سَـاجِي
هَاكَ مالي تَعالَ خُـذْ مِـنْهُ ما شِـئْـ ـت عسى أَنْتَ من أَذَى البَرْدِ نَاجِي
إِنَّ ذا المالَ لم يَكُـنْ لِـي يَـــوْماً إِنَّـــــهُ مِنْكُــمُ يَفِــيءُ إِلَــيَّا
بِعْتُكُمْ سِلْعَتِي وجَـــمَّعْتُ مـــالاً فَلَكُمْ في الحَيَاةِ فَضْـــلٌ عَـــلَيَّا

---

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١١٩٢) في ١٣٧١/٩/٢٣هـ ، ص٨ ،والاعمال الكاملة ، ج (١) ص١٠٤ .
(٢) مجلة الإذاعة السعودية ، العدد (٥٤) رمضان ١٣٧٩هـ ، ص٢٢ .

ولم تتوقف مشاركات الشعراء في هذا الجانب عند هذا الحد، وإنما وجدنا بعضهم يدعو إلى إنشاء المشاريع الخيرية ، ودعمها بالأموال التي تمكنها من النهوض بمهامها على أكمل وجه .

ومن الشعراء الذين لفتوا انتباه أبناء المجتمع إلى ذلك ، حسين سرحان[1]، وضياء الدين رجب[2] ، وعلي حافظ[3] ، وحسين عرب ،الذي يقول منوهاً بالخير الوفير الذي سيجلبه مشروع القرش للفقراء والمحتاجين في مجتمعه [4] :

وفي القِرْشِ آمالٌ جِسَامٌ عَظِيـمَةٌ ومُسْتَقْبَلٌ فَخْمُ التَّصاريفِ نَاصِعُ
يَجُودُ بِهِ المُثْرِي ويَجْـنِي ثِمَــارَهُ فَقِيرٌ ومَنْ أَخْنَتْ عليه الفَوَاجِــعُ
وتِلْكَ حَيَاةُ الشَّعْبِ فيها تَسَابُـقٌ إلى المَطْمَحِ الأَعْلى وفيها تَنَـازُعُ

ويعدد الغزاوي محاسن المشاريع الخيرية ، ويذكر مهامها ، ويرسم التطلعات التي تحث نحوها الخطى ، بدعم أهل الخير لها ، حيث يقول في احتفال جمعية الإسعاف بمكةالمكرمة[5] :

تَاللَّـــــــهِ مـــا الإِسْعَـــافُ إِلَّا سُــنَّـــةٌ وَتَتَبَــــــعُ
هـــو حُجَّــةٌ مَلْــــــمُوسَةٌ تَهْـدِي الغُـواةَ وَتَقْـمَـعُ
هـــو نَوْحَـــةٌ فَيْنَــــــانَةٌ تَضْوِي الفَقِـــيرَ وتَفْـــزَعُ
هـــو أُمَّــةٌ مَيْسُـــــــورَةٌ لِلْخَــيْرِ فيـــها مَوْضِــــعُ
هو قُوَّةٌ مَذْخُـــــــــــورَةٌ فيها العَــــتَادُ يُنَـــوَّعُ
هو رَحْــمَـةٌ فَيَّـــاضَـــةٌ لِلْيُتْــمِ فــيها مَهْـــجَعُ

(١) انظر : جريدة صوت الحجاز ، العدد (٢٤٥) في ١٣٥٥/١٢/٥هـ ، ص١٠.
(٢ انظر : المصدر السابق ، ص١٠ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص١٠ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص١٠ .
(٥) المصدر نفسه ، العدد (١٩٧) في ١٣٥٤/١٢/١٦هـ . ص ٤.

هــــو رَايَــةُ مَنْصُــــوبَةٌ فــــي ظِـلِّها نَتَطَـــــوَّعُ
هو (مَلْجَأُ) و (مَـدَارِسٌ) و(إِغَاثَـةٌ) و (تبَــــرُّعُ)
هــو لِلْمَـرِيـضِ عِـلاجُـهُ ولِبَـائِسٍ مُسْتَـــــودَعُ

وما إن فرغ الشعراء من تذكيرهم بالفقراء وذوي الحاجة في المجتمع ، والدعوة إلى مديد العون لهم ، والمسارعة إلى انتشالهم مما هم فيه من البؤس والفاقة ، حتى رأوا ما أثلج صدورهم ، وأدخل البهجة والسعادة إلى نفوسهم. فدور الأيتام قد أخذت في الانتشار سريعاً لتعم سائر أرجاء البلاد ، ومعها عدد من الجمعيات الخيرية التي غايتها الوقوف إلى جانب الفقراء والمحتاجين ومدهم بكل ما يكفل لهم حياة كريمة . ثم أنشيء الضمان الاجتماعي الذي حمل على عاتقه مد يد العون لغير القادرين على العمل من الشيوخ الطاعنين في السن وكذا الأرامل مع من يعولونهم ، بالإضافة إلى الوقوف إلى جانب العاطلين عن العمل من الفقراء والمرضى منهم ، حتى يتم شفاء المريض ، وينالا معاً تأهيلاً مهنياً يمكنهم من العمل وكسب رزقهم الحلال . وبذلك يكون قد تم انتشالهم من بؤسهم وفقرهم كما أفاد منهم المجتمع في زيادة إنتاجه ، وبنيت الهجر لأبناء البادية ووطنوا فيها (١) .

وقد استقبل الشعراء كل تلك الجهود المبذولة من الدولة – والفرحة تغمر كيانهم – بالثناء والشكر ، والإشادة بالقائمين بها وعليها .

إلاَّ أنهم خصوا دور الأيتام بالكثير من أشعارهم ، وظلُّوا يتتبعون الأيتام بعد أن احتضنتهم تلك الدُّور ، محاولين إظهار الدَّور الفاعل الذي تنهض به ،

---

(١) انظر : معجزة فوق الرمال ، ص ٤٨٥ – ٤٨٧ ، وص ٤٩٠ – ٤٩٨ ، وص ٥١٢– ٥٣٣/والموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ، جـ(٣) ص ١١ – ٤٠ .

والأثر العميق الذي تحدثه في حياة المنضوين تحت لوائها .

فالشعراء : أحمد الغزواي ، وفؤاد شاكر ، وأحمد قنديل ، ومحمد سعيد دفتردار ، أشادوا بتلك الدُّور ، وباركوا أهدافها ، ومساعيها الخيرة .

يقول الغزواي مستبشراً بتلك الدُّور التي ضمَّت في حناياها الأيتام من أبناء المجتمع ، وغدت تغدق عليهم الحنان والعطف ، وتتعهدهم بالرعاية والتوجيه كالأم الرؤوم(١) :

دارٌ تكَـادُ من التَّيَمُّنِ تَنْطِقُ ... وإلى لِقَائِكَ بالتَّحِيَّـةِ تَسْبِقُ
ودَّتْ لـو انَّ لها جَنَاحـاً طَائِراً ... فَتَـظَلَّ حَوْلَكَ بالـدُّعاءِ تُحَلِّقُ
حَفَلَتْ بِأَيْتَامِ البلادِ وأَصْبَحَتْ ... مَـأْوىً لَهُمْ وغَـدَتْ بِهِمْ تَتَدَفَّقُ
جَمَعَتْ شَتَاتَ البَائِسِينَ صِيانَةً ... وحَنَتْ عليهم (كالأُمومَةِ) تُشْفِقُ

ويستلهم الشاعر فؤاد شاكر أحد أحاديث المصطفى - ﷺ - في إشادته بدور الأيتام ، وما يجدونه فيها من رعاية واهتمام(٢) :

خَيْرُ بَيْتٍ في النَّاسِ بَيْتُ اليَتِيمِ ... ذاك من مَنْطِقِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ
وأَبَرُّ الإِحْسَـانِ مَا كَانَ لِلَّـ ... ـهِ خَفِيَّاً يَنَالُ عطْـفَ اليَتِيمِ
قَيَّضَ اللَّـهُ لِلْيَتِيمِ نَصِـيراً ... عَبْقَـرِيَّاً من المَلِيْكِ العَظِيمِ
شَمِلَتْهُ نُعْمَى المَلِيْكِ المُفَـدَّى ... فإذا بِاليَتِيـمِ غَـيْرُ يَتِيمِ

ويشارك الشاعر أحمد قنديل الشعراء فرحتهم بإنشاء تلك الدُّور ، التي حملت في تباشيرها أدلة عميقة على تمسك أبناء المجتمع السعودي بقيم الدين الإسلامي وأخلاقياته المثلى ، قائلاً(٣) :

فما هذه الـدَّارُ التي أَنْتَمُو بها ... سِوَى فِكْرَةٍ عن نَفْسِها تَتَكَلَّمُ

(١) جريدة أم القرى ، العدد (٧٣٧) في ١٢/٧/١٣٥٧هـ ، ص٥ .
(٢) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٣٦١) في ١٥/٢/١٣٥٨هـ ، ص٢ . وديوان وحي الفؤاد ، ص ١٨٢ .
(٣) المصدر السابق ، العدد (٥٧٩) في ١/٥/١٣٦٠هـ ، ص ١ . وديوان أصداء ، ص ٧٧ – ٧٨ .

سِوَى بِذْرَةِ النَّفْسِ الرَّحِيمَــةِ أَيْنَعَتْ فَكَانَتْ غِـرَاساً زَاهِــراً يَتَبَسَّمُ
وقَامَ الوَفَــاءُ الحَـــقُّ في جَنَبَاتِها يُؤَكِّدُ أَفْضَــالَ الوَفَــاءِ ويُقْسِمُ
وشَاعَ الرِّضَا فيها رِضَا الدِّينِ مُشْرِقاً تَوَاصَتْ بِهِ تَقْوى الهُدَى والمَرَاحِمُ
وشَعَّ بها جُـــودُ النُّفــوسِ وبَذْلُها يُطَــاوِلُهُ بُخْلُ الأَكُــفِّ فَيُهْزَمُ

ويدعو الشاعر محمد سعيد دفتر دار للذين وفَّروا للأيتام تلك الدور ،لأنهم بذلك أحيوا سنة سلفهم الصالح ، في الحنو على الأيتام ، والرفق بهم ، ومد يد العون لهم ، قائلاً(١) :

مَرْحى لما قَدَّمُوا من جُهْدِ سَعْيِهِمُو إلى اليَتِيمِ فَكَانُوا الدَّهْرَ أَعْـــوانا
اللَّهُ يَرْضَى إذا أَكْرَمْتَ واحِــدَهُمْ فَكَيْفَ من كَفَلَ الآلافَ أَزْمَـــانا
أَحْيا لنا سُنَّةً لِلْخَيْرِ دَارِسَــــــةً يَبْـغِي بها من إلهِ العَرْشِ رِضْـوانا
دُورُ الرِّعَـــايَةِ تَبْنِي خَيْرَ مُجْتَمَعٍ أَكْرِمْ بِهِ في رِضَــــاءِ اللَّهِ بُنْيانا

ولم يتوقف الشاعر السعودي عند مجرد الإشادة بتلك الدور التي تضم بين جنباتها الأيتام ، وإنما رأيناه يتجاوز ذلك إلى بيان دورها الإصلاحي والتربوي ، وأثرها في عالم اليتيم الوجداني . ومما يؤكد ذلك قول الشاعر أحمد الغزاوي(٢) :

فَانْظُرْ إلى الأَيْتَامِ في قَسَمَاتِهِمْ وسِمَاتِهِمْ تَلْقَ الهُــدَى يَتَرَقْرَقُ
يَمْشُونَ لِلصَّلَــوَاتِ في أَوْقَاتِها في مَوْكِبٍ فيه الصُّفـوفُ تُنَسَّقُ

ويشيد الشاعر على حافظ بالأدوار الرائدة التي تنهض بها تلك الدور ، في قوله محتفياً بأحد أبنائها النجباء(٣) :

دَارُ اليَتِيمِ عَمِرْتِ إِذْ أَنْتِ التي هَذَّبْتِهِ وصَقَلْتِ من عَزَمَــــاتِهِ

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (١١٩) في ١٣٨٤/٣/٢٩هـ ، ص ١١ .
(٢) جريدة أم القرى ، العدد (٧٣٧) في ١٣٥٧/١٢/٧هـ ، ص ٥ .
(٣) ديوان نفحات من طيبة ، ص ٩٩ .

أَوَ لم تكُنْ فيكِ الحَيَاةُ لَـهُ غِنىً		عن ذُلِّهِ وشَقائِهِ وشَكَـاتِه ؟
أَوَ لم تكُـونِي وَكْرَهُ وعَـرِينَهُ		وتَكَفْكِفِي المَسْفُوحَ من عَـبَرَاتِهِ ؟
أَوَ ما بَدَا يَعْتَزُّ فيـكِ كَطَـالِبٍ		وكَعَـالِمٍ وكَعَـامِلٍ بِثَـبَاتِه
أَوَ لم تُغَـذِّيهِ لِبانَ فَضَـائِلٍ		كَرُمَتْ فَأَضْحى من فَرِيقِ سُقَاتِهِ؟
وجَّهْتِهِ لِلْعِـلْمِ لَمَّا شَـبَّ واشْـ		ـتدَّتْ قُواهُ فكَـانَ خَيْرَ حُـدَاتِهِ

وحـتى يقـف أبناء المجتمع على أثر تلك الدُّور في حياة الأيتام الذين تضمهم أحضانها ، وجدنا عدداً من شعرائنا يعمدون إلى تصوير الأيتام في حالتين متباينتين، حالتهم وحـياتهم قبل أن ترى تلك الدُّور النور ، وحياتهم بعد ذلك .

وفي بيان أثر تلك الدُّور يقول الشاعر فؤاد شاكر واصفاً اليتيم قبل وبعد التحاقه بها (١) :

بالْأَمْسِ كَانَ رِبِيْبَ البُؤْسِ في لَهَفٍ		مُشَرَّداً تَحْتَويهِ السُّـوحُ والطُّـرُقُ
مُضَيَّعَ الرُّشْدِ من هَمٍّ ومن كَـدَرٍ		يَكَادُ من بُؤْسِهِ بالتُّـرْبِ يَلْتَصِـقُ
مُسَهَّدَ الطَّرْفِ مَجْفُواً كَـأَنَّ بِهِ		مس من الوَيْلِ بالأَهْـوالِ يَنْطَبِقُ (٢)
واليَوْمَ تَبْتَسِمُ الـدُّنْيا لِطَلْـعَتِهِ		فعَادَ باليُمْنِ وهو الضَّـاحِكُ الطَّلِـقُ
في نِعْمَةِ اللَّهِ مَرْمُوقَـاً بِأَلْـوِيةٍ		من السَّعَـادَةِ لا هَمٌّ ولا فَـرَقُ

ويؤكد الغزاوي الفرق الشاسع بين الحياتين اللتين عاشهما اليتيم في

---

(١) ديوان وحي الفؤاد ، ص ١٠٧ .
(٢) مس : كذا والصواب مساً .

مجتمعه ، قائلاً[1] :

كانوا ضَحَايا الجَهْلِ مُنْذُ تَنَاثَرُوا   ما بين كُـــلِّ ثَنِيَّةٍ وزُقَـاقِ

يَتَبَلَّغُونَ العَيْشَ في أَسْمَـالِهِمْ   و يُمَثِّلُونَ البُؤْسَ في الأَسْـواقِ

واليَوْمَ هم أَمَـلٌ ببَابِكَ باسِمٌ   يَتَفَيَّئُونَ بِظِـلِّكَ الخَفَّـاقِ

واليَوْمَ هم جُنْدٌ بجَيْشِكَ باسِـلٌ   سَهْلُ المَقَادَةِ ثَابِتُ الأَعْـرَاقِ

أَلْبَسْتَهُمْ حُلَلَ الكَرَامَةِ بَعْـدَما   لَبِثُوا زَمَاناً خَاضِعي الأَعْـنَاقِ

وعَرَضْتَهُمْ بين الوفـودِ (كَتَائِباً)   تُزْجَى لِيَوْمِ حَفِيظَـةٍ وسِبَاقِ

نَشَـأُوا على الإِخْلاصِ فيك وإِنَّهُمْ   لَلْغَـرْسُ يُثْمِرُ أَطْيَبَ الأَعْـذاقِ [2]

وفي مثل هذا المجتمع المتكافل ينسى اليتيم يتمه ، لأن الأشياء الضرورية التي كان يعول على والده في تحقيقها له أصبحت ميسرة ومتوافرة . وقد ألمح إلى ذلك الشاعر محمد بن علي السنوسي في قصيدته:(اليتيم السعيد) التي أثارتها في وجدانه فرحة أحد الصبية في يوم العيد ، شاهده وهو يلهو ويمرح هنا وهناك ، مرتدياً أجمل الثياب وأغلاها ، فأغرته تلك الفرحة وذلك الانطلاق الجميل من ذلك الصبي بسؤاله عن والده ، علَّه يكون أحد معارفه ، فيفاجئه بيتمه ، وجمال وروعة فكره الذي سبق عمره الزمني بمراحل ، فما كان منه إلاَّ أن انطلق معبراً على لسان ذلك الصبي اليتيم ، معللاً سر سعادته ، قائلاً[3] :

أنا يا سَيِّدِي (يَتِـيمٌ) ولـــكِنِّي سَعِيدٌ لا بَائِـسٌ أَوْ شَـرِيدُ

سَكَنِي وَارِفٌ ومَائِيَ مَسْكُـو   بٌ وزَادِي مُرَفَّهٌ مَنْضُـودُ [4]

وفُـؤَادِي تَـرُبُّهُ من يَدِ العِلْـ   ـمِ يَدٌ بَـرَّةٌ وقَلْـبٌ ودُودُ [5]

فانْتَشَى قَلْبِيَ المُغَـرِّدُ وانْثَا   لَتْ قَوَا فِيهِ واسْتَفَاضَ القَصِيدُ

---

(١) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٥٣٨) في ١٣٥٩/١٢/٧هـ ، ص ١ .

(٢) الأعذاق : جمع عذق ، وهو القنو من النخل ، والعنقود من العنب .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٤) وارف : واسع ممتد ، ومرفه : من الرفاهية وهي :الخصب والسعة في المعاش، منضود : بالتحريك : ما نضد من متاع البيت ، وقيل : عامته ، وقيل : خياره وحره .

(٥) تربه : تصلحه .

المبحث الثالث

المشاركة في بعض الحوادث والكوارث الاجتماعية

شارك بعض الشعراء في الحوادث والنوازل التي ألحقت الضرر ببعض أبناء المجتمع . وفي ذلك دليل على رقة إحساس الشاعر السعودي ويقظته ، وتفاعله مع ما يحدث لأبناء مجتمعه من كـــوارث ومآسٍ على مــرأى ومسمع منه .

ومن ذلك مشاركتهم في حوادث الحرائق التي تلتهم الدور والقصور ومعها من معها من أفراد الأسر التي تقطن فيها ، والكوارث التي تخلفها غزارة الأمطار والسيول ، وما ينتج عنها من أذىً لبعض أبناء المجتمع .

فهذا الشاعر أحمد الغزاوي يصور لنا في قصيدته : (مدينة تبكي وأسرة تنكب) ما حدث لقصر (آل عرب) ، بعد أن أتت النار على كل ما فيه ، وقد «كان قصراً منيفاً ، يرفل بالنعيم ، ويعيش أهله في أنس وحياة رغيدة ، ولكن انتهى ذلك بانطلاق ألسنة اللهب ، ففزع من بالدار ، وتساقطت من نوافذه الغيد الحسان ، هاربات من قسوة الحرارة ، وشدة الاختناق ، فارتطمن تباعاً حتى أصبحن حطاما ، ونقل منهم آخرون إلى المصحات ، فاهتزَّ كيان الغزاوي ، وأوحت له الحادثة بهذه القصيدة المأساوية التي تصور الناس وهم في غضارة من العيش سرعان ما انقلبت إلى مأساة اقتبس منها العبرة والعظة»(١) .

حيث يقول واصفاً تلك المأساة(٢) :

تَأَمَّلْتُ في (القَصْرِ المَشِيْدِ) تَقُضُّهُ ... من (النَّارِ) رِيْحٌ غَـــادَرَتْهُ رِجَامَا

وأَبْصَرْتُ هَوْلاً أَيَّ هَوْلٍ أو انِســاً ... من (الغِيْدِ) يَحْكِيْنَ البُدُورَ تَمَامَا

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، القسم الأول ، د. مسعد بن عيد العطوي ، ط (١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ص٣٣١

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٦١٧) في ١٣٦٥/٩/٢٢هـ ، ص ١ .

أبَحْنَ الكرى (أَجْفانَهُنَّ) وأَطْبَقَــتْ   عَليْهِنَّ (أَمْواجُ) الجَحِيمِ غمَــــاما
(قَوارِيرَ) في أَقْفَاصِهِنَّ جَواثِمــــاً   ولا غَوْثَ إلاَّ أَنْ يَطِـــرْنَ حَـمَاما
تَسَاقَطْنَ من أَعْلَى النَّوافِذِ بَعْدَمـا   جَبَبْنَ (اللَّظَى) واحْتَاطَهُنَّ خُطَـاما[1]
فما كِــــدْنَ يَبْلُغْنَ الثَّرى وطِبَاقَهُ   من الأَرْضِ حتَّى خِلْتُهُنَّ عِظَــاما

وحتى لا تتكرر هذه المأساة في المجتمع ، نراه يوجه أبناء مجتمعه لأخذ العبرة من هذا الحدث الأليم ، ويحثهم على أخذ الاحتياطات اللازمة التي تكفل عدم حدوث مثل هذه الكوارث في المجتمع . وفي ذلك يقول[2] :

بني وطــــني هذا (بَـــلاغٌ) وإنَّهُ   لِعِبْرَتِنا الكُبْرَى تُصِمُّ صمــــاما
وما ثَمَنُ الأَرْزاءِ إلاَّ اتقِّــــاؤُها   ولو أَنَّها كانَتْ أَشَدَّ خِصَـــاما
خُذُوا حِذْرَكُمْ منها ولا تَحْقِــرُونَها   ولا تَأْمَنُوا أَمْثَالَهُــنَّ عُـــــرَاما[3]
أَعِدُّوا لها (الإِطْفاءَ) وابْغُوا (سَلالِماً)   وكُونُوا لها (بَرْداً) معاً و(ســـلاما)
فلا خَيْرَ في(الثَّرواتِ) يُحْمَلُ وِزْرُها   إذا هي كَانَتْ (لِلْكُروشِ) طَعَــاما

ويشارك الشاعر عبد الله بن خميس أهالي قرية (ملهم)[4] مصابهم الجلل، الذي تمثل في غرق قريتهم ، وفقد كثير من الأسر القاطنة فيها ، إثر السيل العاتي الذي داهمهم فجأة ، آخذاً معه كل ماصادفه في طريقه من دور وأسر وأنعام .

---

(١) خطاماً : وتر القوس وخطام الدابة لجامها .
(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٦١٧) في ١٣٦٥/٩/٢٢هـ ، ص ١ .
(٣) لم يحذف الشاعر حرف (النون) من الفعل المضارع المجزوم (تحقرون) ، حفاظاً على سلامة البيت من الكسر .
(٤) مَلْهَمْ : إحدى قرى اليمامة ، اشتهرت بكثرة نخلها ووفرة ثمرها ، انظر ذلك في :معجم اليمامة ، عبد الله بن خميس، مطابع الفرزدق، ط(١) ١٣٨٩هـ -١٩٧٨م ، جـ(٢) ، ص ٣٩٠-٣٩٤ .

حيث يقول واصفاً تلك الكارثة المؤلمة التي حلَّت بتلك القرية وساكنيها(١) :

بَلَــدٌ تَكنَّفَـــــهُ الأَتيُّ عَشِيَّــةً ... لِيَبِيتَ قَفْراً مُوحِشاً مُسْتَهْدَما(٢)

ويَبِيتُ أَحْــلاسَ الكُهـوفِ أُهَيْلُهُ ... ونَجَاتُهمْ بالنَّفْسِ أَكْــبَرُ مَغْنَما(٣)

يَتَفَقَّدُونَ ذَوِيهِمُ في لَهْفَــــــةٍ ... وبِعَبْرَةٍ لِلـــــدَّمْعِ تَسْفَحُهُ دما

والطِّفْلُ يَصْرُخُ والنِّسا في حِيرَةٍ ... كادَتْ لها الأَرْواحُ أَنْ تَسْتَسْلِما

تَتَجاوَبُ الأَنْعَامُ في أَرْجَــــائِهِ ... وتَخَالُ سِرْبَ الطَّيْرِ فيه عُــوَّما

ويلتفت إلى أبناء مجتمعه حاثاً إياهم على مساعدة أهالي تلك القرية المنكوبة ، حتى يلتئم شملهم من جديد ، بعد أن ألجأتهم تلك السيول إلى كهوف الجبال والهضاب والتلال ، ومزَّقت عرى وحدتهم ، وسلبتهم كل مايملكون ، قائلاً(٤) :

ياليت شِعْري هل تَرِقُّ قُلــــوبُنا ... لِنَلُمَّ شَمْلَ شَتِيتِهِمْ ونُقَـــــــوِّما

أَوْلا فما مَعْنى الأُخُوَّةِ والــــوَلا ... إِنْ لم نُبِحْ في مِثْلِ هذا الدِّرْهَــما

فَبِأَيِّ مَيْدانٍ تَخُــــوضُ غِمَارَهُ ... إِنْ كُنْتَ عن هذا - إِذَنْ -مُتَبَرِّما

فَاعْمَلْ لإِسْعَــادِ السِّوى وَهَنائِهِمْ ... إِنْ شِئْتَ تَسْعَدَ في الحَيَاةِ وتَنْعَما

ويصف الغزاوي سيل الأربعاء (٥) الذي داهم مكة المكرمة بغتة ، فدمر المنازل العامرة المنتصبة في طريقه وأحالها إلى كهوف وأطلال ، وبث الذعر والرعب في نفوس قاطنيها من المصير المؤلم الذي ينتظرهم ، يحدوهم الرجاء في

---

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٠٤٩) في ١٣٧٠/٩/٢٩هـ ، ص٤ .
(٢) تكتفه : أحاط به وحاصره ، والأتي : السيل .
(٣) أحلاس الكهوف : أي لزموها ولم يبرحوها .
(٤) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٠٤٩) في ١٣٧٠/٩/٢٩هـ ، ص٤ .
(٥) كان ذلك في عام ١٣٦٠هـ .

رحمة الله وقرب فرجه ، قائلاً(١) :

وَمَضَى يَهْمِي مَلِيئاً غَــدقاً   من سَحَابٍ حُجِبَتْ مِنْهُ ذُكَاءُ(٢)
الهِضَابُ الشُّمُّ في تَخْـريجِهِ   يَصْدَعُ الفَجْرَ ويَسْتَوْهِي البِنَاءْ
لم تَجِــدْ لِلطَّيْرِ فيه مَسْبَحاً   لا ولا لِلرِّيحِ خَفْقاً والهَــواءْ
كُلَّمَا أَجْلى وأَوْهَى بُرْهَــةً   عَاوَدَ الكَــرَّةَ حِيْناً وأَفَــاءْ
وكَأَنَّ النَّاسَ فيه رَهْــبَةً   أَهْلُ أَجْداثٍ يُغَادِيها الفَنَــاءْ (٣)
لا تَرَى منهم سِوَى مُضْطَرِبٍ   قَابِعٍ في كِسْرِهِ يَخْشى البَلاءْ (٤)

والشاعر محمود عارف يصف المآسي والكوارث التي خلَّفها السيل الذي باغت مدينة جدة وساكنيها في عام (١٣٧٣هـ) ، قائلاً(٥) :

دَمَّرَ الدُّورَ وأَوْدَى عَــاتِياً   بالْبَرَايا يالَهَوْلِ النُّــوبِ !
لا ترى إلاَّ حَيَارَى ذَهِلَــتْ   أَنْفُسُ النَّاسِ لِسَيْلٍ مُرْهِـبِ
فَمَشَى النَّاسُ على أَمْواجِهِ   بين حَيٍّ ميِّتٍ أَوْ أَقْــرَبِ

ثم يتبع وصفه لتلك المآسي بالدعوة إلى مد يد العون للأسر المنكوبة ، حتى يتجاوزوا محنتهم ، ويخف مصابهم الجلل ، ويخص الملك سعود -رحمه الله- بدعوته ، إذ هو القائم - في ذلك الوقت - على شئون الرعية ، قائلاً(٦) :

يا سُعودَ الشَّعْبِ أَدْرِكْ بِالنَّدَى   أُمَّةً أَنْتَ لها خَــيْرُ أَبِ
فَإِذا ما حَزَّبَ الهَــوْلُ فما   غَيْرُكَ الهَامِي بِجُــودٍ صَيِّبِ
فَهَبِ العَارِيَ ثَــوْباً سَــابِغاً   وامْنَحِ الغَارِقَ سَهْلَ المَــرْكَبِ
واشْمُلِ المَحْرُومَ بِرّاً عَاجِــلاً   تَلْــقَ عِنْدَ اللَّهِ خَــيْرَ الأَرَبِ

(١) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٥٦٧) في ٢٧/٣/١٣٦٠هـ ، ص١ .
(٢) ذكاء : اسم للشمس .
(٣) أجداث : قبور . والفناء : الهلاك .
(٤) كسره : ناحية بيته .
(٥) ديوان المزامير ، محمود عارف ، القاهرة ، ط (١) ١٩٥٨م ، ص ٩٥ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

وأمام هذه الكوارث والنكبات التي تسببها السيول ، نجد الشعراء يحتفلون بكل مشروع يقف حائلاً بين تلك الكوارث وممتلكات الناس وأسرهم .

فالشاعر علي غسال يعلن فرحته بالسد الذي سيقام في مكة المكرمة ، ليدرأ عنها وعن قاطنيها السيول العاتية التي تهدد أمن الناس فيها وممتلكاتهم ، حيث يقول محاوراً إحدى المتضررات من سيل الأربعاء[1] :

جِئْتُهَا حَامِلاً لِبُشْرى الرَّخَاءِ — بعد أَنْ مَرَّ حَادِثُ الأَرْبِعَاءِ
فَإِذا بي وجَدْتُهَا تُرْسِلُ الدَّمْـ — ـعَ وفَاضَتْ عُيونُها بالبُكَاءِ
قُلْتُ ماذا يا (هِنْدُ) بِاللَّهِ أَبْكَا — كِ أَجيبي فقد أَهَجْتِ بُكَائِي
فَأَجابَتْ من بَعْدِ أَنْ كَفَّتِ الدَّمْـ — ـعَ وقَالَتْ في لَهْجَةِ البَكَّاءِ
انْظُرِ الكُوخَ قد تَحَطَّمَ كُوخِي — من أَذَى السَّيْلِ من عَظِيمِ البَلاءِ

وحتى تعود إلى روحها الطمأنينة ، وتأخذ أحزانها في التلاشي ومن ثم مفارقتها إلى غير رجعة ، ألقى الشاعر على سمعها بشرى عزم الدولة على إنشاء سد في مكة المكرمة ، يقف حائلاً بين تدفق السيول العاتية وكوخها عندما يعاد بناؤه ، قائلاً[2] :

قُلْتُ قَرِّي يا هِنْدُ عَيْناً ونَفْساً — فَسَأُلْقِي عَلَيْكِ بُشْرَى الرَّخَاءِ
سَأَلَتْنِي بِفَرْحَةٍ وابْتِهَاجٍ — هَاتِ بُشْراكَ يا فَتَى الشُّعَراءِ
قُلْتُ قد أَسَّسُوا لذا السَّيْلِ سَدّاً — مَانِعاً لِلْبَلاءِ والإِيْذَاءِ

وما كان من تلك الفتاة البائسة – وهي تستقبل تلك البشرى المبهجة – إلاَّ

---

(١) ديوان فجر العمر ، علي حسن غسال ، مكتبة النهضة المصرية –دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٦٥هـ ، ص ٣٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص٤٠ .

أن رفعت يديها إلى السماء ، داعية لمن أمر بتشييده ، قائلة(1) :

رَبِّ أَبْقِ المَلِيْكَ يا خَالِقَ الخَلْـ ... ـقِ ويا عَـــــالِماً بِكُلِّ خَفَاءِ

مَنْ لَهُ كُلَّ سَاعَةٍ فِعْلُ خَــيْرٍ ... يَجْعَلُ النَّاسَ في أَتَمِّ الهَنَــاءِ

كم أَيَادٍ لَهُ علينا جِسَـــــامٍ ... ليس تُحْصى يا بَاذِلَ النَّعْمَاءِ

ولا نعدم هذا التفاعل مع أبناء المجتمع في مآسيهم وأحزانهم عند شعراء آخرين ، كطاهر الزمخشري(2) ، وحسن صيرفي(3) ، وضياء الدين رجب(4) ، وعبد الله بن إدريس(5)، وغيرهم .

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(2) انظر : مجموعة النيل ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ .

(3)انظر : جريدة المدينة المنورة ، العدد (٧٤٦) في ١٣٧٨/١/٢٤هـ ، ص ٤ . وديوان دموع وكبرياء ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٦٤ – ٦٥ .

(4) انظر : ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٣١٩ – ٣٢١ .

(5) انظر : ديوان في زورقي ، عبد الله بن إدريس ، ط(1) ١٤٠٠هـ ، ص ٢١١ – ٢١٢ .

الفصل الرابع

****

علل وآفات اجتماعية

علل وآفات اجتماعية

كان لانفتاح المجتمع السعودي على المجتمعات الأخرى عربية وغربية ، إضافة إلى تعدد الأجناس المستوطنة أو العاملة فيه ، وترف بعض أفراده وضعف الوازع الديني لديهم،أثر فعَّال في ظهور طائفة من العلل والآفات الاجتماعية فيه .

وحتى لا تستفحل تلك العلل والآفات ، فتذهب برونقه وبهائه المعروف عنه ، وجدنا شعراء نا يعلنون تصديهم ومعاداتهم لتلك الآفات والعلل ، محاولين تخليص المجتمع وأبنائه منها ، ومن الأخطار المترتبة عليها .

والمتأمل في ديوان الشعرالسعودي يقف على ألوان من النقد الاجتماعي البناء ، تحمل أدلة دامغة على يقظة حس الشاعر السعودي ، ومدى تفاعله مع القضايا والمشكلات التي يعاني منها مجتمعه والمنتمين إليه ، وحرصه على سلامته من كل العلل والأدواء ، والسمو به إلى المكانة التي يجب أن يكون فيها ويظل ، باعتباره مهد الإسلام ، ومشرق أنواره .

والشعراء السعوديون عند ما يتصدون لمثل تلك الآفات والرذائل الطارئة على مجتمعهم التي تبدو شاذة وغير مألوفة ، في مجتمع يستمد منهجه في الحياة من الشريعة الإسلامية السمحة ، وما حفلت به من مبادىء وقيم ، إنما يسعون إلى الإصلاح والتوجيه ، ورسم معالم الطريق السوي لأبناء مجتمعهم ، ومحاولة إشاعة الأخلاق والآداب الإسلامية الفاضلة ، والعمل على ترسيخها في نفوسهم . ذلك لأن الأخلاق الفاضلة «ضرورة اجتماعية ، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات ، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان ، تفكك أفراد المجتمع ، وتصارعوا وتناهبوا

مصالحهم ، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ، ثم إلى الدّمار» [1] .

وقد رأيت في هذا الفصل الوقوف عند أهم العلل والآفات التي ظهرت في المجتمع في هذه الفترة ، وأقلقت الشعراء ودفعتهم إلى إعلان عدائهم وتصديهم لها ، محاولين استئصالها من جذورها وتخليص المجتمع والمنتمين إليه من أضرارها وشرورها .

وحتى يتسنى لي ذلك رأيت تناول تلك الآفات والعلل في سبعة مباحث :

- المبحث الأول : التكالب على حطام الدنيا .
- المبحث الثاني : النفاق .
- المبحث الثالث : الكبرياء والغرور .
- المبحث الرابع : الحسد .
- المبحث الخامس : السحر والشعوذة .
- المبحث السادس : الفراغ .
- المبحث السابع : اندفاع الشباب إلى مهاوي المدنية الحديثة .

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد ا لرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق - بيروت ، ط (١) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، جـ (١) ، ص ٢٩ .

المبحث الأول

التكالب على حطام الدنيا

من الآفات الاجتماعية التي استوقفت الشعراء ظاهرة تكالب بعض أبناء المجتمع على جمع الأموال ، وسعيهم المسعور خلف بريقها الأخَّاذ ، ومن ثم اكتنازها والبخل بها على ذوي الحاجة ، أو المشاركة بقدر منها في دفع عجلة التنمية التي سيعود نفعها على المجتمع والمنضوين تحت لوائه .

وقد تعددت طرق الشعراء في تصديهم لتلك الآفة التي استشرت في المجتمع عقب الطفرة الاقتصادية التي عاشتها البلاد . إلاَّ أن المتأمل في النصوص التي خلَّفها الشعراء في هذا الشأن يقف على طغيان المباشرة والتقريرية عليها ، وقليل منها ما جاء متشحاً ثوب الحكاية أو الرمز .

ورغم تفاوت تلك النصوص من الناحية الفنية ، إلاَّ أنها اتفقت على ذم تلك الآفة والمتصفين بها من أبناء المجتمع ، وكشفت الأساليب الملتوية التي يلجأ إليها بعضهم لجلب الأموال وزيادتها ، ونددت ببخلهم وقسوتهم وجبروتهم .

فهذا الشاعر عبد الله الصالح العثيمين ، يقول على لسان أحد المفتونين بحب المال ، والحرص على المحافظة عليه ، وكره الإنفاق منه على أعمال البر والخير المشرعة الأبواب ، على سبيل التندر والسخرية [1] :

ما لِلْفَقيرِ المُسْتَغيثِ ومَــــالِي ... أنــا قد نَعِمْتُ بِثَرْوتي وبِمَــــالِي

وتَرَفَّعَتْ عَيْنِي الكَرِيمَةُ أَنْ تــرى ... كَفَّـــاً مُعَذَّبَةً تُمَدُّ حِيــَـالِي

لا كَانَ من طَبْعِي ولا من شِيمَتِي ... بِرُّ الجِياعِ ومَنْحُهُمْ أَمْــــوالِي

---

(١) ديوان عودة الغائب ، ص ٣٦ – ٣٧ .

هي ثَرْوتِي أَدْرَكْتُ نُورَ جَـــلالِها فَعَبَدْتُ وَمْضَ بَرِيقِهِ المُتَـــــلالِي
هي ثَرْوتِي آلَيْتُ أَنْ أَحْـــــيا لها عَبْداً يُقَدِّسُها وأَنْ تَحْيَـــــا لِي
أَتُرى أُدَنِّسُها بِرَاحَةِ مُعْـــــــدَمٍ مُتَها لِكٍ مُتَمَزِّقِ الأَسْـــــــمالِ
عَزَّتْ وجَلَّتْ ثَرْوتِي عن كَـــــفِّهِ وسَمَا جَلالاً عن يَدَيْهِ رِيـــــالِي

وقد كشف الشعراء في تصديهم لهذه الآفة،عدداً من الوسائل والأساليب غير المشروعة،التي ينتهجها الواقعون تحت تأثير حب المال حـد الثمالة لتحصيله ، ومن ثم زيادته واكتنازه .

وتأتي مخادعة أبناء المجتمع،والتحايل عليهم في البيع والشراء،في مقدمة تلك الأساليب والوسائل لجمع الأموال وتكديسها من المفتونين ببريقها .

ذلك ما تكشفه مشاركة الشاعر عبد الله العثيمين في هذا الجانب ، حيث يقول مقرراً ذلك على لسان أحد عشاقه [١]:

إِنِّي نَشَأْتُ على التَّحايُلِ فَلْيَدَعْ صِفَةَ التَّحايُلِ فالمَجَالُ مَجَـالِي
لم أَقْتَنِصْ مَالِي الذي كَدَّسْتُهُ بِسِوَى خِداعِ السُّذَّجِ الجُـهَّالِ

ويؤكد الشاعر أحمد باعطب ما سبق أن قرره العثيمين ، في قوله شاكياً استغلال أحد أصحاب المال السَّيِّء لظروفه المعيشية ، وثقته الزائدة فيه ، ومتذمراً من سلوكه الشائن معه [٢] :

حَرَقْتُ شَبابَ أَيَّامِـــي جِهَاداً لِأُطْعِمَ أُسْرَةً أَوْهَـــــتْ شَبَابِي
وطِرْتُ إِلَيْكَ أَحْـمِلُ في يَمِيني حَصَادَ العَامِ من جُهْدِي المُـذَابِ

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٢) ديوان الروض الملتهب ، أحمد سالم باعطب ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط (٢) ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م ، ص ٢٠٧ .

وما فَكَّرْتُ أَنَّكَ لـــــي عَـــدوٌّ   تَرومُ حَصِيلَتِي بِمُنًى كِـــــذَابِ

فما أَصْدَقْتَنِي في البَيْعِ يَـــوْماً   وتُسْرِفُ في ا لقُيودِ وفي الحِسَابِ

وكثيراً ما قاد بريق المال بعض عشاقه وما لكيه إلى إرهاق محدودي الدخل من أبناء مجتمعهم ، وإثقال كاهلهم ، بمغالاتهم في أسعار السلع المتوافرة لديهم ، والأشياء الضرورية التي لا يستغني عنها الإنسان في حياته .

ذلك ما تكشفه شكوى شاعرنا السرحان الممزوجة بالتذمر والسخرية من ارتفا ع أجرة العقار الذي يقطنه ، وحرص مالكه على زيادتها عاماً إثر عام :(١)

كُلَّ عَامٍ يَزِيدُ عَـــمَّا مَضَى في   أُجْرَةِ الدَّارِ كالرِّياحِ المُثَـــــارَةْ

رُبَّ (كُوخٍ) أَرْكَــــــانُهُ مَائِلاتٌ   وهو في سِعْرِهِ كَـدارِ (السَّفَارَةْ)

المِئَاتُ المِئَاتُ مـــاذا أَنَــرْمي الْـ   أَهْلَ من رَأْسِ شَاهِقٍ أو مَـنَارَةْ ؟!

أَمْ تَرَانَا نَعودُ كالعَـــرَبِ الـــرُّحَّـــــلِ والنَّاسُ هَـــــرْوَلُوا لِلْحَضَـارَةْ

وفي قصيدته:(بائع المساويك)،يصعِّد من تلك الشكوى ، ويبدي جزعه وتذمره من استشراء تلك الظاهرة التي أتت على كل شيء حتى المساويك ، حيث يقول واصفاً مادار بينه وبين بائع المساويك ، معتمداً في وصفه وإدانته الصريحة للغلاء على الحوار (٢) :

وابْتَسَمَ الأَشْيَبُ مُسْتَفْتِـــــــحاً   وطَالَ سَوْمي بين (هَاتٍ) و (هَاكْ)

وقَالَ : (من قِرْشَيْنِ) مـــــاذا إِذَنْ   يَبْقَى معي وَيْحَكَ ماذا دَهَـــاكْ ؟ !

---

(١) ديوان أجنحة بلاريش ، حسين سرحان ، مطابع الزايدي ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، ط (٢) ١٣٩٧هـ ، ص١٣١ .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٥٩٧) في ١٣٦٥/٤/٢٩هـ ، ص٤ ، وديوان أجنحة بلاريش ، ص ١٣٢ .

هُمَا اللَّـــذانِ اكْتَسَبَتْ راحـــتي   من بَعْدِ أَنْ شَابَتْ نـــواحي فَتَاكْ
قِرْشانِ في عُـــودٍ ألا تَسْتَـــحي   كُنْ طامِعاً في عَفْوِ مَنْ قَدْ بَرَاكْ ؟!

وقدم الشعراء في ثنايا تصديهم لتلك الآفة صوراً عدة ، تعكس مدى سلبيتها ، وفداحة الأضرار الاجتماعية والأخلاقية التي نجمت عنها .

فحب المال والتهافت على بريقه الأخاذ – علاوة على جرِّه لبعض أفراد المجتمع إلى ارتكاب المحذورات في سبيل تحصيله وزيادته – انتزع الرحمة والعطف من قلوب الأغنياء المغلولة أيديهم إلى أعناقهم ، ودفعهم إلى سلاطة اللسان ، وشتم ذوي الحاجة والعوز، ونهرهم والسخرية منهم ، وحملهم على هتك العلاقات والروابط الأخوية والإنسانية ، إما دفعاً للحرج الذي قد يقعون فيه بسبب تلك العلاقات ، وإما لانشغالهم الدائم بكل ما يحقق لهم مصالحهم المادية ولا شيء سواها .

ولدى الشاعر عبد الله الصالح العثيمين نقف على إحدى تلك الصور السلبية لآفة حب المال ، حيث يقول واصفاً قسوة أحد الأغنياء المتعجرفين على أحد الشيوخ الطاعنين في السن ، المحتاجين لمساعدته ومد يد عونه لهم [1] :

ويَمُـــرُّ جَـــبَّارٌ يَـــــــــرُدُّ على تَوَسُّلِـــهِ بِنَظْـــرَهْ
تُبْدي وتَكْشِفُ خِسَّـةَ الـ   مُتَعَجْرِفِ الطَّاغِي وكِبْرَهْ
وأرى الفَقِيرَ كَـــــأَنَّما   طُعِنَتْ ضَمَـائِرُهُ بِشَـفْرَهْ
يَهْوي على الأُمِّ الحَـنُو   نِ ويَشْتَكِي لِلَّهِ أَمْـــــرَهْ
تَعِساً يُهَمْهِـــمُ بالدُّعـا   ءِ على الأُنوفِ المُشْمَخِـرَّهْ

---

(١) شعراء نجد المعاصرون ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

وبِجِـــــدَّةٍ نَفَضَ اليَــدَيْـ | ـنِ وقَالَ لِلْمِسْكِينِ (بَـــرَّهْ)
أَوَلَسْتَ تَعْلَمُ مَنْ أَكُــــو | نُ ولاحَ في عَيْنيهِ حُمْـــرَهْ
لَكِنَّ عَجْـــزَ الشَّيْخِ ضَـا | عفَ غَضْبَةَ الطَّاغِي وشَـرَّهْ
وانْهالَ فَــــوقَ الشَّيْخِ يلْـ | ـهِبُ بِاحْتِدَامِ السَّوْطِ ظَهْرَهْ

وإذا كان الغني الذي رأيناه عند شاعرنا العثيمين لم يتورع في استخدام سياطه حتى ينهر ذلك السائل المسكين ، فإنه عند الفلالي يبدو أكثر تهذيباً ، فقد اكتفى بطرده قبل أن يتم شكايته (١) :

لما رَآنِي في يدي من مُهْـــجَتِي | بَعْضٌ وبَعْضٌ مَعْ دُموعِي قَدْهَمَا
وأَجَابَنِي أنا لا أُرِيـــــدُ مُمَثِّلاً | يَتَصَنَّعُ (المأْسَاةَ) حتَّى يُرْحَـما
اذْهَبْ فما أنا بالشَّكَاةِ مُكَــلَّفٌ | وأَبَى الغِيَاثَ ومارَعَى مُتَظَلِّــما

أما شاعرنا السرحان فيصور لنا كيف يقضي التهافت على جمع الأموال على العلاقات والروابط الأخوية والإنسانية ، قائلاً (٢) :

مَنْ لي بِخِلٍّ مَضَى الزَّمانُ بِهِ | أَخْلاقُهُ في الـــوِدَادِ مَرْضِيَّهْ
لوشَاءَ كُنَّا كما يَشَاءُ هَـوَى | ما حَلَّ مِنْهُ الزَّمـــــانُ أَخِيَّهْ
لَكِنَّهُ اسْتَنَّ في تَبَاعُـــــدِهِ | وتاهَ في (غُرْفَةٍ تِجَــــارِيَّهْ)
لِسَانُها تِبْرُهـــــا ومَنْطِقُهَا | عَـذْبُ الحَـواشِي بِفيهِ أُثْفِيَّهْ

في حين يقدم الشاعر سعد البواردي صورة تعكس أثر حب المال في وأد بعض القيم والمبادىء الأخلاقية النبيلة ، كالترفع والاستعلاء ، ومعهما الكرامة ،

---

(١) ديوان ألحاني ، ص ٢٤٥ .

(٢) ديوان أجنحة بلاريش ، ص ١٩١ .

في نفوس بعض أفراد المجتمع ، الذين صيرهم المال وبهرجه الزائف خدماً وعبيداً لمالكيه مهما كانوا .

يظهر ذلك في قوله على لسان أحد أبناء المترفين [1] :

جَـــرَحَتْني مُدْيَةٌ في قَبْضَتي ذاتَ مَسَــاءْ
فَتَبَاكَـــيْتُ ... ويا لَلْـ ـهَوْلِ إذْ ضَجَّ الفَضَــاءْ
كُـلُّنا يَفْدِيكَ عمْــــراً كُلُّنا اليَوْمَ فِـــــداءْ
ومَشَتْ تَحْسُبُ نَبْضِي أَلْفُ كَــــفٍّ لِلشِّفاءْ
كُلُّها تَضْمِدُ جُـــرْحِي في ابْتِهالِ الأَوْلِيـــاءْ

ويعلل التفاف الناس حوله ، وحرصهم على سلامته ، قائلاً [2] :

يا لَمالي كَـــمْ هو الإنْـ ـسانُ مَرْهُـوبُ البِـــنَاءْ
أنا في الدُّنْيا كما تَحْـ ـويهِ كَفِّي من ثَـــرَاءْ

وعند الشاعر حسين عرب نقف على صورة أخرى سلبية ، تفوق تلك التي قدمها البواردي لأثر حب المال والرغبة في تملكه من الساعين إلى الثراء ، وتتمثل تلك الصورة في غمط حقوق الناس وظلمهم من الذين وضعوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، كالقاضي الذي قاده حبه للمال إلى ظلم الناس ، والتضحية بعلمه وأمانته مقابل المطمع المادي [3] :

رُبَّ قَاضٍ قَضَى إذا شَاءَ بالعدْ لِ وإنْ شَاءَ جَارَجَــوْرَ الفُسوقِ

---

(١) ديوان أغنية العودة ، ص ١١٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٣) المجموعة الشعرية الكاملة . جـ (٢) ، ص ٦٢ – ٦٣ .

هَمُّهُ من قَضَائِهِ سَعَـةُ الدُّنْـ ... يا لِيَنْأَى بهــا عن التَّضْييِّقِ

عَرَفَ الحَقَّ واجْتَواهُ لأَنَّ الـ ... ـحَقَّ لا يَسْتَقِيمُ عِنْدَ الفُـروقِ

جَهِلَ العِلْمَ حَـامِلوهُ فماسَــا ... رُوابِه في مَــرَاتِبِ التَّحْقِيق

عَالِمٌ باعَ عِلْمَهُ بالــــدَّنَانِيْـ ... ـرِ وشَارٍ أَضَاعَهُ في السُّوقِ

والشكوى من عنت أرباب المال وأخلاقهم الفجة تكاد تسيطر على معظم النصوص الشعرية الموجهة لانتقاد هذه الآفة والمتصفين بها ، خاصة وأن بعضهم ينطلق في نقده من معاناة حقيقية عايشها وانفعل بها .

فالشاعر عبد العزيز المسلم يطلعنا على موقف عاشه مع مالك الدار التي يسكنها وأسرته ، فقد هدده بالطرد لمجرد تأخره في دفع الأجرة الشهرية ، وليته اكتفى بذلك لكان خيراً ، وإنما أتبعه بما ينم عن تجرده من كثير من القيم والمبادىء الأخلاقية النبيلة . وفي ذلك يقول [1] :

أَفَقْتُ يَطْرُقُ بابي زَائِــــرٌ شَرِسٌ ... يُبَدِّدُ الحُلْمَ في كَفَّيْهِ (إِنْــــذَارُ)

ارْحَلْ فما ذَنْبُنا إِنْ كُنْتَ ذا عَــوَزٍ ... ونَحْنُ -لولم تَشَأْ- في البَيْتِ أَحْرارُ

ما ذَنبُنا إِنْ تَكُنْ بالفَقْـرِ مُحْتَجِباً ... ورَأْسُ مَـــالِكَ أَوْرَاقٌ وأَشْعَـــارُ

ارْحَلْ فَرَاتِبُكَ المَحْدُودُ ليس سِـوَى ... (سَعْياً) تُقَاضَاهُ مِنَّا اليَوْمَ سِمْسَارُ [2]

ابْحَثْ لِنَفْسِكَ عن كُـوخٍ تَعِيشُ بِهِ ... فَإِنَّ مِثْلَكَ لِلْأَكْــــــواخِ عَـــمَّارُ

وقد تضطر الظروف الصعبة بعض الناس إلى الاستدانة من بعض أصحاب المال الذين لا يختلفون عن صاحب المسلَّم في شيء ، حتى يؤدوا بعض الحقوق الواجبة عليهم ، فكيف سيكون حال المستدين إذا ما أقبل عليه

---

(١) جريدة الجزيرة ، العدد (١٣٢٤) في ١٠/٧/١٣٩٥هـ ، ص ٥ .

(٢) سعياً : كذا والصواب سعيٌ .

صاحب الدين ، وسمعه وهو يوزع شتائمه على الذين يعترضون طريقه إليه لطلب العون والمساعدة ؟ ذلك ما يجيبنا عنه الشاعر أحمد سالم باعطب ، في قوله مصوراً حيرته ، وسوء حاله ، عندما يقبل عليه من اضطرته ظروفه الصعبة للاستدانة منه [1]:

وكم من دَائِنٍ أَدْمى حَيَـائِي ... وجَرَّ عَنِي كُـؤوسَ الإمْتِهانِ

أُطَأْطِىءُ جَبْهَـةَ الإشْـراقِ ذُلاًّ ... وأَخْشى أَنْ أَبُـوحَ بما أُعانِي

وأَتْرُكُ كُلَّ مُنْعَطَـفٍ تَمَشَّتْ ... بِهِ قَدَماهُ حتَّى لا يَـرَانِي

وإِنْ ما جَاءَ يَسْأَلُ كيف حَالِي ... تَعَثَّرتِ الإجَـابَةُ في لِسَانِي

وإِنْ يَشْتِمْ أَخَا عَوَزٍ أَمَـامِي ... حَسِبْتُ بِذِي الشَّتِيمَةِ قد عَنانِي

فَيَغْلِي مِرْجَـلِي وتَثُورُ نَفْسِي ... وتَضْطَرِمُ الحَمَاسَةُ في كَيانِي

ولَكِنْ كيف أَثْأَرُ من غَـرِيمي ... وكَفِّي مُوثَقٌ والقَلْبُ عَـانِي

وقد حمل الشعراء على تلك الآفة والمتصفين بها حملة لاهوادة فيها ، ساعين عن طريقها إلى الإصلاح والتوجيه ورسم معالم الطريق السوي لأولئك المتهافتين على بريق المال حتى يسلكوه . فحذروا من التمادي في جمع الأموال عبر الطرق غير المشروعة ، وذموا البخل ، ونددوا بالمتصفين به من أثرياء المجتمع .

فهذا الشاعر سعد البواردي يحذرهم من جمع الأموال بالطرق غير المشروعة للكسب الحلال ، كالربا والاختلاس ، ويرسم المصير المؤلم الذي ينتظر

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢٤٧٥) في ١٢/٤/١٣٩٢هـ ، ص ٦ . وديوان الروض الملتهب ، ط (٢) ص١٩٠-١٩١ .

من يصنع ذلك ، قائلاً [1] :

لا يَكُونُ الثَّراءُ جَمْعَ مُـرابٍ   واخْتِلاس .. ولا عَطَاءَ سَفِيهِ [2]
إِنَّ ما لأَرْبَا بِغَيْرِ حَـــلالٍ   هو ذَنْبٌ لِمَــنْ أَتَى يُشْقِيهِ

ومثله يصنع الشاعران : محمد إبراهيم جدع[3] ، وأحمد سالم باعطب[4] ، في تحذيرهما من مغبة اكتساب الأموال بالطرق غير المشروعة للكسب الحلال ، وعاقبة ظلمهم لأبناء مجتمعهم وقسوتهم عليهم .

في حين يتوجه الشاعر إبراهيم علاف للبخلاء الذين قادهم حبهم الجارف للمال إلى اكتنازه وعدم التفريط فيه ، مبيناً لهم سوء العاقبة التي تنتظرهم من جراء كنزهم لأموالهم ، وإحجامهم عن الإنفاق منها في سبيل الله ، علَّهم يرعوون ، ويفيقون من غفلتهم التي ستؤدي بهم إلى التهلكة ، ويتخلون عن الاتصاف بتلك الصفة الذميمة ، قائلاً [5] :

سَتُطَوَّقُونَ بما بَخِلْتُمْ فَاتَّقوا   نُذُرَ الإِلهِ وشَذِّبوا الأَرْقَـاما

ويمعن الشاعر ضياء الدين رجب في ذم أحد عشاق المال ، واصفاً إياه بالحقارة ، لأنه عبد المال ، واتخذه إلهه الذي لا إله له سواه ، حتى إنه أنساه روح المحبة والمودة ، وجعله يسيء الظَّن بأقرب الناس إليه من إخوانه وأصدقائه[6] :

ويَخْشَى على المَالِ هَبَّ النَّسِيمِ   وتُرْعِبُهُ نَظْــرَةُ النَّاظِـــرِ
فما الصَّحْبُ في ظِلِّ تَقْــديرِهِ   سِـوَى طُغْمَةٍ عَشِقُوا مَـــالَهُ

(١) ديوان رباعياتي ، سعد البواردي ، دار الإشعاع ، ط (١) محرم ١٣٩١هـ ، مارس ١٩٧١م ، ص ١٢٢.
(٢) اختلاس : كذا والصواب اختلاساً .
(٣) انظر : المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٥٨٨ .
(٤) انظر : ديوان الروض الملتهب ، ط (٢) ، ص ٢٠٦- ٢٠٧ .
(٥) ديوان وهج الشباب ، ص ٣٤ .
(٦) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ١٢٣ .

تَنَاسَى على الخِصْبِ أَحْوالَهُمْ ... وأَنْكَرَ في الجَــدْبِ أَحْـوالَهُ

كَـــذَلِكَ عُبَّـــادُ دِينَـــارِهِمْ ... حَقِيرُونَ واللَّـــهِ أَمْـــثَالُهُ

والتخويف بالموت للمتصفين بالبخل والشح، والمرابين والغشاشين المخادعين لأبناء المجتمع، والتذكير بالمآل الذين ينتظرهم، طرقه أكثرمن شاعر.

فالشاعر حسين سرحان « يعرض قضية حب المال عرضاً تأملياً ، فالإنسان يصيبه الثَّراء ، فيظلم الفقراء والأيتام ويمنعهم حقهم ، ويجمع المال حلَّ أو حرم ، فما هي الغاية بعد ذلك ؟ أليس مآله الموت الذي لا ينفعه فيه ماله الذي جمعه» .[1] حيث يقول [2] :

وَيَنْتَظِـــرُ الثَّراءَ إذا احْتَـــوتْهُ ... يَـدَاكَ وسُمْتَهُ سَوْمَ الغَـرِيمِ

تَذُودُ القُـــوتَ عن بَطْــنٍ فَقِيرٍ ... وتَمْرِي الـدَّرَّ من ضَرْعٍ يَتيمِ [3]

وَتَنْشُدُهُ حَـــلالاً أم حَـــرَاماً ... بِأَيَّةِ مَـــــرْتَعٍ مِنْهُ وَخِيـــمِ [4]

ولَكِنْ سَوْفَ تَتْرَبُ مِنْكَ كَـــفٌّ ... وَيَغْنَى التُّـــرْبُ بالعَظْمِ الرَّمِيمِ

ويؤكد السرحان هذه الحقيقة الحتمية في نص آخر [5] ، ويعنِّف الدامغ في نقده للبخلاء ، مذكراً لهم بالموت الذي لا يفرق بين غني وفقير ، قائلاً[6] :

ذُو الزَّيْفِ يَمْشِي اخْتِيالاً في تَأَنُّقِهِ ... ويَسْتَبِيحُ الدُّنَـــا والفَضْلُ مَشْدُودُ

يَبْنِي على البُخْلِ أَطْـــواداً مُشَيَّدَةً ... من النُّضَارِ كَأَنَّ الخُلْـــدَ مَوْعودُ

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبد الله صالح المحسن ، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط (١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص ١٣٦ .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٩٠٢) في ١٣٦٩/٢/٣هـ ، ص ٦ .

(٣) تمري الدَّرَّ : أي تستخرجه وتستدره .

(٤) حلالاً أم حراماً : الصواب أو حراماً .

(٥) ديوان الطائر الغريب ، حسين سرحان ، نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ، ١٣٩٧هـ ، ص ٨٩ .

(٦) ديوان شرارة الثأر ، ص ٤٨ .

يا أُمَّةَ الزَّيفِ لا تُحْفُـوا مَنَاسِمَكُمْ بِالْبُخْلِ فَالْمَوْتُ رَغْمَ الشُّحِّ مَـوْرُودُ

ولما كان الموت هو العاقبة التي تنتظر الغني والفقير على السواء ، وجدنا الشاعر السعودي حريصاً على توجيه الواقعين من أبناء مجتمعه تحت سطوة حب المال إلى ما يحقق لهم السعادة الحقيقية التي ظلَّت أقدامهم الطريق إليها ، ويكسبهم الذكر الحسن ، والمنزلة الرفيعة في ضمائر الناس ووجداناتهم ، حتى بعد رحيلهم إلى الدار الآخرة .

فالشاعر أحمد الغزاوي « يعالج مشكلة التهافت على جمع المال أثناء الطفرة التي حدثت وما أصاب الناس من تهالك وراءها وتناحر وتكالب عليها ، فهو ينصح الناس باليقين والكسب الحلال ، وعدم إذلال الإنسان نفسه واحتقارها أمام المطمع المادي» [1] حيث يقول [2] :

طِرْ إذا شِئْتَ في أَمَانِيكَ أَوْقَـعْ إِنَّ (حَقَّ اليَقِيْنِ) في القَلْبِ أَوْقَعْ

إِنْ يَكُنْ رِزْقُكَ المُتَاحُ حَـــلالاً فَلأَنْتَ السَّعِيدُ مَهْمَـا تَوَقَّــــعْ

لن تُسَاوِي لَذَائِذُ الحِسِّ طُــرَّاً أَلَمَ الـــذُّلِّ بالذي أَنْتَ تَطْمَـعْ

و«يتسائل عن فائدة المال ؟ فهو ضرر بالغ إذا لم يحسن الإنسان جمعه وتصريفه بل هو فتنة عمياء ، وابتلاء للناس» [3] وفي ذلك يقول [4] :

هَبْكَ أَدْرَكْتَ في حَيَاتِكَ كَـــدْحاً (مَالَ قارونَ) ما عسى أَنْتَ تَصْنَعْ

هو كَـــــرْبٌ عليك يَفْنَى وهَـــمٌّ فيه تَشْقَى من حَيْثُ لا تَتَوَقَّـــعْ

إِنَّــهُ (فِتْــنَةٌ) وفِيــكَ ابْتِــلاءٌ فَــانْجُ منها بما بِهِ لَكَ أَنْفَــعْ

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، د. مسعد العطوي ، القسم الأول ، ص ٣٢٧ .

(٢) مجلة المنهل ، ربيع الأول ١٣٩٣هـ ، المجلد (٣٤) ص ١٦٦ .

(٣) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ٣٢٧ .

(٤) مجلة المنهل ، ربيع الأول ١٣٩٣هـ ، المجلد (٣٤) ، ص١٦٦ .

وفي تساؤل الشاعر محمد حسن فقي عن المسافة التي سيظل الإنسان المفتون بحب المال يقطعها سعياً وراء تحصيله وجمع أكبر قدر منه ، دعوة إلى القناعة ، وحث على التخلق بها ، خاصة وأن كل الأشياء التي ينال الإنسان بسببها التعب والإعياء ستبقى وسيرحل عنها بعيداً ، طال به الأمد أو قصر[(١)] :

كُلُّ ما تَشْتَهِي وتَمْـــلِكُ زَائِـــلْ فَعَـــلامَ احْتِفالُنَـا بالمهَـــــازِلْ

وعَـــلامَ احْتِفالُنَا بالمسَـــــــــرَّا تِ وما هُنَّ غَيْرُ وهْـــمٍ وبَـــاطِـــلْ

واللَّـــذَاذاتِ والنَّفَــائِسِ والـــــمَجْـ ـدِ وحُلْـــوِ الـــرُّؤَى وعَـــذْبِ المَنَاهِلْ

سَوْفَ نَمْضِي ونَحْنُ نَصْبُو إلى العَيْـ ـشِ ونَهْفُـــو لِأَهْـــلِنا والمنَـــازِلْ

وإلى الصَّحْـــبِ والبَنِيْنَ ومــــا نَمْـ ـلِكُ بَاقٍ إلاَّ نُـــــواحَ الثَّــواكِـــلْ

ما أرى في القِتَالِ من أَجْـــلِ مَجْـــدٍ وحُطَــــامٍ إلاَّ جُـــنُونَ المقـــــاتِلْ

وإذا كانت التقريرية والمباشرة قد طغت على تذكير الشعراء للمتهافتين على جمع الأموال بالموت ، لحملهم على الإقلاع عن ذلك التهافت والتناحر ، والكف عن الجشع والطمع ، والدعوة إلى القناعة والرضا بما قدَّره الله لعباده من الرزق ، فإن في قصيدتي : (الدودة الأخيرة)[(٢)] للسرحان ، و(الفتاة اللعوب)[(٣)] للجهيمان ، مع ما تحملانه من نهي عن الجشع والطمع ، وتحذير من الاغترار بالحياة الدنيا ، ودعوة إلى القناعة ، «محاولة مبكرة للتخلي عن المباشرة في معالجة تلك الموضوعات ذات الطابع الإرشادي الوعظي» [(٤)] .

ويتوجه إليهم الشاعر حمد الحجي ، حاثاً إياهم على الإنفاق من أموالهم

---

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص٣١٩ .

(٢) جريدة حراء ، العدد (٦٥) في ١٣٧٧/٦/٢٨هـ ، ص ٢ ، وديوان أجنحة بلاريش ، ص ٢٠-٢٤ .

(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص ١٧٣ .

(٤) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

على أعمال البرِّ والخير المشرعة الأبواب ، والإسهام الفاعل بأموالهم في نهضة بلادهم وتقدمها ، مؤكداً لهم أن ذلك الصنيع هو الذي سيجلب لهم الأجر والثواب ، والخلود في ذاكرة الناس ، حتى بعد تركهم لهم ، ومغادرتهم للحياة الدنيا [1]:

يا أَغْنياءَ بِـــلادِنَا أَبْصَـرْتُمو ... أَنَّ الفَضِيلَةَ كَسْبُ كُلِّ فَخَـــارِ
فإذا رَأَيْتُمْ ذَاكَ كيف تَكَـــالُبٌ ... مِنْكُمْ على الدِّرْهَـــامِ والدِّينــارِ
هيا انْفِقُوها في ارْتِفَاعِ بِلادِكُمْ ... في مَصْــــنَعٍ أو مَعْمَلٍ أو دارِ
حَتَّى تَـــرَوْا أَنَّ الـذي أَنْفَقْتُمو ... يَنْمُو نُمُـــوَّ النَّبْتِ والأَشْجَـــارِ
فَبِذَلِكَ العَمَلِ المَجِـــيْدِ تَيَقَّنُوا ... إِلْحَاقَكُمْ بِخَــــوالِدِ الآثَـــارِ

(١) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٠٦ .

المبحث الثاني

النفاق

من الآفات التي استشرت في المجتمع آفة النفاق وما يتبعها من رياء ومخادعة .

والنفاق صفة أخلاقية قديمة ، تصدى لها الإسلام ، وحذر معشر المسلمين منها ومن المتخلقين بها ، وأمعن في تشويهها وتقبيحها [1] .

وقد تصدى شعراؤنا لهذه الآفة والصفة الأخلاقية الذميمة ، وذلك لعظم خطرها على المجتمع والمنضوين تحت لوائه ، فهي تغرس الأحقاد والضغائن والكراهية في نفوس أفراده ، وتزعزع الثقة فيهم .

وتلك الأمور من شأنها تهتيك أواصر المحبة والأخوة التي يتفيؤ ظلالها أبناؤه ، ويتطلعون إلى دوامها .

والنصوص الشعرية الموجهة لمحاربة النفاق ، وانتقاد المتخلقين به من أبناء المجتمع ، تكشف عن تفشيه وسريانه في المجتمع ، وعن تعدد صوره ، ولذلك وجدنا اهتمام الشعراء به كبيراً . فما من شاعر إلاَّ وقد عرض له ، وكشف عن خسة ودناءة أربابه .

والغاية التي يرنو إليها الشعراء من وراء ذلك الاهتمام بالنفاق في صوره المتعددة ، بالإضافة إلى تحذير أبناء المجتمع من تلك الصفة الأخلاقية الذميمة، ومن المتخلقين بها ، محاولة إصلاح الأنفس التي اتصفت بهذه الصفة ، وتطبعت بطباع أهلها ، والعودة بها إلى جادة الصواب .

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ٣٥٩ « بتصرف » .

وقد تفاوتت تلك النصوص في طرق تصديها ومعالجتها لذلك الداء وتلك الآفة ، وذلك التفاوت راجع – كما أرى –إلى سببين اثنين :

أولهما : تعدد صور النفاق في المجتمع .

وثانيهما : يكمن في حرارة التجربة وصدقها من عدمها . فمن الشعراء من اكتوى بنارها ، وتجرع غصصها ، فجاءت نصوصهم – لذلك السبب – محملة بالسخط والتبرم من تلك الآفة والمتخلقين بها ، وغلَّفت معظمها روح تشاؤمية سوداوية ، تكاد تعمم هذه الظاهرة على كل أفراد المجتمع . ومنهم من عرض لها عرضاً هادئاً ، أبدى فيه ألمه من تفشيها ، وتحذيره منها ؛ لإدراكه للأخطار الناجمة عنها .

وتتفق كل تلك النصوص –رغم تفاوتها في طرق المعالجة – على محاربة تلك الصفة ، وذم المتزيين بها ، والسخرية منهم .

فهذا الشاعر محمد حسن عواد يرى أن النفاق من شر المصائب ، لأن المتخلقين به دأبهم نشر الآثام والشرور ، ولذلك فهم يستحقون العذاب والعقاب الأليم (١) :

كلُّهُمْ في الحَيَاةِ أَصْغَرُ جُرْماً وأَثَاماً والكُــلُّ كَــانَ أَثِيما
من أَخِي خُدْعَةٍ يُنَافِقُ في النَّا سِ بِوَجْهَيْنِ يَنْشُـرُ التَّأْثِيمَــا
عَاشَ بِالبَغْيِ والفَسَادِ مُضِـلَّاً يَسْتَحِلُّ الأَذَى ويُزْجِي النَّمِيما
أَعْظَمُ المُجْرِمينَ هــذا وأَوْلا هُمْ بِأَنْ يَلْعَقَ الغِــذَاءَ الوَخِيمَا
من حَمِيمٍ ومن صَــدِيدٍ وزَقُّو مٍ وغِسْلِيْنَ ثُمَّ يَلْــقَى الجَحِيما

(١) ديوان العواد ، جـ (١) ، ص ٣٢ .

أما الشاعر محمد حسن فقي ، فيتمنى – من شدة كراهيته للنفاق – أن يكون غصة في حلق كل منافق [1] :

تَمَنَّيْتُ أَنِّي غُصَّةٌ في المَخَانِقِ ... لِكُلِّ امْرِيءٍ نَزْرِ الحَيَاءِ مُنَـافِقِ
جَرِيءٍ على الزُّورِ اللَّئِيمِ بِقَوْلِهِ ... جَبَانٍ عن الحَقِّ الكَرِيمِ مُمَـاذِقِ

وقد وجدت آفة النفاق سوقاً رائجة لها في المجتمع ، فتفشت وسرت فيه سريان النَّار في الهشيم ، ذلك ما تكشفه بعض مشاركات الشعراء في تصديهم لها .

فالشاعر أحمد الغزاوي يشير إلى تفشي تلك الآفة في المجتمع ، ويبدي استياءه وحزنه لذلك، قائلاً [2] :

إنِّي بَلَـوْتُ حَيَاةَ النَّـاسِ من كَثَبٍ ... فَكِدْتُ أَبْلَسُ من وَجْدِي وأَمَّحِقُ [3]
فما هُنَاكَ سِوَى التَّدْجِيل مُحْتَجِـباً ... وما هُنَالِكَ إلاَّ الإفْـكُ والمَـلَقُ

ويذهب الشاعر عمران العمران إلى ما ذهب إليه الغزاوي ، حيث يصم بهذه الصفة الأخلاقية الذميمة كل أبناء مجتمعه ، رغم ما في ذلك التعميم من شطط وجور ، لأن المجتمع – أياً كان – يحوي النماذج الخيرة ، وكذا النماذج الشريرة ، وربَّما بزَّ الخيرون سواهم . وفي ذلك يقول [4] :

ووقَفْتُ أَنْظُرُ ما حَـوالَيَّ واقِعي ... وأُطِيلُ فِيْهِ تَأَمُّـــلِي وتَطَلُّـعِي
قَسَماً فما أَبْصَرْتُ غَيْرَ (مُنَافِقٍ) ... يَهْوَى (الحَيَاةَ) ولو على مُسْتَنْقَعِ

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٦٦٨) في ١٢/٢/١٣٨٦هـ ، ص ٨ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٢) ، ص ٥٢٩ .
(٢) مجلة المنهل ، شعبان ١٣٦٠هـ ، المجلد (٥) ، ص ١٦٥ .
(٣) أبلس : أيأس . وأمَّحق : أهلك .
(٤) جريدة أخبار الظهران ، العدد (٣٣) في ١٥/٤/١٣٧٦هـ ، ص ٢ .

يَهْوى (الحَياةَ) ولو يكُونُ سَبِيلَها قَتْلُ الرُّجُولَةِ والضَّمِيرِ الأَرْوعِ

يَبْتَاعُ دُنْياهُ (برَطْلِ)نَمِيمَةٍ ويَبِيعُ(تَقْواهُ) بِأَتْفَهِ مَرْتَعِ

وتبع تفشي تلك الآفة ، تعدد صورها ، وتنوع أساليب المتزيين بها وطرائقهم في التمويه على الناس ومخادعتهم ، لغايات في نفوسهم المريضة يصبون إليها .

فمنهم من تزيا بالدين وهومنه براء ، فتراه وقد بالغ في تقصير ثوبه ، وأطلق لحيته ، وراح يتقدم الصفوف في الصلاة ، حتى إذا أقبل الليل ، ومدَّ رواقه على الأفق ، هرع إلى لهوه ومجونه .

وفي هذا الصنف من المنافقين يقول العواد ساخراً ومتهكماً (١) :

نَذْلٌ رَقِيعٌ لا يَمَلُّ تَحَكُّكاً بالصِّبْيَةِ اللاهِيْنَ قَصْدَ تَقَرُّبِ

لِصٌّ من الأَدْنَيْن يَرْزَؤُ جَارَهُ في لَيْلِهِ بِدَجاجَةٍ أَوْ أَرْنَبِ (٢)

فَإِذا اسْتَبَانَ الفَجْرَ يَمَّمَ مَسْجِداً في ذِلَّةِ المُتَخَشِّعِ المُتَقَرِّبِ

مُتَقَحِّماً زُمَرَ الصُّفوفِ لِكَيْ يُرَى خَلْفَ الإِمَامِ كَأَنَّهُ ابنُ مُسَيَّبِ

وإذا ما ضمَّه مجلس استلم زمام الحديث ، مظهراً ورعه وتنسكه وتقواه ، لا لينال رضا الله ومغفرته ، وإنما ليجني مطامعه ، ويحقق مصالحه ومآربه .

وعن ذلك المدَّعي للتقوى والورع ، يقول الشاعر عمران العمران كاشفاً نواياه وخسة طبعه (٣) :

وتَراهُ يَخْتَلِسُ الحَدِيثَ ويَرْتَدِي (بُرْدَ) التَّقِيِّ النَّاسِكِ المُتَوَرِّعِ

---

(١) ديوان العواد ، جـ(١) ، ص ١٦٥ .

(٢) يرزؤ: يصيب .

(٣) جريدة أخبار الظهران ، العدد (٣٣) في ١٣٧٦/٤/١٥ هـ ، ص ٢ .

يَأْتِيكَ مُبْتَسِماً ويُضْمِرُ ضِغْنَهُ ... قَلْبُ العَدُوِّ ومَظْهَرُ المُتَضَرِّعِ
فَيَسِيرُ في الدُّنْيا بِغَيْرِ عَقِيدَةٍ ... وبِدُونِ ما خَجَلٍ ودُونَ (تَقَنُّعِ)
يَئِدُ الفَضِيلَةَ وهي أَسْمَى آيَةٍ ... يُزْهى بها ويَرُومُ أَرْذَلَ (مَنْفَعَ)

ويندد الشاعر أحمد قنديل بأولئك المنافقين المتاجرين بالدين والأخلاق ، الذين « ينشطون في أداء دور ديني أو اجتماعي ، وهم لا يحملون عاطفة خيرة بل يحملون مطامع شخصية ، يضعون فيها الصدق والخير والدين والأخلاق للربح ، كما يضع صاحب الدكان العلب في الرفوف حسب طلب المشترين». (١)

حيث يقول (٢) :

وهذي هي الأَخْلاقُ فينا تِجَارةٌ ... يُكاثِرُ فيهاالزَّائِفُ الكَاسِدُ النِّدُّ
فَكُلُّ مُرِيدِ الكَسْبِ فيها مُوَفَّقٌ ... إذا هو لم يُعْجِزْهُ في سُوقِها النَّقْدُ
وحَسْبُكَ بالأَخْلاقِ تُصْبِحُ مَلْبَساً ... وصَاحِبُها في كُلِّ يَوْمٍ لَهُ بُرْدُ
كَأَنَّ مَقَامَ الدِّينِ مِنَّا وسِيلَةٌ ... إلى مَأْرَبٍ ما كَانَ عن نَيْلِهِ بُدُّ
وأَنَّ حِسَابَ الخَيْرِ لِلْخَيْرِ كُلْفَةٌ ... فَلَا رِفْدَ إلاَّ أَنْ يُسَاقَ بِهِ رِفْدُ
وأَنَّ سَبِيلَ الحَقِّ لِلْحَقِّ شَائِكٌ ... فَلا حَقَّ إلاَّ حين يُجْنَى بِهِ الوَرْدُ
وأَنَّ مَجَالَ الصِّدْقِ في النَّفْسِ ضَيِّقٌ ... فَلا صِدْقَ إلاَّ ما يُؤَدَّى بِهِ القَصْدُ

ومن صور النفاق التي لاقت قدراً كبيراً من اهتمام الشعراء ظاهرة انتشار الأخوة والصداقة المغشوشة ، وأربابها فئة من أبناء المجتمع ، تحاول تحقيق ذاتها ، وتبحث عن وجودها ، عن طريق ادعاء المحبة للآخرين ، لا سيما

---

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبد الله الحامد ، ص ٢٧٨ .
(٢) ديوان الأبراج ، ص ٤٦ .

أصحاب النفوذ والجاه ، حتى إذا ما وصلوا إلى غاياتهم قلبوا لمن أظهروا له المحبة والصداقة الكاذبة ظهر المجن، فإذا هو في بيداء قاحلة لا أثر فيها لماء.

ولم يغفل الشاعر السعودي عن هذه الظاهرة ، فقد تصدى لها ، وأظهر سخطه وتأففه من أولئك الأصدقاء المداجين .

والشاعر السعودي وهو في قمة غضبه من المدعين للمحبة والأخوة،يسعى إلى خلق جو مثالي تسمو فيه القيم والمبادىء الإسلامية ، آخذاً في الاعتبار أن مثل هذه العلاقات من شأنها أن تقوم على الصدق والوفاء ؛ لأنها تساعد على بذر روح المحبة في حنايا أبناء المجتمع ، وتعزز من وحدتهم وتآلفهم .

ويعد الشاعر طاهر الزمخشري من أكثر شعرائنا تعرضاً لهذا الصنف من الأصدقاء ، ويبدو لي أن ذلك راجع إلى اكتوائه بنارهم ، وقد دفعه ذلك إلى التصريح بموت الود الصادق بين الناس ، حيث يقول [1] :

وإِنَّما الوُدُّ في الدُّنْيا مُخَـــادَعَةٌ ... لها من الـــزَّيْفِ تَنْسِيقٌ وإِبْقاءُ
يَصْفُو ولَكِنْ وَرَاءَ الصَّفْوِ مُعْتَرَكٌ ... بين الضُّلوعِ لَهُ بالبُغْضِ إِذْكَاءُ
فَكَأْسُهُ أَبَداً مَشْبوبَةٌ بِقَـــــذًى ... وفي الثُّمَالَةِ صِرْفٌ كُـــلُّهُ داءُ

ولذلك نراه يدعو إلى ترك المودة ، لأنها – في نظره – فقدت الأسس والدعائم التي تبنى عليها ، واستبدلت بألوان وأصبغة أذهبت سحرها وبريقها ، وأصبحت المنفعة – ولا شيء سواها – هي المحرك الحقيقي والباعث الوحيد لها .

---

(١) مجموعة النيل ، ص ١٢٥ .

وفي ذلك يقول كاشفاً زيف الصداقة والمودة السائدة ، وخسةَ ودناءةَ الأصدقاء المداجين [1] :

دَعِ المَوَدَّاتِ إِنَّ الوُدَّ إِغْـــراءُ ... وَصَاحِبِ اليَوْمَ في دُنْياكَ حِرْبَاءُ

مُلوَّنٌ لا يَفِـي إلاَّ لِحَـاجَتِهِ ... يُبْدِي الوَلاءَ ومِلْءُ النَّفْسِ شَحْنَاءُ

يُبْدِي النَّواجِذَ إِمَّا كُنْتَ ذا سَعَةٍ ... كالأُسْدِ يُضْحِكُها حِقْدٌ وبَغْضَـاءُ

ويَسْتَرِيحُ إلى لُقْياكَ مُبْتَسِـماً ... وفي تَضَـاعِيْفِهِ تَنْـدَسُّ أَشْيَاءُ

ويَسْتَبِيكَ بِأَلْـوانٍ مُنَمَّقَةٍ ... وجَوْهَرُ القَـوْلِ لو فَتَّشْتَ أَدْواءُ

ولما كانت المنفعة والمصلحة هي كل هم هذا الصنف من الأصدقاء ، فهم حريصون على انتقاء من يستطيع تحقيقها لهم من ذوي الجاه والنفوذ ، فتراهم يهرعون إليه صباح مساء ، ويقتفون خطاه ، مبدين له حبهم ، وعارضين عليه خدماتهم ، وإذا ما تغيرت الحال ، وأقبلت على ذلك الشخص المحبوب الشدائد من كل حدب وصوب ، تنكروا له ، وأدبروا عنه ، وكأن شيئاً لم يكن .

نقف على كل ذلك في قول الشاعر عبد الكريم الجهيمان [2] :

حَازَ في هذه الحَيَاةِ حُطَـاما ... فَاقَ عِنْدَ الحِسَابِ عَدَّ الحِسَابِ

فَاقْتَفَاهُ الصِّحابُ في كُلِّ فَـجٍّ ... وحَبَوهُ في المَـدْحِ بالمُسْتَطَـابِ

دَلَّلُوهُ وبَجَّلُـوهُ وأَرْضَـوْا ... مَابِهِ من تَنَافُرٍ واصْطِحَـابِ

وصَفُوهُ بِكُلِّ مَعْنًى بَـدِيعٍ ... ونَفَوْا عن جَنَابِهِ كُلَّ عَـابِ

ثُمَّ جَاءَتْ حَوادِثُ الدَّهْرِ يَوْماً ... ذَاهِبَاتٍ بالقِشْرِ أَثْـرَ اللُّبَـابِ

وتَجَافَى عنه الصِّحَابُ جَمِيعاً ... فرأى الرُّزْءَ كُـلَّهُ بالصِّحَـابِ

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٥٧٠) في ١٣/١٠/١٣٧٣هـ ، ص ٤ ، و شعراء نجد المعاصرون ، ص ١٧٤-١٧٥.

وأهم خصائص وصفات هذا النوع من الأصدقاء ، أنك واجد منهم جميل الإطراء ، وبديع الكلام المنمق المعسول ، في حالة وجودك بينهم وإقبالك عليهم . أما في حالة إدبارك عنهم ، فإنهم راموك بكل مثلبة ، وواصفوك بكل نقيصة .

نقف على تلك الصفات عند الشعراء : محمد حسن فقي[1] ، وعلي غسال[2] ، وغازي القصيبي ، الذي يقول محدداً مكانته عند هذا الصنف من الأصدقاء [3] :

أنا مَنْ أنا يا أَصْدِقَاءْ ؟

أنا عِنْدَ بَعْضِكُمُ الملَاكُ .. وعِنْدَ

بَعْضِكُمُ الرَّجِيمْ

وإذا ظَهَرْتُ رَأَيْتُ بَسْمَتَكُمْ

تُضِيءُ على الوجُوهْ

وإذا مَضَيْتُ سَمِعْتُ هَمْساً

من وَرَائِيَ كالسُّيوفْ .

وادعاء المحبة والصداقة من هذا الصنف من الأصدقاء ، تكشفه الشدائد، وتجلوه نوائب الزمان ، عندها يقف المرء على حقيقة أصدقائه ، وفي ذلك يقول الشاعر عبد الكريم الجهيمان [4] :

وخَيْرُ مَحَكٍّ يُظْهِرُ الزَّيْفَ مِنْهُمُ ويَكْشِفُ عن سَوْآتِهِمْ والمعَائِبِ

---

(١) انظر :جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢٤٩٧) في ٩/٥/١٣٩٢هـ ، ص ١٢ ، والأعمال الكاملة ، المجلد (٢) ، ص ٥٧٥

(٢) انظر : ديوان فجر العمر ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٣) جريدة البلاد ، العدد (٥٨٩) في ٢١/٧/١٣٨٠هـ ، ص ٦ ، والمجموعة الشعرية الكاملة للشاعر غازي عبد الرحمن القصيبي ، مطبوعات تهامة ، ط (٢) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م ، ص ١٠٤ .

(٤) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٣٨٨) في ٢١/٥/١٣٥٨هـ ، ص ٤ .

إِصَابَةُ مَنْ وَدُّوهُ في الدَّهْرِ مَرَّةً بِفَادِحَةٍ من فَادِحَــاتِ النَّوائِبِ

هُنَالِكَ يَبْدُو مُخْلِصُ الـوُدِّ مِنْهُمُ ومَنْ هو في أَفْعَــالِهِ كـالثَّعَالِبِ

وهذا ما نجده في تعليل الشاعر طاهر الزمخشري لانصراف أصدقائه عنه ، حيث يقول [1] :

وقَالَ : تَغَاضَى عَنْكَ قُلْتُ لأنَّني قَعِيدٌ ولَيْسَتْ في يَدَيَّ مَصَالِحُ

وقد كَانَ يَلْقانِي بِكُـــلِّ تَجِلَّةٍ ويُقْسِمُ أَنِّي رُوحُهُ والجَــوارِحُ

فَلَمَّا رَمَتْنِي النَّائِباتُ بِهَوْلِــها تَجَهَّمَ لي والكَفُّ مِنْهُ تُصَــافِحُ

وعَيْنَاهُ مُسْمَارانِ عُلِّقَ فيهمـــا شُرودٌ يُوارِي خَلْفَهُ ما يُكَافِحُ

والشكوى من هذا الصنف من الأصدقاء المداجين ، نجدها عند عدد كبير من الشعراء ، أمثال : محمد حسن فقي [2] ، وعلي زين العابدين[3] ، ومحمد عــــبد القادر فقيه[4] ، وعبد الكريم الجهيمان[5] ، وصالح الأحمد العثيمين[6] ، وعـــــثمان بن سيار[7] ، وعبد القدوس الأنصاري[8] ، وأحمد سالم باعطب[9] وغيرهم .

« وهناك فئات من أفراد المجتمع يرتدون ثياباً غير ثيابهم الحقيقية التي

---

(١) مجموعة النيل ، ص ٥٥٤ .

(٢) انظر : الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ص ١٣٦ ، وص ٣١٧ .

(٣) انظر : ديوان هديل ، ص ٩٤ – ٩٥ .

(٤) انظر : ديوان أطياف من الماضي ، محمد عبد القادر فقيه ، دار الرفاعي ، مطابع اليمامة ، الرياض ، ط (٢) ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م ، ص ٩٩–١٠٠ .

(٥) انظر : جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٢٣٨) في ١٣٧٢/١/٢٢هـ ، ص ٢ . وشعراء نجد المعاصرون ، ص ١٧٨ .

(٦) انظر : ديوان شعاع الأمل ، صالح الأحمد العثيمين ،دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص ١٢٨– ١٢٩ .

(٧) انظر : ديوان إنه الحب ،عثمان بن سيار ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ –١٩٨٢م ، ص ١١٧ – ١١٨ .

(٨) انظر :ديوان الأنصاريات ، ص ٢٧ .

(٩) انظر : ديوان الروض الملتهب ، ط (٢) ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

يعرفون بها ، وعندما تريد أن ترى منه هذا اللباس الذي يـــــدعيه لنفسه يظهر زيفه»[1].

فمنهم من يدَّعي الكرم وهو في حقيقة الأمر لئيم وبخيل ، لا يقوى على دفع ما في يده لغيره . وفي هذا الصنف يقول السرحان [2] :

وَمُدَّعٍ كَرَمـــــاً تَــــزْدَادُ هَامَتُهُ ضَعْفاً وتَسْمُو اخْتِيالاً بَيْنَ هَامَاتِ
تَرْجُو نَدَاهُ فَــــلا يُعْطِيكَ حَشْوَيَدٍ إلاَّ إذا نُحْــتَ أَلْفاً نَــوْحَ إِخْبَاتِ
وأَنْتَ ذو الحَظِّ إِنْ أَعْطاكَ بَعْـدَئِذٍ حَظَّاً يُفَتِّحُ أَبْـــوابَ السَّمَـاواتِ

ومنهم من يدَّعي العلم والفهم ، وهو في الحقيقة لا يفقه شيئاً فيما يدعيه ، وفيهم يقول الزمخشري [3] :

تَطَاولَ في ادِّعَاءِ الفَهْـمِ حَتَّى تَبَرَّأَ من تَطَاوُلِهِ الغُـــرُورُ
ويَزْعَمُ أَنَّهُ في العِلْمِ بَحْـــرٌ وفي العِـرْفَانِ ليس لَـهُ نَظِيرُ
وَيَهْرِفُ كيف شَاءَ لَهُ هَــواهُ وإِنْ حَــاوَلْتَ تَصْوِيباً يَثُورُ
فَيَخْلِطُ في المَجَالِسِ في أُمورٍ تُؤَكِّدُ أَنَّهُ الرَّجُـلُ الطَّــرِيرُ

ويقول عن آخر ، يتشدق في الكلام ، حتى يوهم الناس بعلمه الغزير [4] :

ودَعِيٌّ متى تَحَـدَّثَ أَرْغَـى كَبَعِيرٍ يُشَدُّ من أَطْـواقِهْ
فإذا هَمَّ أَنْ يَفُــوهَ بِشَـيءٍ يَتَرامَى الهُرَاءُ من أَشْـدَاقِهْ
ليس يَرْضَى بِأَنْ يُنَاقَشَ حَتَّى مَنْ يُمالُونَ سُخْفَهُ من رِفَاقِهْ

---

(١) شعر حسين سرحان ، دراسة نقدية ، ص ١٣٩ .
(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٩٨٤) في ٥ /٤/١٣٧٠هـ ، ص ٤ .
(٣) مجموعة النيل ، ص ٥٥٣ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٥٥ .

ولعل أكثر الأماكن احتواء لهذا الصنف من الناس البارعين في التلون حسب مقتضيات الأحوال والظروف ، هي أماكن الوظائف ، ففيها يمارسون كل ألوان التملق والمداهنة والتدبيج لرؤسائهم ؛ طمعاً في الوصول إلى مآربهم وغاياتهم التي يطمحون إليها .

وفي ذلك يقول السرحان ساخراً ومتهكماً(١) :

وإذا جَـــرَى الجِلْــوازُ يَوْ ... ماً قُلْتَ :ويْحَكَ ما جَــرَى (٢)

قَالَ : الـــرَّئِيسُ أَتَى فَقُمْـ ... ـتَ مُهَلِّـــلاً .. ومُكَـــبِّرا

وضَحِكْـتَ واسْتَنْجَدْتَ نَا ... باً ، أَسْـوَداً أَوْ أَصْفَــرا

ولما أصبح التملق والمداهنة والتدبيج للرؤساء من الوسائل المتاحة لاعتلاء المناصب والوظائف في مرافق المجتمع المتعددة ، وجدنا عدداً من شعرائنا يحثون الجادين من شباب مجتمعهم على انتهاج تلك الأساليب والوسائل ، بدلاً من جدهم واجتهادهم ، على سبيل التندر والسخرية .

نقف على ذلك عند الشعراء : محمد حسن عواد(٣) ، وإبراهيم خليل علاف(٤) ، ومحمد سراج خراز، الذي يقول(٥) :

إِنْ تُرِدْ أَنْ تَفوزَ بِالجَاهِ أَوْ تَصْـ ... ـعَدَ من مَنْصِبٍ لِآخَـــرَ أَعْلَى

فَلْيَكُنْ دَأْبُكَ التَّمَــلُّقَ والــــتَّدْ ... لِيسَ والمَيْنَ فهي أَقْــرَبُ سُبْلا

ولْتَكُنْ لِلرُّؤوسِ ذَيْـلاً وإِنْ حَــا ... دُوا عن الحَقِّ أَوْ أَحَالُوهُ بَطْـلا

رُبَّ ذَيْلٍ قد اهْتَدَى طُرُقَ المَجْـ ... ـدِ وحُرٌّ أَبَى الخُنوعَ فَضَـــلاَّ

(١) ديوان أجنحة بلاريش ، ص ١٥٨ .

(٢) الجلواز : الرجل الضخم .

(٣) انظر : ديوان العواد ، جـ (٢) ص ٢٣٥ .

(٤) انظر : ديوان وهج الشباب ، ص ٩٣.

(٥) التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، عبد الله عبد الجبار ، مصر ١٩٥٩م ، ص ٣١٤ .

في حين يبدي الشاعر محمد بن علي السنوسي سخطه على هذا الصنف من الناس ، حيث يقول مصوراً سلوك أحد هواة التسلق ، وقد دأب على اصطناع البسمات الملونة ، وإظهار كل ألوان الود والاحترام والتقدير لشخصه، بعد أن تولى أحد المناصب القيادية في مجتمعه [1] :

أَصْدِقَائِي أم أَصْدِقَاءُ الوَظِيفَهْ ... أَنْتُمُ يا ذَوِي النُّفوسِ الضَّعِيفَهْ
الأُولى تَهْـــزَأُونَ بِالمُثُلِ العُلْـ ... ـيا وتَلْهُونَ بالمَعَـانِي الشَّرِيفَهْ
بَسَماتٌ مُلَـوَّنَاتٌ وأَخْــلا ... قٌ وصُولِيَّةٌ غِـــلاظٌ سَخِيفَهْ
ونِفَاقٌ مُلَوَّنٌ تَخْجَــلُ الحِــرْ ... بَاءُ منه فَتَنْثَنِي مَكْسُوفَــــهْ
تَتَدَلَّى وتَسْتَكِــينُ وتَنْــمَا ... عُ وتَغْدُو لِكُــلِّ صَابُونَ لِيْفَهْ

والمؤلم أن المتصفين بهذه الصفة الأخلاقية الذميمة لم يجدوا من ينكر عليهم ذلك من أبناء مجتمعهم ، فطفقوا يطورون أدواتهم ، ويتفننون في اختيار الألوان والأصباغ الملائمة لكل دور من الأدوار المتعددة التي يؤدونها على مسرح الحياة . ومما زاد الطين بله ، أنهم قد قوبلوا من بقية أفراد المجتمع الذين تشابهت عليهم الأمور ، بحيث لم يعودوا قادرين على التفرقة بين الصالح والطالح من أبناء مجتمعهم ، بكل الحب والتقدير ، فتراهم يحسنون ذكر المنافقين ويجلونهم ، ويتباهون بهم في المحافل والمنتديات . وذلك ما أزعج الشعراء وأوجعهم ، وجعلهم يستغربون كل ذلك من أفراد مجتمعهم .

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (٣٤٦٢) في ٢/٥/١٣٩٠هـ ، ص ٨ . والأعمال الكاملة ، ص ٤٣٨ – ٤٣٩ .

فهذا الشاعر حسين سرحان ، يطلعنا - بصورة غير مباشرة - على سذاجة معظم أبناء مجتمعه ، ومدى جهلهم بحقائق الأمور ، فهم يحتفلون بأحد المنافقين دون وعي منهم بما يضمره ولا بتطلعاته التي يصبو إلى تحقيقها ، قائلاً [1] :

وفَازَ بِحُسْنِ الذِّكْرِ خِبٌّ مُدَاهِنٌ   تُبَاهِي بِهِ أَقْرَانُهُ والمَحَـــافِلُ[2]

يُتَمْتِمُ بِالْمَعْنَى الجَمِيلِ وقَلْـــبُهُ   إلى غَيْرِ ما يَعْنِيهِ ولْهَانُ مَائِلُ

ويقول القرشي مبدياً ألمه وعجبه في الوقت ذاته من موقف أبناء مجتمعه من المنافقين[3] :

أَصْبَحْتُ آنَفُ أَنْ أُطَالِعَ عُصْبَةً   تَخِذَتْ من التَّمْوِيهِ ثَمَّ خِـــدَاعا

عَجَباً وثَمَّةَ من يُبَادِلُها الـرِّضَا   يالَلْغَبَاوَةِ صَافَحَتْ أَشْيَـــاعا

ولشد ما آذى جهل أفراد المجتمع بحقائق الأمور ، وآلم مظهرهم وهم يحتفلون بالمنافقين والدجالين ،الشاعر عبد الله بن خميس ، حيث يقول متألماً على العالم الفذ ، الذي لم يقدره مجتمعه حق قدره ، في حين ترى مدَّعى العلم ، المرتدي لكل حال لبوسها الملائم لها ، وقد تربَّع في أفئدة القوم وعلا رؤوسهم[4]:

أَعْذَرْتُ من زَمَنٍ يَكِيدُ لِعَـاقِلٍ   أَبَــــداً ويُؤْتِي وُدَّهُ لِسَفِـــيهِ

بِعْ فيه نَفْسَكَ بِالهَـوانِ ولاتَنِي   مَلَقاً وتَمْوِيهاً لِتَنْجَـــــحَ فيـهِ

وإذا أَرَدْتَ بِهِ الصَّفاكُنْ جاهِلاً   حتَّى تَكُونَ مُوائِمـــــاً لِبَنِيهِ

لَوْ كَانَ عِلْمُ المَرْءِ مِلْءَ إِهَــابِهِ   وسَعَى حَثِيثاً فيه لا يُغْنِيــــهِ

---

(١) ديوان أجنحة بلاريش ، ص ١٨١ .

(٢) خِبٌّ : الخِبُّ، الخدَّاع ، مداهن : المداهنة إظهار خلاف ما يضمره .

(٣) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٠٨٧) في ١٣/١/١٣٧١هـ ، ص٤ . وديوان حسن القرشي ، المجلد (١) ، ص٥١٧ .

(٤) ديوان على ربى اليمامة ، ط (٢) ، ص٥٣٩ - ٥٤٠ .

إلاَّ إذا مَزَجَ الغَوايَةَ بالْهُـدَى   في خُلْقِ مُحْتَـالٍ وزِيٍّ فَقِيـهِ

مُتَقَمِّصاً في كُلِّ نادٍ حُـــلَّةً   نُسِجَتْ على التَّضْلِيلِ والتَّمْوِيهِ

وتلك النقيصة في المجتمع عرض لها عدد من الشعراء ، وقد أرجعوها إلى اختلال الموازين التي يعرف بها أهل الفضل في المجتمع . وفي ذلك يقول الغزَّاوي(١) :

إِنَّ المَوَازِينَ بالقِسْطاسِ قد قُلِبَتْ   رَأْساً لِعَقْبٍ وأَمْسَتْ كُلُّـها غَرَرا

وقد ترتب على ذلك الاختلال في الموازين كما يرى الغزاوي ، وصول الرخيص الذي يستحق الازدراء والهوان والاحتقار إلى أعلى المراتب ، وشقاء صاحب الفضل والمقدرة[٢] :

يَعْلُو الرَّخِيصُ بها من حَيْثُ تُخْفِضُهُ   وكَانَ أَجْدَرَ أَنْ تَهْوِي بِهِ (هَدَرا)

أَمَّا الذي ثَقُلَتْ بِالفَضْـــلِ (كِفَّتُهُ)   فهو المُعَنَّى بما أَكْدَى وما اخْتَبَرا

وهذا ما يؤكده الشاعر محمد حسن فقي ، في تساؤله المغلَّف بالسخرية والألم ، عن إمكانية وصول المرء المؤهل ، والإنسان النابه ، إلى ما يتمناه ، وهو متمسك بقيمه ومبادئه التي لا يحيد عنها ، في مجتمع تشابهت فيه الأمور ، بحيث لم يعد أفراده قادرين على معرفة الصالح من الطالح[٣] :

قد كَسَدَ السُّوقُ على نَابِــهٍ   وَراجَ لِلْمُسْتَنْوِقِ الكَـاسِــدُ

والقَرْمُ اسْتَأْسَدَ في رَبْعِــهِ   وطَأْطَأَ الرَّأْسَ بِهِ المَـــارِدُ

كَأَنَّما الأَهْواءُ أُحْبولَـــــةٌ   لِلْمَجْدِ قَدْ لَمَّهَا الـصَّائِــدُ

---

(١) مجلة المنهل ، شعبان ١٣٩١هـ ، المجلد (٣٢) ، ص ٨٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٢٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص ٥٤٢ .

فَلَيْسَ لِلْحيِّ بِهِ طَاقَـــــــــةٌ　　وإنَّما رَاحَ بِـهِ البَـــائِــــدُ
طَرِيفُهُ يَسْخَرُ من خَــامِـــــلٍ　　يَزْهُو بما اسْتَأْثَرَ .. والتَّالِـــدُ
فَهَلْ تَرَانِي بَالِغاً مَــــــــأْرَبي　　وليس لي رِفْدٌ ولا رَافِـــــــدُ؟
ولَسْتُ أَحْنِي الظَّهْرَ في سَجْدَةٍ　　خَاشِعَةٍ .. يَعْلُو بها السَّاجِـــدُ

ويعمد السنوسي إلى الرمز في إشارته لتلك النقيصة ، مبدياً حزنه الشديد على ما ترتب عليها من حرمانٍ لأهل الكفاءة مما يستحقون ، وإعطاء ذلك الحق لمن لا يستحقه من المداهنين والمتلونين ، حيث يقول(١) :

والخَيْلُ بين يَدَيْهِ مُطْلَقَةُ الخُطَى　　تَلْهو وتَلْعَبُ ما لَهُنَّ كَـــبُولُ(٢)
من كُلِّ خَوَّارِ القَوائِمِ واهِـــنٍ　　يَكْبُو إذا طَالَ المـــدى ويَبُولُ
فَأَسِفْتُ لِلْفَرَسِ الأَصِيْلِ مُقَيَّداً　　وعَجِبْتُ لِلفَرَسِ الهَزِيلِ يَجُــولُ
ورَجَعْتُ أَتَّهِمُ الحَيَاةَ كَــأَنَّنِي　　عن كُلِّ مَهْزَلَةٍ بها مَسْئُـــولُ

ويحمل الشاعر عبد الله بن خميس المجتمع بكل فئاته مسئولية ما يحدث من مناهضة لأصحاب الكفاءات ، وكبت وحرمان لأصحاب المؤهلات مما يستحقونه . حيث يقول واصفاً حالة الرجل الكفء ، الجدير بالتقدير والاحترام ، وقد سدت في وجهه الأبواب ، وتقطعت به السبل(٣) :

ولَرُبَّ مُكْتَمِلِ الخلالِ مُـهَذَّبٍ　　جَمٍّ الفَضَائِلِ والوَقَـــارِ نَـزِيهِ
يَبْغِي لأُمَّتِهِ الحيَــاةَ سَعِيدَةً　　ولِشَعْبِهِ دُونَ الرَّدَى يَفْـــــدِيهِ
تَلْقَاهُ مَطْموراً يُكَابِدُ رِزْقَــهُ　　يَبْغِي الكَفَافَ وعِــرْضُهُ يَحْمِيهِ

---

(١) جريدة الرياض ، العدد (١٣٧) في ١٣٨٥/٦/١١هـ ، ص ٦ . والأعمال الكاملة ، ص ٥٠٨ .
(٢) كبول : جمع كبل وهو القيد الضخم .
(٣) ديوان على ربى اليمامة ، ص ٥٤٠ - ٥٤١ .

فَمَنِ المَلُومُ إذا تَشَاءَمَ أو أَبَى أَوْهَامُ هذا الـدَّهْرِ تَسْتَغْوِيهِ

وفي ظل هذه الظروف المحيطة بالعالم الفذ ، والعامل المجتهد المثابر ، وأصحاب الكفاءات ، وتلك الحالة التي يعيشها المجتمع ، ما الذي يشجع العالم على النبوغ والتفوق ، وما الذي يدفع ذلك العامل وأصحاب الكفاءات إلى الاجتهاد والمثابرة والإخلاص في العمل؟ أليست النتيجة معروفة مسبقاً عملوا أولم يعملوا ؟!!

وذلك هو الخطر الذي يخشى على المجتمع منه ، في ظل تفريطه في أبنائه المؤهلين القادرين عن علم ودراية على رعاية مصالح المجتمع والمنضوين تحت لوائه ، ومنح غيرهم ممن لا يتقنون إلاَّ التدبيج والمداهنة ما لا يستحقونه .

وقد نبه الشاعر محمد حسن فقي إلى ذلك الخطر ، في قوله [1] :

لَسِيَّانَ أَنْ أَسْعَى مع النَّاسِ عَامِلاً وأَنْ أَتَوارَى خَلْفَهُمْ غَيْرَ عَامِلِ
وإِنْ قِيْلَ عَنِّي إِنَّني خَيْرُ نابِهٍ وإِنْ قِيْلَ عَنِّي إِنَّني شَرُّ خَامِلِ
وإِنْ كَانَ شُرْبِي آسِناً عَافَهُ الصَّدَى أَمِ العَذْبَ صَفْواً من كَرِيمِ المَنَاهِلِ
لَئِنْ كُنْتُ لِلْعَلْياءِ أَوَّلَ صَاعِدٍ فَإِنِّي عن العَلْياءِ أَوَّلُ نَازِلِ
يُزَهِّدُنِي فيها انْتِصَارُ مُخَاتِلٍ ويَصْرِفُنِي عنها انْدِحَارُ مُنَاضِلِ
ويُفْزِعُنِي أَنَّ المَشَاعِرَ والنُّهى طَرَائِدُ .. تَجْرِي بين شَتَّى الحَبَائِلِ
وأَنَّ العُقُولَ المُسْتَنِيرَةَ تَنْحَنِي أَمَامَ جُدودٍ مُشْرِقَاتِ المَخَائِلِ
و أَنْ يَتَفانَى في الحَقِيْقَةِ عَالِمٌ فَيَخْتالَ في أَبْرادِها كُلُّ جَاهِلِ
وأَنْ يَتَصَدَّى لِلْعُلا عَزْمُ نَاجِحٍ فَيثْنِيَهُ عن قَصْدِهِ كَيْدُ فَاشِلِ

---

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص٩٤ – ٩٥ .

وأَنْ يَتَردَّى في المَهَالِكِ كَـــادِحٌ   لِيَرْفُلَ في النَّعْماءِ أَكْسَلُ عَـاطِلِ

بقي أن أقول : إن موقف الشاعر السعودي من المنافقين في مجتمعه ليس موقف عداوة وكره بقدر ما هو شعور بخطرهم ، لأنهم بفعلهم ذلك ينالون حقوق غيرهم ومزاياها . فالمتزيي بالدين ، والمدعي العلم والكرم والإخلاص والصبر في العمل ، يأخذ مثل نصيب المتدين حقيقة من إكبار وتقدير واحترام ، ومثل نصيب العالم الكبير ، والعـامل المخلص ، والرجل الكريم ، وذلك قد يؤدي إلى تزعزع تلك الصفات الأخلاقية الجميلة ، والصفات الطيبة في نفوس أصحابها وتناقصها ، وربما إلى زوالها .

ومن هنا يسعى الشاعر السعودي إلى إحقاق الحق ، فلابد عنده أن توضع الأمور في نصابها ، وأن ينال كل فرد من أفراد المجتمع ما يستحقه وفق مزاياه وجهده[١] .

---

(١) شعر حسين سرحان ، دراسة نقدية ، ص ١٤٠ « بتصرف »

المبحث الثالث

الكبرياء والغرور

الكبرياء خصلة ذميمة ، توعد الله -سبحانه وتعالى- من اتصف بها بالعذاب الشديد ، وفي ذلك يقول الرسول الكريم -ﷺ- فيما يرويه عن ربه : (يقول الله عز وجل : **الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي واحِداً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ في جَهَنَّمْ**)[1] .

والإسلام حارب تلك الخصلة ، وحذَّر منها معشر المسلمين ، وسخر من الذين يقودهم إحساسهم الباطن بالدونية والنقص إلى التجلبب بالكبر والخيلاء ، والتعالي على من حولهم من الناس . وفي الوقت ذاته أشاد بالتواضع ، ورغَّب فيه ، ومجَّد المتصفين به ورفع من قدرهم .

وقد لفت انتباه شعرائنا تمكن تلك الصفة الأخلاقية الذميمة من التغلغل في نفوس بعض أفراد مجتمعهم وتربعها فيها ، لأسباب ودواعٍ عدة ، لم يغفلها الشعراء وهم يعلنون عداءهم وتصديهم لها ، ويندِّدون ويسخرون من المتزيين بها ، واصفين إياهم بما يحملهم على الإقلاع عنها ، والتطهر من رجسها المنذر بهلاكهم وعدم فلاحهم في الدنيا والآخرة .

فالشاعر حسين سرحان يعالج ذلك الداء في قصيدته:(سخرية) بشيء من التفصيل ، حيث يظهر فيها ضعف الإنسان المتكبر ومدى صغره وعجزه[2] :

قُلْ لِمَنْ شَاءَ في الحَيَاةِ فَخَارا   أَنْتَ لَيْلٌ فَكَيْفَ تَرْجُو النَّهَـارا

كُنْ غَنِيّاً فقد وُلِدْتَ فَقِـــيراً   لا شِعاراً تَزْهُو بِهِ أَوْ دِثَـــارا

وعَظِيماً فقد أَتَيْتَ حَقِـــيراً   أَوْ عَزِيزاً فقد شَبِعْتَ صَـغَارا

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٢) ، ص ٤٤٢ .

(٢) ديوان الطائر الغريب ، ص ١١١ .

ويذكر ذلك الإنسان المتعجرف بمراحل حياته المختلفة ، التي تحمل في تضاعيفها أدلة عميقة على عجزه وضعفه ، قائلاً[1] :

كُنْتَ طِفْلاً يُلْهى بَعَقْلِك عَجْـزاً ... وغُلاماً تُمْنَى بِـــرِبْحٍ خَسَـارا
ولَكَمْ عُثْتَ في السَّبِيلِ اعْوِجَاجاً ... ولَكَمْ نِلْتَ في الوِصَـالِ ازْوِرَارَا
ولَكَمْ كُنْتَ هُـــزْأَةً لأُنَـــاسٍ ... كُلَّما أَطْلَقُـــوا عَلَيْكَ الغُبَـارَا

ويعمق العلاف السخرية من ذلك المتكبر ، مذكراً إياه بأصله الذي منه جاء ، وببعض خواصه التي لا يمكنه التنصل منها أو دفعها ، قائلاً[2] :

أَعَلِمْتَ أَصْلَكَ من تُرابٍ أَبْخَـرا ... أَعَرَفْتَ بِذْرَكَ كَيْفَ فيه تَطَوَّرا؟[3]
أَشَهِدْتَ أَنَّ العَجْزَ فِيْكَ بِـــدايةٌ ... ونِهايَةٌ والضَّعْفُ لَفَّكَ مِحْـوَرا؟
فِيْمَ الغُرورُ إِذَنْ وفِيمَ تَطَـــاولٌ ... أَظَنَنْتَ أَنَّ الحَقَّ أَيْضاً سُخِّرا؟
إِنَّ التَّعارُضَ في حَياتِكَ مُفْسِـدٌ ... خُيلاءَ مِثْلِكَ قَدْ تَأَلَّهَ مَظْهَــرا
هذا الذُّبابُ يَطوفُ حَوْلَكَ هَازِئاً ... ويَغِيظُ فاكَ فَأَنْفِه مُتَكَـــبِّرا
وأَمْرٌ بِرَشْحِكَ أَنْ يَجِفَّ مُؤَبَّـداً ... وبِطَلْقِ جَوْفِكَ أَنْ يَكُفَّ مُنَفِّـرا
بالفِكْرِ أَيَّدَكَ الإِلهُ وبالهُـــدَى ... بهما تُحَقِّقُ كُنْهَكَ المُتَخَيَّـــرا

ونظراً لحرص الشعراء على تخليص الواقعين من أبناء مجتمعهم من براثن ذلك الداء العضال ، أخذوا ينقبون عن الأسباب والدواعي التي مهدت له السبل ، ومكنته من التغلغل داخل نفوسهم ، حتى يسهل عليهم تطبيب المصابين به ، واستئصاله من جذوره .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١١ .
(٢) ديوان الإنسان ، ص ٧٥ .
(٣) أبخرا : البخر ، النَّتَنُ يكون في الفم وغيره .

وقد اهتدى الشعراء في نهاية رحلتهم مع ذلك الداء والمصابين به إلى جملة منها . يأتي الثراء والغنى في مقدمتها . فالإنسان إذا كان ضعيف الإيمان بالله ، ولديه إحساس بالدونية والنقص ، ثم أصابه الثراء فجأة ؛ فإنه يتعالى على الناس من حوله ويتكبر ، وتصور له نفسه الأمارة بالسوء بأنه قد بلغ القمة في كل شيء ، وإنه وحده الذي يستحق أن يعيش مرفوع الهامة على بساط الحياة الممتد دون سواه .

وفي هذا الصنف يقول الشاعر محمد حسن فقي ساخراً ومتهكماً [(١)] :

أيا ذا الذي يَخْتَالُ ما أَسْوأَ النُّهى ... إذا حَسِبَتْ أَمْجَادَها في المَتَارِفِ

عَرَفْتُكَ بِالأَمْسِ المُزَايِلِ مُتْـــرِباً ... تَرُوغُ هَوَاناً من عُيونِ المَعَـــارِفِ

فَمَا لَكَ تَبْدُو اليَوْمَ من بَعْدِ حِطَّـةٍ ... كَـدَرْكٍ تَظَنَّى نَفْسَهُ في المَشَارِفِ ؟

ثم تأتي الوظيفة كباعث للغطرسة والتعجرف عند بعض الناس ، وهي -كما نعلم - ليست وقفاً على أحد ، إلاَّ أنها في فترة من الفترات التي مرَّ بها المجتمع أضحت مدعاة للغرور والكبر والمباهاة ، حتى إن بعضهم إذا تولى منصباً خال أنه ملك الناس جميعاً .

ويعد شاعرنا السرحان من أكثر شعرائنا سخرية من هذ الصنف ، وأشدهم نقداً وإيلاماً . ومن شعره الموجه إليهم قوله [(٢)] :

مَناصِبُ يَرْقَـــاها وَضِيعٌ فَيَعْتَلِي ... بِهَا ، ويُلقَّاها جَهُـــــولٌ فَيَدَّعِي

ويَحْسَبُ أَنَّ النَّاسَ من طَوْعِ أَمْرِهِ ... بِغَلْوةِ سَهْمٍ أو بِمَعْقَـــدِ أُصْـبُعِ [(٣)]

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢٨٥٥) في ١٣٩٣/٧/٢٢هـ ، ص ٢ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ص ٣١٨ .

(٢) ديوان أجنحة بلاريش ، ص١٥٩ .

(٣) غلوة : الغلوة : قدر رمية السهم .

وتَصْقلُه حتَّى يكُـــونَ كَيَلْمَــعِ وتَنْفُخُهُ حتَّى يظَــلَّ كَلَعْــلَعِ [1]

وتُبْرِزُ فيه من خَفَايَا غُــرُورِهِ أَفَانِيْنَ من بَعْدِ الطَّــوَى والتَّسَكُّعِ

وعن صاحب المنصب المتغطرس ، يقول [2] :

وترى الرَّئيسَ مُنَاوِحاً لَكَ قَائِلاً : اشْرَحْ وحَرِّرْ واحْتَفِلْ بِجَـوابِ

بِيَمِيْنِهِ التَّوقِيـــعُ يَحْسَبُ أَنَّهُ تَوْقِيعُ (قَيْصَرَ) في وَغىً وغِلابِ

ويقدم السرحان سبباً آخر لتكبر بعض الناس في مجتمعه وتعاليهم ، ويتمثل ذلك في اقتنائهم لما يميزهم عن الآخرين ، كالسيارة التي جرَّت بعض مقتنيها إلى الظهور بذلك المظهر الأخلاقي السَّيِّئ . وقد دفعه ما رآه منهم إلى تذكيرهم بماضيهم الذي يبدون تنكرهم له ، حين كانوا يمشون حفاة لا نعال لهم ، ويقطعون المسافات الطوال بحثاً عما يسد حاجتهم رجالاً . قائلاً [3] :

يا رَاكِبِيها تَأَنَّــوا في تَتَايُهِكُـمْ وأَقْصِرُوا واقْصِدُوا فالجَوْرُ جَوَّارُ

ماإِنْ حَلُمْتُمْ بها مُذْ مُــدَّةٍ سَلَفَتْ لَكِنَّهُ فَلَكٌ في النَّـــاسِ دَوَّارُ

كم قد مَشَيْتُمْ حُفَاةً لا نِعَالَ لَكُمْ وكم أَشَتَّ بِكُـــمْ بَيْنٌ وأَسْفَارُ

وما إن وقف الشعراء على تلك الأسباب التي مهدت الطرق لتغلغل ذلك الداء في نفوس بعض أفراد مجتمعهم ، حتى شرعوا في رحلة العلاج للمصابين به . وأول ما بدأوا به تبصيرهم لهم بحقيقة المظاهر التي زينت لهم التدثر بالكبر والخيلاء ، مؤكدين لهم أنها عرضة للزوال عاجلاً أو آجلاً ، وأنها لا تساوي شيئاً في دنيا الحقيقة والواقع .

---

(١) يلمع : السراب للمعانه ، وقيل اسم برق خُلَّبٍ للمعانه،ويشبه به الكذوب . ولعلع : اسم جبل في الجزيرة العربية .

(٢) ديوان أجنحة بلا ريش ، ص ١٦١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

فالشاعر محد حسن فقي يبدي تأففه من الذين خدعهم بريق المناصب ، وأغراهم سحرها بالتجلبب بالكبر والخيلاء ، معلناً زهده فيها إذا كانت ستدفعه إلى نسيان نفسه ، والتعالي على من هم حوله[1] :

لا تَخَفْ ما يَغُـرُّ نَفْسِي ولا يَخْـ　　　ـدَعُ عيني بَرِيقُ هذي المَنَاصِـبْ

لَسْتَ عِنْدِي وما اكْتَسَبْتَ رَخِيصاً　　　من حُطَامٍ إلاَّ كَنَارِ الحُبَـاحِبْ[2]

ما يَضِيقُ النَّسْرُ المُحَلِّقُ ذَرْعـاً　　　وهو في جَوِّهِ بِصَوْتِ الجَنَـادِبْ

أَتَرانِي وقـد رَأَيْتُكَ تَخْـتَا　　　لُ تَمَنَّيْتُ مِثْلَ هذي المَكَـاسِبْ

رُبَّ كَسْبٍ أَنْكى عليك من الخُسْـ　　　ـرِ وأَقْسَى من الرَّدَى والمَصَائِبْ

ويؤكد الشاعر ضياء الدين رجب لأولئك المفتونين بالمناصب وبريقها الزائف عدم ديمومتها ، فالكراسي التي اعتلوها وأشعلت في حناياهم الزهو والكبر ليست دائمة لهم ، فهم سيغادرونها كما غادرها الذين سبقوهم إليها ، وسيعتليها آخرون . حيث يقول في ذلك[3] :

يَشُدُّ إلى سِحْرِ الكَرَاسِي حَيَاتَهُ　　　ويَرْجِعُ بَعْدَ الفَوْتِ يَنْشُدُ ذَاتَـهُ

فلا ذَاتُهُ أَبْقَى ولا مَجْـدُواهمٍ　　　بِأَنَّ حَيَاةَ الوَهْمِ تُبْقِي حَيَاتَـهُ

تَلَمَّسَ في تِلْكَ الأَرائِكِ نَشْـوةً　　　تَخَيَّلَها صَحْواً فَكَانَتْ سُبَاتَـهُ

وأَغْرَقَ حتَّى لا يرى غَيْرَ نَفْسِهِ　　　سِوَاها وإلاَّ (لاتَهُ) و(مَنَاتَـهُ)

وفَاقَ على سِرِّ الحَقِيقَةِ صَارِخاً　　　فَأَجْهَشَ إِثْرَ الرَّكْبِ والرَّكْبُ فَاتَهُ

وهَزْهَزَةُ الكُرْسِيِّ هَزَّةُ عَـابِثٍ　　　فَأَقْصَاهُ واسْتَعْدَى عَلَيْهِ رُفَـاتَهُ

---

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص ٢٢٠ .

(٢) الحُباحب : ذباب يطير بالليل كأنه نار له شعاع كالسّراج .

(٣) جريدة عكاظ ، العدد (١٠) في ١٣/٢/١٣٨٠هـ ، ص ٥ . وديوان ضياء الدين رجب ، ص ١١٩ .

والمال الذي أدخل الكبر والزهو إلى نفوس بعض مالكيه ، وحملهم على التعالي على الناس من حولهم والسخرية منهم ، عرضة للزوال . فكيف سيكون مصير ذلك المتغطرس ، إذا أفاق من سباته يوماً فلم يجد مما حوته خزائنه شيئاً ؟

ذلك ما نقف عليه في قصيدة: (على لسان سائل) للشاعر طاهر الزمخشري ، فقد قام فيها بتصوير المصير الذي آل إليه ذلك الثري المتكبر ، بعد أن ذهبت كل أمواله ، ودفعته حاجته إلى امتطاء الدروب سيراً على قدميه ، ماداً يديه للناس الذين كان يسخر منهم بالأمس وينهرهم ، حتى خرَّ من شدَّة الإعياء على قارعة الطريق ، أمام أحد القصور الفارهة ، حيث يقول[1]:

وانْبَرَى يَذْرِفُ الفُؤَادُ دُموعَــا ... وارْتَمى في الطَّرِيقِ يَلْهَثُ جُوعَا
ثُمَّ مَدَّ اليَدَينِ يَرْجُــو الجَمِيعَا ... وهو لم يَلْقَ لِلرَّجَـــــاءِ سَمِيعا
ورَآهُ البَوَّابُ في حَـــالِ بُؤْسِ ... فَدَعـــــــاهُ ضَـمِيرُهُ لِلتَّأَسِّي
فَجَرَى راكِضاً إلَـــيْهِ بِفِلْسِ ... فَتَلَقَّاهُ في مَـــــرَارةِ يَأْسِــي
وهُنا هَبَّ ضَاحِكـــاً غِـرِّيدا ... إِذْ سَيَبْتَاعُ لِلْعِيالِ ثَرِيــــــدا
بَعْدَ أَنْ نَالَ من كَرِيمٍ نُقُـــودا ... فإذا صَوْتُ هَاتِفٍ أَنْ يَعُــودا
صَاحِبُ القَصْرِ قد رَآهُ فَجُــنَّا ... إِنَّهُ جَارُهُ اسْتَحــــــالَ مُعَنَّى
قَـالَ : ياجَـارُ كُنْتَ تَسْخَرُ مِنَّا ... فَانْظِرِ الآنَ كَيْــفَ صِرْتَ وكُنَّا؟!

ويعود الفقي ليرسم المصير المؤلم الذي ستقع عليه أحداق أولئك المتكبرين المتغطرسين ، في حالة فقدهم للأسباب والدواعي التي جعلتهم يزدرون من

(١) مجموعة النيل ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

حولهم ويتنكرون لهم ، قائلاً[1] :

وتَنَكَّرَ الرَّجُلُ الكَــــبيرُ لِصَحْبِهِ ... من بَعْدِ أَنْ رَكِبَ الغمَــــامَ وحَلَّقا
كَــــانُوا مَرَاكِبَهُ إلى أَمْجَــــادِهِ ... يَتَمزَّقونَ إذا هَــــوَى وتَمَــــزَّقا
حتَّى إذا بَلَــغَ السَّمَــاءَ نَأَى بِـهِ ... عَنْهُمْ هَــــواهُ فَأَظْلَمُــــوا وتَأَلَّقا
حَاذِرْ إذا انْحَدَرَتْ حُظُوظُكَ من غَدٍ ... نَنْسَاكَ فيه كــــما نَسِيْتَ المَـوْثِقا

ويحاول ماجد الحسيني إرجاع المصابين بداء الكبر إلى جادة الصواب ، عن طريق تذكيره لهم بالأصل الذي منه جاءوا ، وبالمصير الذي ينتظرهم وغيرهم على السواء[2] :

مَنْ أَنْتَ يا هذا؟ فَرُدَّ السَّــلامْ ... إِنَّ (كِلَيْنا) بَعْضُ هذا الأَنَــامْ
الأَصْــلُ من آدمَ لا تَنْسَــهُ ... وفي غَدٍ من بَعْضِ هذا الحُطَامْ
تَعالَ فَــرِّقْ بيننا في الثَّـرَى ... هَيَا كِـلُّ بَالِيَةٌ من عِظَــامْ

والغرور الذي هو صنو الكبر كما يرى الشاعر سعد البواردي من شر المصائب ، والمتخلق به من شر الناس ، ونفسه من أشقى النفوس وأتعسها ، حيث يقول[3] :

من تُرابٍ لقــــد أَتَيْنَا إلى الأَرْ ... ضِ ولِلْأَرْضِ لِلتُّــرابِ سَنَمْضِي
عَجباً لِلْغُــــرورِ يَنْـفُثُ بين النّــاسِ سُمّاً فَمِنْ (تَعالٍ) (لِبُغْضِ)
إِنَّ شَرَّ النُّفوسِ نَفْسُ عـلى العُجْـ ... ـبِ تَمَادَتْ وفي تَدَنِّيهِ تَمْضِــي
(نَحْنُ) هذا الثَّرَى سِوَى أَنَّ فِيْـنَا ... دَفْقَ رُوحٍ .. نَبْضُ يَعُــدُّ لِنَبْضِ

---

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص١٥٩ .
(٢) جريدة البلاد ، العدد (٢٣) في ١٣٧٨/٨/١١هـ ، ص٤ .
(٣) ديوان رباعياتي ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

ويراه الغزاوي مرضاً عضالاً ، والمتزيي به يستحق الخزي والهوان ، وفي ذلك يقول[1] :

ما أرى في (الغُرورِ) إلاَّ عُضَالاً (مَرَضاً) يَسْلُبُ الحَلِيمَ نُهَــاهُ
وسَعِيدٌ من اتَّقَى من هَــــواهُ (بهُــدَاهُ) وصَــدَّهُ ونَهــاهُ
إِنَّهُ والجُـــنونَ صِنْوانُ إلاَّ أَنَّهُ الطَّيْشُ حُدِّدَتْ شَفْـرَتاهُ
فَاقِدُ العَقْلِ لا يُعَــاقَبُ أَمَّا هو في النَّاسِ شُوهِدَتْ عَوْرَتاهُ
غَيْرَ أَنَّ المغْــرورَ بِالْمَقْتِ يُخْزَى وهو يُجْــزَى بما جَــنَتْهُ يَدَاهُ

ويتوجه الشاعر علي غسال للمتكبرين والمغرورين واعظاً ومرشداً ، محذراً إياهم من عاقبة ما هم عليه ، وراسماً لهم الطريق الذي يجب عليهم أن يسلكوه ؛ حتى ينالوا رضا الله في الآخرة ، ومحبة الناس الذين يشاطرونهم العيش في الدنيا ، قائلاً[2] :

وكُنْ رَجُلاً سَمْحاً ولا تَكُ طَاغِياً يُباهِي بِمَالٍ رُبَّما كَــانَ لِلشَّرِّ
وكُنْ رَجُلاً بَرَّاً يُواسِي بِمَــا لِهِ فَقِيراً رَمَاهُ الفَقْرُ في عَالَمِ الضُّــرِّ
بِذلِكَ تَحْظَى بِالمَحَبَّةِ في الـوَرَى ومن بَارِئِ الأَكْوانِ بِالخَيْرِ والأَجْرِ

(١) مجلة المنهل ، ربيع الأول ١٣٩٢هـ ، المجلد (٣٣) ، ص ٣١٦ .
(٢) ديوان فجر العمر ، ص ٨٨ .

المبحث الرابع

الحسد

الحسد آفة اجتماعية سيئة ، ومرض نفسي خطير ، حاربه الإسلام ونهى عنه ، وهو في أبسط صوره وأجلاها « أن تكره النعمة التي أنعم الله بها على غيرك ، وتحب زوالها ، ولو مكنت من إزالتها لأزلتها....»[1] .

وقد تصدى عدد من الشعراء لهذا الداء الذي كان له حضور فعلي في نفوس بعض أفراد المجتمع ، محاولين تخليص الواقعين من أبناء مجتمعهم تحت سطوته ، نظراً لما يترتب عليه من آثار اجتماعية وخيمة . فهو « يشعل نار البغضاء ، ويرفع راية العداوة بين الأقرباء والأصدقاء ، ويمنع المساعدة والمعاونة بين الحاسد والمحسود ، ويأكل قلب الحاسد حتى يحيله إلى إنسان قاسي القلب ، شرس الطبع ، يبغي لغيره السوء ويكره له الخير» [2] .

والنصوص الشعرية الموجهة لانتقاد هذه الآفة حرص فيها مبدعوها على المزاوجة بين الحسد والحقد ، وأحسب أن ذلك راجع إلى التلازم الحاصل بينهما، والناتج عن تسبب إحداهما في الأخرى ، فنيران الحقد وديا جيره السحيقة هي الباعث الحقيقي للحسد .

كما أن هناك تفاوتاً بين النصوص الشعرية ، وذلك التفاوت لا يكمن في أسلوب المعالجة ، وإنما يكمن في حرارة وصدق التجربة من عدمها .

فمن الشعراء من عرض لهذه الآفة ، واصفاً آثارها ، من خلال ما يسمعه عنها ويعرفه . وآخر يصور تجربة عاشها بنفسه وواجه أحداثها[3] .

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام ، حسن أيوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط (٢) ١٤٠٣ - ١٩٨٣م ، ص٨٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٩١ .
(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ٣٥٧ « بتصرف » .

فالأنصاري – مثلاً – يصف الحاسد وما يمور في وجدانه من خلال معرفته وسماعه ، لا من خلال المعايشة والمعاناة ، كما في قوله(١) :

وكم من حَسُودٍ بَاتَ يَعْتَدُّ نَهْشَهُ ... لِيَرْوِيَ غِلّاً في فُؤادٍ مُقَـــرَّحِ
إذا أَنْتَ قد قَـابَلْتَهُ هَشَّ هَشَّـةً ... تَنُمُّ على وُدٍّ وشَـوْقٍ مُـبَرِّحِ

في حين نقف على صدق التجربة ، ومرارة المعاناة ، في شكوى الشاعر محمد حسن فقي ، من تلك الآفة والمتصفين بها ، حيث يقول(٢) :

أَتُرَانِي وقد بَـــرِمْتُ بِمَجْدي ... وتَنَسَّكْتُ ما أرى النَّاسَ ضِـدِّي
لافَإِنِّي أرى اغْتِباطاً لَنَحْسِـــي ... وأرى الغَيْظَ في الوجُوهِ لِسَعْدِي
كُلَّما جِئْتُ لِلْمَنَـــاهِلِ أَبْــصَرْ ... تُ رَعِيلاً منهم أَمَامي لِصَــدِّي
أو تَوَارَيْتُ في الظَّلامِ حِــذاراً ... من أَذَاهُمْ تَقَحَّمُـــوهُ لِكَـــيْدِي
ليس يُورِي زِنَادَهُمْ إنْ تَــوَارَيْـ ... ـتُ وإنْ لُحْتُ غَيْرَ إِطْفاءِ زَنْـــدي
كُلَّ صَدْرٍ يُشْفَى من المَرَضِ القا ... تِلِ إلاَّ صَدْرٌ أُصِيْبَ بِحِقْـــدِ(٣)

ويشبهه في حرارة الشكوى من كيد الحاسدين ، الشاعر علي زين العابدين ، حيث يقول(٤) :

دَارَ الزَّمَـانُ وصَرْصَــرَتْ ... في الأُفْقِ صَيْحَاتُ النُّــذُرْ
ورَأَيْتُ كَيْدَ الحَــاسِدِ يــ ... ــنَ .. يَمُوجُ من حِقْدٍ وشَرْ
من كُلِّ مَــــوْتُورِ الجَنا ... نِ يَصِيدُ في الماءِ العَكِـــرْ
وتَكَاثَرَ الحُسَّـــادُ حَـــوْ ... لي كَـــالجَـرَادِ المُنْتَشِـرْ
وتَأَلَّـــبُوا ياوَيْحَهُـــمْ ... شَرُّ التَّأَلُّـبِ مــــا أَضَرْ

---

(١) ديوان الأنصاريات ، ص ٢٥ .
(٢) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص ١٣٧ .
(٣) صدرٌ ، كذا والصواب صدراً .
(٤) ديوان هديل ، ص ٧٥.

والتحذير من الحسد ، والدعوة إلى الابتعاد عنه ، عرض لها أكثر من شاعر ، إلاَّ أنهم لم يبشاروها ، وإنما حاولوا ذلك عن طريق إيضاح آثاره في نفوس المصابين به ، ورسم العاقبة الأليمة التي تنتظرهم إن ظل يعيث فيها .

فالشاعر محمد إبراهيم جدع يرى أن الحسد والحقد مصدران للشقاء والتعاسة، والمتصف بهما سيظل يراوح في مكانه ، لأنه نسي ما يجب عليه عمله ، وانشغل ببغض الناس والحقد عليهم [1] :

وبِالْحِقْدِ تَشْقَى نُفُوسُ الوَرَى ... وتَهْبِطُ في مُسْتَقَرٍّ مُبِيدْ
ولم يَبْلُغِ العِزَّ مَنْ طَبْعُهُ ... حَقُودٌ حَسودٌ بَغِيضٌ عَنِيدْ
يَميلُ إلى الشَّرِّ في نَفْسِهِ ... وخِسَّةِ طَبْعٍ لِأَقْصَى الحُدودْ

والإنسان المتصف بتلك الصفة يعد من شر الناس ، لما يحمله في جوفه من حقد وغلٍّ لكل من حوله . وفي ذلك يقول الشاعر أحمد سالم باعطب [2] :

وشَرُّ النَّاسِ في الدُّنْيا حَقُودٌ ... يَظَلُّ لِكُلِّ سَاقِطَةٍ يَصِيدُ
شَغُوفٌ بالسَّفَاسِفِ أين سَارَتْ ... بِهِ قَدَمَاهُ عنها لا يَحِيدُ
يَكِيلُ لِغَيْرِهِ ظُلْماً ويَجْنِي ... مَرارَاتِ الهَوانِ بما يَكِيدُ
ويَحْسَبُ أَنَّهُ بالحِقْدِ يَسْمُو ... وَيَبْلُغُ في المَحَافِلِ ما يُرِيدُ
وَمَنْ في جَوْفِهِ نَارٌ تَلَظَّى ... تَدَفَّقَ بين شِدْقَيْهِ الصَّدِيدُ

وهو كذلك إنسان لئيم ، لأنه يكره الخير لكل الناس ، ولا يحب أن يشاركه أحد في التنعم بمتع الحياة ومباهجها . وفي ذلك يقول الجدع [3] :

يُرِيدُ الحَيَاةَ لَهُ وحْدَهُ ... مُزَيَّنَةً تَكْتَسِي بالوُرودْ

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٣٦٣ .
(٢) الروض الملتهب ، ط (٢) ، ص ٢١٣ .
(٣) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٣٦٢ .

مُوَفَّرَةً بالصَّفَا والهَـــنَا　　تَدُومُ بِأَبْهَى المُنَى والسُّعـودْ
ويَشْقَى زَميلٌ على قُـــرْبِهِ　　وَيَهْلِكُ باليَأْسِ بَعْدَ الجُمــودْ
لَئِيمٌ تَضِـــــيقُ بِهِ نَفْسُهُ　　فَيَحْمِلُ فيها الأَذَى والجُـحودْ

ويبين الشاعران : محمد حسن عواد ، وطاهر الزمخشري ، عاقبة الحاسد في الحياة الدنيا ، حيث يقول العواد [1] :

فَذَرُوا القَادِحَ المُغَفَّلَ يُـــورِي　　في سَبيلِ الضَّـــلالِ كُلَّ زِنَـادِ
فَسَيَخْـــزَى ويَسْتَحِيلُ هَبـــاءً　　أو تُراباً أو كُتْلَـــةً من رَمَــادِ
ذاكَ حَرُّ اللَّظَى من الحَسَدِ الكَا　　وِي فَأَقْبِحْ بِحَـــــالَةِ الحُسَّادِ

ويقول الزمخشري [2] :

دَعْهُ عَشْواءَ تَخْبِطُ اللَّيلَ رَكْضـاً　　فالضَّلالاتُ حَـوْلَه أين سَـارَا
دَعْهُ يَهْـــذِي لأَنَّهُ نَفْثُ حُمَّـــى　　أَرَمادٌ يَخَـــالُ عَادَ شَــــرَارَا؟
حَسِبَ الرَّجْفَ في الخَفَاءِ سِلاحاً　　فانْزَوَى لاهِثاً وبَـــاءَ وبَـــارَا
مات في مَهْدِهِ ودِيسَ فَبُؤْســـاً　　لِشَقِيٍّ ما عَاشَ إِلاَّ نَهَـــــارَا

ويعلن محمد إبراهيم جدع تذمره وألمه من الحاسدين الذين لا يريدون الحياة بمباهجها لأحد سواهم ، ناسين أن الله -سبحانه وتعالى - هو الذي بيديه مقاليد الأمور ؛ إذ هو الذي يعطي ، وهو الذي يمنع ، لحكمة لا يعلمها سواه جل شأنه . وفي ذلك حث وتوجيه غير مباشر لمعشر الحسَّاد ، على تخليص أنفسهم مما علق بها من أدران وشوائب ، عن طريق الرجوع إلى الطريق المستقيم ، والإيمان الصادق بقضاء الله وقدره ، والرضا بما قسمه لهم

(١) ديوان العواد ، ج (١) ، ص ٢٠-٢١ .
(٢) مجموعة النيل ، ص ٢٢٩ .

في حياتهم ، وفي ذلك يقول[1] :

وما أَشْنَعَ الخِزْيَ في إِخْوةٍ تُضَيِّعُ بِاللُّؤْمِ حَقَّ المُـــرِيدْ
تُرِيدُ الحَيَاةَ لها وَحْــــدَها وَحَقُّ الحَيَاةِ لِرَبِّ الوُجُــودْ
ولم يُشْرِكِ اللَّهُ في مُلْكِــهِ لِيَنْعَمَ جَمْعٌ ويَشْقَى العَدِيدْ

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٣٦٤ .

المبحث الخامس

السحر والشعوذة

من الآفات الاجتماعية التي تسللت إلى المجتمع مع ما تسلل إليه من أدواء وعلل اجتماعية فاسدة ، آفة السحر والشعوذة .

وقد حارب الإسلام هذه الآفة ، وحذر منها معشر المسلمين ، لما يترتب عليها من آثار اجتماعية وخيمة ، تتجاوز الفرد إلى الجماعة .

ومن ذلك ما جاء في قول رسول الله – ﷺ –ناهياً عن الاقتراب من السحر ، وحاثاً على اجتنابه : (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قِيْلَ يَارَسُولَ اللَّه ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ والسِّحْرُ ....**)[1] .

وقد حذر – عليه الصلاة والسلام – من إتيان السحرة والكهان ، وتصديقهم فيما يقولون ، لأن في ذلك كفر بالله – عزوجل –وفي ذلك يقول : (**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدْ**)[2] .

والنصوص الشعرية التي عرضت لهذه الآفة ، اكتفى فيها الشعراء بذكر بعض الدواعي والأسباب التي دفعت بعض أفراد المجتمع للجوء إلى السحرة والمشعوذين ، إما لجهلهم بحقيقة السحر والمتعاملين به ، وإما لضعف الوازع الديني لديهم ، وكشف ادعاءات وأكاذيب الذين يمارسونه في المجتمع ، سواء من أبنائه ، أو من الوافدين إليه ، وغايتهم من وراء ذلك .

فهذا الشاعر طاهر الزمخشري يقدم في قصيدته: (الدجّالون)،صورة تعكس مدى سذاجة بعض أفراد المجتمع وجهلهم بحقائق الأمور ، وكيفية

---

(١) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، المجلد (١) ، ص ٣٦٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٢) ص ٤٢٩ .

استغلالهم من المشتغلين بالسحر حقيقة أو ادعاء .

حيث يحكي في قصيدته تلك حكاية امرأة أزعجتها بعض الأمور الطارئة على حياة زوجة ابنها ، وأدخلت إلى قلبها الروع والفزع ، فما كان منها إلاَّ مصارحة ابنها بحقيقة مخاوفها ، وعجز الطب عن علاج تلك الحالة التي تعاني منها زوجته . وأمام سيل تلك المخاوف قرر الاثنان اللجوء إلى أحد السحرة الدَّجَّالين ، وعرض تلك الزوجة عليه ؛ حتى يعرف السرَّ وراء تغير أحوالها ، ومن ثم معالجتها .

يقول الزمخشري واصفاً استغلال ذلك الدَّجَّال لذوي الزوجة[1] :

فَأَتاها الشَّيْخُ (حَـــلَّالُ العُقَدْ)	قَائِلاً : يا أُمُّ لا تُبْقِي أَحَــــــدْ
حَالُهَا مِسْكِينَةٌ تُدْمِي الكَــــبِدْ	بَيْدَ أَنَّ العَوْنَ بِاللَّهِ الصَّمَــــــدْ
أنا أَشْفِيها لكم دُونَ مُقَــــابِلْ	وعلى شَرْطٍ لِغَيْرِي لا تُقَـــابِلْ
فَعلَ السِّحْرُ بها ما هو فَـــاعِلْ	بَيْدَ أَنِّي بِشِفَــاها مُتَفَــائِلْ
هي ذي مَسْحُورَةٌ هَاتُو الـبَخُورْ	شَمَّهُورِشْ مَلْهَدُورِشْ مَلْهَـــدُورْ[2]
خَبِّرونِي حَوْلَها ماذا يَـــــدُورْ؟	فَأَجابُوا : أُوذِيَتْ مُنْذُ شُهُـــورْ
دَاؤُها صَعْبٌ وقَاسٍ مُتْعِـــــبُ	وأَراهَـــا لِلْبَلَى تَقْتَــــرِبُ
وشِفَاءُ الـــــدَّاءِ لو تَحْتَجِــبُ	لا يُدَانِيهـــا قَـــرِيبٌ أَوْ أَبُ
غَيْرُ شَخْصِي فأنا مِــــثْلُ أَخِيها	وبِرُوحِي وبِنَفْسِي أَفْتَــــدِيها
اذْبَحُوا (تَيْساً) وأَعْطُونِي (جُنَيْها)	بَعْدُ هذا السِّحْـــرُ لا يَعْبَثُ فيها

(١) مجموعة النيل ، ص ٨٣ .

(٢) شمهورش ، ملهدورش ، ملهدور : من شياطين الجن .

والشاعر محمد حسن فقي يعرض لتلك الآفة، ويكشف ادعاءات المتعاملين بها ، ومقدرتهم الفائقة على سلب ما تحتويه جيوب قاصديهم من نقود [1] :

وجِيءَ لَهُ بِمَصْدورٍ فَأَبْدَى ... لَهُمْ من طِبِّهِ العَجَبَ العُجَابا
يَقُولُ لهم حَذارِ فليس غَيْرِي ... سَيُنْقِذُهُ ولو كَشَفَ الحِجَابا
سَيُنْبِئُنِي الكِتَابُ بما سَيَشْفِي ... من البَأْسَاءِ فَاحْتَرِمُوا الكِتَابا
وَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وقد تَراءَى ... لَهُ قَبَسُ الحَقِيقَةِ فَاسْتَرَابا
وكَانَ كَأَنَّهُ جِذْعٌ تهاوى ... وكَانَ كَأَنَّهُ الرُّمْحُ انْتِصَابا
رُويدكَ إِنْ ذَهَبْتَ بما يُعانِي ... بَذَلْتُ وما بَخِلْتُ لك الطِّلابا
وشُدْتُ لَكَ القِبابَ وما أُبَالي ... إذا شِيْدَتْ بِمَنْ سَكَنَ ا لقِبَابا
فَجَمْجَمَ واسْتَهَانَ بِكُلِّ صَعْبٍ ... وكم بَذَرَتْ جَهَالَتُهُ الصِّعَابا
سَيأْخُذُها مُبَرْقَشَةً ثِقَالاً ... ويَرْكَبُها مُسَوَّمَةً عِرَابا
وَماتَ عَلِيلُهُ وطَوَاهُ قَبْرُ ... وعَاشَ يَبُثُّ في النَّاسِ التَّبَابا [2]

وعلى هذا النحو تأتي مشاركة الشاعر ضياء الدين رجب في تصديه لهذه الآفة ، وإن كان هناك اختلاف ففي شخصية المتعامل بتلك الآفة ، فهي امرأة ، والمترددين عليها من الجنسين ، إلاَّ أن الشاعر عرض بالتفصيل لافتراءاتها وأكاذيبها على اثنتين من بنات جنسها . وحتى يقف على حقيقة تلك العرافة ، انتظر انصراف من حولها ، وما إن تحقق له ذلك حتى أقبل عليها متسائلاً عن حقيقة ما سمعه منها والغضب يطفح من عينيه ووجنتيه ، فاضطرت مكرهة

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٦٥٣) في ١٣٨٦/١/٢٣هـ ، ص ٧ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٥) ، ص ٤٢٤ .
(٢) التَّبابا : الخسران والهلاك .

لكشف ألاعيبها وزيف ما تدعيه ، ملقية باللوم على المترددين عليها والمترددات[1]:

قد كُنْتُ عن كَثَبٍ أُرَاقِبُهُمْ — مُتَحَمِّساً حتَّى إذا ذَهَبُوا
أَسْرَعْتُ نَحْوَ رَفِيْقَةِ الوَدَعِ — والشَّرُّ في عَيْنَيَّ والغَضَبُ
وزَجَمْتُها مَنْ أَنْتِ ما هَوسٌ — هو في حَقِيْقَةِ أَمْرِهِ لَعِبُ ؟
فَتَنَهَّدَتْ وكَأَنَّ مُهْجَتَها — قِدْرٌ يَفُورُ وخَافِقٌ يَجِبُ
قَالَتْ ذَكَاءُ البَدْوِ فِطْنَتُهُمْ — فمن العُيونِ أَخَذْتُ ما أَهَبُ
فالعُتْبُ ليس عَلَيَّ يارَجُلُ — لَكِنْ على مَنْ رَامَنِي العَتَبُ

ويطلعنا الشاعر عبد السلام هاشم حافظ في قصيدته :(من رسائلها)،على أثر الحسد في لجوء بعض ضعاف الدين والنفوس للسحرة والمشعوذين ، وما يترتب على صنيعهم ذاك من تشتيت للأسر وتفريق بين الأزواج .

يقول الشاعر واصفاً حال إحدى المتضررات من السحر ، وما كان منها إزاء مصابها الأليم[2]:

وتَدْعو الإلَهَ يُقَرِّبُهُ عِنْدَهَا
تَعِيشُ بِهِ ثَانِياً عَهْدَها
وتَلْزَمُهُ ثَانِياً لِلنِّهايَهْ
وكَانَتْ سَمَاءُ الرَّجَاءْ
مُفَتَّحَةً تَسْتَجِيبُ الدُّعَاءْ

---

(١) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٣٢٦ .
(٢) ديوان ترانيم الصباح ، ص ٤٠ – ٤١ .

لِتَغْمَرَ إلْفَيْنِ ضَلاً جَمَالَ الرِّوايَهْ

بِفِعْلِ نُفوسٍ حَقُودَهْ

بِمَا نَفَثَتْ في العُقَدْ

وفَرَّقَتِ الزَّوجَ والذِّكْرِياتْ .

في حين يكشف الشاعر سعد الحميدين بعض الأساليب المؤذية التي يلجأ إليها المشتغلون بالسحر والشعوذة ، لإخراج الجان وطرده من جسد الإنسان إذا حل فيه .

حيث يحكي في قصيدته : (القرينة وقطرات الماء) حكاية رجل خرَّ على الأرض من شدة الجوع والعطش ، فتجمهر الناس حوله ، وإذا بأحد المدَّعين للسحر والقدرة على طرد الجن ، يبدى استعداده لعلاجه مما أصابه[(١)] :

مِثْلَمَا تُلْقَى على الدَّربِ نِفايَهْ

خَرَّ في الدَّرْبِ صَرِيعا

قَالَ مَنْ قَالَ :أَصَابَتْهُ القَرِيْنَهْ

اعْطِنِي السِّكِّينَ والمَاءَ المُثَلَّجْ ..

إنَّها بِنْتُ لَعِينَهْ ..

من بَنَاتِ الجِنِّ تَهْواهُ فَعَارَضْ ..

إنَّها تَشْفِي لَظَاهَا

اعْطِنِي المَاءَ سَرِيعاً ..

(١) مجلة اليمامة ، العدد (١٧٥) في ١٣٨٧/٧/١٧هـ ، ص ٥ . وديوان رسوم على الحائط ، سعد الحميدين ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط (٢) عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص ١٤٥ .

سَوْفَ تَخْرُجْ ..

بَعْدَ أَنْ أَتْلُو القِرَاءَةْ .

وعندما لم تجد قراءته تلك ، تناول سوطاً وهوى به على ذلك المسجى على قارعة الطريق ، حتى يُخرج منه تلك الجنية التي تلبسته – على حد زعمه– بالقوة[1] :

فَهَوى بالسَّوْطِ فَوْقَ الحَاجِبَيْنْ

يَضْرِبُ الجَاثِي على الأَرْضِ كَمَا تُضْرَبُ «بَغْلَهْ»

صَائِحاً في أُذْنِهِ مثل الرُّعاهْ:

أَخْرُجِي ..

أَخْرُجِي إِنِّي هُنَا ...

سَوْفَ أَلْقَاكِ بِعُنْفٍ يالَئِيمَهْ .

وقد تنبه أحد الحاضرين للأمر ، فقام بإحضار الماء وبعض الزاد ، وقدمه إلى ذلك الرجل . وما إن أكل وشرب حتى هبَّ واقفاً ، أما ذلك المشعوذ فقد انتهز فرصة ازدحام الناس ليولي هارباً :

قِيْلَ أين الرَّجلُ دَجَّالُ الزَّمانْ ؟

أَيْنَهُ .. أين المُشَعْوِذْ ؟

والمُخَادِعْ

قد مَضَى بالدَّرْبِ لم يَتْرُكْ سِوَى ا لسَّوْطِ اللَّعِين وبَقَايَا

من تَرَانِيمَ عَتِيقَهْ .

---

(١) مجلة اليمامة ، العدد (١٧٥) في ١٣٨٧/٧/١٧هـ ، ص ٥ . وديوان رسوم على الحائط ، ١٤٦ – ١٤٨ .

المبحث السادس

الفــراغ

ومن الآفات التي وقف عندها الشاعر السعودي ، وحاول لفت الانتباه إليها ، الفراغ . والفراغ كما هو معروف مفسدة ، يجر دائماً إلى الرذائل من الأقوال والأفعال . وقديماً قال الشاعر العربي :

إِنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ　　　مَفْسَدَةٌ لِلْمَــرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

وقد دفع الشعراء إلى الاهتمام بتلك الآفة ، ومن ثم الدعوة الجادة إلى إيجاد الحلول المناسبة للقضاء عليها ، وعيهم بخطورتها ، خاصة على شباب المجتمع الذين يُعول عليهم كثيراً فيما يصبو إليه الجميع ويتطلع .

ويعد الشاعر إبراهيم علاف من أكثر شعرائنا شكاية من ا لفراغ ، وأحرصهم على شغله بما يفيد المجتمع وأبناءه .

حيث يقول مقدرا قيمة الوقت[1] :

سَئِمْنا فَراغَ الوَقْتِ يَمْضِي بنا سُدًى　　　نَلُوكُ بِهِ لَغْوَ الحَـــــدِيثِ ونُسْرِفُ

فَقَدْنَاهُ سَبْقاً إِذْ فَقَــدْنَاهُ طَــاقَةً　　　مَضَاعَفَةَ الإِنْتاجِ والأَمْنُ مُــورِفُ

ولِلْوَقْتِ قَدْرٌ لم نُفِدْ حُسْنَ قَــدْرِهِ　　　وذلك دَاءُ الشَّــرْقِ إِذْ يَتَخَلَّـــفُ

والمساوئ التي يجلبها الفراغ كثيرة ، إلا أن الشعراء اكتفوا منها بذكر ما يرونه ماثلاً أمام أعينهم أو يسمعونه . وقد ساقوا تلك المساوئ في ثنايا وصفهم لكيفية قضاء أوقات الفراغ في مجتمعهم .

---

(١) ديوان وهج الشباب ، ص٧٩ .

فالشاعر عبد ا لكريم الجهيمان يعرض لنا بعض ما يحدث في المجالس التي يرتادها الأصحاب لقضاء أوقات فراغهم ، جاعلاً منها السبب في نفوره من تلك المجالس ، حيث يقول [1] :

لِذَاكَ تَرَانِي لا أَلِدُّ مجَـالِساً بما تَحْتَوِيهِ من كَثِيرِ العَجَـائِبِ[2]

فما لَهُمُو إلاَّ حَـدِيثٌ مُـرَدَّدٌ أُعِيدَ مِراراً في مَجَالِ التَّخَـاطُبِ

أَحادِيثُ قد أَخْنَى عليها زَمـانُها ولَيْسَتْ سِوَى نَجْوَى أَحادِيثِ حَاطِبِ

فَمِنْهَا حَدِيثٌ عن فُـلانٍ بِأَنَّهُ قد ابْتَاعَ ذَاكَ الشَّيءَ بَيْعَةَ غَـالِبِ

ومِنْهَا حَدِيثٌ عن فُـلانٍ بِأَنَّهُ لَهُ ثَرْوَةٌ تَرْبُو على عَـدٍّ حَاسِبِ

وهكذا يمضي الوقت في القيل والقال ، دون تحقيق من المجتمعين في ذلك المجلس العامر لهدف سامٍ نبيل ، أوفائدة يعم نفها على الجميع .

ويقدم ا لشاعر ماجد الحسيني صورة أخرى لقضاء أوقات الفرا غ لا تقل عن سابقتها سلبية ، حيث يقول ساخراً ومتألماً على الوقت الذي ينفقه شباب المجتمع دون إحساس منهم بمدى أهميته وقيمته[3] :

لَيَالِينا ..

أَتَسْأَلُ عن لَيَالِينا

لَيَالٍ ، مِلْءُ حَاضِرِنا

وحَاضِرُنا كما ضِينا

من البَيْتِ إلى المَكْتَبْ

---

(١) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٣٨٨) في ١٣٥٨/٥/٢١هـ ، ص ٤ .

(٢) ألد : أدخل أوأرتاد .

(٣) جريدة البلاد ، العدد (٤٢) في ١٣٧٨/٩/٦هـ ، ص ٤ . وديوان ضياع ، ص ٥٤ – ٥٥ .

فَلِلسَّهْرَهْ
فَإِمَّا بَيْتُ صَاحِبِنا
وإِمَّا دَارَتِ الدَّوْرَهْ
ونَسْهَرُ نَلْعَبُ الوَرَقَا
أَوِ (الكَيْرَمْ)(١)
ويَمْضِى اللَّيْلُ مُحْتَرِقاً
ومَنْ يَعْلَمْ
إلى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
وأَحْيَاناً إلى الفَجْرِ
وتَعْمِيرَهْ
تَرُوحُ بِأَثْرِ تَعْمِيرَهْ
وذا يَحْكِي وذا يَحْكِي
وتَتْبَعُ سِيرَةٌ سِيرَهْ
إلى أن يقول(٢):
فَتِلْكَ إِذاً لَيَالِينا
وحَاضِرُنا كما ضِينا
فكيف المُقْبِلُ الآتي

---

(١) الكيرم : لعبة مربعة الشكل ، تصنع من الخشب .
(٢) جريدة البلاد ، العدد (٤٢) في ١٣٧٨/٩/٦هـ ، ص ٤ . وديوان ضياع ، ص ٥٧ .

أَأَحْيَاءٌ كَأَمْوَاتٍ

وَنَقْضِيهَا لَيَالِينَا

أَلا دَامَتْ لَيَالِينَا .

ويعدد الشاعر علي زين العابدين مساوىء الفراغ ، وما قد يجلبه للإنسان الراتع فيه من عنت وشقاء ، قائلاً[1] :

هو لَيْلٌ دُجَاهُ ذُعْــــرٌ ورُعْـــــبٌ وهُمومٌ دَفَّاقَـــــةٌ بِالمكَـــــارِهْ

هو هَوْلٌ يَجْتَاحُ قَلْبَ أبي الهَــــوْ لِ فَيَبْرِي الجَلْمُــودَ من أَصْخَارِهْ

هو مَــــــوْتٌ مُحَقَّقٌ يَقْتُلُ الـــرُّو حَ .. وَيَجْنِي على الحِجَى وازْدِهَارِهْ

هو قَبْرٌ لِكُلِّ حُـــــــرٌّ كَــرِيمٍ وعَفَاءٌ يَطْوِي ذَكَـــــاءَ الفَــــارِهْ[2]

هو سِجْنُ العُقُـــولِ يَكْبِتُ مَسْرَا ها .. ويَهْــوِي بها إلى أَغْــوارِهْ

ونظراً لتلك المساوىء التي تتولد عن الفراغ، وجدنا بعض شعرائنا يدعون–بصورة غير مباشرة–إلى استثمار أوقات الشباب ، وتنمية مواهبهم وصقلها . وذلك عن طريق إنشاء المرافق الخاصة بهم ، وإتاحة الفرصة لهم للالتحاق بها ؛ كسباً لأوقاتهم الثمينة ، ودرءاً لهم عن أضرار الفراغ وأدوائه المتعددة .

وفي ذلك يقول العلاف متمنياً[3] :

ومتى يُصْـــــبِحُ الفَراغُ رَبِيعَــاً يُخْصِبُ النَّفْسَ سَاحِرَ اللَّمَسَاتِ ؟

يَتَحَدَّى المَـــلالَ والضِّيقَ مُــدَّاً ويُنَجِّي الشَّبابَ من عَـــثَراتِ

---

(١) ديوان هديل ، ص ١٠٦ .

(٢) الفاره : الحاذق بالشيء .

(٣) ديوان أشواق وآهات ، ١٤٤ .

ولم تتوانَ الدولة في الحيلولة بين شبابها والأدواء التي قد تترتب على الفراغ الذي يعاني منه بعضهم ، حيث شرعت في إنشاء المرافق الخاصة بالشباب وغيرهم ، كالأندية الرياضية ، والاجتماعية ، والثقافية ، في المدن والأرياف على السواء[1] .

والغاية من كل تلك المرافق ، استثمار أوقات الشباب ، وتنمية وصقل قدراتهم ومواهبهم في كل ما يحسنونه ويبدعون فيه .

وما إن وقعت عينا الشاعر السعودي على أمانيه وأحلامه وقد أضحت حقائق ماثلة للعيان ، حتى شرع في حث أبناء مجتمعه على الاستفادة من أوقاتهم،واستثمارها فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع والفائدة .

فالشاعر إبراهيم علاَّف يتوجه إليهم حاثاً إياهم على استغلال أوقاتهم الثمينة ، وعدم إهدارها ، قائلاً[2] :

لا تَهْدِرُوا الوَقْتَ وارْعَوْا حَقَّ حُرْمَتِهِ ... فَعَصْرُكُمْ سُرْعَةٌ والبُطْءُ خُــــذْلانُ

لَتُسْأَلُنَّ عن الأَيَّـــــامِ مُـــــدْبِرةً ... متى احْتَواكُمْ من الأَعْمالِ مَيْــدانُ

فاسْتَمْرِئُوا الجِدَّ واسْتَوْحُوا مَواهِبَكُمْ ... فَإِنَّ إِعْفَاءَها ظُلْـــمٌ وخُسْـــــرانُ

ولْتَتَّقُوا العُجْبَ والتَّوفِيقُ رَائِــــدُكُمْ ... ما لِلْغُرُورِ على ا لآمَـــالِ سُلْطَـانُ

ويشاركه هذا الحث والتوجيه الشاعر علي غسال ، ولكنه لا يباشره كسابقه ، وإنما عمد إلى تقديم صورتين متغايرتين ، تاركاً لشباب بلاده حرية

---

(١) انظر : معجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ، ص ٧٠٩ – ٧١٠ . / والمملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير ، عبدالكريم غزال ، ص ٣٠٨ – ٣١٠ .

(٢)ديوان أشواق وآهات ، ص ٣٤ – ٣٥ .

الاختيار ، بعد أن قدم لهم في ثنايا الصورة الثانية ما يدفعهم إلى أن يكونوا ضمن إطارها ، وفي ذلك يقول[1] :

مَنْ ضَيَّعَ الأَوْقاتَ في الدُّنْيا سُدًى ... ومَضَى يَهِيمُ اليَوْمَ في لَـــذَّاتِهِ
عَاشَ الغَرِيبُ فَلا فَخَـــارُ عِنْدَهُ ... يُزْهَى بِهِ في صَحْبِهِ وعِـــدَاتِهِ
وإذا قَضَى نَحْباً فـــلا يُرْثَى لَهُ ... لو مَاتَ أَنَّ قد صَحَّ فَـوْقَ مَمَاتِهِ
أَمَّا الــذي يَسْعَى ويَكْدَحُ دَائِــباً ... وتُحطِّمُ العقَبَاتُ من عَـــزَمَاتِهِ
ويَشِيدُ صَرْحَ المَجْدِ دَوْماً والعُــلا ... وتُزَعْزَعُ الأَكْبادُ من صَيْحــاتِهِ
يَسْمُو ويَعْلُو في الحَيَاةِ مُعَـــزَّزاً ... بِمُضَـــائِهِ وطُمُوحِـــهِ وثَبَاتِهِ
يَحْيا عَظِيماً في الحَيَـــاةِ وإِنَّهُ ... بالخُلْدِ يَحْيا بَعْدَ دَفْنِ رُفَـــاتِهِ

---

(١)ديوان فجر العمر ، ص ٢٥ .

المبحث السابع

اندفاع الشباب إلى مهاوي المدنية الحديثة

من الآفات الاجتماعية التي استوقفت الشاعر السعودي ، فسلط عليها الأضواء ناقداً ومحذراً وناصحاً ، آفة تقليد الغرب ، والاندفاع – من الشباب خاصة – إلى مهاوي مدنيتهم الحديثة ودياجيرها السحيقة .

والنصوص الشعرية الموجهة لانتقاد هذه الآفة تكشف عن اهتمام الشعراء بمظهرين من مظاهرها . ويبدو لي أن تفشي هذين المظهرين بين بعض أفراد المجتمع ، هو الذي دفع الشعراء إلى التركيز عليهما ، رغبة منهم في تخليص مجتمعهم والمنجرفين في متاهاتها من أبنائه ، من رجسهاوأدرانها

ويأتي في المقدمة من حيث اهتمام الشعراء مظهر الخلاعة والمجون ، الذي تسلل إلى نفوس بعض أفراد المجتمع مع ما تسلل إليها من أدواء وعلل ؛ نتيجة لحالة الترف التي يعيشونها ، إضافة إلى ضعف الوازع الديني لديهم .

ويعد الشاعر محمد حسن فقي من أكثر شعرائنا تصدياً لهذا المظهر الشاذ والطارىء على المجتمع وأقدرهم . تفصح عن ذلك كثرة نصوصه فيه ، وتنوع أساليبه وطرقه فيها .

ففي قصيدته :(صيحة النذير) ، انتقاد حاد للمترفين الماجنين ، الذين دأبوا على الترحال صوب المجتمعات المتحللة أخلاقياً ، محملين بالأموال ، ساعين وراء المتع واللذائذ المحرمة ، غير آبهين بأعراض الناس وحرماتهم . وحوت إلى جانب ذلك تذكيراً لأولئك الماجنين بالمحتاجين من أبناء مجتمعهم إلى تلك الأموال

التي تهرق في سبيل الحصول على لذة محرمة ، جالبة الإثم والعار لأصحابها ، بدلاً من الثواب والسعادة . وفي ذلك يقول [1] :

يا مُرْتَوونَ من الشَّـــرا　　بِ ونَاشِقُونَ من الخُزَامى
إنَّ النَّـــــدِيَّ يَضِـجُّ بالـــنُّعْمَى ويَحْـــــفِلُ بالنَّدامَـــى
هذي اللَّيالِي الحُمْرُ قَـــدْ　　تَرَكَتْ ضَمَائِرَكُمْ حُطَامـا
أَنْكَـــرْتُمو فيها الحَـــلا　　لَ فَحَلَّلَتْ لَكُمُ الحَــــراما
المالُ يَجْرِي في غَـــــدا　　ئِرِها لِيَقْتَنِصَ الغَـــرَامـــا
والغَانِياتُ يَـــدُرْنَ سِحْـ　　ـراً أَوْ يُدِرْنَ لَكُمْ مُـــدَامـــا
عَرَبِدْنَ من نَفْـــحِ الشَّبا　　بِ فَعَادَ شَيْخُكُمو غُـلامـــا
قد ذَابَ مِـــــنْ أَلْـــحَــــاظِـــهِنَّ جَــوًى وذُبْنَ بِهِ هُيـــــاما
أَهْــــرَقْتُمو مـــاءَ الشَّبَا　　بِ على الأَوانِسِ.. والأَيامَـى
ويَذَلْتُمو الأَمْـــــوالَ تَسْـ　　ـتَجْدِي اللذَّةَ والأَثَــــــاما
والأَرْضُ تَزْخَـــــرُ بالنَّوا　　عِسِ والثَّواكِلِ واليَتَـــــامَى

ويعنِّف الشاعر عبد الله محمد جبر في تصديه لهذا المظهر الشاذ ، وانتقاده للاَّهين الماجنين من أبناء مجتمعه الذين تتحكم فيهم نزواتهم ، وتقودهم إلى مهامه الحياة القاتمة رغباتهم الشيطانية المقوته ، قائلاً[2] :

صَبْراً على التَّرفِ المُرِيـ　　ـبِ فَإِنَّما العُقْبى خَسَارَهْ
يارَاتِعِينَ على الحَـــــرَا　　مِ وهازِئينَ من الطَّهــارَهْ

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٦) ، ص ٢٧٠ – ٢٧١ .
(٢) ديوان هتاف الحياة ، عبد الله محمد جبر ، نادي الطائف الأدبي ، مكة للطباعة ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٢١ .

مِن كُلِّ مَجْـذومِ الضَّميـ　　ـرِ رِغَابُهُ رَهْنُ الإشَـارَهْ
يَتَهافَتُونَ على الـــــرَّحيـ　　ـلِ كَأَنَّهُمْ فُرْسَانُ غَـارَهْ
حَيْثُ الرِّغابُ الحُمْـرُتَسْـ　　ـتَوْري وتَسْتَعِرُ اسْتِعارَهْ
حَيْثُ انْتِفاضَاتُ الخُصـو　　رِ وحَيْثُ دَمْدَمَةُ الإثَارَهْ

وشاعرنا الفقي بارع في معالجته لهذا المظهر المنحرف ، وبارع في نقده وتوجيهه للاهين من أبناء مجتمعه ، الذين يستغلون أموالهم لهتك أعراض الناس وحرماتهم ، خاصة عندما يعتمد على الأسلوب القصصي .

ففي قصيدته :(ضحايا)،وبعد أن وصف الأجواء والأماكن التي يرتادها الماجنون واللاهون ، أعطى إحدى الفتيات الفرصة لتبرير ما هي فيه ، ووصم المتسببين في ذلك من أصحاب المال والثراء ، فتقول مشركة إياهم في الإثم والعار الذي تحسه[1] :

فإذا ما قَسَتْ علينا اللَّيـــالِي　　والْتَمَسْنا طَعَامَنا والكِـــسَاءَ
ورَغِبْنَا عن الـــــدَّعَارَةِ ضَنًّا　　بالعَفافِ ا لذي يَـــزِينُ النِّساءَ
سَاوَمَتْنا الفُجَّارُ بالجِنْسِ والما　　لِ وطَـــافَتْ بِنَا صَبَاحَ مَسَاءَ
فاللَّواتِي سَقَطْنَ في بُؤْرَةِ الإثْـ　　ـمِ ضَحَـــــايا ولَسْتُمُ بُـرَءَاءَ

وما إن انتهت تلك الفتاة من سكب معاناتها　التي أكرهتها على تجرع صابها والاكتواء بنارها حاجتها الشديدة إلى ا لمال ، وضن مالكيه به دون مقابل ، حتَّى هبَّ في وجه أولئك الماجنين ، محذراً من التمادي في لهوهم ومجونهم ، ومبيناً لهم سوء العاقبة التي تنتظرهم وذويهم ، علَّهم يرعوون ،

---

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص٢٠٨ .

وينيبون إلى الله – سبحانه وتعالى – ، معلنين توبتهم ، وطالبين مغفرته[1] :

أَيُّهَا المَاجِنُ الخَلِيعُ الـــــذي عَا ... ثَ بهذي الفَتَاةِ واسْتَهْـــــوَاها
أَنْتَ مَنْ سَامَهَا الهَـوانَ ولم تَرْ ... حَمْ أُنوفـــاً عَـــزِيزَةً وجِبَاها
كُنْتَ ذِئْباً سَطَا على الشَّاةِ حَتَّى ... سَقَطَتْ فَاسْتَدارَ يَبْغِي سِـوَاها
رُبَّما صِرْتَ في غَدٍ لِـــــفَتَاةٍ ... بَعْلَها رَغْمَ عَارِهَا .. وأَخَـــاها

ومما يتصل بتلك الأجواء اللاهية المتحللة من كل القيم والمبادئ ، شرب الخمور . فاللذة المحرمة لا تكتمل إلاَّ بها ، بل هي الدافع الأساس لكل مثلبة ، والمحرض القوي للشهوات والرغبات المحرمة .

وقد شاع في أوساط متعاطيها قدرتها على منحهم القوة والنشاط ، ووقوفها حائلاً بينهم وبين الهموم التي تلقي بها الحياة صباح مساء ، فهم لا يشعرون معها – والقول لهم – إلاَّ بالراحة والانبساط ، والانطلاق عبر أجنحتها إلى عوالم ومدن لم تطأها بعد قدم ، ولم تكتحل بمرائيها العيون .

ولعل ذلك الادعاء الأجوف من الواقعين تحت تأثيرها ، هو الذي دفع شاعرنا طاهر الزمخشري إلى تعداد مخازيها ومضارها . فهي تسلب عقول مدمنيها ، وتوهن أجسادهم ، وتفقدهم القدرة على العمل ، ومن ثم تحقيق الأماني والتطلعات التي تصورها لهم أحلامهم ، ويصبون إلى بلوغها على أرض الواقع المعيش .

يظهر ذلك في قوله ساخراً من شاربيها ، وواصفاً ما يتعرض له

(١) مجلة اقرأ ، العدد (٥٠) ذو القعدة ١٣٩٥هـ ، ص ٣٦ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٥) ص ٣٧٨ .

مدمنوها[1] :

جَـــدَّدَتْ من قُواهُ فَانْقَـــادَ قَسْراً لِخُمولٍ رَآهُ خِــــــدْناً رَفِيقــا
وانْطَوى يَرْقُبُ اتِّسَاعَ الأمَـــانِي وهي تَزْدادُ – في الحَقِيقَةِ -ضِيقا
سَادِرَ العَقْلِ سَاهِمَ الفِكْرِ يَمْضِي بِخُطَىً زَادَها الخُمُـــــولُ وُثُوقا
هكذا شَأْنُهُ فَكَـــيْفَ يُـــرَجِّي لأَمَانِيهِ أَنْ يَـــرَى تَحْقِيــــــقا

ويتصدى الشاعر محمد عمر توفيق لمن يدَّعي أن معاقرة الخمر والإدمان عليها تجعل الإنسان بمنأى عن سطوة همومه ومشكلاته ، حيث يقول نافياً مزاعم القائلين بدحرها للهموم وأوصاب الحياة ، ومؤكداً عكس ما يدَّعون تماماً[2] :

ولقد غَدَوْتُ لِطُولِ مَشْـــرَبِها أَرى ما لا يَرَى فيها هَـــوَى المُتَنَدِّرِ
حتَّى إذا انْفَجَرَ الشُّعـــورُ بِوَهْمِها فَكَأَنَّمَا هُــــوَمِنْهُ .. لم يَتَفَجَّـــرِ
وبَدَتْ لِـعَيْنَيَّ الحَيَـــــــاةُ قَبِيحَةً ما بين مَمْسُوخٍ .. وبين مُـــزَوَّرِ
وبدت تفاهة ما نريد مــــــن التي تجلو الهموم بكل لـــــون أغبر
وبَدَا سَبِيلُ العَيْشِ أَسْودَ كـــالِحاً وبَدَتْ مَظَاهِـــرُهُ كَأَبْشَعِ مَظْهَرِ
وبَدَا الشَّرابُ سَبِيلَ مَخْدوعِينَ يَسْـ ـلُبُهُـمْ صَحِيحَ العَيْشِ لِلْمُتَكَـسِّرِ

وعلى هذا النحو تأتي مشاركة الشاعر أحمد قنديل ، فقد أبدى مساوئها ، ودحض افتراءات ومزاعم متعاطيها ، ووصمهم بالزندقة والفجور ، حيث يقول

---

(١) مجموعة النيل ، ص ٤٤ .
(٢) شعراء الحجاز في العصر الحديث ، عبد السلام طاهر الساسي ، ص ٢٥١ .

مخاطباً الكأس[1] :

يا كَأْسُ يا مِصْبَــاحَ قَلْـ ـبٍ قد تَحَطَّمَ في الدَّياجِرْ
ما حَـــــامَ حَـــوْلَكَ أَوْ تَسَــكَّــعَ غَيْـرُ زِنْــدِيقٍ وفَــاجِرْ
ومُعَاقِرٍ تَجِـــذَ المُـــدا مَ صِنَاعَةَ القَلْبِ المُغَــامِرْ
يَشْقَى بِهَـــا لا يَسْتَفِيـ ـدُ ولا يُفِيدُ سِوَى المَخَاطِرْ
يا كَــأْسُ حَسْبُكَ أَنْ تَكُو نَ حُطَــامَ أَخْيِـلَةٍ دَوَائِرْ
وعُلالَــــةَ الأَمَلِ المُطَــا وِلِ لَطْمَةَ الأَمَلِ المُصَــابِرْ

وحين يشيع لدى الناس بأن في الخمر شفاء ، يتصدى الشاعر أحمد جمال لهذه الإشاعة وتلك الدعوى ، رافضاً إياها ، ومؤكداً ما أكدته الآثار من أن الله – سبحانه وتعالى – لم يجعل للنفس الإنسانية شفاء في شيء حرَّمه عليها ، قائلاً[2] :

زَعَمَ الطَّبِيبُ بِأَنَّ بالصَّهْبَاءِ تَشْـ ـتَدُّ أَعْصَـــابِي ويُحْسَمُ دَائِي
فَرَفَضْتُها وأنا المَرِيضُ ولم أَكُنْ لأُرِيدَ بالخَمْرِ الحَــرامِ دَوائِي
آمَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لم يَجْعَــــلْ لنا فيما نَهَـانَا عنه أَيَّ شِفَــــاءِ

أما المظهر الثاني الذي لفت انتباه الشعراء السعوديين من مظاهر المدنية الحديثة ، فيتمثل في داء الميوعة ، ومسايرة الموضة الغربية ، في ارتداء الملابس، وقصات الشعر،والتشبه بالنساء .

وقد عرض بعضهم لهذا المظهر في شعرهم ، فأشبعوه نقداً ، وأشبعوا

---

(١) ديوان أبراج ، ص ١١٠-١١٥ .
(٢) ديوان وداعاً أيها الشعر ، أحمد محمد جمال ، ط (٢) ١٣٩٧هـ ، ص ٥٨ .

المغرمين به من شباب مجتمعهم تهكما وسخرية . وهم في كل ذلك يستلهمون المضمون الإسلامي ، فالإسلام قد نهى عن تشبه الرجال بالنساء والعكس أيضاً .

والنصوص الموجهة لانتقاد هذا المظهر، تفصح عن آلام مبدعيها الثقال ، واستيائهم الشديد ، من الحالة التي آل إليها شباب مجتمعهم ، ومن المشاهد العجيبة والمقززة التي تقع عليها أحداقهم .

فهذا الشاعر محمود عارف ، يستنكر ما يراه من بعض الشباب ، من تقليد للغرب ، وتشبه بالنساء ، قائلاً[1] :

ومن أَعْجَبِ ا لأَشْياءِ جِيلٌ مُضَلَّلٌ ... يُقَلِّدُ زِيَّ النَّاعِـــماتِ الأَوَانِسِ

شِعارُهُمُ الإِغْـــراءُ والأَخْذُ جُمْلَةً ... عن الغَرْبِ فيما قد أَتَى من خَلابِسِ[2]

فَأَمْعَنُهُمْ في الأَخْـــذِ يَبْدُو مُغَفَّلاً ... يُقَلِّدُ عن جَهْلٍ قُشُورَ الخَسَـائِسِ

وهذي لَعَمْرُ الحَـــقِّ أَرْذَلُ بِدْعَةٍ ... رَمَاهُمْ بها التَّقْلِيدُ عن شَرِّ غَـارِسِ

وبشيء من التفصيل يتناول الدامغ هذه الظاهرة ، التي استوى في ظل انتشارها الذكور والإناث ، بحيث لم يعد الإنسان قادراً على الوقوف على الملامح والسمات التي تميز بينهما ، وفي ذلك يقول[3] :

في فَارِهِ المَرْكُـوبِ تَحْسَبُهُمْ ... جِنَّاً إذا فَاقُوكَ واخْتَطَفُـــوا

يَسْتَصْرِخونَ الأَرْضَ في نَزَقٍ ... فَتَثُورُ بُرْكاناً كما عَصَفُـــوا

فَغُبارُهُمْ في الجَوِّ مُعْتَكِـــرٌ ... وصَرِيخُهُمْ في الدَّرْبِ مُعْتَسِفُ

---

(١) ديوان المزامير ، محمود عارف ، ص ١٢٠ .

(٢) خلابس : خلبسه وخلبس قلبه أي فتنه وذهب به . وأمر خلابيس : على غير استقامة ، وكذلك خلق خلابيس .

(٣) ديوان شرارة الثأر ، ص ٨٦ .

راحَاتُهُمْ بالسَّـــــراحِ عائِمَةٌ　　وخُدودُهُمْ (بالرُّوج) تَلْتَحِـــفُ

وكُعُوبُهُمْ بالكَــــعْبِ طَائِرَةٌ　　يَمْشُونَ خُنْثاً حينما انْحَــرَفُوا

ورُؤوسُهُمْ بِالشَّعْرِ سارِحَــةٌ　　وصُدورُهُمْ بالغِيـــدِ تَتَّصِفُ

لا فَرْقَ بين ذُكُورِهِمْ أَبَــداً　　وإِناثِهِمْ إِلاَّ بما اقْتَرَفُــــوا

وينعي الشاعر أحمد باعطب على ا لشباب ذلك التَّردي المشين في مهاوي المدنية الحديثة ، حيث يقول مستنكراً تفشِّي داء الميوعة في أوساط الشباب[1]:

أرى دَاءَ الميُوعَةِ قـــد تَفَشَّى　　وَحَيَّرَ أَمْرُهُ حِـــذْقَ الأُسَاةِ

وأَصْبَحَ عِلَّةً في النَّشْءِ تُصْمِي　　وعَشْعَشَ في صَمِيْمِ العَائِـلاتِ

وسَدَّدَ للشَّبابِ سِهَـــامَ قُبْحٍ　　وخَنْفَسَةٍ وسُوءِ تَصَــــرُّفاتِ

ويعتمد الشاعر محمد بن علي السنوسي على السخرية في تصديه لذلك المظهر ، حيث يقول بعد أن رأى أحد أبناء مجتمعه مرتدياً الملابس الغربية الضيقة ، وقد أخذه العجب بنفسه ومظهره الذي يلفت الأنظار إليه إينما كان ، مشبهاً إياه بالقرد[2]:

رَأَيْتُهُ وهو يَمْشِـــي مَشْيَ فَنَّـــانِ　　كَأَنَّهُ فَارِسٌ في وَسْطِ مَيْــدانِ

يَهُزُّ عِطْفَيْهِ إِعْجَـــــاباً بِحُلَّتِهِ　　ويَمْسَحُ الشَّعْــرَ من آنٍ إلى آنِ

في (بَدْلَةٍ) تُبْرِزُ الأَعْطافَ ماثِــلَةً　　أَرْكانُها وزَوايـــــاها (كَفُسْتَانِ)

فَقُلْتُ ماذا أرى يا قَوْمُ هل مُسِخَتْ　　طِباعُ صَحْبِي وإِخْوانِي وأَقْــرَانِي

إِنِّي أرى بَيْنَكُمْ قِرْداً فكـــيف أَتَى　　وكيف أَلْبَسْتُمُـــوهُ لِبْسَ إِنْسانِ

---

(١) ديوان الروض الملتهب ، ص ٢١١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤١ – ٤٤٢ .

ويعود الدامغ ليصب جام غضبه على أولئك الشباب الذين دأبوا على تقليد الغرب ومحاكاتهم في ملابسهم،وقصّات شعرهم،وطريقة سيرهم ، داعياً عليهم بالويل والثبور ، ومذكراً إياهم بماضي آبائهم وأجدادهم الأفذاذ،محاولاً إعادتهم إلى جادة الصواب ، قائلاً[1] :

يا وَيْلَهُمْ تَربَتْ أَنا مِــــــلُهُمْ	خَلْفَ الضَّياعِ المُرِّ ما اقْتَرَفُوا
لا المَوْضَةُ الرَّعْنَـاءُ تُنْصِفُهُمْ	مِمَّا اسْتَلَنُّوا حينما اتَّصَفُـوا
فالغَانِياتُ لَهُنَّ سِرُّ هَــــوًى	بِنَدَى البُطولَةِ وهو يَنْتَصِــفُ
يَرْوِينَ عنه مَــــــلاكَ بَـادِرَةٍ	فيها لَهُنَّ من الهَــــوَى دَنَفُ
فَسَوابِقُ الفَضْلِ التي شَهِدَتْ	لِلنَّا بِهِينَ بِــــــذَاكَ تَعْـتَرِفُ
قِصَصٌ بها نَجْوى رُجَـولَتِهِمْ	تَسْتَنْزِفُ الحُبَّ الذي وَصَفُـوا
أين النُّهى مِنْهُم لِفِتْيَتِــــــنا	وشِعَارُهُـــمْ بِالـــرِّقَّةِ الهَيَفُ

(١) ديوان شرارة الثأر ، ص ٨٧ .

الباب الثاني

* * * * * *

الدراسة الفنيـــة

الفصل الأول

* * * * * * *

لغة الشعر الاجتماعي وأساليبه

المبحث الأول

اللغـــــة

تعد اللغة «الأداة الأساسية للشاعر – وللأديب عموماً – أو لنقل إنها المادة الأولى التي يشكل منها وبها بناءه الشعري بكل وسائل التشكيل المعروفة»[(1)] .

وعلى توافرها يتوقف دور النقد الأدبي ، فهو لا يتعلق بالتجربة الشعورية «إلاَّ حين تأخذ صورتها اللفظية ، لأن الوصول إليها قبل ظهورها في هذه الصورة محال ، ولأن الحكم عليها لا يتأتى إلا باستعراض الصورة اللفظية التي وردت فيها ، وبيان ما تنقله هذه الصورة إلينا من حقائق ومشاعر»[(2)] .

وإذا كان العمل الأدبي يتوقف على الدقة في الصياغة ، فإن أولى مميزات الشعر هي استثمار الشاعر الموفق لخصائص وإمكانات لغته التي يعبر بها بوصفها مادة بنائه . فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية ، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني التي يرمي إليها في لغته التصويرية الخاصة به[(3)] .

والشعراء هم سادة اللغة وأصحاب الحق الأول في التصرف بها ، وهم الأفراد الذين تبلغ بهم الأمة استجابتها لتجارب الحياة وهم أكبر قدرة على الصياغة اللفظية وهذا هو المألوف في كل لغة[(4)] . « فعلى أيديهم تكتسب مفردات جديدة ، وعلاقات لغوية جديدة ، فإذا تصورنا أن لغة ما بدون شعراء ، وأدباء ، فهي تلك اللغة الجامدة الآيلة إلى الموت والانقراض . صحيح أن لكل لغة عبقرية خاصة ، تمد الشاعر بما لديها من تراكيب وصيغ جاهزة ، وطريقة

---

(1) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ،د. علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط(3) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، ص٤٥ .

(2) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣٧ .

(3) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال . مطبعة نهضة مصر ، بدون تاريخ ، ص ٣٨٦ «بتصرف» .

(4) قضية الشعر الجديد ، د. محمد النويهي ، دار الفكر ، ط(2) ١٩٧١م ، ص٣٥٢ «بتصرف» .

خاصة في الأسلوب ولكن الفضل والمزية في حياة اللغة إنما يكون لأدبائها الذين يعبرون بها ، ويبدعون من خلالها»[1] .

وللشعر دور كبير في تطوير اللغة ، فتاريخ تطور أي لغة من اللغات ، ما هو إلا تاريخ لتطور شعرها ، ومقياس ازدهار اللغة وغناها يظل مرهوناً بما يمدها به الشاعر من ألفاظ شعرية جديدة ، وهكذا فإن كل جيل من الشعراء يمد اللغة بحشد من الألفاظ الحية الجديدة ، التي ما تلبث – بمرور الزمن – أن تزوى وتأخذ مكانها التقليدي إلى جانب سالفاتها من الألفاظ(٢) .

ولا نريد أن نطيل الحديث عن أهمية اللغة ودورها في صياغة العمل الأدبي والشعر منه بصفة خاصة ، فقد كفانا نقاد الأدب ودارسوه هذه المهمة ، حيث أفاضوا في الحديث عنها .

والذي يعنينا هنا هو الوقوف على اللغة التي حملت لنا مشاركات شعرائنا وتجاربهم ، في معالجتهم لقضايا مجتمعهم المتعددة والمتشعبة في آن .

ولعلي لا أجانب الصواب إذا ما قلت : إن لغة الشعر الاجتماعي قد تأثرت بثقافة الشعراء اللغوية ، التي حصلوها بقراءاتهم المختلفة في مصدري التشريع الإسلامي : القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، أو في تراث أمتهم الخالد في مصادره الأساسية : أدبية وتاريخية : شعراً ، وخطباً ، وأمثالاً ، وقصصاً . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تأثرت بروح العصر وواقع الشعراء الذي يعيشونه .

---

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شرّاد ، دار المعرفة ، ط (١) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م ، ص٦٦-٦٧ .

(٢) حركة الشعر الحديث في سوريه من خلال أعلامه ، د. أحمد بسّام ساعي ، دار المأمون للتراث ، ط(١) ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ص ١٩٤ – ١٩٥ «بتصرف» .

وبناء على ذلك نستطيع أن نميز بين نمطين للغة في الشعر الاجتماعي الذي عرضنا له في هذه الدراسة :

الأول : النمط الفخم :

ويبدو لي أن وجود هذا النمط في لغة الشعر الاجتماعي راجع إلى صلة بعض شعرائنا الوثيقة بشعر الفحول في أزهى عصورنا الأدبية وأقواها ، وبمدرسة الإحياء في العصر الحديث ، ممثلة في أعلامها : محمود سامي البارودي ، وأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومحمد عبد المطلب ، وغيرهم . بالإضافة إلى طبيعة بعض الموضوعات التي طرقها الشعراء ، والتي أملت على بعضهم اتخاذ هذا النمط بكل مظاهره أداة للتعبير عما يريدون التعبير عنه .

ومن نماذج هذا النمط في لغة الشعر الاجتماعي،ما جاء في قول الشاعر عبد الله بن خميس محتفلاً بافتتاح سد وادي جازان[1] :

وعَهِدْتُ هذا الطَّودَ يُتْرِعُ بَحْـــرَها ... ما أَثْقَلَتْهُ المُزْنُ من شُحْــــنَاتِها
دَفْعاً كَأَثْباجِ المُحِيطِ تَجُـــــوزُها ... تَحْدُو رُكـامَ الطَّمْيِ في لبَّا تِها[2]
تُبْقِي أَليماتِ الكَوارِثِ خَلْفَـــــها ... والفَتْكُ والتَّدْميرُ من عَـــادَاتِها
تَرْنُو إليها العَينُ وهـــــي أَسِيفَةٌ ... وتَوقُّدُ النَّظَـراتِ بَعْضُ شَكاتِها
هل تُحْرَمُ الأَرْضُ الوَلُـودُ نَمِـيرَهُ ... وتَلُفُّهُ الأَمْـــــواجُ في غِبـَّاتِها[3]
وتَظَلُّ من دَفَقاتِهِ في نَجْـــــوةٍ ... لو شَرْبَةٌ طَمِعَتْ بها لم تَاتِـــها

(١) جريدة البلاد ، العدد (٢٦٧٤) في ١٣٩١/١/٢٦هـ ، ص ٥ . وديوان على ربى اليمامة ، ط(٢) . ص٣٢٠ – ٣٢٢ .
(٢) أثباج : الثبج : علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه ، ركام الطَّمي : الرمل المتراكم ، لباتها : مقدمتها .
(٣) نميره : النمير : الماء الزاكي في الماشية ، النَّامي ، عذباً كان أو غير عذب . غباتها : غِبُّ كل شيئ :عاقبته وآخره .

نَامَتْ على شَوْكِ الهَرَاسِ عُيونُها	حِقَباً وما نَامَـتْ عُيونُ أُسَـاتِها[1]
فَصَحَتْ على مِثْلِ القِلاعِ هَوادِراً	تَفْرِي أَدِيمَ الصَّخْرِ في سَطَواتِها
النَّارُ في زَفَرَاتِها والفَتْكُ فـــي	شَفَرَاتِها والنُّجْحُ في خَطَـــرَاتِها
أَتْلَعْنَ والأَيْدِي الصَّـــنَاعُ مُمَنَّعاً	عَرِماً يُسَامِي الطَّـــيْرَ في وُكُنَاتِها[2]
مُتَرَبِّعاً عَبْلَ المَنَاكِبِ أَفْــــرَغَتْ	فيه بُنَاةُ الفِكْرِ خَيْرَ بُنَاتِـــــــها[3]

فإحكام النسج ، ومتانة السبك ، والتأنق في الصياغة ، ظاهرة في أبيات شاعرنا السابقة ، فقد سار فيها على طريق القوة في التعبير العربي الموروث ، وذلك مثل : (وعهدت هذا الطود يترع بحرها ، دفعاً كأثباج المحيط تجوزها ، تفري أديم الصخر في سطواتها ، متربعاً عبل المناكب ...) .

ويبدو ميل ا لشاعر إلى استخدام الألفاظ الجزلة الفخمة ، ذات الجرس القوي الرَّنَّان ، الذي يملأ فم القارىء ويقتحم الأذن اقتحاماً ، واضحاً وجلياً في هذه الأبيات ، وذلك مثل : (الطود ، يترع ، شحناتها ، دفعاً ، أثباج ، غباتها ، الصخر ، سطواتها ، وكناتها ....) .

وقد حفلت الأبيات السابقة بمجموعة من الألفاظ التي يصعب على معظم أبناء العصر معرفة مدلولاتها ومعانيها دون الرجوع إلى القامــــــوس ، مثل : (أثباج، لباتها ، غباتها ، الهراس ، أتلعن ، عرماً ، عبل) .

وهذه الأبيات بما تحفل به من ألفاظ قاموسية ، وتراكيب قوية فخمة ، تذكرنا بقصائد الفحول من شعرائنا القدماء ، خاصة الجاهليين والأمويين ومن نحانحوهم من شعراء العصر العباسي ، من أمـــــثال : مسلم بن الوليد ،

(١) الهراس : بالفتح : شجر كبير الشوك .

(٢) أتلعن : أي ارتفعن ، والتَّتَلُّع : التقدم ، والتَّلعةُ : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض ، والجمع التِّلاع . وعرماً : العَرِمُ : السيل الذي لا يطاق .

(٣) عبل : ضخم .

وأبي تمام ، والمتنبي ، والشريف الرضي .

وتلك الخصائص والسمات لاتكاد تفارق أسلوب الشاعر عبد الله بن خميس في جل الموضوعات التي طرقها ، اجتماعية وغير اجتماعية ، وقد أشار إلى ذلك عدد من دراسي شعره[١] .

ولا يختلف الشاعران : أحمد الغزاوي[٢] ، وحسين سرحان[٣] ، عن سابقهما كثيراً من حيث الألفاظ والتراكيب ، وإن كانت لهما بعض القصائد الاجتماعية ، اقتربا فيها من ذوق أبناء عصرهم ومجتمعهم ، فبدت تراكيبها وعباراتها مأنوسة ، وألفاظها سهلة رقيقة .

ومن شواهد اتكاء الغزاوي على النمط الفخم في شعره الاجتماعي ، ما جاء في قوله منتقداً سلوك بعض أفراد مجتمعه[٤] :

إنِّي بَلَوْتُ حَيَاةَ النَّاسِ من كَثَبٍ   فَكِدْتُ أَبْلَسُ من وَجْدِي وأَمَّحِقُ
فما هُناكَ سِوَى التَّدْجيلِ مُحْتَجِباً   وما هُنالِكَ إلاَّ الإفْكُ والمَلَقُ
إذا رَأوكَ أخاجَاهٍ وفي سَعَةٍ   فَأَنْتَ لا اللَّيْلُ – حَاشَا بَعْضِهِمْ – غَسَقُ
ورُبَّ ذي بِزَّةٍ يُرْضِيكَ مَظْهَرُهُ   ودُونَ لَهْوَتِهِ الأَضْغَانُ تَخْتَنِقُ

---

(١) انظر : الشعر في البلاد السعودية ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، دار الأصالة ، الرياض ، ١٤٠٠هـ ، ص٨٨/واتجاهات الشعر المعاصر في نجد ، حسن بن فهد الهويمل ، نادي القصيم الأدبي ببريدة ، ط(١) ١٤٠٤هـ ، ص ١٨٦ / ومن أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانه ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط (١) ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م ، ص٣٠٢ – ٣٠٣ .

(٢) انظر : التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، عبد الله عبد الجبار ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ / والأدب الحجازي بين التقليد والتجديد ، د. إبراهيم بن فوزان الفوزان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط (١) ١٤٠١هـ –١٩٨١م ، المجلد(٣) ، ص١٢٢٣ – ١٢٢٤ / وأحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، د. مسعد عيد العطوي ، القسم الأول ، ص١٨٥

(٣) انظر : الشعر في البلاد السعودية ، ص٣٦ – ٤٣ / والشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د.عبد الله الحامد ، ص ١١٩ – ١٢٤ .

(٤)مجلة المنهل ، شعبان ١٣٦٠هـ ، المجلد (٥) ، ص ١٦٥ .

يُزْجي إِلَيْكَ الثَّنَاءَ المَحْضَ مُنْطَـــوِياً   على النِّكايَةِ وهو الخَــــــاتِلُ الَّـــبِقُ
يَخْتَالُ بين ثَنَايا الوَشْي في صَـــلَفٍ   ومِلْؤُهُ العُجْبُ - يالَلْغِــرِّ - والحُمْـــقُ

فمعظم الألفاظ التي استخدمها الشاعر لإبداء سخطه ونفوره من ذلك السلوك غير السوي من بعض أفراد مجتمعه ، تتسم بالجزالة والفخامة ، وذلك مثل : (كثب ، أبلس ، أمَّحق ، التدجيل ، محتجباً ، بزَّة ، الأضغان ، تختنق ، المحض ،اللبق ، العجب ، الحمق) .

والتراكيب التي حملت تلك المعاني تراكيب قوية ،تعكس مدى انفعال الشاعر الحاد وغضبه من تلك المشاهد المنفرة التي تقع عليها عيناه صباح مساء، مثل : (فما هناك سوى التدجيل محتجباً ، حـــاشا بعضهم غسق ، ورب ذي بزَّة يرضيك مظهره ، ودون لهوته الأضغان تختنق ، يزجي إليك الثناء المحض).

وإذا كنا قد وقفنا عند الشاعرين : عبد الله بن خميس ، وأحمد الغزاوي ، على مجموعة من الألفاظ والتراكيب القوية الفخمة ، مما يدل على تأثرهما الواضح بأسلافهم من الشعراء الفحول في عصور القوة والازدهار ، فإننا نقف عند شعراء آخرين على قصائد كاملة تتنفس في أجواء قصائد أخرى ، تنتمي إلى تلك العصور الزاهية ، بحيث يتبادر إلى ذهنك ساعة قراءتها القصيدة الأم التي حاكاها الشاعر ونسج على منوالها ، متأثراً بتراكيبها التعبيرية ، ووزنها وقافيتها[1] .

---

(١) يطلق على هذا اللون من المحاكاة والاحتذاء عند عدد من الدارسين مصطلح«المعارضة» ، وعند آخرين مصطلح : «التناص» ، و«النص الغائب» ، و « التعالق النصي» .
انظر ذلك في : المعارضات في الشعر العربي ، د. محمد بن سعد بن حسين ، النادي الأدبي بالرياض ، مطابع الفرزدق ، ١٤٠٠هـ / وتاريخ المعارضات في الشعر العربي ، د. محمد محمود قاسم نوفل ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، ط (١) ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م / وتحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط (٢) ١٩٩٢م . وظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي ، محمد بنيس ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٨٩م .
وظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث . د. علوي الهاشمي ، كتاب الرياض (٥٢- ٥٣) ، ١٩٩٨م .

فقصيدة الشاعر حسين عرب (وتلك حياة الشعب)[1] التي مطلعها :

هو القِرْشُ حتّى ما تُشَادُ المَصَانِعُ لِنَيْلِ الأَمانِي أو تُقَامُ الجَــوامِعُ

تذكرنا بقصيدة الشاعر لبيد بن ربيعة العامري ، التي يقول في مطلعها[2]:

بَلِينا وما تَبْلَى النُّجومُ الطَّــوالِعُ وتَبْقَى الجِبَالُ بَعْدَنا والمَصَـــانِعُ

وعندما نقرأ قصيدة ضياء الدين رجب : (فأكرم به عبد العزيز موفقاً)[3] التي مطلعها :

ذَرِيني أُغَامِرْ في مَجَالِ العَـزَائِمِ ولو كُنْتُ فيها عُرْضَةً للصَّوارِمِ

تتداعى إلى الذاكرة قصيدة المتنبي في سيف الدولة الحمداني ، التي يقول في مطلعها[4] :

على قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وتَأْتي على قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

ونقرأ قصيدة إبراهيم الدامغ : (اليتيم في العيد)[5]التي مطلعها :

قُلْ لي بِأَيِّ جَمَالٍ عُدْتَ ياعِـيدُ إنْ لم يَكُنْ فِيكَ لِلأَفْراحِ تَجْدِيدُ

فنتذكر قصيدة المتنبي في هجاء كافور الأخشيدي ، ومطلعها[6] :

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يا عِــيدُ بما مَضَى أَمْ لأَمْرٍ فِيْكَ تَجْدِيدُ

---

(١) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٢٤٥) في ١٣٥٥/١٢/٥هـ ، ص ١٠ .

(٢) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق : د. إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢م ، ص ١٦٨ – ١٧٢ .

(٣) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٥٦ – ٥٨ .

(٤) ديوان المتنبي ، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت عام ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م ص ٣٨٥ – ٣٨٩ .

(٥) ديوان شرارة الثأر ، ص ٤٨ – ٥٠ .

(٦) ديوان المتنبي ، ص ٥٠٦ – ٥٠٨ .

ونقرأ قصيدة إبراهيم فطاني : (إلى الشباب)[1] التي يقول في مطلعها :

غَيَّرَ الدَّهْرُ عَارِضَيَّ ورَأْسِي   وتَحَدَّى لَمَّا تَحَــدَّتْهُ نَفْسِي

فتستدعي الذاكرة قصيدة البحتري التي قالها في وصف إيوان كسرى[2]:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي   وتَرَفَّعْتُ عن جَــدَا كُلِّ جِبْسِ

(١) مجلة المنهل ، عدد ربيع الأول والثاني ، ١٣٦٩هـ ، المجلد (١٠) ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .
(٢) ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ١٩٦٣م ، المجلد (٢) ص ١١٥٢ - ١١٦٢ .

الثاني: النمط المأنوس :

يعد هذا النمط هو الغالب على لغة الشعر الاجتماعي عند شعرائنا ، وقد مهدت لطغيانه على مساحة واسعة منه عدة عوامل وأسباب ، يأتي في مقدمتها التطور الحضاري الذي يعيشه المجتمع ، وما أسفر عنه من انتقال لمعظم المنتمين إليه من طور البداوة والجهل وشظف العيش إلى طور آخر ، أهم ما يميز الحياة فيه ، انتشار التعليم ، وسهولة أسباب العيش ، وتقدم الوعي الاجتماعي . إضافة إلى حرص الشعراء على الاقتراب من ذوق أبناء مجتمعهم، لعلاقة الموضوعات التي طرقوها بهم .

وقد ألقت تلك العوامل والأسباب بظلالها على لغة الشعر الاجتماعي عند كثير من شعرائنا ، فبدت ألفاظهم رقيقة مألوفة ، وتراكيبهم سهلة مأنوسة ، في عرضهم لأغلب القضايا الاجتماعية التي دار حولها شعرهم .

والألفاظ المألوفة وليست المبتذلة كما يرى الدكتور محمد مندور« هي التي تستطيع في الغالب أن تستنفذ إحساس الشاعر ، كما أنها أقدر من الألفاظ المهجورة على دفع مشاعرنا إلى التداعي وقد كثر استعمالنا لها في الحياة فتجددت معانيها وتلونت بلون أنفسنا فحملت شحنة عاطفية ، وهذه الصفات من أولى خصائص الأسلوب الشعري بل أسلوب الأدب بوجه عام »(١) .

والذي يميز تلك الألفاظ عند أكثر شعرائنا كونها تعيش معهم ، وليست موافقة لحياة السابقين أو حياة أمة أخرى ، مع ارتفاعها ورقيها عن اللغة العامية ، والتزامها الفصحى(٢) .

---

(١) في الميزان الجديد ، د. محمد مندور ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط (٣) ص٧٨ .
(٢) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبد الله صالح المحسن ، ص١٧٢ « بتصرف» .

ومن شواهد ذلك،ما جاء في قول الشاعر سعد أبو معطي منتقداً قعود بعض أبناء مجتمعه عن الالتحاق بركب العمل[1] :

أَيُّ فَخْرٍ لِشَبابٍ خَـــامِلٍ   قَـــانِعٍ بالعَيْشِ ذُلاًّ وعَـنَا

خَائِرِ العَزْمِ يرى من جَهْـلِهِ   لَذَّةَ العَيْشِ فِـــرَاشاً لَيِّنَا

وحُطَـــاماً يُقْتَنَى زَائِـــلُهُ   ورِيَاشاً غَـــالِياتٍ ثَمَنَا

إِنْ دَعَا المَجْـدُ اكْتَفَى أَنَّ لَهُ   في قَدِيْمِ الدَّهْرِ مَجْـداً بَيِّنَا

ليس يُجْدِيكَ الذي فَاتَ فَقُلْ   يا دُعَاةَ المَـجْدِ إِنِّي هَـاهُنا

فنحن هنا بصحبة شاعر يدرك ببصيرته خطورة قعود أبناء مجتمعه عن الالتحاق بركب العمل ، وركونهم إلى الأمجادالتي حققها آباؤهم وأجدادهم في سالف الزمان ، دون عمل منهم للحاضر . ونظراً لحرصه على نهضة مجتمعه وبلوغه المكانة التي تليق به ، وحتى يستطيع التأثير في شباب مجتمعه ، وجدناه يعتمد على ألفاظ رقيقة مألوفة بالنسبة لهم ، من مثل : (فخر ، خامل ، قانع،العيش ، عنا ، خائر ، العزم ، فراشاً ، فات ...) . وتراكيب مأنوسة لا تغرب على أسماعهم ، وذلك مثل : (أي فخر لشباب خامل ، خائر العزم يرى من جهله ، لذة العيش فراشاً لينا ، إن دعا المجد اكتفى أن له في قديم الدهر مجداً بينا ، يادعاة المجد إني هاهنا) .

وقد وفِّق أبو معطي باعتماده على تلك الألفاظ المألوفة السهلة في التواصل مع أبناء مجتمعه ، وذلك لإدراكه بأن التصدي لبعض العادات الاجتماعية البالية والضارة في آن ، وتصحيح المعوج من السلوك والقيم ، يحتاج من الشاعر أن

---

(١) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٤٥ .

يخاطب قارئه بألفاظ لا تغرب عن ذوقه وعصره الذي يعيش فيه ، ولا تمجُّها نفسه لوعورتها وغرابتها .

ويتخذ الشاعر أحمد العربي هذا النمط أداة له في تجسيده لمعاناة أحد الأيتام في يوم العيد ، قائلاً(١) :

أَيُّها الـــعِيدُ رُبَّ طِفْلٍ يُعَــــانِي ... فِيْكَ من بُؤْسِهِ عَـــذَابَ الهُـــونِ

هَـــــاجَهُ تِرْبُهُ بِمَلْبَسِهِ الـــزَّا ... هي وكـــم فيه لِلْغَبا من فُـــنونِ

فَرَنا نَحْوَهُ بِطَـرْفٍ كَـــــلِيلٍ ... ليس يَقْوى على احْتِمَالِ الشُّجونِ

ثُمَّ ولَّى والحُـــزْنُ يَفْرِي حَشَاهُ ... مُسْتَغِيثاً بِعَطْفِ أُمٍّ حَنُـــونِ

وَجَثا ضَــــارِعاً إليها يُنَاجِيـ ... ـها بِدَمْـــعٍ من مُقْلَتَيْهِ هَـتُونِ

وَيْحَها ما عسى تَنَالُ يَـــدَاها ... وهي خِلْوُ الشِّمالِ صِــفْرُ اليَمِيْنِ

كُلُّ ما تَسْتَطِــيعُهُ عَبَــرَاتٌ ... من عُيونٍ مُقَرَّحَــاتِ الجُفُـــونِ

فالشاعر في هذه الأبيات يسعى إلى استدرار مشاعر الشفقة والرحمة لدى جمهور المتلقين ، وحملهم على مد يد العون لمن هم في أشد الحاجة لمدها ، من أمثال ذلك الطفل الذي غيب الموت من يستطيع القيام بكل طلباته ، وتحقيق كل ما يدخل البهجة والسرور إلى عالمه الغض .

وقد اعتمد الشاعر على ألفاظ قادرة على إثارة المشاعر والأحاسيس ، لإلفها ورقتها وعذوبتها المتناهية ، وقبل كل ذلك مشاكلتها لموضوع تجربته ، بكل ما تحمله من أسىً وحزن شفيف ، وذلك مثل :(يعاني ، عذاب ، الهـــون ، كليل ، الشجون ، الحزن ، دمع ، هتون ، عبرات) . كما أن التراكيب التي

---
(١) وحي الصحراء ، ص ١١٤ .

حملت تلك المعاني تراكيب مأنوسة وموحية في الوقت ذاته بما يمور في وجدان ذلك اليتيم من آلام ثقال : (هاجه تربه بملبسه الزاهي ، فرنا نحوه بطرف كليل، ثم ولى والحزن يفري حشاه ، يناجيها بدمع من مقلتيه هتون) .

إلاّ أن ذلك الحرص من الشعراء على الاقتراب من ذوق أبناء مجتمعهم باستخدام لغة بسيطة مألوفة ، قد مهد الطريق لتسلل بعض المفردات الدخيلة، والألفاظ والعبارات العامية الشائعة إلى النسيج الشعري عند بعضهم . إما لمشاكلتها للفكرة المعبر عنها واستدعاء الموقف لها ، وإما لتأثرهم بقراءاتهم في الصحف ودواوين الشعراء الذين مالوا إلى الأسلوب الشعبي واستخدام الألفاظ والعبارات العامية في شعرهم ، من أمثال : أبي العتاهية[1] ، وبهاء الدين زهير[2]، قديماً ، وشعراء المهجر الشمالي[3] ، والمتأثرين بدعوة إليوت إلى ضرورة الاقتراب بلغة الشعر من اللهجة المتداولة بين سائر أبناء الشعب ، من شعراء مصر والشام والعراق في العصر الحديث[4] .

ومن تلك الألفاظ لفظة : (ورط) في قول الشاعر محمد إبراهيم جدع على لسان شاب يشكو من الضرر الذي لحقه بسبب إفراط أمه في الحنان عليه في صباه[5] :

فَوَرِطْتُ في كُلِّ الأُمورِ مُحَاذِراً   حَدَّ المَخَاطِرِ فَافْتَقَدْتُ هَنَائِي

(١) انظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. محمد مصطفى هدارة ، المكتب الإسلامي ، ط (١) ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٥٩٣ ، وما بعدها .

(٢) انظر :الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط (٢) ص ١٧٢ وما بعدها .

(٣) انظر : تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث ، د. حسن أحمد الكبير ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص٤١٢ وما بعدها .

(٤) للوقوف على أثر دعوة إليوت في الشعر العربي المعاصر ، انظر على سبيل المثال : شعرنا الحديث إلى أين ، د.غالي شكري ، دار الآفاق الجديدة ، ط (٢) ١٩٧٨م ص٢١٥ وما بعدها / وحركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه د. أحمد بسام ساعي ، ص ٢٠٢ وما بعدها / ولغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط (١) ١٩٨٢م ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٥) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص٦٧ .

ولفظة : (مكسوفة) في قول الشاعر محمد بن علي السنوسي[1] :

ونِفَاقٌ مُلَوَّنٌ تَخْجَلُ الحِـــــرْ   بَاءُ مِنْهُ فَتَنْثَنِي مَكْسُوفَـــــهْ

ولفظة: (راحت) ومثلها (القسم) عند الشاعر حسين سرحان ، في قوله[2]:

ورَنَتْ أُمَّهُـمَـا في حُـــــرْقَةٍ   ثُمَّ رَاحَتْ تَمْسَحُ الكَلْمَ الوَجِيعَا

وقوله[3] :

جُرَّ لِلْقِسْمِ فَحُلَّى قَــــــدَمَيهْ   أَدْهَمٌ يَرْزَحُ في أَغْــــــلالِهِ

فمع أن هذه الألفاظ فصيحة ،إلاَّ أن أكثر من يستعملها عامة الناس ، بعد أن ابتذلت الأولى والثانية والثالثة ، واكتسبت اللفظة الرابعة دلالة جديدة تتكرر على ألسنة العامة في حياتهم اليومية .

ويستخدم الشاعر عبد الله العثيمين لفظة : (بَرَّه) بمعنى اخرج ، ليوحي بقسوة وجبروت ذلك الغني المتعجرف ، في قوله[4] :

وبِحِدَّةٍ نَفَضَ الـــيَدَيْـ   ـنِ وقَالَ لِلْمِسْكِينِ بَرَّهْ

ومن الألفاظ العامية التي تسللت إلى لغة شعرائنا ، لفظة : (ماما)ولفظة: (بابا) ، وقد جاءتا عند الشاعرين : أحمد الغزاوي ، وأحمد قنديل .

حيث يقول الغزاوي[5] :

وطِفْلٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ يَصْرُخُ بَيْنَهُمْ   يُنَادِي خِلالَ النَّاسِ أَيْنَكِ (مَـامَا)

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (٣٤٦٢) في ٢/٥/١٣٩٠هـ ، ص٨ . والأعمال الكاملة ص ٤٣٨ .

(٢ - ٣) جريدة عكاظ ، العدد (٦٥٦) في ٩/٩/١٣٨٦هـ ، ص ٨ . وديوان الصوت والصدى ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٤) شعراء نجد المعاصرون ، ص ١٩٤ .

(٥) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٦١٧) في ٢٢/٩/١٣٦٥هـ ، ص١ .

ويقول القنديل مخاطباً حفيده[1] :

إِنَّ بَابَـاكَ وجَدَّكْ

قَطَعَاهُ – في حَيَاةِ الأَمْسِ – قَبْلَكْ .

ويلحق بتلك الألفاظ العامية ، الألفاظ الحديثة التي أفرزها التطور الحضاري الذي يعيشه المجتمع في المجالات كافة ، وشاعت على ألسنة العامة فاكتسبت تلك الصفة رغم أصولها الأجنبية .

ومن تلك الألفاظ : (الراديو ، والتلفزيون ، والفونغراف ، والثلاجة ، والمكوى ، والغسالة)،وجميعها وردت عند الغزاوي في قوله[2]:

أين مِنْهُ (سَيَّارَةٌ) ذات (رَادٍ) ‏ و(التِلفزيونُ) و(الفُونْغْرافُ)[3] أينا

أين ثَلَّاجَةٌ تَئِنُّ و (مَكْوى) ‏ أين (غَسَّالَةٌ) كَفَتْ كَفَّينا

والألفاظ : (جامعة ، وكلية ، وفستان ، وبدلة ، والمطار ، والقطار ، والهاتف) عند الشاعر محمد بن علي السنوسي، حيث يقول[4] :

أَيُّ عَصْرٍ هذا وأَيَّةُ دُنْيا ‏ شَادَهَا سَيِّدُ البِلادِ (سُعودُ)

المَطَارَاتُ والقِطَارَاتُ والأَضْـ ‏ ـواءُ والهَاتِفاتُ والتَّعْبِيدُ

ويقول[5] :

فَاخْشَعْ فَإِنَّكَ في أَرْجَاءِ جَامِعَةٍ ‏ تُطِيفُ بالرُّوحِ فيها رَوْعَةُ الحَرَمِ

في كُلِّ كُلِّيَّةٍ منها وزَاوِيَةٍ ‏ حِبْرٌ يَطُوفُ وسَاعٍ خَاشِعُ القَدَمِ

---

(١) ديوان شمعتي تكفي ، ص ١٢٧ .

(٢) مجلة المنهل ، ربيع الثاني ١٣٨٦هـ ، المجلد (٢٧) ، ص ٤٠٨ .

(٣) الفونغراف : آلة عرض الاسطوانات .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص٢٩٣ .

ويقول :[1]

في بَدْلَةٍ تُبْرِزُ الأَعْطَافَ مَائِلَةً   أَرْكَانُها وزَوايَاها كَـفُسْتانِ

ومن العبارات العامية الشائعة التي نفذت إلى لغة شعرائنا في شعرهم الاجتماعي ، عبارة :(لا سمح الله) ، و(غاضب متبري) ، و(لا تساوين قلامة ظفر) ، وجميعها وردت عند الشاعر علي الفيفي في تحذيره لفتيات بلاده من السفور والتبرج ، حيث يقول[2] :

وإذا ما ارْتَدَيْتِ لا سَمَحَ اللَّـ   ـهُ لِباساً بِكُلِّ عَـذْرَاءَ يُزْرِي

ويقول[3] :

وإذا الأَهْلُ والقَـــرابَةُ كُلٌّ   هَارِبٌ مِنْكِ غَاضِبٌ مُتَبَرِّي

لا تُساوِينَ في عُيونِ ذَوِيْكِ   أَيَّ شَيءٍ ولو قُـلامَةَ ظِفْرِ

وعبارة : (لأقصى الحدود)،عند الشاعر محمد إبراهيم جدع[4] :

يَمِيلُ إلى الشَّـــرِّ في نَفْسِهِ   وخِسَّةِ طَبْعٍ لِأَقْصَى الحُدودْ

وعبارة : (حسن الخاتمة)،في قول الشاعر أحمد الغزاوي[5] :

حَمَلَ الأَعْباءَ قـــــدناءَ بها   فهو يَسْتَعْجِلُ حُسْنَ الخَاتِمةْ

ويضمن الشاعر محمد بن علي السنوسي المثل العامي :(لكل صابون ليفه)، في قوله مشبهاً المنافقين القادرين على التلون حسب مقتضيات الأحوال

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤١.

(٢) ديوان أجراس ، ص٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص٣٠ .

(٤) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٣٦٣.

(٥) شعراء الحجاز في العصر الحديث ، ط (٢) ، ص ٨٧ .

بالحرباء ، التي يتغير لونها تبعاً لتغير الأجواء والبيئة التي تعيش فيها [1] :

تَتَدَلَّى وتَسْتَكِـــينُ وتَنْمَا   عُ وتَغْدُو لِكُلِّ صَابُونَ لِيْفَهْ

ومثله يصنع الشاعر علي زين العـــابدين ، حيث ضـــــمن المثل العامي :(يصطاد في الماء العكر) ، في ذمه للذين يدبرون له المكائد في الخفاء من حساده [2]:

مِنْ كُلِّ مَوْتِـــورِ الجَنا   نِ يَصِيدُ في الماءِ العَكِرْ

ولم تخل لغة الشعر الاجتماعي من بعض الألفاظ المــبتذلة النابية ، من مثل :(العهر ، والبغاء ، والدعارة ، ووغد ، ونذل ، وعربيد ، وحمار) ، وهذه الألفاظ نقف عليها في قصيدتي :(ضحايا) [3]، و (الحسناء والإثم) [4]، لمحمد حسن فقي ، وفي قصيدتي : (تاجر دين) [5]، و(لمياء) [6]، لمحمد حسن عواد .

وإذا كنا في الشواهد السابقة قد وقفنا على تسرب الألفاظ الدخيلة والمبتذلة والعامية وكذلك التراكيب والعبارات إلى لغة شعرائنا في شعرهم الاجتماعي في أبيات متفرقة ، فإنها لدى بعض الشعراء قد تسيطر على أغلب ألفاظ وعبارات النص الشعري ، كما هو الحال في قصيدة الشاعر ماجد الحسيني :(ليالينا) ، التي صور فيها تفريط أبناء مجتمعه في استثمار أوقات فراغهم فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة ، وإنفاقها في اللهو والأكل والخرجات ، حيث يقول في المقطع

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (٣٤٦٢) في ٢/٥/١٣٩٠هـ ، ص٨ . والأعمال الكاملة ، ص٤٣٩ .

(٢) ديوان هديل ، ص٧٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ص٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٤) مجلة إقرأ ، العدد (٥٠) ذو القعدة ١٣٩٥هـ ص ٣٦ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٥) ص٣٧٨ .

(٥) ديوان العواد ، ج(١) ص ١٦٥ .

(٦) المصدر ا لسابق ، ج (١) ص ١٣٠ .

الثاني منها [1] :

وتَعْمِيرَهْ
تَروحُ بِأَثْرِ تَعْمِيرَهْ
وذا يَحْكِي وذا يَحْكِي
وتَتْبَعُ سِيرَةٌ سِيْرَهْ
ويَغْضَبُ ذاكَ من ذاكا
ويَعْتُبُ ذا على هذا
وبالمُوْجِبْ
نُصالِحُهُمْ كَإِخْوانٍ
لذا حَقٌّ على هذا
وهذا غَيرُ خَوَّانٍ
ولابُدَّ من الخَرْجَهْ ، فلا تَسْأَلْ
عن العَرَبي
فِداهُ القَلْبُ والمُهْجَهْ ، ومهما فيه
من نَصَبٍ
وذاك يَقُولُ مَوَّ الا
وآخَرُ ردَّ يا (لالا)

(١) جريدة البلاد ، العدد (٤٢) في ١٣٧٨/٩/٦هـ ، ص ٤ . وديوان ضياع ، ص ٥٥-٥٦ .

وذلك رَجّعَ الصَّهْبا

وآخَرُ يُضْحِكُ الصَّحْبا

فالألفاظ :(تعميره ، تروح ، يحكي ، سيره ، يعتب ، الموجب ، خوان ، الخرجه ، فداه) على الرغم من فصاحة بعضها ، إلاَّ أنها عامية ، لكثرة دورانها على ألسنة الناس في حياتهم اليومية .

وتبع اعتماد الشاعر على معجم لغوي عامي ، ظهور تراكيب لا تختلف عن سابقتها في شيء ، من مثل :(وتعميره تروح بأثر تعميره ، وتتبع سيرة سيره ، ويغضب ذاك من ذاكا ، وبالموجب نصالحهم كإخوان ....) .

ولم تخل تلك السطور الشعرية من الإشارة إلى بعض الأكلات الشعبية ، كالعربي :(الأرز المطبوخ على الطريقة العربية) ،[1] وكذلك الأهازيج :(يا لالا) .

وفي قصيدة الشاعر عبد السلام هاشم حافظ :(مأتم في غرس) [2] نقف على مجموعة من الألفاظ المبتذلة النابية ، يظهر ذلك في قوله :

وثَارُوا أَخِيراً بِشَتْمٍ يُبَيِّنُ ما أَصْلُهُمْ

حُثَالاتُ نَاسٍ يُجِيدُونَ أَكْلَ الحَرَامْ

ومَا دَتْ بِهِمْ في الغَوايَهْ

نَواياهُمُ السَّيِّئَهْ

وقد طُرِدُوا في صَبَاحِ المُنَى

وصَارُوا حَدِيثَ الملا

---

(١) التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، عبد الله عبد الجبار ، ص ٣٠٧ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج (١) ، ص ٦٢٨ – ٦٢٩ .

حَدِيثٌ يُجَدَّدُ في كُلِّ حَادِث
من النَّصْبِ والحِيلَةِ المُفْزِعَهْ
من الشَّرِّ : وحْشِيَّةٌ لا تَزُولْ
أُولاءِهُمُ الجِيفَةُ المفسدهْ
تَعيشُ على الوَحْلِ والمَوْجِدَهْ
نِفَاياتُ مُجْتَمَعٍ عاثِرِ
تَدُورُ عليها الدَّوائِرْ
ويَقْضِي على ذَاتِها غَيُّها
فَتَمْضِي إلى ظُلْمَةِ الهاوِيهْ
أَمَانِي ضَبَابٍ سَقِيمَهْ
وأَشْواكُ دَرْبٍ ضَلُولٍ حَقِيرْ
كذا سَوْفَ يَقْضِي اللِّئَامْ .

وواضح من هذه السطور مدى سخط الشاعر وغضبه على تلك الأسرة التي غررت برؤوف (ابن مجتمعه) ، وحاولت سلبه كل ما يملك من مال ، بعد أن تزوج ابنتهم ، ولذلك جاءت محمَّلة بالألفاظ النابية ، من مثل :(حثالات ، الغواية ، النَّصب ، الجيفة ، المفسدة ، الوحل ، نفايات ، حـــقير ، اللئام) .

وكان بإمكان الشاعر التعبير عن ذلك السخط والاحتقار لتلك الأسرة ، بالرمز، أو السخرية اللاذعة ، وليس بألفاظ تنضح بالفحش والبذاءة .

إن استخدام مثل تلك الألفاظ العامية والمبتذلة النابية عند الشاعر عبد السلام هاشم حافظ وغيره من الشعراء ، لا تكسب النص الشعري قيمة فنية إذا افتقد مقومه الأساس المتمثل في الإيحاء والتخييل ، لأن الإيحاء في الشعر أقوى من الجهر ، والإخفاء أقوى من التصريح (١) .

وإذا كنا قد سلّمنا بضرورة اقتراب الشاعر من ذوق أبناء مجتمعه وعصره الذي يعيش فيه باستخدام لغة بسيطة مألوفة قريبة من أفهامهم ، فإن ذلك لا يعني البتة أن نسير بلغة الشعر إلى الهاوية ، باستخدام ألفاظ العامة أداة للتعبير عن هموم الناس وقضاياهم بدعوى الواقعية . ذلك لأن الواقعية تعبير عن نمط السلوك والتفكير ، ولا تعني بأي حال من الأحوال المباشرة والابتذال (٢) .

---

(١) لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي ، ص ٦٤ «بتصرف» .

(٢) الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث ، د. محمد شحادة عليان ، ص ٣١٤ « بتصرف » .

المبحث الثاني
الأســــــاليب

يقف المتأمل في الشعر الاجتماعي عند شعرائنا على تعدد الأطر والأساليب التي حوته ، ولعل ذلك التعدد راجع إلى تباين مناز عهم ومشاربهم الثقافية واتجاهاتهم الفنية ، إضافة إلى اختلاف الموضوعات والتجارب الشعورية التي عرضوا لها .

والأساليب التي جاء عليها الشعر الاجتماعي :

أولاً : الأسلوب الخطابي

ثانياً : أسلوب التكرار

ثالثاً : أسلوب الهمس

رابعاً : الأسلوب القصصي

خامساً : الأسلوب الرمزي

أولاً : الأسلوب الخطابي :

يعد الأسلوب الخطابي من أبرز مميزات الشعر الاجتماعي في هذه الفترة، نقف عليه عند كثير من شعرائنا الذين خاضوا معترك الحياة الاجتماعية بهدف الإصلاح ، سواء كانوا من المحافظين أو المجددين .

وأرى أن إيثار الشعراء لهذا الأسلوب ، راجع لطابعه الجماهيري ، فهو من أصدق الوسائل تجاوباً مع الجموع ، وأكثرها تأثيراً فيهم .

وقد ارتبط هذا الأسلوب في الشعر الاجتماعي ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الوعظ والإرشاد ، التي هي من مستلزمات ووظائف الخطيب عامة ، وهذا بدوره

أدى إلى استشراء الأدوات التي يستخدمها الخطيب في خطبه في كثير من القصائد الاجتماعية ، كالنداء ، وأفعال الأمر ، والنهي ، والتقريع ، واللوم ، خاصة في دعوتهم للنهوض بمجتمعهم ، ونقدهم لبعض الآفات والظواهر الاجتماعية الشاذة الطارئة عليه .

والتفاوت بين الشعراء في استخدامهم لهذا الأسلوب الشعري الجماهيري أمر ملحوظ .

فهناك شعراء استطاعوا أن يحافظوا على عناصر فنهم ، ومنهم من لم يستطع ذلك .

وأحسب أن ذلك التفاوت راجع إلى أصالة الشاعر ، وصدقه الفني والانفعالي فيما يعبر عنه من مشاعر وأحاسيس ، إضافة إلى حذقه لأساليب العربية في أزهى عصورها الأدبية وأقواها ، لدى كبار شعرائها ، وقدرته على استنفاد ما في الألفاظ من طاقة باستغلال جانبها الجمالي ، مستثمراً ما تولده من إيقاع ، وصور ، وظلال ، وإيحاء .

ومن نماذج اتكاء الشاعر السعودي على هذا الأسلوب ، ما جاء في قول الشاعر أحمد قنديل من قصيدته :(إلى الشعب)[(١)] :

يا قَوْمَنا ليس مَنْ أَمْسَى يَقُولُ لنا ... إنَّا بِأُفْقِ المعالي مُنْصِفاً حَكَما
إنَّا وحَقِّ عُيونِ الكَوْنِ لامِعَةً ... لدى الحَقَائِقِ لم نَظْفَرْ بما زَعَما[(٢)]
لَمَّا نُرَافِقْ شُعوبَ الكَوْنِ طائِرةً ... لَمَّا نُؤَسِّسْ مقاماً في العَلاءِ سَما
فلا تَقُولُوا وقد أَرْضَى الصَّوابُ ضُحًى ... هذا اليَرَاعُ يَرَاعاً جائِراً ظَلَما
يا قَوْمَنَا الآنَ حَلَّقْنا بنا ظِرِنا ... وقد مَدَدْنا ضَعِيفاً ذلك القَدَما

(١) ديوان الأبراج ، ص ٢٨ - ٣٠.

(٢) أقسم الشاعر هنا بغير الله وهذا لا يجوز .

فَجَرِّدُوا الجِـــدَّ من أَغْمادِ أَنْفُسِكُـمُ ولْتَنْفِرُوا كُتَلاً واسْتَنْفِـرُوا الهِـــمَمَا
أَحْيوا الجُـــدودَ مُفَـــادَاةً وتَضْحِيَةً رُوحاً كَبِيراً وعَقْـــلاً ناضِجاً حَكَما
وابْنُوا على النَّسَقِ الأَسْمَى حَضَارتَنا واسْتَلْهِمُوا الشَّرْقَ حَيَّاً خَيْرَ ما رَسَما
واسْتَلْهِمُوا النَّسَقَ العَصْرِيَّ ما نَطَقَتْ فيه البَرَاعَةُ والإِعْجَـــازُ فَانْسَجَما
خُذُوا الصِّنَاعَاتِ والأَعْلاقَ مِنْهُ دَعُـوا ما لم يَكُنْ وجَـــلالَ العُرْبِ مُلْتَئِما
ولْتَنْفِـــرُوا عن سُمُومٍ مِنْهُ أَفْتَكُـــها ما خَالفَ الدِّينَ ما قد خَالَفَ الشَّمَمَا

فالقنديل في هذه الأبيات يتخذ الأسلوب الخطابي قالباً لدعوته لأبناء مجتمعه إلى التشمير عن ساعد الجد ، وإظهار العزم والتصميم في سبيل الارتقاء بوطنهم إلى المكانة التي يستحق أن يتبوأها ، ولفت انتباههم إلى أن ذلك لا يتأتّى إلاّ عن طريق الرجوع إلى ماضي أمتهم الحافل بالأمجاد والمفاخر وتجاربها فيه ، ومحاولة الاستفادة مما حواه ذلك الماضي بين صفحاته ، حتى يستندوا عليه في إرساء دعائم النهضة المعاصرة التي يطمحون إليها ، مع ضرورة الأخذ من الغرب ما لا يتعارض مع قيم الإسلام وعاداته .

وقد وفق القنديل أيما توفيق في استخدامه لذلك الأسلوب ، وتطويعه لانفعاله الذي لم يسر على وتيرة واحدة في سائر الأبيات .

فالأبيات الأربعة الأولى تنضح بحزنه المر على الحالة التي آل إليها مجتمعه ، من تخلف وجمود وتقهقر عن الركب المغذ سيراً إلى المعالي ، وعتاب موجع لأبناء مجتمعه القانعين بما هم عليه،ظانين أنهم قد وصلوا إلى سدة المجد ، وهم في الحقيقة لم يبرحوا مكانهم .

وهذان المعنيان يحتاجان ألفاظاً وتراكيب تلائمانهما ، وهذا ما نجده في

تلك الأبيات ، فقد سيطرت الألفاظ والتراكيب الرقيقة على سـائرها ، وذلك مثل : (أمسى يقول لنا ، عيون الكون لامعة ، لم نظفر بما زعما ، نرافق شعوب الكون طائرة ، مقاماً في العلاء سما) .

في حين تزدحم الأبيات الباقية بالألفاظ والتراكيب الفخمة الجزلة ، والصيغ الطلبية التي تفصح عن أماني الشاعر وتطلعاته . وذلك مثل : (فجردوا الجد ، ولتنفروا كتلاً ، واستنفروا الهمما ، أحيوا الجدود مفاداة وتضحية ، وابنوا على النسق الأسمى حضارتنا ...) .

ولم تخل تلك الأبيات من الصور القادرة على تجسيد الحالةالتي كان عليها المجتمع ، ومرامي الشاعر البعيدة التي يتوقف تحقيقها على انتفاضة أبنائه ، ومدى الجهود التي سيبـذلونها في سبيل الارتقاء بوطنهم ومجتمعهم . وذلك مثـل : (إنا بأفق المعالي منصفاً حكما ، حلقنا بناظرنا ، مددنا ضعيفاً ذلك القدما ، فجردوا الجد من أغماد أنفسكم) .

وقد أضفى تنقل الشاعر فيها بين أساليب التقرير ، والأمر ، والنداء ، قدراً كبيراً من الحيوية والحركة المنسجمة مع تناوله لمعاني الحسرة على الحالة التي آل إليها مجتمعه ، والإهابة بالحاضر ، والتصميم على بناء المستقبل .

والأبيات السابقة بما حملته من معان جليلة سامية ، تعلن بوضوح عن عاطفة الشاعر المتأججة بحب وطنه ومجتمعه ، وتبدي حرصها على نهضة المجتمع وتطوره وازدهاره . وقد تضافرت الصورالتعبيرية التي دبَّجها خيال الشاعر مع الموسيقى المنبعثة من الألفاظ والتراكيب التي جاءت ملائمة لمعانيها ، على جلاء تلك العاطفة ، ومن ثم إيصالها إلى جمهور المتلقين .

وفي إشادة الشاعر محمد بن علي السنوسي بالنهضة العلمية التي تشهدها بلاده ، والتعبير عن فرحته برؤية ذلك الصرح الذي انتصب شامخاً وعملاقاً في عاصمة وطنه ، حاملاً بشائر التطور والنماء لمجتمعه ، نجده يعتمد على هذا الأسلوب ، حيث يقول من قصيدته : (جامعة سعود)(١) :

على الجَزيرَةِ أَضْواءٌ وفي يَـــدِها ... مَشاعِلٌ فَابْتَهِجْ يا قَلْــبُ وابْتَسِمِ
وافْتَحْ ذِراعَيْكَ لِلْعَهْدِ الذي انْطَلَــقَتْ ... فيه المُنَى والقُــوَى جَبَّــارَةُ الهِمَمِ
وانْظُرْ إلى ثَبَجِ الصَّحْراءِ تَغْمُـــرُهُ ... أَشِعَّةٌ من ضِيَاءِ الفِكْـــرِ والقَـلَمِ
هذا هو الأَمَلُ المَنْشُـــودُ مُنْدَفِقاً ... مِلْءَ الحَقِيقَةِ تَجْـــرِي من فَمٍ لِفَمِ
وهذه مُنْيَةُ الأَحْـــــلامِ ماثِـــلَةً ... أَمامَ عَيْنَيْكَ فَانْظُرْ رَوْعَـةَ الحُــلُمِ
تَنَفَّسَ الصُّبْحُ عنها وهي باذِخَــــةٌ ... كالطَّوْدِ في سُمْكِها العالي وكالْهَرَمِ
صَرْحٌ تُظَلِّلُهُ الأَمْلاكُ خَـــــاشِعةً ... (لِلْعِلْمِ) في جِيلِهِ السَّـامِي إِلى القِمَمِ
وكَوْكَبٌ قُدُسِيٌّ الـــرَّوضِ مُنْطَلِقٌ ... بِهِ السُّرى في سَماءِ المَجْدِ والعِظَـمِ
وهَيْكَلٌ عَبْقَرِيُّ السَّمْحِ يَغْمُـــــرُهُ ... فَيْضٌ من النُّورِ في نَبْعٍ من الكَـلِمِ

فالقارىء لهذه الأبيات لا يملك إلاَّ أن يتفاعل معها ، ويشارك الشاعر فرحته بالنهضة العلمية التي تشهدها بلاده ، وبالتطور والتقدم الذي تغذ نحوه الخطى.

ومكمن ذلك التفاعل راجع إلى توفيق الشاعر في التعبير عن تلك الفرحة التي هزت كيانه تعبيراً فنياً قادراً على إثارة انتباه المتلقي ، وحمله على مشاركته تلك الفرحة .

---

(١) مجلة الجزيرة ، العدد(١) ذو القعدة ١٣٨٢هـ ، ص ٢٢ . والأعمال الكاملة ص ٢٩١ - ٢٩٣ .

ولعل أول ما وفق فيه الشاعر في هذه الأبيات ، هو اختياره للألفاظ والتراكيب الفخمة التي تلائم معانيه تلك ، وتتناسب مع موقف الإشادة بما وصلت إليه بلاده . وذلك مثل : (على الجزيرة أضواء ، فابتهج يا قلب ، جبارة الهمم ، وانظر إلى ثبج الصحراء تغمره ، أشعة من ضياء الفكر والقلم ، وكوكب قدسي الروض ...) .

وهناك الصور الفنية التي استعان بها الشاعر لتجسيد النهضة العلمية التي تشهدها بلاده ، واحتفاله بالعلم ممثلاً في تصويره لذلك الصرح الشامخ لا كما هو على أرض الواقع فحسب ، وإنما كما يراه الشاعر بوجدانه المفطور على حب العلم والوطن والمنتمين إليهما . وذلك مثل : (على الجزيرة أضواء وفي يدها مشاعل ، افتح ذراعيك للعهد الذي انطلقت فيه المنى ، الأمل المنشود مندفقاً ، تجري من فم لفم ، تنفس الصبح عنها وهي باذخة كالطود ، صرح تظلله الأملاك خاشعة ، يغمره فيض من النور).

وهذه الأبيات الغنية بمعانيها العميقة ، وبصورها الفنية الجميلة الموحية ، من شأنها إشعال جذوة حب العلم في نفوس شباب المجتمع ، وتحفيزهم على المضي قدماً في سبيل تحصيله دون توان منهم أو كسل .

وإذا كنا في النصين السابقين قد وقفنا على عدد من العناصر والمقومات التي ينهض عليها الشعر ، فإننا لا نجد كل ذلك في مجموعة من النصوص جاءت في هذا الإطار ، حيث بلغ بها الانحدار حدود النثر البارد ، الخالي من الانفعال ، والصور والظلال والإيحاء .

ومن تلك النصوص التي خلت من كل ما يمت إلى الشعر بصلة ، سوى الوزن

والقافية ، قصيدة إبراهيم علاف : (يد الإصلاح) ، ومنها قوله[(١)] :

هذي الكَتَاتِيبُ قــد أَدَّتْ رِسَالَتَهَا ... وفَاتَ عَهْــدٌ لها كَــانَتْ تُنَاغِيهِ
يَشْكُو الصِّغَارُ إِلَيْكُمْ سُوءَ حَاضِرِهِمْ ... فيها وأَضْرَارَهــا في كُلِّ تَــوْجِيهِ
أَوْلَى الـرَّعِيَّةِ بالإِشْفَــاقِ لَيْسَ لَهُمْ ... من عَجْــزِهِمْ حِيْلَةٌ إِلاَّ تَنَــاسِيهِ
ولِلْمَنَاهِجِ فَوْضَى لا تَبُــوحُ بها ... لِغَـيْرِكُمْ تَتَحَــدَّى أَيَّ تَنْــزِيهِ
شَطَّتْ عن الغَايَةِ القُصْوى وطَاشَ بها ... عَقْلُ الشَّبابِ وأَبْــلَى في تَلَــوِّيهِ
ولِلُّغَاتِ لَــدَيْنَا نَظْــرَةٌ شَحُبَتْ ... وما لأَضْيافِــها بَيْتٌ تُــوَلِّيهِ
ولِلْفَتَاةِ رَجًا لــولا الحِجَــابُ لما ... وَقَفْتُ عنها لَــدَيْكَ الآنَ أُبْــدِيهِ
العِلْمُ في شِرْعَةِ الإِسْــلامِ مُشْتَرَكٌ ... ما كانَ وَقْفاً على جِــنْسٍ فَيَحْــوِيهِ
وأَفْضَلُ العِلْمِ ما يَــرْعَى أُنوثَتَهَا ... حَــذَارِ أَنْ تُــدَّرى فيهابِتَشْوِيهِ
والأُمَّهَــاتُ إذا ما كُــنَّ في سَفَهٍ ... فَاحْكُمْ على الجِيْلِ أَنَّ النَّقْصَ حَادِيهِ
ولِلْوِرَاثَةِ عِــرْقٌ لا تَــدُبُّ لَهُ ... عَـوامِلُ الوَهْــنِ أو يُــرْجَى تَفَانِيهِ

ومن تلك النصوص التي اصطبغت بتلك الصبغة ، قصيدة الشاعر عبد الله سالم الحميد :(فلسفة الأرقام) التي يقول فيها[(٢)] :

فما تَبْتَغُــوا يا أَوْلِياءَ أُمُــورِنا ... من «الطَّمَعِ المَــذْمُومِ» وهــو حَقِيرُ
ألا تَقْبَلُونَ « الشَّهْمَ » صِهْــراً مُنَاسِباً ... وتَرْضَونَ فيه « الــدِّينَ » فهو غَيـورُ
لِتَسْعوا لِحِفْظِ «العِرْضِ»من غَيْرِ مَطْمَعٍ ... فَذَاكَ على «جُــلِّ الشَّبابِ» عَسِيرُ

---

(١)ديوان وهج الشباب ، ص ٦٩ – ٧١ .

(١) جريدة الرياض ، العدد (٢٣٠٩) في ١٣٩٢/١١/٢٢هـ ، ص ٨ . وديوان أمل جريح ، عبد الله بن سالم الحميد ، ط(٢) ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ص ٦١ – ٦٢ .

ولا تَجْعَلُوا « عِرْضَ الفَتَاةِ» كَسِلْـــعَةٍ   يَزِيدُ بها « التُّجَّـــارُ» وهي تَمُـــورُ
فَتَمْضِي على «العَذْرا» سِنونٌ مَـــرِيرَةٌ   بها « تَعْنَسُ الأَبْكَـــارُ» ثُمَّ تَـــبُورُ

ومنها ما جاء في قول الشاعر محمد إبراهيم جدع من قصيدته : (عيش الخلود)[1]:

دَعِ الغِشَّ الذي أَمْسَيْتَ فـــيه   تُجَمِّعُ ما تَشَاءُ على غَـــرِيرَهْ
دَعِ التَّزْيِيفَ في عَمَلٍ وحَاسِبْ   لِنَفْسِكَ في الظَّواهِـرِ والسَّرِيرَهْ
فقد كَانَتْ نَتِيجَــــةُ كُلِّ ظُلْمٍ   وإِجْحَافٍ إلى صِفَـــةٍ حَقِيرَهْ
ولم تَعْمُـــــرْ بِظُلْمٍ أَيُّ دَارٍ   ولم تَثْبُتْ مَكَـــانَتُها الشَّهِيرَهْ

فالشعراء : إبراهيم علاف ، وعبد الله الحميد ، ومحمد إبراهيم جدع ، أوردوا في نصوصهم السابقة ، جملة من الحقائق والأفكار التي يشترك معهم القارىء العادي في إدراكها ، وقد صبت تلك الحقائق في قالب نثري قيد بالوزن والقافية لا غير ، أما بقية العناصر التي ينهض عليها الشعر ، ويكتسب في ظل توافرها صفته الفنية فلا وجود لها فيها .

ولعل ذلك راجع إلى تعامل الشعراء السابقين مع اللغة ، فهم لم ينظروا إليها إلاَّ كوسيلة لنقل أفكارهم ، أي باعتبارها « ذات بعد واحد هو الدلالة على معناها المعجمي أو الاصطلاحي ، مجردة من تلك الدلالات الإضافية التي تنطوي عليها ، عادة ، غالبية الكلمات في اللغة ، بما تثيره من انفعالات وخواطر وإيحاءات والتي تعتبر مصدراً مرموقاً للتأثير الشعري»[2] .

وهذا القول ينطبق على نصوص أخرى ، أدَّى حرص الشعراء فيها على توصيل

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٥٨٨ .

(٢) دروس في البلاغة وتطورها ، جميل سعد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥١م ، ص ٢٠٥ . نقلاً عن لغة الشعر الحديث في العراق ، د. عدنان حسين العوادي ، الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٥م ، ص٢٧٨ .

أفكارهم إلى جمهور المتلقين ، إلى افتقادها كل مقومات الشعر وعناصره باستثناء الوزن والقافية .

وتلك النصوص نقف عليها عند عدد من شعرائنا ، ومنهم : حسين سرحان[1] ، وعلي حافظ[2] ، وفؤاد شاكر[3] ، وإبراهيم فطاني[4] ، وأحمد الغزاوي[5] ، وحسين فطاني[6] ، وحسين عرب[7] ، وأحمد سالم باعطب[89] ، ويحي توفيق[9] ، وعلي غسال[10] ، وغيرهم .

ثانياً : أسلوب التكرار

من الأساليب التي اعتمد عليها شعراؤنا في شعرهم الموجه للمجتمع التكرار . وهو من الأساليب المألوفة في شعرنا العربي القديم ، وقد أشار إلى ذلك عدد من النقاد والدارسين قديماً وحديثاً[11] .

إلاَّ أن بعض الشعراء في العصر الحديث أكثروا منه في شعرهم حتى«جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن ، عدوا خلالها التكرار ، في

(١) انظر : جريدة صوت الحجاز ، العدد (٥٥) في ١٣٥٢/١/٦هـ ، ص٢ .

(٢) انظر : المصدر السابق ، العدد (٢٤٥) في ١٣٥٥/١٢/٥هـ ص ١٠ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، العدد (٣٦١) في ١٣٥٨/٢/١٥هـ ، ص ٢ . وديوان وحي الفؤاد ، ص١٨٢ .

(٤)انظر : مجلة المنهل ، شعبان ١٣٦٩هـ ، المجلد (١٠) ، ص ٢٩٩ - ٣٠١ .

(٥)انظر : المصدر السابق ، ربيع الأول ١٣٩٣هـ ، المجلد (٣٤) ، ص١٦٦ .

(٦)انظر : جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٤٨٨) في ١٣٧٣/٦/٣٠هـ ، ص٤ .

(٧)انظر : المجموعة الشعرية الكاملة ، ج (٢) ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٨)انظر : ديوان الروض الملتهب ، ط (٢) ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ . ، وص٢١١ ، وص٢١٣ .

(٩) انظر : جريدة البلاد ، العدد (١٥٤٦) في ١٣٨٣/١٠/١٨هـ ، ص ٥ . وديوان أودية الضياع ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٠) انظر : ديوان فجر العمر ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ص ٨٨ .

(١١) انظر :الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (٢) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ص ٢١٢ - ٢١٣ / والعمدة ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ط (٤) ١٩٧٢م .جـ(٢) ص٧٣-٨٠/ والمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط (٢) ١٩٧٠م ، ص٤٩٥-٥٧٠ .

بعض صوره ، لوناً من ألوان التجديد في الشعر»[1] .

وتبع ذلك الاهتمام من الشعراء بالتكرار اهتمام من بعض النقاد والدارسين، فتناولوه محاولين تحري أشكاله ودلالاته ، كنازك الملائكة[2] ، وهلال ناجي[3] .

والمتأمل في هذا الأسلوب بمظاهره التي توافرت في قصائد شعرائنا الاجتماعية ، يدرك أنه لم يأت عبثاً ، ولم يحمل في طياته دليلاً على قلة مخزونهم اللغوي ، يجعل من لجوئهم إليه مجرد وسيلة يوارون بها ضعفهم ، عندما لا تسعفهم الذاكرة بالألفاظ التي تعينهم على جلاء تجاربهم الشعورية ، وإنما جاء لتأكيد المعاني التي يرمون إليها وتقويتها ، أو الإيحاء بها .

وقد وقفنا في تجارب شعرائنا على نوعين من أنواع التكرار التي حددتها نازك الملائكة في دراستها للتكرار[4] . وهما :

أ- التكرار البياني :

إن الغرض العام من وراء هذا النوع من التكرار « هو التأكيد على الكلمة المكررة أو العبارة» [5] .

وقد ظهر هذا النوع بكثرة في الشعر الاجتماعي عند شعرائنا ، فتكرار الكلمة – بصفة خاصة – لا تكاد تخلو منه قصيدة من القصائد التي عرضنا لها في هذه الدراسة .

(١) قضايا الشعر العربي المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط (٧) ١٩٨٣م ، ص ٢٦٣ .
(٢) انظر : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ – ٢٩١ .
(٣)انظر : شعراء معاصرون ، لمصطفى السحرتي و هلال ناجي ، ١٩٦٢م ، ص ٦١ وما بعدها .
(٤) انظر : قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٨٠ – ٢٩١ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

ومن نماذج هذا اللون في الشعرالاجتماعي ، تكرار كلمة : (العلم) في قول الشاعر عبد الكريم الجهيمان[1] :

والعِلْمُ مِصْبَاحُ الوُجــودِ وإنَّما ... سَعْيُ الحَرِيصِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مُخْفِقُ
والعِلْمُ مَهَّدَ لِلْجُـــــدودِ مَكانَةً ... شَمَّاءَ يُبْصِرُها الحَكِيمُ فَيُطْـرِقُ
والعِلْمُ عِنْوانُ السَّعادَةِ والعُــلا ... وبِهِ يُحَلُّ من الأُمــورِ المُغْــلَقُ

فالجهيمان يكرر كلمة (العلم) في هذه الأبيات ثلاث مرات ، محاولاً لفت انتباه أبناء مجتمعه القاعدين عن اللحاق بركب العلم إلى أهميته وفائدته العظيمة بالنسبة لهم ولمجتمعهم ، حتى يلحقوا بركبه ، ويعبوا من معينه . وأتبع ذلك بإبرازه لآثاره في الحياة ، مستشهداً بما وصلت إليه الأمة الإسلامية في سابق عهدها من مكانة ، كان العلم السبب الرئيس لاعتلائها ذروة الحضارة بين أمم الأرض وتسنمها .

وفي قصيدة : (أمومة) يكرر الشاعر محمد إبراهيم جدع كلمة : (أماه) ثلاث مرات في أبيات منفصلة ، على لسان أحد شباب المجتمع ، قائلاً [2] :

- أُمَّاهُ قد أَمْعَنْتِ في إِيــذَائِي ... بِحَنانِكِ الفَيَّــاضِ في إِنْشَائِي
- أُمَّاهُ لو كَبُرَتْ بَنَاةُ مَقَاصِدِي ... ونَشَأْتُ بالتَّوْجِيهِ في إِنْمـــائِي
- أُمَّاهُ ما نَيْلُ الفَخَارِ طَــرَاوةً ... ومُيوعَـــةً تَجْنِي على الأَبْنــاءِ

فتكرار كلمة (أماه) من ذلك الشاب بعد أن وقف على عجزه في خوض غمار الحياة ، والتصدي لكل ما تلقي به في دروبه من صعوبات ، يحمل في طياته قدراً كبيراً من الألم والتحسر على نفسه ، وإدانة صريحة لأمه التي

---

(١) جريدة أم القرى ، العدد (٨٤٣) في ١٨/١/١٣٦٠هـ ، ص ٤ .
(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٦٧ .

بالغت في حنانها عليه في صباه ، حتى شبَّ فاقداً القدرة على نفع نفسه والمجتمع الذي ينتمي إليه .

ولا يخفى على القارئ البصير،ما في هذا التكرار وتلك الإدانة الصريحة للأم،من توجيه غير مباشر لمعشر الأمهات إلى ضرورة تنشئة الأبناء تنشئة سليمة ، خالية من كل ما يوهن عزائمهم ، أو يجلب لهم الضرر في مستقبل حياتهم .

ويكرر الشاعر عبد العزيز المسلم كلمة :(ارحل)،موحياً بقسوة أصحاب العقارات على المستأجرين ، وسوء معاملتهم لهم[1] :

ارْحَلْ .. فما ذَنْبُنا إِنْ كُنْتَ ذا عَـــوَزٍ ... ونَحْنُ -لو لم تَشَأْ - في البَيْتِ أَحْرارُ
ارْحَلْ .. فَرَاتِبُكَ المَحْـدُودُ ليس سِوَى ... (سَعْياً) تَقَاضَاهُ مِنَّا اليَوْمَ سِمْسَـارُ

ويكرر الشاعر أحمد إبراهيم الغَزَّاوي كلمة: (زعموا) خمس مرات ، في قصيدته :(يا شعب حسبك ما مضى)[2]،ودلالة التكرار لهذه الكلمة ، دحض أقوال المشككين في إمكانية نهوض المجتمع السعودي وتقدمه ، والتأكيد على بطلانها .

إن نماذج تكرار الكلمة في الشعر الاجتماعي كثيرة جداً ولا يمكن حصرها ، لذلك نكتفي منها بتلك الأمثلة التي ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر[3] .

---

(١) جريدة الجزيرة ، العدد (١٣٢٤) في ٧/١٠/١٣٩٥هـ ، ص ٥ .

(٢) جريدة صوت الحجاز ، العدد (١٩٧) في ١٦/١٢/١٣٥٤هـ ، ص ٤ .

(٣) راجع أيضاً على سبيل المثال : جريدة أم القرى ، العدد (٥٩٢) في ١٨/١/١٣٥٥هـ ، ص ٢ ، تكرار الشاعر أحمد العربي لكلمة :(أرأيتم) ، وراجع ديوان دموع وكبرياء ، لحسن صيرفي ، في تكراره لكلمة :(راعها) ، ص ٦٤ ، وديوان تغريد ، لعلي زين العابدين ، في تكراره لكلمة (الشباب) ص ١٠٤ ، وراجع الأعمال الشعرية الكاملة ، لعبد السلام حافظ جـ(١) ، في تكراره لكلمة : (كفَّنته) ص ٣٨٤ – ٣٨٧ ، وديوان أشواق وحكايات ، لمنصور الحازمي، في تكراره لكلمة : (عمي) ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، وديوان الهروب من حاضر ، لمقبل العيسى ، في تكراره لكلمة :(أعذريني) ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، وديوان أغنية العودة ، لسعد البواردي ، في تكراره لكلمة (أعلوهم) ، (دعوهم) ، ص ٧١ ، ٧٢ .

أما تكرار العبارة : فهو يعطي القصيدة أبعاداً وظلالاً فكرية ونفسية أكثر اتساعاً مما تمنحها إياه الكلمة الواحدة المكررة .

ومن نماذجه في شعر شعرائنا ، ما جاء في قول الشاعر ضياء الدين رجب مخاطباً شباب مجتمعه[1] :

وإِنَّ حَيَاةَ العِزِّ صَعْبٌ مِرَاسُها إذا لم تُزَوَّدْ في الحَيَاةِ بِقَــائِمِ

وإِنَّ حَيَاةَ العِزِّ صَعْبٌ مَنَــالُها إذا رَامَ فيها نَائِمٌ نَصْــرَنَائِمِ

وإِنَّ حَيَاةَ العِــزِّ جِـدٌّ بَعِيدَةٍ إذا عَاشَ فيها أَهْلُها كالسَّوائِمِ

فهو هنا يكرر عبارة :(وإن حياة العز) ثلاث مرات متتالية ، محاولاً لفت انتباه شباب مجتمعه الطامحين إلى حياة العزِّ والشرف والسؤدد ، إلى الصعوبات التي تزدحم بها الطرق المؤدية إليها ، حتى يتأهبوا ويستعدوا لمواجهتها ، ومؤكداً لهم في الوقت ذاته إمكانية بلوغها ، متى ما كانوا قادرين على دفع ثمن تلك الحياة ، الذي يتمثل في : العمل الجاد ، والصبر الدءوب على المصاعب ، والإصرار على تسورها بصدق وإيمان شديدين . أما إذا ركنوا للدعة ، واستسلموا للخمول ، فمحال وصولهم إلى تلك الحياة ، ولا إلى غيرها من الأماني والأحلام التي تشرئب إليها أحداقهم .

إن تكرار الشاعر ضياء الدين رجب لتلك العبارة،يفصح عن مدى حرصه على بلوغ مجتمعه المكانة العالية التي يستحق أن يتبوأها ، واهتمامه الكبير بشباب مجتمعه ، وتهيئتهم ذهنياً ونفسياً لحمل الآمال والطموحات التي يرنو إليها الجميع ، ومن ثم تحقيقها على أرض الواقع .

ويكرر الشاعر سعد البواردي في قصيدته : (المجهر الكبير)،على لسان

---

(١) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٥٦ .

أحد أبناء الأثرياء ، عبارة : (وإنه مثلي) أربع مرات ، حيث يقول[1] :

ارْحَــمْ أبي أَشْلاءَ أَنْفاسِـهِ ... فَإِنَّهُ مِثْلِي يُريـــدُ الحَيَاهْ

وإِنَّهُ مِثْلِي فَتىً يافِـــعٌ ... سَطَا بِهِ البُؤْسُ فَـأَوْهَـى بِنَاهْ

وإِنَّهُ مِثْلِي بَشُـــوشُ الحَشَا ... (اليُتْمُ) و(الفَقْرُ) أَقَضَّا حَشَاهْ

وإِنَّهُ مِثْلِي يُريـــدُ «البَــقَا» ... أبي لَكَ الغُفْـرَانُ دَعِّـمْ بَقَاهْ

فتكرار الشاعر لعبارة (وإنه مثلي) في هذه الأبيات ، فيه تذكير بصغر ذلك اليتيم وعدم مقدرته على مواجهة الحياة وصعوباتها ، وتأكيد على حاجته – وهو في تلك السن – إلى من يحنو عليه ، ويظل يتعهده بالعطف والرعاية والاهتمام ، حتى يستطيع الاعتماد على نفسه . ويحمل في الوقت ذاته دليلاً على تأجج عاطفة الشاعر الإنسانية ، وحرصه على إثارتها وتحريكها في نفوس قرّائه ، خاصة عندما عمد إلى تقمص شخصية الفتى الثري والتحدث على لسانه ؛ ذلك لأنه أقدر من غيره على تلمس حاجات صنوه اليتيم والتعرف على رغباته ، وعلى التأثير في نفوس الآباء القادرين على كفالة وإعانة من هم في مثل ظروف ذلك اليتيم .

ويكرر الشاعر محمد سعيد دفتر دار عبارة :(دور الرعاية) أربع مرات ، ساعياً إلى التأكيد على أهمية تلك الدور ، وإبراز الأدوار الـرائدة التي تنهض بها ، محاولاً لفت أنظار القادرين من أفراد المجتمع إلى ضرورة دعمها بالأموال اللازمة ، حتى يتسنى لها القيام بمسئولياتها على أكمل وجه[2] :

دُورُ الرِّعَـايةِ تَبْني خَيْرَ مُجْتَمَعٍ ... أَكْــرِمْ بِهِ في رِضَاءِ اللَّهِ بُنْيَانا

دُورُ الرِّعَـــايةِ أُمٌّ لا مَثِيلَ لها ... ضَمَّتْ جَوانِحُها الأَيْتَامَ إِخْوانا

دُورُ الرِّعَـــايةِ تَوْجِيهٌ وتَرْبِيةٌ ... تُطارِدُ البُؤْسَ من آفـاقِ دُنْيانا

دُورُ الرِّعَـايةِ من أَرْكانِ عِزَّتِنا ... تَرْنُو لِمُسْتَقْبَلٍ بالوَفْرِ يَرْعَـــانا

(١) ديوان أغنية العودة ، ص ١٠٦ .

(٢) جريدة المدينة المنورة ، العدد (١١٩) في ١٣٨٤/٣/٢٩هـ ، ص ١١ .

ب- تكرار التقسيم :

وهو أن تتكرر «كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة من القصيدة»[1]، ويدخل في هذا النوع نوع ثانٍ «يرد فيه التكرار في أول كل مقطوعة»[2] .

وقد ورد هذان النوعان في شعر شعرائنا الاجتماعي ، فمثال النوع الأول التكرار الذي توافر في قصيدة الشاعر محمد سعيد الخنيزي :(المعبود الثاني)[3]، والعبارة التي تكررت عند الشاعر امتدت لتشمل بيتين من مجزوء الرمل ، مع ملاحظة عدم الالتزام بها في سائر المقاطع ، وإنما يراوح بينها وبين عبارات أخرى في مقاطع القصيدة المتعددة .

ففي ختام المقطوعة الأولى جاء قوله :

شَاعِرٌ يَصْدَحُ بِالحُبِّ وأَسْرَارِ الجَمَـــالْ
فَجْرُهْ البَاسِمُ أَطْيابٌ وأَحْـــــــلامٌ خَيَالْ

وجاء في ختام المقطوعة الثانية قوله :

مَرْحَباً بالشَّاعِرِ الضَّارِبِ في أُفْقِ الخَيَالْ
إِنَّها أَحْلامُكَ القَمْرَا وأَطْيَافُ الـــوِصَالْ

ثم يعود في نهاية المقطوعة الثالثة ، إلى ما اختتم به المقطوعة الأولى ، مع تغيير طفيف في بعض الكلمات ، حيث يقول :

شَاعِرٌ يَصْدَحُ بالحُبِّ وأَسْرارِ الجَمَــالْ
فَجْرُهُ البَاسِمُ أَحْـــلامٌ وأَطْيَافُ لَـــيالْ

وهكذا يستمر الشاعر في تكراره في بقية مقاطع القصيدة ، تارة يعمد إلى إحداث تغييرات طفيفة في العبارات المكررة ، وتارة يأتي بعبارة ويتركها إلى غيرها، ثم يعود إليها بعد مقطع أو مقطعين من مقاطع قصيدته الطويلة نوعا ما.

وبذلك استطاع الشاعرأن ينقذ عباراته المكررة من الرتابة ، وأن يهز المتلقي ويفاجئه في آن .

(١) قضايا الشعر المعاصر ، ص٢٨٤ .

(٢) المصدرالسابق ، ص ٢٨٤ .

(٣) ديوان النغم الجريح ، ص ٣٨ – ٥٩ .

أما النوع الثاني من تكرارالتقسيم ، فمثاله تكرار :(أنا عاله) في أول كل مقطوعة من قصيدة تحمل العبارة نفسها (أنا عاله)[1] للشاعر عبد الله الصالح العثيمين .

وشبيه بذلك تكرار الشاعر محمد حسن فقي لعبارة :(يا فتاة الحجاز) في قصيدته :(إلى فتاة الحجاز)[2]، وتكرار الشاعرعبد السلام هاشم حافظ لعبارة :(الأمس مات) في مقاطع قصيدته :(عاشقة)[3].

ومزية هذا النوع من التكرار أنه « يؤدي وظيفة افتتاح المقطوعة ويدق الجرس مؤذناً بتفريع جديد للمعنى الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة»[4] .

ويحرص بعض الشعراء في شعرهم الاجتماعي على تكرار بعض الصيغ والأدوات والحروف . ومن نماذج ذلك تكرار الشاعر إبراهيم علاف لأداة الاستفهام :(متى) إحدى عشر مرة ، في قوله[5] :

وَيْحَ نَفْسِي متى أَراكَ حَفِيَّاً ... بِنُبوغٍ يَكُنُّ أَسْنَى الهِبَاتِ ؟
ومتى الفَنُّ والعُلومُ جميعاً ... تَتَلَقَّى عُدَالَةَ اللَّفَتاتِ ؟
ومتى المَكْتَباتُ تُبْنَى وتَغْنَى ... بِتُراثٍ يُشِيعُ خَيْرَ الصِّفَاتِ ؟
ومتى تَسْمُقُ المَدَاخِنُ شَتَّى ... كَبَنَانٍ تُشِيرُ لِلنَّهضَاتِ ؟
ومتى تَكْمُشُ الكَسَالَةُ والعَجْـ ... ـزُ وتَنْمُو أَصَائِلُ القُدُراتِ ؟
ومتى تَلْتَقِي الجَمَاعَةُ والفَرْ ... دُ لِقاءً مُوحَّدَ الغَاياتِ ؟
ومتى تَكْثُرُ النَّزاهَةُ والصِّدْ ... قُ وتَسْخُو عَواطِفُ التَّضْحِياتِ ؟

---

(1) ديوان عودة الغائب ، ص ٢٧ – ٢٨ .
(2) الأعمال الكاملة ، المجلد (1) ، ص ٣٢٠ – ٣٢١ .
(3) الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ(1) ، ص ٣٨٤ – ٣٨٩.
(4) قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٨٤ .
(5) ديوان أشواق وآهات ، ص ١٤٣ – ١٤٤ .

ومتى يَسْعَدُ الصِّغَـــــارُ ببَيْتٍ يَتَجَلَّى بِحِكْــــمَةِ الأُمَّهـــاتِ ؟

ومتى يُكْـــرَمُ النَّبِيلُ ويَخْـــزى نَاقِعُ الخُبْثِ مُطْـــلَقُ النَّزَعـاتِ؟

ومتى تُفْصِحُ الـرُّبوعُ جَمَـــالاً ونِظَاماً مُضَاعَـــفَ الحَسَناتِ؟

ومتى يُصْبِحُ الفَـــــرَاغُ رَبِيعاً يُخْصِبُ النَّفْسَ سَاحِرَ اللَّمَسَاتِ؟

يَتَحَدَّى المَـــلالَ والضِّيقَ مُـدَّاً ويُنَجِّي الشَّبـــابَ من عَثَـــراتِ

فالشاعر هنا كرر أداة الاستفهام (متى) متبعاً إياها بسيل من الأماني والآمال التي يتطلع إلى تحقيقها في المجتمع ، على الصعيدين : المادي ، والمعنوي . وموحياً بالحالة التي كان عليها المجتمع ، والصورة المثلى التي يتمنى أن يرى مجتمعه وقد سما إليها .

والذي لا شك فيه أن تكرار الشاعر لأداة الاستفهام (متى) التي خرجت عن معناها الأصلي لتفيد التمني ، قد وسع له دائرة التناول ، وساعده على تلمس حاجات المجتمع وإبرازها ، ولفت الأنظار إلى بعض الأدواء والعلل التي تنخر في جسده . وقبل ذلك كله أظهر صدق عاطفة الشاعر الوطنية والاجتماعية الجياشه ، وسعيها إلى خير المجتمع وتقدمه وازدهاره .

ويكرر الشاعر علي زين العابدين في قصيدته :(ظلمـــوها) ضمير الغائب : (هي) أربع مرات ، للتذكير بإنسانية الفتاة التي تكره على الزواج من شيخ طاعن في السن ؛ طمعاً من ذويها في أمواله ، محاولاً بعث المشاعر والأحاسيس الميتة في نفوس الآباء والأمهات ، الذين يضحون بفلذات أكبادهم مقابل المال الوفير ، ومعهم أولئك المتصابين ، الذين يقدمون على الزواج من فتيات قد يكنَّ في عمر أحفادهم .

حيث يقول مخاطباً شيخاً عجوزاً تقدَّم للزواج من فتاة صغيرة ، مذكراً إياه بأمانيها وتطلعاتها ، وإنسانيتها التي نسيها ذووها أمام بريق أمواله(١) :

هي مِثلِي مَخْلُوقَةٌ من شُعورٍ وأَحَاسِيسَ كالنَّدى أَشْبَاها

هي مِثْلِي ومِثْـلُكَ النِّدُّ للنِّدِّ أَلَيْسَتْ من طِينَةٍ كُنَّاها

هي قَلْبٌ ومُهْجَةٌ وشُعورٌ هي رُوحٌ جَيَّاشَةٌ بِمُناها

هي في الفَرْحِ والسَّعادَةِ مِثْلا نا.. وتَأْسَى إذا أَثَرْتَ أَسَاها

ويكرر الشاعر منصور الحازمي حرف :(السين)،في قوله(٢) :

أَجَلْ صَغيرَتِي

سَتَعْرِفِينَ نَقْشَةَ الحُروفْ

سَتَكْتَشِفينَ طَلْسَمَ الكَلِمْ

سَتَعْرِفينَ أَنَّ ذا مُنَكَّرٌ

وأَنَّ ذَاكَ يا صَغِيرَتِي عَلَمْ

سَتُدْرِكِينَ مَوْضِعَ الأَلَمْ .

فحرف (السين) الذي تكرر في هذه السطور الشعرية،يوحي بقرب تحقيق أمل طالما تشوفت الفتاة السعودية إليه ، وهو منحها حقها في طلب العلم وتحصيله بصورة نظامية ، أسوة بأشقائها الذين سبقوها إلى رياضه وينابيعه الثَّرَّه . ويوحي بفرحة الشاعر بقرب تحقيق ذلك الأمل ، ويعكس مدى اهتمامه بفتيات مجتمعه ، وحرصه على تعليمهن ، لوقوفه على فائدته العظيمة ،

---

(١) ديوان هديل ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٢) ديوان أشواق وحكايات ، ص ١١ .

التي ستتجاوزهن إلى المجتمع الذي ينتمين إليه بأسره .

ويكرر الشاعر أحمد الغزاوي الحرف :(إذا)، في تعريضه بالذين يرون استحالة نهوض المجتمع السعودي وتقدمه ، وتغنيه ببعض معالم النهضة والتطور التي تشهدها بلاده ، وإبرازه للأسس والدعائم التي قامت عليها[1] :

وإذا القَفْرُ بالرَّبيعِ (رِيـــاضٌ) وإذا الصَّخْرُ (بالعُـيونِ) مَنَابِعْ

وإذا (العِلْمُ) والثَّقَـــافةُ صَـرْحٌ مُشْمَخِرٌّ البِناءِ و(الـدِّينُ) وازِعْ

وإذا (الأَمْنُ) لِلْـــبِلادِ سِياجٌ وإذا (العَدْلُ) في الـرَّعِيَّةِ شَائِعْ

وإذا (الجَيْشُ) كالغَمَامِ انْتِشَاراً وإذا الـــدَّرْبُ لِلْحَياةِ مَهَايِعْ[2]

وإذا (الغَابُ) بالأُســـوِدِ غِمَارٌ وإذا السَّاحُ بالصِّفَاحِ (مَصَانِعْ)

وإذا (الجَوُّ) بالنُّســورِ اسْتِباقٌ كُلُّ سِرْبٍ مُحَـــلِّقٌ أَوْقَـــابِعْ

وإذا البَحْرُ زَاخِــــرٌ بِسَفِينٍ أَكْبَرَ الغَرْبُ سُمْكَها في الدَّوارِعْ

ففي هذه الأبيات كرر الغزّواي الحرف (إذا) إحدى عشرة مرة ، متبعاً إياه في كل مرة بأحد الصروح الحضارية والمنجزات التنموية التي تشهدها بلاده ، أو بأحد الأسس والركائز التي تستند عليها في رحلتها صوب المجد والرفعة .

والغزاوي – كما يبدو لي – يرد بهذه الأبيات على المشككين في إمكانية نهوض المجتمع السعودي ، ويعرض بهم عن طريق ذكره للأسس والدعائم التي يعتمد عليها مجتمعه في نهضته ، والتي لا تكاد تتوافر مجتمعه في أي مجتمع

---

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٥٨١) ، في ١٣٧٣/١٠/٢٦هـ ، ص١ .

(٢) مهايع : واسعة بينة وواضحة .

من المجتمعات ، مما يجعل تقدم وحضارة تلك المجتمعات عرضة للتصدع والانهيار ، لا فتقادها لأهم المقومات التي تكفل استمرارها وازدهارها ، وهي كما يرى شاعرنا تتمثل في : الدين ، والعدل ، والأمن .

وقد أتاح الحرف المكرر (إذا) للشاعر استيفاء كل الأدلة التي تدحض تلك الشكوك ، وتؤكد بطلانها .

ثالثاً : أسلوب الهمس

من الأساليب التي اعتمد عليها شعراؤنا لأداء تجاربهم الشعورية في شعرهم الاجتماعي أسلوب الهمس . والهمس صفة تطلق على الشعر الذي يناجي النفوس ، ويتحدث إليها حديثاً هامساً وادعاً ، يحرك مشاعرها ، ويثير انفعالاتها ، ويحملها إلى الاستجابة لداعيه في غبطة وانشراح ، لأنه حديث النفس إلى النفس ، وإليها يتوجه قبل السمع .

ويتوقف نجاح الشاعر في اعتماده على هذا الأسلوب إطاراً يصب فيه مشاعره وأحاسيسه على امتلاكه لناصية لغته التي يعبر بها ، وقدرته الفائقة على استثمار ماتكتنزه ألفاظها من خصائص وإمكانات ، وما يهبها هو من ذاته ، ويسقط عليها من أنفاسه ، ويمسها بعواطفه ، ويخرجها بخياله ، حتى تتجاوز مهمة الإيصال ، لتنطلق حاملة مقومات الإيحاء والتفاعل والإثارة[(١)] .

وذلك لأن الهمس في الشعر ليس معناه الضعف ، كما يصرح بذلك الدكتور محمد مندور ، ولكنه الدنو من القلوب ، وليس معناه الارتجال حيث يتغنى الطبع في غير جهد ولا إحكام صنعه ، وإنما هو إحساس بعناصر اللغة

---

(١) لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير الكبيسي ، ص ١١- ١٢ « بتصرف » .

واستخدام تلك العناصر في تحريك النفوس وشفائها مما تجده[1] .

وأحسب أن وجود هذا اللون التعبيري في شعر شعرائنا راجع إلى اتصال بعضهم الوثيق بالأدب المهجري وتأثرهم به ، لأن الهمس من الخصائص والسمات البارزة التي تميزه عن غيره من الآداب وبها يعرف (٢) .

ومن نماذج هذا الأسلوب،ما جاء في قول الشاعر سعد البواردي على لسان يتيم بائس[3] :

أَعيشُ كَالْوَهْمِ عُمْرِي　　وقد بَكَتْنِي السِّنونْ
وَتاهَ كالظِّلِّ أَمْرِي　　يُشِيعُ حَوْلِي الشُّجونْ
ياسِرَّ دَمْعَ حَيَاتِي　　وذِكْرياتِي ورَوْعِي
ياآهةً مِلْءَ ذَاتِي　　وزَفْرَةً من ضُلُوعِي
أين الطَّرِيقُ لِخَطْوِي　　وما رَأَيْتَ الطَّرِيقْ ؟
وأين في الأُفْقِ شَدْوِي　　وهل سَيَشْدُو غَرِيقْ ؟
لقد يَئِسْتُ بِأَنِّي　　حَقِيقَةٌ في الحَيَاةْ
مُذْغَلَّ خَطْوِي التَّجَنِّي　　وظِلُّ دُنْيَايَ تَاهْ
مُذْ مَاتَ في أُفْقِ داري　　حُلْمٌ تَلاشى صَغِيرْ
ودَكَّ لَيْلِي نَهَارِي　　حَتَّى تهَاوى ضَرِيرْ

---

(١) في الميزان الجديد ، د. محمد مندور ، ص ٦٩ « بتصرف » .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٩/والتجديد في شعر المهجر ، د. محمد مصطفى هدارة ، دار الفكر العربي ، ط(١) ، ١٩٥٧م ، ص ١٨٧ - ١٩٠ .

(٣) ديوان أغنية العودة ، ص ٨٢ - ٨٣ .

ولا نَصِيرَ لصُبْحِي		إلاَّ البُكَا والأَنِينْ

ولا ضِمَادَ لجُرْحِي		إلاَّ غُبَارَ السِّنِينْ

فالقارىء لهذه الأبيات،يحس بأن الألفاظ والتعابير التي استعان بها الشاعر لتجسيد ما يمور في وجدان ذلك اليتيم البائس من آلام وهموم ثقال ، قد التقت بروحه ، واستقرت في وجدانه ، دونما استئذان .

ولعل ذلك راجع لانفعال الشاعر الصادق بما يعبر عنه ، واعتماده على ألفاظ وتعابير هامسة وموحية في آن معاً ، قادرة على تجاوز سمع المتلقي إلى نفسه ، وتحريك المشاعر الغافية فيها ، وهز أحاسيسها ، بما تحمله من تجسيد حيٍّ ونابض لمعاناة ذلك الطفل الذي افتقد أباه وهو ما زال غضاً لا يقوى على مواجهة الحياة والصعوبات التي تحفل بها .

ولك أن تتأمل في الصور التعبيرية :(بكتني السنون ، يشيع حولي الشجون ، وظل دنياي تاه ، مات في أفق داري حلم تلاشى صغير ، ودك ليلي نهاري حتى تهاوى ضرير ، ولا نصير لصبحي إلاَّ البكا والأنين...) فجميعها تنضح ببؤس ذلك الطفل بعد فقده لوالده الذي كان يعول عليه كثيراً في تحقيق آماله وطموحاته وهو في تلك المرحلة من عمره ، وتجسد الهموم الثقال التي ينوء بها وجدانه الغض ، وتبوح بشكواه المرة من عدم التفات الناس إليه ، والإحساس بمعاناته ، ومن ثم محاولة تخفيفها عنه .

وانظر إلى تلك النداءات وتلك الأسئلة المتتابعة ، المنطلقة كالحمم البركانية من نفس تصطلي بحر معاناتها :(ياسر دمع حياتي،يا آهة ملء ذاتي ، أين الطريق لخطوي ؟ وأين في الأفق شدوي ؟ وهل سيشدو غيرق ؟) فهي تعلن

عن الحسرة والحيرة التي تغلف عالمه ، وتتجاوب أصداؤها في أنحائه ، وتبدي تضجره من الحياة التي استقبلته بوجه عبوس متجهم ، ويأسه من تغير حاله وتبدله .

وبعد هذه الوقفة مع الألفاظ والتعابير التي وضعت المتلقي وجهاً لوجه أمام ذلك الطفل اليتيم ومعاناته بأبعادها المختلفة ، يحق لنا أن نتساءل عن الغاية التي يرنو إليها البواردي من وراء ذلك . أيريد كسب تعاطف قرائه وحملهم على مساعدة ذلك اليتيم مادياً ، أم أنه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ؟

إن المتلقي صاحب الحس اليقظ،يستطيع الوقوف على سر اعتماد البواردي على تلك الألفاظ والتعابير الهامسة الموحية ، وسر تجاوزه لمظهر يتيمه الخارجي إلى وجدانه وما يجيش به من مشاعر وأحاسيس ، تبدو حزينة أسيانة تارة ، وسوداوية متجهمة تارة أخرى ، ويشاركه مخاوفه مما قد يترتب على استمرار تلك المعاناة التي يحفل بها عالمه ، وذلك الواقع المرير الذي يـــــدور في فلكه .

والذي يبدو لي أن البواردي لا يدعو هنا إلى مساعدة ذلك اليتيم مادياً فحسب ، وإنما يدعو إلى احتوائه ، والعناية والاهتمام به جسدياً،وفكرياً ، ونفسياً ، وتهيئته لخوض غمار الحياة ؛ لنفع نفسه ومجتمعه الذي ينتمي إليه . وذلك لإيمانه بأن المساعدة المادية وحدها غير قادرة على انتشاله من دائرة البؤس والشقاء والإحساس بالفقد والحرمان التي وجد نفسه فيها ، ولن تستطيع محو ما ترتب على قسوة واقعه الذي يعيشه من نظرة سوداوية تجاوزت الحياة إلى الناس من حوله .

وقد وفق البواردي كثيراً في استخدامه لأدواته التي جسد بواسطتها

معاناة ذلك الطفل اليتيم ، ونجح في إثارة وجدان قارئه وحمله على التفكير ملياً فيما قد يترتب على ديمومة معاناة ذلك اليتيم ونظرته السوداوية تلك ، من كوارث سيتجاوز أثرها الناس من حوله إلى المجتمع بأسره .

وعلى هذا اللون التعبيري يعتمد الشاعر عبد السلام هاشم حافظ في تجسيده لفرحة إحدى فتيات المجتمع بقرب موعد زواجها ، حيث يقول على لسانها [1] :

عَيْنَايَ ناعِسَتانِ بالسِّحْرِ الولِـيدْ ... تَتَحدَّثَانِ بِقَلْبِيَ البِكْـرِ الحَنُونْ
وظِلالُ أَهْدَابِي الطِّوالِ لها نَشِـيدْ ... هَمْسٌ ونَجْوى لِلْخَيَالِ ولِلْفُنُـونْ

* * *

هذي أنا الهَيْفَاءُ أَعْتَنِقُ القَمَــرْ ... وأَفُوقُهُ حُسْناً .. ولي سِرٌّ جَـدِيدْ
كم حَامَ حَوْلِي طَائِفٌ يَهْوى الزَّهَرْ ... وكَمِ اغْتَدَى بالآهِ مُلْتَاعاً شَـرِيدْ

* * *

واليَوْمَ سَوْفَ أُحَطِّمُ الأَمْسَ العَقِيمْ ... وأَضُمُّ نِصْفِي .. بل وكُلِّي لِلْحَبِيبْ
زَوْجِي سَأَمْنَحُهُ المَحَبَّةَ والكُـرومْ ... جَسَدِي لَهُ هِبَةٌ ورُوحِي والنَّصِيبْ

* * *

سَيَكُونُ ظِلِّي والغَمَامَةَ والضِّـياءْ ... وأَكُونُ خَاتَمَهُ يَلُفُّ بِيَ الوجُـودْ
ونَجِيءُ بالأَطْفَالِ نَهْدِيها السُّرواءْ ... ونُرَاقِصُ الأَيَّامَ في عَبَقِ الـوُرودْ

(1) ديوان ترانيم الصباح ، ص ١٠١ – ١٠٧ .

أنا فَرْحَةٌ .. أنا يَقْظَةٌ .. أنـا فَاتِنَهْ   أَزْهُو وأَرْقُبُ لَيْلَةَ العُمْرِ الطَّـــرُوبْ

بي لَهْفَةٌ ظَمْأَى بِنَفْسِي الـــواسِنَهْ   لِأُزَفَّ بالأَمَلِ العَرِيضِ إلى الحَبِيبْ

فالمقاطع السابقة فيها تجسيد للمشاعر والأحاسيس التي يزدحم بها وجدان تلك الفتاة المقبلة على الزواج ، وبوح جميل بالآمال والأحلام السامقة التي تتطلع إليها في غدها الذي لو تستطيع لاختصرت العمر اختصاراً حتى تراه واقعاً ملموساً ، تعيشه بكل أحاسيسها ومشاعرها الملتهبة .

وقد اعتمد الشاعر في تجسيده لمظاهر تلك الفرحة على ألفاظ وتعابير هامسة ، قادرة على النفاذ إلى نفسية المتلقي وإثارتها ، ومن ثم حمله على مشاركة تلك الفتاة أفراحها وأحلامها وأمانيها العِذاب .

والمقاطع السابقة   الغنية بالصور التعبيرية القادرة على وضع المتلقي وجهاً لوجه   أمام فرحة تلك الفتاة بقرب موعد زواجها ، تحمل في طياتها رسالة ضمنية موجهة إلى معشر الآباء ، وأحسب أن الشاعر قد وفق في تدبيجها ومن ثم إيصالها لهم ، وكأنه يريد أن يقول لهم : إن المشاعر والأحاسيس ، وتلك الأحلام والأماني التي لا تبرح عالم تلك الفتاة ، لا تخصها وحدها ، وإنما تشاركها فيها كل فتيات المجتمع ومن ضمنهن بناتكم ، فاعملوا جاهدين على تحقيقها لهن ، ولا تقفوا حجر عثرة في طريق سعادتهن وحياتهن التي يتشوقن إليها بسبب مغالاتكم في مهورهن .

وقد استطاع الشاعر عبد السلام هاشم حافظ باعتماده على تلك الألفاظ والتعابير الموحية الهامسة ، أن يدعو أولياء الأمور في المجتمع إلى التيسير في مهور بناتهم ، وعدم عضلهن عن الزواج ، دون أن يعتمد على الألفاظ القوية

الرنانة التي تقرع السمع وحده ، أو يباشر توجيهه ودعوته تلك كما فعل غيره من الشعراء .

ومن النماذج الهامسة والموحية في آن معاً ، ما جاء في قول الشاعر منصور الحازمي مذكراً صديقه الذي تزوج بأجنبية بفتاة مجتمعه التي تركها تبكي وتندب حظها التعيس[1] :

وحينما غَرِقْتُ يا صَدَيقْ
في مَوْجَةِ السُّرورْ
ومِعْزَفِي تُهيجُهُ اللُّحونْ
إذا بَوَجْهِ مَنْ عَرَفْنا من سِنِينْ
يُطِلُّ بالأَحْزانْ
بالدَّمْعِ السَّخِينْ
فَتاتُنا . . .
حَبيبَةُ القُلوبِ .. أُقْحوانَةُ الدِّيارْ
رَفيقَةُ الصِّبَا وأُخْتُ اللَّيْلِ والنَّهارْ
رأَيْتُها تَغَصُّ .. .
تَتَّقِينا بالذُّهُولْ
تُحَرِّكُ الشِّفَاهْ

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧٤) في ٢٠/١٠/١٣٧٨هـ ، ص٤ . وديوان أشواق وحكايات ، ص٣١ .

فَتَجْمُدُ الحُروفُ في الشِّفاهْ

وتُسْبِلُ الجُفُونْ

كَأنَّها خَرْسَاءُ لا تُبِينْ.

فنحن هنا بصحبة شاعر يتفاعل مع قضايا مجتمعه ، ويهبها من ذاته ووجدانه ما يحملنا على مشاركته آلامه وأحزانه ، من عزوف بعض الشباب عن الاقتران بفتيات مجتمعهم بحجة جهلهن .

وقد استعان الشاعر في عتابه لصديقه ولومه الموجع له على تفريطه في فتاة مجتمعه وتذكيره بها ، على ألفاظ وتعابير من شأنها إثارة شجن ذلك الصديق وغيره من شباب المجتمع ، بما تحمله من صور تعبيرية توحي بحزن فتاة مجتمعه ، وتجسد حسرتها على نفسها ، ودهشتها التي انعقد بسببها لسانها من جراء عزوفه عنها ، وهي (رفيقة الصبا ، وأخت الليل والنهار ، وحبيبة القلوب ، وأقحوانة الديار) التي تستطيع – بحكم انتمائها لمجتمعه – معرفة ما يريد وما لا يريد ، وتلبية رغباته ، والقيام بواجباته ، والمحافظة عليه، وتحمل قسوة الحياة معه بعد رخائها .

لقد استطاع الشاعر منصور الحازمي في السطور الشعرية السابقة ، أن يوجه سهام نقده للحريصين من شباب مجتمعه على إشعال قناديل فرحهم في بيئة غير بيئتهم ، وأن يحث على عدم التفريط في فتيات المجتمع مهما كانت الأسباب والمبررات ، دون أن يباشر كلاً منهما ، ودون أن ينزل بلغته إلى العامية ، أو يرتفع بها إلى لغة الفحول من شعرائنا القدماء ، بكل ما تحفل به من ضجيج وصخب لفظي . ومع ذلك جاءت فصيحة في النطق والأداء ، قادرة على إثارة الأحاسيس والمشاعر ، بفضل استثماره الموفق لخصائص لغته

وطاقاتها الكامنة فيها ، وتطويعها للتعبير عن أبعاد تجربته الشعرية تلك .

في حين افتقدنا كل الخصائص والصفات التي وقفنا عليها في النصوص السابقة ، في نصوص أخرى جاءت في هذا الإطار . ويبدو أن استسهال الشعراء للنظم في ذلك القالب التعبيري ، وتعمدهم استدعاء المفردات اللينة الخافتة من المعجم اللغوي الشائع والمتداول بين الناس في حياتهم اليومية ، وعدم تحميلها أي شحنة انفعالية تضخ الحياة فيها ، هو الذي جرَّدها من جُلِّ مقومات الشعر ودعائمه التي ينهض عليها ، وبها يكتسب صفته الفنية . حيث طغت عليها المباشرة والتقريرية ، ولم تخل بعضها من الضعف ، والركاكة الأسلوبية .

نقف على تلك النصوص عند الشعراء : أحمد قنديل[١] ، وماجد أسعد الحسيني[٢]، وعبد السلام هاشم حافظ[٣] ، وعلي الفيفي[٤] ، وصالح الوشمي،[٥] وغيرهم .

---

(١) انظر : ديوان اللوحات ، ص ١٢١ – ١٣١.

(٢) انظر : جريدة البلاد ، العدد (٢٣) في ١٣٧٨/٨/١١هـ ، ص ٤ . والعدد (٤٢) في ١٣٧٨/٩/٦هـ ، ص٤ . وديوان ضياع ص٥٤ – ٥٧ / ومجلة الإذاعة السعودية ، العدد (٥٤) رمضان١٣٧٩هـ ، ص٢٢ .

(٣) انظر : الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ(١) ص ٦٠٥ – ٦٠٩ . وص ٦١٨ – ٦٣١ .

(٤) انظر : ديوان أجراس ، ص ٢٦ – ٢٨ ، وص ٢٩ – ٣١ / ديوان رحلة العمر ، ص ٢٦ ، وص ٣٦ – ٣٧ .

(٥)انظر : مجلة المنهل ، جمادى الأولى ١٣٧٩هـ ، المجلد (٢٠) ، ص ٣١٧ – ٣١٨ .

رابعاً : الأسلوب القصصي :

هو من الأساليب التي اعتمد عليها بعض الشعراء في معالجتهم وتصديهم لبعض الظواهر والقضايا الاجتماعية .

وأعني به في هذه الدراسة :« استخدام الشاعر الغنائي لبعض أدوات التعبير التي يستعيرها من فن آخر هو فن القصص »[1] .

والشاعر عندما يستعير من القصة بعض أساليب بنائها وبعضاً من لغتها، لا يعني ذلك – بالضرورة – أنه ينسج شعراً قصصياً ، أو قصة شعرية ، إنما يستعير طاقة تعبيرية ، يستطيع أن يعبر بها عن محتوى ، وبذلك تزداد طاقة القصيدة التعبيرية[2] .

وقد لاحظ أحد الدارسين استفادة كل من الشعر والقصة من بعضهما ، فالقصة كما يرى تستفيد من الشعر التعبير الموحي المؤثر ، بينما يستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية ، فهي بنية متفاعلة ، يستفيد كل شق فيها من الآخر ، وينعكس عليه في الوقت نفسه[3] .

وهذا الأسلوب الذي نحن بصدد الحديث عنه أسلوب مألوف ، ظهر منذ القدم [4] ، وقد تطور هذا الأسلوب في عصرنا الحديث إلى ما يعرف بالقصة الشعرية ، وكان ذلك على يد خليل مطران ، والذي ساعد مطران على براعته في هذا اللون « أنه محدث من الطراز الأول ، وأنه يلتفت في كتاباته إلى الدقائق ويعنى بالتفاصيل »[5] .

---

(١) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين اسماعيل ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ط (٣) ١٩٨١م ، ص ٣٠٠ .

(٢) لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي ، ص ١١٧ « بتصرف » .

(٣) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ص ٣٠١ .

(٤) انظر : تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث ، ص ١٨٢-١٨٤/والأصول الدرامية في الشعر العربي ، د. جلال الخياط ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢م/والقصة الشعرية في العصر الحديث ، د.عزيزة مريدن ، ط(١) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، دار الفكر ، ص ٢٧ – ٥٠ .

(٥) مطران (نوابغ الفكر العربي) محمد عطا ، دار المعارف ١٩٥٩م ، ص ٦٢ .

والمتأمل في القصائد :(«فاطمة» للغزاوي[1] ، و « من واقع الحــياة الأليم» للآشـــــي[2] ، و« اللياذ الخاسر» للفلالي[3] ، و«الراحمون يرحمهم الله» لفؤاد شـــاكر[4] ، و« الهيكل الرهيب» لإبراهيم الزيد[5] ، و« لمياء» للعواد[6]،و«العذراء المظلومة» للفيفي[7]، و «الدَّجَّالون»،و«على لسان سائل» لطاهر الزمخشري[8] ، و«المعـــبود الثاني» للخنيزي[9] ، و«برجوازي» للبواردي[10] ، و«القرينة وقطرات الماء» للحميدين[11]، و «ضحايا الإنسانية» لمحمد هاشم رشيد[12] ، و«أيها العيد» لأحمــــــد العربي[13] ، و«اليتيم في العيد » للسنوسي[14] ، و «ضاربة الودع» ، و«النادمة » لضياء الدين رجب[15]، و«ضحايا»،و «مجد الطهر»،و« مأساة بيت» لمحمد حسن فقي[16]، و «كبدي التي وأدوها»،و«عاشقة »،و«مأتم في عرس »،و «من رســـــــائلها» لعبد السلام هاشم حافظ[17] ، و«الدودة الأخيرة»،و« بائع المساويـــك»،و« المجرم المفلس» لحسين سرحان[18]، يقف على استفادة شعرائنا فيها من بعض عناصر العمل القصصي ، التي يستخدمها كل قاص بارع ،

(١) شعراء الحجاز في العصر الحديث ، ص ٨٥ - ٨٧ .
(٢) مجلة المنهل ، عدد رجب وشعبان ١٣٧٤هـ ، المجلد(١٥) ، ص ٤٣٢ .
(٣) ديوان ألحاني ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
(٤) ديوان وحي الفؤاد ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .
(٥) ديوان المحراب المهجور ، ص٧٧ - ٨١ .
(٦) ديوان العواد ، جـ(١) ص ١٢٩ - ١٣١ .
(٧) ديوان أجراس ، ص ٢٦ - ٢٨ .
(٨) مجموعة النيل ، ص ٨٢ - ٨٣ / و ص ٤٥٧ - ٤٦٢ .
(٩) ديوان النغم الجريح ، ص ٣٨ - ٥٩ .
(١٠) ديوان أغنية العودة ، ص ١١٧ - ١١٨ .
(١١) ديوان رسوم على الحائط ، ص ١٤٥ - ١٤٨ .
(١٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد (١) ص ١٠٨ - ١١٣ .
(١٣) وحي الصحراء ، ص ١١٤ - ١١٥ .
(١٤) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٤٠٦ - ٤٠٩ .
(١٥) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .
(١٦) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ص ٢٠٥ - ٢٠٨ ، وص ٥٢٨ - ٥٣٠ ، و المجلد (٥) ص ٥٧٤ - ٥٧٨ .
(١٧) الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ(١) ص ٣٧٤ - ٣٨٣ ، وص ٣٨٤ - ٣٨٩ ، و ص ٦١٨ - ٦٣١ . وديوان ترانيم الصباح ، ص ٣٤ - ٤٠ .
(١٨) ديوان أجنحة بلا ريش ، ص ٢٠ - ٢٤ ، ص ١٣٢ - ١٣٤ . وديوان الصوت والصدى ، ص ٥٩ - ٦٠ .

كالراوي ، والحدث ، والشخصيات ، والسرد ، والحوار .

والتفاوت في استخدام تلك العناصر أو بعضها ، ومن ثم الإفادة منها في بناء قصيدة شعرية موحية عند شعرائنا أمر ملحوظ ، فمنهم من برع في استخدامه للعناصر التي استعارها من القصة ، ومنهم من كان دون ذلك .

والوقوف عند كل تلك النصوص التي جاء الأسلوب القصصي إطاراً لها ، للتعرف على مدى توفيق الشعراء في استخدامهم لبعض العناصر القصصية في نسيجهم الشعري ، أمر بالغ الصعوبة ، لذا سأكتفي باستعراض نصين منها ، وهما : (مجد الطهر) لمحمد حسن فقي ، و (لمياء) لمحمد حسن عواد .

ولنبدأ وقفتنا مع قصيدة محمد حسن فقي ، التي عرض لنا فيها قصة أمرأة مات عنها زوجها ، مخلفاً لها طفلين ولا شيء معهما من حطام الدنيا ، تسعى جاهدة - رغم الإغراءات التي تنهال عليها من كل حدب وصوب - للحصول على عمل تستطيع بعائده سد حاجتها وطفليها إلى كل مقومات الحياة . وقد قادها قدرها إلى رجل توسمت فيه النبل ، ولم تكن تعلم أنه أكثر خبثاً ، وأشد شراسة من كل الذئاب التي صادفتها في طريقها إليه . إلاَّ أن نبلها ، وحرصها على كرامتها من أن تداس وتمتهن ، دفعه إلى احترامها وتقديرها ، ومن ثم إلى مساعدتها .

بدأ الفقي قصيدته تلك ، بتقديمه للشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث القصة ، قائلاً[1] :

جَاءَتْ إِلَيْهِ وطِفْـــلَةٌ تَمْشِي ... من خَلْفِها وأَمَامَها طِفْـــلُ

كزُجَاجةٍ شُرِخَتْ وأَمْسكَها ... من أَنْ تَسَاقَطَ هَيْكَـلٌ عَبْلُ

---

(١) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص ٥٢٨ .

وكَأنَّ قامَتَها .. وما حَمَلَتْ غُصْنٌ يَمِيلُ بِعُودِهِ الحَمْلُ
في وَجْهِها أَلَقٌ يُرَقْرِقُهُ ماءُ الشَّبابِ . وعِزَّةٌ تَعْلُو
طَمِعَ الغُلامُ بها .. فَحَاوَلَها فَتَجَنَّبَتْهُ وحَاوَلَ الكَهْلُ
فرأى النَّبِيلُ مَفَاتِناً صَدَفَتْ عنه فَكَفْكَفَ غَرْبَهُ النُّبْلُ
ورأى السَّفِيهُ بِأَنَّها بَخِلَتْ فأَثَارَهُ -لِسِفَاهِهِ- البُخْلُ

وبعد أن فرغ من تقديم الجانب الحسي لتلك المرأة ، المتمثل في جمالها الفائق ، الذي أثار اهتمام الغلام والسفيه ، والنبيل والكهل ، دلف إلى الإشارة إلى مأساتها التي حملتها ما لا تطيق ، حيث يقول[1] :

كَادَ الزَّمانُ لها .. فَأَثْكَلَها ولقد يُزَلْزِلُ رَبَّهُ الثُّكْلُ
وتَزَوَّجَتْ .. فإذا بِفَرْحَتِها يَمْضِي بها -لِهَلاكِهِ- البَعْلُ
فاليَوْمَ ليس لها لِشِقْوَتِها بَعْلٌ .. وليس يَعُولُها أَهْلُ

ثم يغوص في وجدانها ، ليطلعنا على الصراع النفسي الذي تعيشه بسبب فقدها لزوجها ، وافتقادها من يعولها ، بالإضافة إلى خلويدها من المال، في ظل وجود طفلين يرغبان في الحياة ومتعها ، وبين كبريائها الذي يأبى عليها مديدها للناس ، أو التضحية بكل ما نشأت عليه من مبادىء وقيم ، حيث يقول موحياً بكل ذلك[2] :

قالت لَهُ .. وبِحَلْقِها غُصَصٌ شُدَّتْ عليه ..كَأَنَّها الحَبْلُ
وبِنَفْسِها مِمَّا تَقُولُ جَوًى ولقد يَكِيدُ نُفُوسَنا القَوْلُ

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢٨ – ٥٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢٩ .

ثم يمنحها الفرصة لتتحدث عن معاناتها لذلك الرجل الذي قادتها خطاها إليه ، علَّها تجد عنده عملاً ، تستطيع الإنفاق من مردوده على نفسها وطفليها ، ومبدية مخاوفها من الذئاب التي تلاحقها بإغراءاتها ، قائلاً على لسانها[1] :

قد جِئْتُ أَسْأَلُ سَيِّدي عَمَــلاً ... والحُـــرُّ يَنْجَحُ عِنْدَهُ السُّؤْلُ
إِنَّ الذِّئابَ غَـــدَتْ تُنَاوِشُنِي ... وأنا يُذِيبُ حَشَاشَتِي الأَكْـــلُ
فإذا اسْتَلَنْتُ فقـــد تُسَمِّمُنِي ... أَمَدَ الحَياةِ نُيوبُها العُصْـــلُ
فاعْجَلْ إِليَّ فقد يُــدَاهِمُـــنِي ... خَطَرٌ وقد يَتَحَيَّفُ المَطْـــلُ
ولو انَّنِي في البُؤْسِ واحِـــدَةٌ ... لم يَطْوِني -لِكِلَيْهِما- الـــذُّلُّ
كالبُرْعُمَيْنِ .. نَضارةً وشَـــذًى ... فإذا رَأَيْتَ .. رَأَيْتَ ما يَحْـــلُو
العَيْشُ ليس لَهُ بِدُونِهِـــــما ... طَعْمٌ .. وأَبْرَدُ مَشْرَبِي مُهْـــلُ
لو كُنْتُ أَعْمَلُ .. طَابَ لي عَمَلِي ... أو كُنْتُ أَغْزِلُ طَابَ لي الغَــزْلُ
أَسْعَى لِأَجْلِهِما .. ويُسْعِـــدُنِي ... أَنْ يَسْعَدَا .. ويَرُوعني الهَــوْلُ

وينتقل إلى ذلك الرجل ، ليقدم لنا بعض الملامح لشخصيته قبل أن تقف أمامه تلك المرأة ويصغي إلى شكاتها ، ويعلم مدى حرصها على شرفها من أن تطوله أيدي اللئام ، حيث يقول بعد أن يصف حالته وهو منصت إليها[2] :

أَغْضَى لها .. ورأى بِمُقْلَتِها ... جِدّاً يَذُوبُ أَمَامَهُ الهَـــزْلُ
كَمْ حُـــــرَّةٍ قَنِعَتْ بِمَتْرَبَةٍ ... فَكَأَنَّ طَـــلَّ حَيَاتِها وَبْـلُ
وتَمَرَّغَتْ في الوَحْـــلِ غَانِيَةٌ ... فهوى بها لِحَضِيضِهِ الوَحْلُ

---

(١) المصدر نفسه ، ص٥٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣٠ .

ما كَانَ يُغْضِي .. حين تَفْتِنُهُ   يَوْمَ الصَّبَابَةِ .. أَعْيُنٌ نُجْـلُ
وهي الطَّرِيدَةُ .. غَيْرَ مُثْخَنَةٍ   فلقد أَضَلَّ طَرِيقَـــها النُّبْلُ
وهو المُطَارِدُ .. ليس يُعْجِبُهُ   إِلاَّ الفَخَارُ بِأَنَّهُ الفَحْــــلُ

ثم يأتي بالحل أو الخاتمة لتلك القصة المشوقة ، والذي يكمن في قيام ذلك الرجل بمد يد العون لتلك المرأة المثقلة بجراحها ، دون أن يطلب منها ثمناً أو مقابلاً كما كان يفعل في سابق أيامه[1] :

أَعْطَى ولم يَأْخُذْ وكــانَ لَهُ   مَاضٍ يُسَاوِمُ حُـبَّهُ .قَبْلُ
ولقد هَدَاهُ لِفِعْـــلِهِ أَلَمٌ   من أَمْسِهِ .. فَتَبَارَكَ الفِعْلُ
الحُرُّ يَأْنَفُ من سَعَــادَتِهِ   يَأْتِي بها ويَرُوضُها الخَتْلُ

ولعل المتأمل في هذه القصيدة يقف على حضور معظم عناصر العمل القصصي وتقنياته ، فهناك الراوي الذي يحكي لنا الحدث ، وهو هنا الشاعر نفسه ، فصوته ظل الأكثر حضوراً في هذه القصيدة ، بحيث لم نقف فيها على صوت آخر إلاَّ عندما منح المرأة الفرصة لتفصح عن معاناتها ومخاوفها .

وهناك الشخصيات التي تعد من أهم العناصر التي يقوم عليها العمل القصصي على الإطلاق ، وقد اعتمد في تقديمه لشخصياته على الإيحاء بدلاً من التصريح ، سواء للجانب الحسي لتلك الشخصية أو المعنوي ، أو هما معاً.

فالمرأة التي هي الطرف الأول أو الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث القصة برغم كونها أماً لطفلين صغيرين ، فهي ما تزال غضة طرية ، يجري ماء الشباب ونضارته في وجنتيها ، يأسر جمالها الفائق الناظرين إليه .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٠ .

وهي إلى جانب ذلك عفيفة طاهرة ، نشأت على قيم ومبادىء ، عززت من قوتها وهي تواجه إغراءات الذئاب المسعورة التي صادفتها في طريقها ، معلنة رفضها .

ويقدم شيئاً من ملامح شخصية ذلك الرجل ، فهو شخص تتحكم فيه نزواته ، وتسيره في مهامه الحياة ودروبها رغباته ، يتقن الإيقاع بالحسناوات ، ويعشق التفاخر بفحولته ، ومغامراته .

نقف على تلك الصفات المعنوية في :(ما كاد يغضي حين تفتنه أعين نجل، ليس يعجبه إلاَّ الفخار بأنه الفحل) .

ثم تأتي الحبكة ، وقد ترك لنا الفقي استشفافها من عرضه للشخصيتين المحوريتين . فالمرأة المثخنة الجراح بسبب فقدها لزوجها ، وما خلَّفه وراءه من فقر مدقع ، وطفلين صغيرين بحاجة إلى من يرعاهما ، وعدم وجود من يعولها وطفليها ، ترفض إغراءات ضعاف النفوس ، حفاظاً على نقائها وطهرها ، تقودها خطاها إلى رجل مستهتر ، لا همَّ له غير إشباع رغباته ، والتلذذ بحرمات الآخرين ، والمباهاة بذلك .

ثم يأتي الحل والنهاية غير المتوقعة من سياق تلك القصة ، فقد قام ذلك الرجل بتقديم المساعدة ومد يد العون لتلك المرأة ، دون أن يطلب ثمناً أو مقابلاً لذلك ، بعد أن أيقظت فيه تلك المرأة الجميلة الطاهرة مشاعر الإنسانية والنبل ، وأشعلت في حناياه الندم ، على ما كان يبدر منه في سالف أيامه وزمنه الذي ولى وانصرم .

ولعل الرسالة التي أراد شاعرنا لها أن تصل إلى المتلقي ، هي أن المرأة الطاهرة العفيفة أبداً منتصرة ، وفي ذلك حث غير مباشر للمرأة في مجتمعه ،

على الصمود أمام المغريات مهما كانت .

ثم أراد أن يقول : إن الإنسان مهما أسرف في الضلال والغي ، لا بد أن يستيقظ ضميره حين يواجه مثل هذه المرأة العفيفة . فإن جاذبية عفَّتها وصمودها أمام سيل المغريات رغم موقفها الصعب ، غلبت جاذبية جسمها ، وجمالها الخارجي .

وقبل كل هذا وذاك استطاع الفقي أن يطلع أبناء مجتمعه والقائمين عليه على العواقب الوخيمة التي يجرها خلفه الفقر ؛ حتى يعملوا على القضاء عليه ، وتخليص الواقعين بين براثنه من أبناء المجتمع .

وقد وفق الشاعر كثيراً في استخدامه للعناصر القصصية التي اعتمد عليها لجلاء تجربته الشعرية تلك وتجسيدها ، فبدت متماسكة في بنائها الفني ، قادرة على شد قارئها وجذبه إلى آفاقها ، بفضل اتكائه على لغة تصويرية موحية ، إضافة إلى تلك التفاصيل الدقيقة عن الحدث المعبر عنه التي تغري بمتابعتها ، وعدم تركها قبل الوصول إلى نهايتها .

وإذا كان هناك من شيء نأخذه على الشاعر في هذه القصيدة ، فهو تدخله في سياق القصة لصالح تلك القيمةالأخلاقية النبيلة ، والتصريح بما يهدف إليه من خلال اهتمامه بتلك المرأة وعرض قصتها . وقد كان في غنىً عن كل ذلك ، لو أنه منح المتلقي لذة الاكتشاف لتلك الغاية ، وذلك الهدف الذي كان يرمي إليه ، بدلاً من المجاهرة به وكشفه في أكثر من موضع في القصيدة .

ويعرض لنا الشاعر محمد حسن عواد في قصيدته :(لمياء)[1]، قصة فتاة أرغمها أهلها على الزواج من شيخ طاعن في السن ؛ طمعاً في أمواله . وعندما

---

(١) ديوان العواد ، جـ(١) ، ص ١٢٩ – ١٣١ . وقد أفدت في تحليلي لها من الأستاذ علي المصري في دراسته «ومضات في ديوان العواد» جـ (١) ، منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ص ٢٠٥ – ٢١٦ .

فقدت صبرها على عجز زوجها ، وعدم مقدرته على إشباع رغباتها المكبوتة داخلها ، انغمست في وحل الرذيلة ، جالبة لنفسها وذويها العار .

وقد بدأ العواد قصيدته تلك بتمهيد يهيء للدخول في أجوائها المأساوية ، ألقى فيه باللائمة على الإنسان في كل ما يحدث له في هذه الحياة من مآسٍ وأحزان . وذلك لانقياده لسلطان الهوى ، والرغبات الدفينة في قاع نفسه ، وسعيه المسعور وراء تحقيق مطامعه ، حتى وإن كان الطريق إليها محفوفاً بظلم الآخرين ، وتعطيله لما وهبه الله من عقل يستطيع به وزن الأمور ، بحيث لا يقدم إلاَّ على ما فيه صالحه وصالح الغير من الأعمال ، ويتجنب ماسوى ذلك ويبتعد عنه .

ومن أقسى أنواع الظلم كما يرى شاعرنا ، إكراه الفتيات على الزواج من شيوخ طاعنين في السن ، فقدوا القدرة على إشباع رغباتهن الجسدية والنفسية ، وحرمانهن ممن يرغبون في الزواج منهن من الشباب المساوين لهن في الأعمار ، لا فتقادهم لما يشبع نهم الآباء ويروي عطشهم .

وبعد أن ينتهي العواد من تمهيده الذي قدَّم لنا فيه الخيوط الأولى لقصته التي يرغب في عرضها ، يبدأ في تقديم الشخصية التي تدور حولها القصة ، بأبعادها الحسية والمعنوية ، حيث يقول :

إِنَّ (لَمْيَاءَ) يَضْؤُلُ القَمَـرُ المُشْـ ـرِقُ في وَجْهِهَا ويَغْشَى النَّهـارُ

ونَسِيمُ الصَّـبَا يَمُـوجُ ويَهْـتَزُّ إذا أَقْبَلَتْ فَمَـاجَ الإِزَارُ

وإذا ما تَكَلَّمَتْ خِـلْتُ يُصْغِي فَـلَكٌ في فَضَـائِهِ دَوَّارُ

وتَحَرَّجْ أَنْ تَسْأَلَ الواصِفَ المُبْـ ـدِعَ عن ذَوْقِـها وما تَخْتَارُ

في بَهَاءِ الرَّبِيعِ في نَضْرَةِ الزَّهْـ ـرَةِ في فِتْنَةٍ عليـها استِعارُ

فلمياء فتاة جميلة ، رزينة العقل ، تأسر من يجلس إليها بعذوبة حديثها ، وتفرض هيبتها وجلال روعتها على جلاسها ، يجد السائل لها عن ذوقها وما تختاره حرجاً شديداً ، فجمالها الآسر ، وفتنتها الطاغية ، أخرست كل الألسن، وملأت كل الأحداق بالدهشة والانبهار .

ثم يفاجئنا بما حدث لتلك الزهرة الغضّة الندية على يد أهلها ، قائلاً :

قَرَنُوها قَسْراً إلى رَجُـــلٍ نا   مَتْ على قِحْفِ رَأْسِهِ الأَدْهارُ

ويقدم ذلك الرجل الذي أرغمها أهلها على الزواج منه في صورة بشعة ، تدفعنا إلى التعاطف مع تلك الفتاة . فهو شيخ هرم ، جفّ ماء الحياة فيه ، حتى إنه يحاكي المومياء بقبح شكله ، وسخف هيأته ، وفظاعة منظره :

شَبَحٌ - قد أَحَــــالَهُ الهَرَمُ المُـرْ   مِنْ شَيْئاً مُهَــــزَّأً - سَيَّــارُ
فهو كالمُوْمِياءِ عَـــــارٍ من الرُّو   حِ سَخِيفٌ مُسْتَقْطَـعٌ خَــــوَّارُ
لَطَمَتْ وَجْهَـــهُ الحَيَاةُ بِصَفْـعٍ   من قَفَاكَفِّهَـــا فَفِيهِ انْدِحَــارُ
جَازَ تِسْعِينَ حِـــجَّـــةً فَـدَبِيبُ الـنَّـــملِ أَمْضى من دَلْفِهِ لـو يَغَـــارُ
وحَنَتْهُ السِّنونَ فَانْهَـــدَّ واسْتَوْ   لى عليه ضَعْفُ القُوَى والزُّحَـارُ
وسَرَى اللُّؤْمُ في سَجَاياهُ ما شَا   ءَ احْتِسَاباً وهل مع اللُّـــؤْمِ عَارُ

ويحمل العواد هذا الشيخ المهترىء المسئولية في هذه الكارثة المؤلمة ، إذ استغل ثروته الوفيرة في المساومة على (لمياء) تلك الفتاة الضحية .

ثم يدخل أشخاصاً ثانويين في إدارة هذا الحدث ، وهما الشريكان اللذان سهلا مهمة ذلك الشيخ الهرم في الاستحواذ على تلك الصفقة ، الشريك الأول«العاقدان» ، والشريك الثاني « السمسار» ، الذي قبض ثمن تمرير هذه

المهزلة الدامية ، ويلحي عليهما باللوم ، فيقول :

كَانَ جَــمَّ الغِنَى فَسَاوَمَ فيها   قُوتِلَ العَاقِدانِ والسِّمْسَارُ

وحتى يغري القارىء بمتابعة أحداث القصة ، يضيف عنصراً آخر للحدث، لتشتبك الأحداث ، وتتحقق الحبكة .

فالفتاة (لمياء)،الشخصية المحورية في القصة،كانت ترغب في الزواج من جارلها ، وهو شاب وسيم ، مكتمل الرجولة ، يتمتع بأخلاق عالية .

وفي ذلك يقول العواد ، واصفاً العلاقة الحميمة التي تجمعهما ، والتي يسعيان إلى تتويجها بالزواج :

ولقد عَاشَ عند مَسْكَنِ «لَمْــــيَا   ءَ» فَتَى رَائِـــعَ الشَّبِيبَةِ جَـــارُ

مَثَلٌ في السُّمُــــــوِّ والحُسْنِ والـعِـفَّـةِ والنُّبْلِ لَـــوْ إليها الخِــيارُ

فَتلاقَى الرُّوحَانِ في الطُّهْرِ واسْتَهْـ   ـواهُما بَاعِثُ الـــرُّؤَى الجَبَّارُ

وأَقَاما أَمَــانِيَ الحُــــبِّ في جَـــوٍّ من الطُّهْــرِ لم يَشُبْهُ غُبَارُ

وأَرادَا الزَّواجَ حَقَّـــاً صَرِيحاً   فيه ما يُرْتَجَى وفيه اخْــتِيارُ

ولقد قَــــــرَّرَتْ وقَــــرَّرَ كُلٌّ   كَانَ في عُقْرِ نَفْسِهِ ذا القَــرارُ

فإذا أَثْمَرا وَلِــيداً قَــــوِيَّاً   كَانَ من خَيْرِ ما تَكُــونُ الثِّمارُ

ثم تأتي العقدة وهي ذروة الصراع في كل عمل قصصي ، فـ (لمياء) تلك الفتاة النضرة ، تعيش في صراع محموم ، بين أملها الذي تحطم على عتبة التقاليد والعادات الضارة ، وطمع الأهل الجارف ، وواقعها الذي تعيشه مع رجل جاوز التسعين ، ورغبات عارمة تقض مضجعها ، وصبر مرٍّ لم تعد تقوى

على احتماله ، وسجن لا تستطيع الإفلات منه :

وتَلَظَّتْ «لَمْيَاءُ» بالأمَـــــــلِ المَحْـ　　طومِ واشْتَطَّ في أذَاهـــا الضِّرارُ
وارْتَمَتْ في جَحِـيمِها وتمَــادَى الـشَّـــيخُ في سِجْنِها وسَـــاءَ الإِسَـــارُ
وانْتَهَتْ في دِمَائِها صَرْخَـــةُ الجِنْـ　　سِ إلى الكَــــبْتِ واسْتَبَدَّ الأُوَارُ

فكيف لها أن تتصرف؟ وما الذي تستطيع عمله في ظل ظروفها الصعبة؟ أتظل متحلية بالصبر والاعتصام بالفضيلة على أمل أن تعود الحياة ثانية لتدب في عروق ذلك الكهل المهترىء ، فتنقشع الغمَّة التي لبدت سماءها ، وشوَّهت عليها حياتها ؟!

وما الذي ستقدم عليه إذا ما حشرجت أنفاس ذلك الأمل الخلَّب في روحها ، واشرأبت الرغبات الدفينة واستفحل أوارها في عالمها الغض ، وبدأت تضيق بوحدتها القاسية ، وبذعرها وخوفها من القادم الذي لا تدري كنهه :

فَتَحَلَّتْ بالاعْتِصَـــــــامِ عَفَافاً　　ورَوى الخَطْبَ دَمْعُها المِـــدْرارُ
غَيْرَ أنَّ الحُـــدودَ ضَاقَتْ بهذا الصَّــــبْرِ واسْتَعْـبَدَ الفَتَاةَ انْـــذِعارُ

وهنا يقحم العواد عنصراً جديداً على القصة ، ويتمثل ذلك العنصر في المجتمع ، حيث يقوم بتحميله مسئولية ما يجري بين ظهرانيه وتحت سمعه وبصره ، وبذلك يلقي على عاتق المجتمع العبء الأكبر في انحراف أفراده ، وترديهم في هاوية الشقاء والشرور والرذائل .

فـ(لمياء) ، تلك الفتاة التي يزدحم عالمها بشتى أنواع المشاعر والأحاسيس، قد وجدت من يغرر بها ، ويلح على فضائلها ، من أبناء المجتمع الأشرار ، وفي لحظة من لحظات الضعف البشري – فيمن في مثل حالها – انساقت وراء تلك الإغراءات ، وانزلقت في وحل الخطيئة ، بتأثير من أخذوا مهمة الشيطان على

عاتقهم ، وقضي عليها بعد العفاف والطهارة ، بالإثم والبوار ، وبذلك يصل الصراع إلى ذروته وتأزمه :

وأَلَحَّتْ على فَضَائِلِها الحا جَةُ والطَّائِشُونَ والأَشْرارُ

فَتَرَدَّتْ في بِيئَةِ الإِثْمِ مُقْضِيَّاً عليها وقد طَوَاها العِثارُ

ويصف العواد ما حلَّ بأهلها بعد أن علموا بما اقترفته ابنتهم في حقها وحقهم معها ، قائلاً :

وذَوَتْ أُمُّها من العَارِ والعِلَّةِ يَغْذُوهُما الطَّوى والصَّغَارُ

وانْزَوى قَوْمُها وشَاخَ أبوها وجَفَاها المُحِيطُ والسُّمَّارُ

ويأتي الحل لهذه القصة على يد «لمياء» نفسها ، حيث قررت الفرار والتواري عن الأنظار ، لتطوي عارها ، الذي تذكرها به تلك العيون المشتعلة باللوم والتقريع :

فَرَأَتْ أَنَّ في الفِرَارِ عِلاجاً من تَبارِيحِها فَكَانَ الفِرارُ

وتَوارَى من أُفْقِهِ ذَلِكَ الكَوْ كَبُ ، وانْحَلَّ ذَلِكَ النَّوارُ

ويعرض لنا حالة الندم التي اعترت والديها في وقت لم يعد فيه للندم قيمة ولا مكان ، وإلقائهما بالمسئولية فيما حدث لابنتهم ، على عاتق الزوج الذي أغراهما بما له ، وتناسيا أنهما السبب الحقيقي في حدوث تلك الفضيحة ، التي يتجرعان صابها على مرأى ومسمع من الجميع :

ومَشَى الوالِدَانِ يَسْتَصْرِخَانِ الزَّوْجَ في الخَطْبِ والجِرَاحُ جُبارُ

فَتَولَّى بِعَطْفِهِ وتَمَادَى شُحُّهُ واسْتَخَفَّهُ الإِصْرارُ

واسْتَبَدَّتْ بالوالِدَيْنِ هُمومٌ لَجَّ فيها الهُزالُ والإِعْسَارُ

وأَضَافا إلى رَصِيدِ الرَّزايا ثُكْلَ غَيْداءَ ليس عنها اصْطِبارُ

وانْقَضَتْ عِيشَةٌ لها الفَقْرُ والذِّلَّةُ والخَوْفُ والعَياءُ شِعَارُ

ويختم العواد قصيدته التي عرض لنا فيها مأساة (لمياء) ، بإدانة صريحة للجهل ، والطمع ، والتعصب الأعمى لبعض العادات والتقاليد الضارة التي ما أنزل الله بها من سلطان :

هكذا الجَهْلُ والتَّعَصُّبُ والأَطْـ ـماعُ لِلرَّاتِعينَ فيها الدَّمَارُ

وهكذا استطاع العواد أن يعرض لنا مأساة «لمياء» في أسلوب قصصي مؤثر ، وأن يحمل المتلقي على مشاركته في التأثر بما حدث لتلك الزهرة الندية من جور وظلم ، سواء على يد والديها اللذين جعلا منها سلعة يرجوان من ورائها الثراء ، أو على يد ذلك الزوج المتصابي ، الذي استغل حب والديها للمال ، ورغبتهما في الحصول على أكبر قدر منه ليظفر بها ، ويتركها – بعد ذلك– نهباً لرغباتها وآلامها ومخاوفها ، وفريسة سهلة المنال للأوغاد والأشرار، الذين استغلوا حاجتها وعجزه ، ليهدموها ويميتوها ولما تزل مياه الحياة تجرى في عروقها ووجنتيها .

وقد تحققت لتلك القصيدة بفضل استخدام العواد الموفق لتقنيات القصة وعناصرها ، وحدتها الموضوعية والعضوية في آن ، وهذه من المميزات التي تتوافر للقصيدة الغنائية عندما تسري فيها عناصر القصة أو بعضها كما يرى الدكتور محمد غنيمي هلال ، حيث يقول : « على أن الشعر الغنائي – في العصر الحديث – يسري في كثير من قصائده عنصر قصصي، لأن العنصر القصصي يتوافر فيه الإيحاء ، وتكتسب فيه العواطف الذاتية مظهر الموضوعية ، ثم إن العنصر القصصي لا يتفق بطبعه مع النغمة الخطابية التي قد توجد في الشعر الغنائي غير القصصي فتضعف قوته ، هذا إلى أن الشعر الوجداني متى كان ذا طابع قصصي كانت الوحدة العضوية فيه أظهر ، وبدا متماسكاً لا تستقل أبياته كما كانت مستقلة في كثير من شعرنا القديم ، حين لم يكن ينظر لوحدة العمل الأدبي ضرورة من ضرورات التجربة الأدبية الناجحة كما هو الحال في الشعر الحديث»[1] .

(١) النقد الأدبي الحديث ، ص٤٢٩ .

خامساً : الأسلوب الرمزي :

من الأساليب التي اعتمد عليها بعض شعرائنا في شعرهم الاجتماعي الرمز .

ومعنى الرمز في اللغة : إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، أو كل ما أشرت إليه مما يظهر بلفظ أو بأي شيء آخر أشرت إليه بيد أو بعين[1] . وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في قوله تعالى مخاطباً زكريا : ﴿**قال رب اجعل لي آية ، قال آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزا**﴾[2] .

ويرى الدكتور درويش الجندي أن قدامة بن جعفر هو أول من تكلم عن الرمز بمعناه الاصطلاحي ، وذلك عندما قرن بين الإشارة والإيجاز ، لما في الإشارة من سرعة وقصر وخفاء[3] ، حيث يقول في حده للإشارة : «أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها ، كما قال بعضهم ، وقد وصف البلاغة ، فقال : هي لمحة دالة »[4] .

فالرمز بناء على ذلك « أسلوب من أساليب التعبير لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجهاً لوجه» [5] .

وقد أرجع عدد من الدارسين للشعر السعودي ظهور الرمز فيه إلى أسباب اجتماعية بحته[6] ، ولهذا الرأي وجاهته ، إلاَّ أنه ليس السبب الوحيد الذي أدَّى إلى ظهور الرمز فيه ، خاصة ونحن نعلم أن الشاعر في حالة سعي

---

(١) لسان العرب ، مادة رمز ، جـ (٥) ص ٣٥٦ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية :٤١ .

(٣) الرمزية في الأدب العربي ، د. درويش الجندي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص ٤٤ .

(٤) نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ط(٣) بدون تاريخ ، ص١٥٢ .

(٥) دراسات فنية في الأدب العربي ، د. عبد الكريم اليافي ، ط (١) ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م ، ص٢٧١ .

(٦) انظر : التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، ص٢٣١ / والشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، ص٤٣٢ / وحركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر جـ(٢) ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧ .

دوب إلى تطوير أدواته ، والبحث عن أدوات أخرى تمكنه من التعبير عن أبعاد تجاربه وآفاقها . واتكاؤه على الرمز في أغلب الأحيان ، راجع إلى إيمانه بأن لغة الشعر يجب أن تبتعد قدر الإمكان عن المباشرة والتحديد ، والرمز وحده هو الذي يضفي على لغته فسحة من العمق والشفافية والإيحاء ، ويعين الصورة لئلا تكون تشابهاً بين شيئين . ففي « الوضوح ملل» كما يقول«ملارميه» أحد زعماء الرمزية الغربية ، وفي الإشارة معجزة تعبيرية دونها الألفاظ المفسرة ، والإشارة ظل لا يفسر ولا يجلى، وإنما يكتفي بالإيحاء ، وفي الإيحاء رحابه وانطلاق يد فعان بك إلى الغرض البعيد المقصود إلى معنى المعنى وظله ...[1].

وما دمنا بصدد الحديث عن الأسلوب الرمزي في الشعر الاجتماعي عند شعرائنا ، فينبغي أن نشير إلى أننا لا نقصد بالرمزية هنا تلك الرمزية كما يفهمها الغربيون في الأدب ، والتي ظهرت في فرنسا مذهباً أدبياً في أواخر القرن التاسع عشر ، وكانت في أصلها ثورة على البرناسية المفرطة في الوضوح ، وعلى الطبيعية البالغة في الجمود[2] ، وإنما نقصد بالرمز في أساليب شعرائنا التلميح والإشارة الخفية التي لا تتضح إلاَّ بعد إعمال الفكر ، ذلك لأن الرمز في شعر شعرائنا أسلوب متصل بالمعنى العربي للكلمة لا أكثر.

ويبدو لي من خلال النصوص الشعرية التي عرضنا لها بالدراسة ، أن الرمز اللغوي هو أكثر الأنماط حضوراً في تجارب شعرائنا الاجتماعية ، وأبسطها وأقلها إيغالاً في الرمز ، وبساطة هذا النمط تظهر في اعتماد الشاعر على المفردة اللغوية أو العبارة واستخدامها استخداماً رامزاً لتدل على معنى أبعد من دلالتها الظاهرية عن طريق التشابه بين الدلالتين[3] .

---

(١) الرمزية في الأدب العربي ، د. درويش الجندي ، ص ٤٥٥ « بتصرف ».

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣) الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية ، د. محمد ناصر ، دار الغرب الإسلامي ، ط (١) ١٩٨٥م ، ص ٥٥٠ « بتصرف » .

وتكتسب المفردة اللغوية أو العبارة تلك الصفة أو القيمة من قدرتها على إعادة المتلقي إلى آية قرآنية كريمة ، أو حديث نبوي شريف ، أو بيت شعري قديم ، أو مثل عربي مشهور .

وقد اعتمد شعراؤنا لبعث الذكريات الشعورية في الألفاظ والعبارات على الاقتباس والتضمين .

وحتى يتسنى لنا الوقوف على الرموز اللغوية التي استخدمها الشعراء في شعرهم الاجتماعي ، والمصادر التي استقوها منها ، رأينا تناولها على النحو التالي :

أولاً : الرمز بالإشارة إلى القرآن الكريم :

اشتملت بعض الأبيات الشعرية في قصائد شعرائنا الاجتماعية ، على بعض الألفاظ والعبارات التي من شأنها إعادة المتلقي إلى إحدى الآيات القرآنية الكريمة ومضمونها .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر عثمان بن سيار حاثاً الشباب المتعلمين على النهوض بمجتمعهم ، وإنقاذه من الجهل وحالة الخمول والكسل التي يغص بها معظم أفراده[(١)] :

وَبُثُّوا بِأَرْجَـــــائِهِ صَيْحَةً   تُطِـــــيرُ السُّبَاتَ عن النُّوَّمِ

فلفظة : (صيحة)، التي استخدمها الشاعر بمعنى:(التصويت) ، فيها إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾[(٢)]

(١) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٣٨ .

(٢) سورة يس : الآية : ٥٢ – ٥٣ .

ومن تلك الألفاظ والعبارات المقتبسة من القرآن الكريم ، ما جاء في قول الشاعرين : أحمد العربي ، وأحمد الغزاوي ، في احتفالهما بعدد من الطيارين السعوديين عند عودتهم من بعثتهم ، وقيامهم باستعراض جوي أدخل البهجة والسرور إلى عالمهما ، وجعلهما يستشرفان الغد مزداناً بالتقدم والرقي الذي يطمحان إليه لمجتمعهما .

حيث يقول الشاعر أحمد العربي[١] :

ولقـــد بَدَ أنا الـــيَوْمَ نَشْـ ـعُــرُ بالحَــيَاةِ وبالـنُّشورْ

ويقول الغزاوي[٢] :

حَيٍّ بالإِعْجَابِ أَحْفَادَ الصُّـقورْ واشْدُ بالفَخْرِ وقُلْ حَانَ النُّشورْ

فلفظة : (النشور) تدل لغوياً على الإنبات وبالبسط[٣] . وفي القرآن الكريم على بعث الموتى يوم القيامة ، كما في قوله تعالى : ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾[٤] .

وهي في الشاهدين السابقين ترمز إلى النهضة الاجتماعية التي بدت علاماتها تلوح في الأفق .

ويقترن ذكر (النشور) بمفردتين قرآنيتين لهما دلالة رمزية في استخدام شعرائنا لهما ، وهما :(الصور) التي تدل في القرآن الكريم على القرن الذي

---

(١) جريدة أم القرى ، العدد (٥٩٢) في ١٨/١/١٣٥٥هـ ، ص ٢ . ووحي الصحراء ، ص١٢٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢ .
(٣) لسان العرب ، مادة نشر ، جـ (٥) ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .
(٤) سورة فاطر ، الآية : ٩ .

ينفخ فيه اسرافيل معلناً عن يوم النشور والبعث ، كما في قوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً﴾[1] ، و(البعث) التي تدل على بعث الناس من قبورهم يوم القيامة ، كما في قوله تعالى : ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[2].

حيث يقول الشاعر أحمد الغزاوي رامزاً بالنفخ في الصور لبدايات النهضة وآماراتها الأولى[3] :

نَفَخَ اللَّهُ (صُورَهُ) بَعْـدَ يَأْسٍ ... وبِهِ انْبَثَّ في القُلوبِ الرَّجَاءُ

ويرمز الشاعران : حمد الحجي ، وإبراهيم علاف ، للنهضة والتطور الذي يعيشه المجتمع بالبعث ، حيث يقول الحجي[4] :

في مَوْكِبِ البَعْثِ غَنِّ الشِّعْرَ تَغْرِيدا ... وأَرْسِلِ اللَّحْنَ في دُنْياكَ تَرْدِيدَا

ويقول العلاف(٥) :

قَلِّبِ الطَّرْفَ في الرُّبوعِ تَجِـدْها ... أَمَلاً ما ثِلاً وبَـعْثاً يَمُـورُ

ومن تلك الألفاظ والعبارات القرآنية التي وردت في شعر شعرائنا ومن شأنها إعادة المتلقي إلى إحدى الآيات القرآنية ومضمونها ، ما جاء في قول العلاف محذراً البخلاء من كنزهم لأموالهم وعدم الإنفاق منها على أوجه البر والخير[6] :

سَتُطَوَّقُونَ بما بَخِلْتُمْ فاتَّقُـوا ... نُذُرَ الإِلَهِ وشَذِّبُوا الأَرْقَامَا

(١) سورة الكهف ، الآية :٩٩ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٦ .

(٣) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٩٥٣) في ١٣٦٩/١٢/٨هـ ، ص ٢

(٤) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٠٦ .

(٥) ديوان أشواق وآهات ، ص ١٠٨ .

(٦) ديوان وهج الشباب ، ص ٣٤ .

فعبارة : (ستطوقون بما بخلتم) تستدعي الآية الكريمة ومضمونها :

﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾[1].

ثانياً : الرمز بالإشارة إلى الحديث النبوي الشريف :

ومن الأبيات الشعرية ما اقتبس فيها الشعراء بعض الألفاظ والعبارات من الحديث النبوي الشريف ، بحيث يتبادر إلى ذهن المتلقي ساعة قراءتها، الحديث النبوي الشريف الذي ضمن أو اقتبس الشاعر بعض ألفاظه أو عباراته ، ومعها مضمون الحديث .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر فؤاد شاكر مشيداً بأحد الدور التي أنشئت في البلاد ، لاحتواء الأيتام والعناية والاهتمام بهم[2] :

خَيْرُ بَيْتٍ في النَّاسِ بَيْتُ اليَتِيمِ ذَاكَ من مَنْطِقِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ

فالشطر الأول من هذا البيت فيه إشارة إلى قول الرسول – ﷺ –: (خَيْرُ بَيْتٍ في المُسْلِمينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتيمٌ يُحْسَنُ إلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ في المُسْلِمينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إلَيْهِ)[3] .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر ضياء الدين رجب ناعياً على بعض أبناء مجتمعه تهافتهم على جمع الأموال ، وجعلها الغاية التي من أجلها يعيشون[4]:

كَـــذَلِكَ عُبَّادُ دِيْنَارِهِمْ حَـــقِيرُونَ واللَّهِ أَمْثَالُهُ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

(٢) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٣٦١) في ١٣٥٨/٢/١٥هـ ، ص ٢ . وديوان وحي الفؤاد ، ص ١٨٢ .

(٣) سنن ابن ماجه ، جـ(٤) ص ١٩٣.

(٤) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ١٢٣ .

ففي قوله : (عباد دينارهم) إشارة إلى قول المصطفى - ﷺ - : (تعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ وعَبْدُ الدِّرْهَمِ وعَبْدُ القَطِيْفَةِ وعَبْدُ الخَمِيْصَةِ: إنْ أُعْطِـــيَ رَضِيَ وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَفِ)[١] .

ومن ذلك ما جاء في قول العواد ذاماً النفاق والمنافقين[٢]:

كُلُّهُمْ في الحَيَاةِ أَصْغَرُ جُرْماً   وأَثَاماً والكُلُّ كَـــانَ أَثِيما

من أَخِي خُدْعَةٍ يُنَافِقُ في النَّا   سِ بِوَجْهَيْنِ يَنْشُرُ التَّـأْثِيما

ففي قوله : (ينافق في الناس بوجهين) إشارة إلى قول الرسول- ﷺ :(إنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الذي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وهَؤُلاءِ بِوَجْه)[٣] .

وفي قول الشاعر عبد الله بن خميس من قصيدته : (المارد العملاق)[٤] :

سَتَكُونُ مُعْجِزَةَ (الجَزِيرَةِ) ولْتَكُنْ   ما أَخْبَرَ (المُخْتَارُ) من آياتِها

إشارة إلى قول الرسول - ﷺ - : (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ مُرُوجاً وأَنْهاراً .....)[٥] .

ثالثاً : الرمز بالإشارة إلى الشعر العربي القديم :

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر عبد الله بن خميس واصفاً الحيرة والقلق والخوف الذي كان يعانيه السَّاكنون على ضفاف وادي جازان ، خشية من السيول الجرَّارة التي كثيراً ما تداهمهم دون سابق إنذار أو موعد ، قبل

(١) سنن ابن ماجه ، المجلد (٤) ص ٤٤٠ .
(٢) ديوان العواد ، جـ(١) ، ص ٣٢ .
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ (٢) ، ص ٥١٧ .
(٤) جريدة البلاد ، العدد (٣٦٧٤) في ١٣٩١/١/٢٦هـ ، ص ٥ . وديوان على ربى اليمامة ، ، ط (٢) ، ص ٣٢٤ .
(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ (٢) ص ٣٧٠ ..

إنشاء سد وادي جازان[1] :

نَامَتْ على شَوكِ الهَراسِ عُيونُها   حِقَباً وما نَامَتْ عُيونُ أُساتِها

فمن شأن كلمة :(الهراس)،إعادتنا إلى بيت النابغة الذبياني الذي يصف فيه حيرته وقلقه،وخوفه من النعمان بن المنذر عندما وشى به الوشاة عنده[2]:

فَبِتُّ كَأَنَّ العَائِـدَاتِ فَرَشْنَنِي   هَرَاساً بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي ويُقْشَبُ

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر حسين سرحان مبيناً الجهد الذي يتوجب على أبناء مجتمعه القيام به حتى ينهضوا بمجتمعهم ، والتضحيات التي يجب أن يؤدوها حتى يحافظوا على منجزاتهم ومكتسباتهم فيما بعد[3] :

كَذَلِكَ هذا المَجْـدُ عَزَّ مَنَالُهُ   يُرَاقُ على أَعْلَى جَوَانِبِهِ الـدَّمُ

فالشطر الثاني من هذا البيت،تضمين للشطر الثاني من بيت المتنبي الشهير[4] :

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ من الأَذَى   حتَّى يُراقَ على جَـوَانِبِهِ الدَّمُ

ويشير الشاعر إبراهيم فطاني إلي بيتين شعريين قديمين،في قوله مبيناً ما يتوجب على أبناء المجتمع عمله ، حتى يتحقق لهم ما يصبون إليه من تقدم ورقي[5] :

ولا تَبْخَلوا في سَبِيلِ العُـلا   فَدُونَ المَعَالِي غَلاءُ المُهُـورْ

ورُوضُوا الصِّعابَ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ   فما ذَلَّلَ الصَّعْبَ إِلاَّ الجَسُورْ

(١) جريدة البلاد ، العدد (٣٦٧٤) في ١٣٩١/١/٢٦هـ ، ص ٥ وديوان على ربى اليمامة ، ط(٢) ، ص ٢٢١ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م ، ص ١٧ .
(٣) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٥٥) في ١٣٥٢/١/٦هـ ، ص ٢ .
(٤) ديوان المتنبي ، ص ٥٧١ .
(٥) مجلة المنهل ، عدد شعبان ١٣٦٩هـ ، المجلد (١٠) ص ٣٠٠ .

فمن شأن بعض الألفاظ التي احتوى عليها الشطر الثاني من البيت الأول ، إعادتنا إلى بيت الشاعر أبي فراس الحمداني الذائع الصيت[1] :

تَهُونُ علينا في المَعَالِي نُفُوسُنا ... ومَنْ يَطْلُبِ الحَسْنَاءَ لا يُغْلِهِ المَهْرُ

أما الشطر الثاني من البيت الثاني ، فمن شأنه استدعاء بيت الشاعر سلم الخاسر ، الذي يقول فيه[2] :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمّاً ... وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الجَسُـــورْ

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر عثمان بن سيار مذكراً شباب مجتمعه بحاجة بلادهم لهم ، وشوقها إلى عقولهم النيرة وسواعدهم الفتية[3] :

إِلَيْكُمْ شَبَابَ البِلادِ الغَيور ... تَلَفَّتَ قَلْبُ البِلَادِ الظَّمِي

فـ(تلفت القلب) في بيت شاعرنا،تثير في ذاكرتنا بيت الشريف الرضي المشهور ، الذي يقول فيه[4] :

فَتَلَفَّتَتْ عَيْنِي فَمُـذْ خَفِيتْ ... عَنِّي الطُّلـولُ تَلَفَّتَ القَلْبُ

ويضمن الشاعر أحمد الغزاوي في وصفه للأثر الذي يتركه شاطىء جدة الجميل في نفوس مرتاديه بعد أن امتدت إليه يد النهضة ، صدر أحد الأبيات الشعرية المشهورة ، حيث يقول(٥) :

بِأُمْسِيَةٍ لِلصَّيْفِ فيها حُظوظُـــــهُ ... يَرُوعُ العَذَارَى من حَصَاها نَثِيرُها

فالشطر الثاني من هذا البيت،تضمين لصدر بيت حمدونة بنت زياد ،

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، بدون تاريخ، ص٦٦ .

(٢) الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتب هوامشه ، سمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط (١) ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م ، المجلد (٣) ص ١٩٦ .

(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٣٨ .

(٤) ديوان الشريف الرضي ، دار صادر وداربيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ، المجلد (١) ، ص ١٨١ .

(٥) مجلة الرائد ، العدد (٧٥) في ١٣٨١/٣/٣هـ ، ص ٨ .

الذي تقول فيه[1] :

يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ العَذَارى فَتَلْمَسُ جَانِبَ العِقْدِ النَّظِيمِ

رابعاً : الرمز بالإشارة إلى بعض الأمثال العربية :

ومن ذلك ما جاء في قول الغزاوي مخاطباً شباب المعهد العلمي السعودي وتحضير البعثات في إحدى المناسبات التعليمية[2] :

حَفْلُكُمْ هذا صَبَاحٌ يَحْمَدُ القَوْمُ سُرَاهُ

ففي هذا البيت إشارة إلى المثل العربي المشهور : (عند الصباح يحمد القوم السرى)[3] الذي يضرب للرجل الذي يحتمل المشقة رجاء الراحة .

ويضمن المثل العربي : (ماء ولا كصداء)[4] الذي يضرب للتناهي في العذوبة ، في إشادته بجهود الدولة الموفقة لتسيير مياه عين العزيزية لمدينة جدة ، حيث يقول(٥) :

مَشَى إِلَيْكُمْ بها (عَصْرُ السُّعودِ) مَدًى عَبْرَ الجَمُومِ ولا (مَاءٌ كَصَدَّاءِ)

ويضمن المثل العربي :(كل الصيد في جوف الفرا)[6] الذي يضرب للرجل الذي يفضل أقرانه ، في قوله مفضلاً مدينة (الطائف) بوديانها وجبالها الشاهقة على غيرها من المصايف العربية والغربية ، خاصة بعد أن امتدت

---

(١) نفخ الطيب ، لأحمد محمد المقري التلمساني ، حققه ووضع فهارسه ، يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، ط(١) ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، المجلد (٦) ، ص ٦٨ .

(٢) جريدة أم القرى ، العدد (٨٤٢) في ١٣٦٠/١/١١هـ ، ص ٣ .

(٣)مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط(٢) ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م ، جـ (٢) ، ص٣ .

(٤) المصدر السابق ، جـ(٢) ، ص٢٢٧ .

(٥) مجلة الحج ، ملحق العدد (٧) في ١٣٦٧/١/٨هـ ، ص ٢٦ .

(٦) مجمع الأمثال للميداني ، جـ(٢) ، ص ١٣٦ .

إليها يد النهضة الحديثة ، وسهل على الناس الوصول إليها[1] :

سَتَكُـــونُ أَبْهى زِينَـةً   منها وأَجْمـــلَ مَنْظَرا

وورَاءَ (طَـــائِفِكَ)(الشَّفا)   و(الصَّيْدُ في جَوْفِ الفَرَا)

ويضمن الشاعر عبد الله بن خميس المثل العربي : (بلغ السيل الزُّبى)[2]، الذي يضرب لمن جاوز الحد ، في قوله ناعياً على أبناء مجتمعه وقوفهم حجر عثرة في طريق تعليم فتياتهم[3] :

كَيْفَ صِرْنا بَعْدَ هذا عَالَــــةً   في خُنوعٍ أَبْلَغَ السَّيْلَ الزُّبى

والنمط الثاني من الرموز التي اتكأ عليها بعض الشعراء في شعرهم الاجتماعي ، **استدعاؤهم لعدد من الشخصيات التراثية** الغنية بمواقفها وإيحاءاتها . واستدعاء الشخصيات التراثية واستخدامها في الشعر العربي المعاصر كما يرى الدكتورعلي عشري زايد « يعني توظيفها تعبيرياً لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر ، أي أنها تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد الشاعر يعبر من خلالها أو بها عن رؤياه المعاصرة»[4] .

ومن تلك الشخصيات التي وقفنا على استدعاء الشعراء لها ، والإشارة إلى بعض مواقفها ، شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ،كما في قول الشاعر حسين سرحان[5] :

حَالَـــــةٌ أَيْنَ أبو حَفْـــصٍ لها   وهو مُنْكَبٌّ على النَّـــارِ بِفيهِ

---

(١) جريدة الندوة ، العدد (١٩٢) في ١٣٧٩/٣/١٤هـ ، ص ١ .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ، جـ (١) ، ص ٩١.

(٣) جـريدة البـلاد السـعودية ، العدد (١٤٥٥) في ١٣٧٣/٥/٢١هـ ، ص ٤ . وديوان على ربى اليـمامـة ، ط (٢) ، ص٦٨ .

(٤) استخدام الشخصية التراثية ، د. علي عشري زايد ، رسالة دكتوراة ، ١٩٧٤م ، دار العلوم ، ص ٨ .

(٥) جريدة عكاظ ، العدد (٦٥٦) في ١٣٨٦/٩/٩هـ ، ص ٨ . وديوان الصوت والصدى ، ص٥٩ .

وذمـــــوعُ العَيْنِ بَلَّتْ لِحْـــــيةً   كَانَتِ العَوْنَ على الخَطْبِ الكَرِيهِ

رَحِمَ اللَّهُ زَمَـــــاناً مُمْـــــرِعاً   كَانَ فيه العَيْنَ والسَّمْعَ السَّمِيعَا

فالسرحان في هذه الأبيات يستدعي شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وما كان منه مع تلك المرأة ، التي أبصر نارها فهرع إليها ظناً منه بأن وراء تلك النار المشتعلة عابري طريق قصر بهم الليل ، ونال منهم البرد ، ليفاجأ بها وصبية يتضورون من شدة الجوع ، وقدر فارغ إلاَّ مــن الماء ، تحاول بواسطته إسكات أولادها . وذهاب عمر -رضي الله عنه- إلى دار الدقيق ، وحمله عدلاً على ظهره ، وعودته إلى تلك المرأة وأبنائها ، وشروعه -رضي الله عنه- في طهي الطعام ، ونفخه تحت القدر حتى نضج ما فيه ، وبقاؤه حتى أكل الصبية ، ليطمئن عليهم ، ويرى مظاهر الفرحة وقد علت وجوههم(١) .

وواضح أن السرحان عن طريق استدعائه لذلك الموقف الفاروقي ، يدين مجتمعه ، لتخليه عن مد يد العون والمساعدة لذلك الأب الذي عضَّه الفقر بنابه ، واسودَّت في عينيه الدنيا ، بعد أن أوصدت في وجهه كل الأبواب التي طرقها ، أملاً في الحنو والعطف على أسرته التي يفترسها الجوع ، ووقوفه عاجزاً عن انتشالهم من حالة البؤس والشقاء التي يعانونها ، نظراً لبوار حرفته وانصراف الناس عن شراء ما يصنعه ؛ نتيجة للتطور الحضاري الذي يعيشه المجتمع في كل الميادين والمجالات ، وعدم وجود عمل يستطيع بعائده تلبية حاجات أسرته .

ويستدعي الشاعر ضياء الدين رجب شخصيتي :(خديجة بنت خويلد) ،

---

(١) تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ١٩٦٣م ص٢٠٥-٢٠٦ « بتصرف» .

و(خولة بنت الأزور) -رضي الله عنهما - ومواقفهما البطولية الخالدة في نصرة الإسلام ، بوصفهما أنموذجان ينبغي على فتيات بلاده الاقتداء بهما ، ومحاولة السير على منوالهما ، بدلاً من الانجراف في مهاوي المدنية السحيقة وأدوائها ، وتقليد فتيات الغرب(١) :

عِنْدَنا من خَـــدِيجَةَ المَثَلُ الأعْـ	ـلَى ومَجْلَى المَفَاخِـــرِ الأبَدِيَّهْ
آزَرَتْ بالحَنَانِ والـــحُبِّ والخَيْـ	ـرِ فِداءً من أَنْقَـــذَ البَشَــرِيَّهْ
مَلأَتْها ثَقَـــافَةُ البِرِّ والــخَيْـ	ـرِ بِأَسْمَى ثَقَـــافَةٍ عَبْقَــرِيَّهْ
وقَفَا أَثْرَها صَواحِبُ كَـــالأَقْـ	ـمارِ ضَحَّينَ لِلْمَعَـــانِي الثَّرِيَّهْ
فَأَضَـأْنَ السَّماءَ والأَرْضَ إيْــما	ناً وحَلَّقْنَ في الجَـــواءِ القَصِيَّهْ
هل تَنَاسَيْتِ خَوْلَةً وعَـــــلاها	في مَجَالِ الوَغَى ومَجْلَى الحَمِيَّهْ

وآخر الأنماط حضوراً في الشعر الاجتماعي الذي وقفنا عليه **الرمز الكلي** . وفي هذا النوع « يتم انتزاع المعنى من خلال مجموعة الصور التي يقدمها الشاعر بحيث توجه انتباهنا إلى مستوى آخر من المعنى يختلف عن المعنى المباشر»(٢) .

ومن ذلك قصيدة الشاعر حسين سرحان : (الـدودة الأخـــيرة) ، التي يقول فيها(٣) :

ازدَحَمَ الـــــــدُّودُ على جُثَّةٍ	أَضْفَى عليها نَسْجُ أَضْـرَاسِها
حُلَّةَ نُعْمَى أَذْهَبَتْ طِيْبَـــــــها	واسْتَنْفَذَتْ آخِــــــرَ أَنْفَاسِها

(١) مجلة قافلة الزيت ، العدد (١١) ذو القعدة ١٣٨٧هـ ، المجلد (١٥) ، ص ٢٨ . وديوان ضياء الدين رجـــب ، ص٣٣٣ .

(٢) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، د. صالح أبو إصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط (١) ١٩٧٩م ، ص ١٦٠ .

(٣) جريدة حراء ، العدد (٦٥) في ١٣٧٧/٦/٢٨هـ ، ص ٢ . وديوان أجنحة بلا ريش ، ص ٢٠ - ٢٤ .

هذى المَلايِيْنُ بِــــلا حَـاسِبٍ   من ذلك الـــدُّودِ الكَثِيرِ الكَثِيرْ
اِمْتَارَهَا مَائِـــــــــدَةٌ دَسْمَةٌ   وَباتَ يَرْعى في حِمَاها النَّضِيرْ

....

ثُمَّ خَـلا الــــدُّودُ إلى بَعْضِهِ   من بَعْدِ أَكْلِ الـجُثَّةِ العَـافِيَهْ
وابْتَدَأَتْ مَعْرَكَـــــةٌ فَـــذَّةٌ   تَسْحَقُ أَوْهامَ المُنَى الغَـافِيَهْ

....

واخْتُتِمَ المَــرْأَى على دُودَتَـينْ   من بَعْـــدِ فَتْكٍ وافْتِراسٍ وأَينْ

....

واحْتَدَمَ الجُـوعُ فلم تَصْطَبِرْ   إحْــــدَاهُمَا وانْبَرَتِ الثَّانِيَهْ
كِلْتَا هُمَا تَبْغي البَقَاءَ الـــذي   أَعْيَا جَمِيعَ الأُمَمِ المَــاضِيَهْ

....

حتَّى وَهَتْ إحْـدَاهُما وارْتَخَتْ   فَابْتَلَعَتْهَا الدُّودَةُ الظَّــــافِرَهْ
كم دُودةً في بَطْنِها يا تُــرى   من بَعْدِ أَنْ كَانَتْ هي الآخِرَهْ ؟!
وغَبَرَتْ سَاعَـــاتُ بَرْحٍ أَلِيمْ   ونَالَها في الجُـوعِ أَمْرٌ عَظِيمْ
حَالَةُ نَحْسٍ بَعْدَ سَعْدٍ وهــــل   من حَــالَةٍ عِنْدَ اللَّيالِي تَدُومْ ؟!
وَجَهِـــدَتْ تُبْقِي على نَفْسِها   ما ادَّخَـرَتْهُ من ذِماءِ الحَيَاةْ
تَنْهَشُ من أَحْشَـائِها مـا تَقِي   بِهِ كَرِيْمَ الرُّوْحِ كَــرْبَ الوَفَـاةْ
خُطْبَتُهَا تَمَّتْ ولا ضَــــيْرَ أَنْ   يُمْنَى خَطِيبٌ مِصْقَعٌ بالسُّكُوتْ
بَالِـــــعَةُ الجُثَّةِ مَعْ دُودِها   آنَ لها مُرْغَمَـــــةً أَنْ تَمُـوتْ

والسرحان يرمز بهذه القصيدة ذات النزعة القصصية إلى تكالب وتطاحن بعض أفراد مجتمعه على حطام الدنيا الزائل ، وكأنَّهم مخلدون فيها ، ناسين أو متناسين أن الحياة التي يعيشونها ما هي إلاَّ مسافة غايتها القطع ، سواء طال بهم الأمد أو قصر .

وقد أوحى السرحان بكل ذلك إيحاء ، عن طريق تجسيده لذلك الصراع المحموم الذي احتدم بين ملايين الدود ، بعد التهامها جثة أحد الموتى ، ليأكل القوي منها الضعيف ، أملاً في الخلود ، وهروباً من الموت والفناء . وخلو الساحة – بعد ذلك الصراع الذي حشدت فيه كل دودة جميع قواها – إلا من دودتين كانتا أقواهما على الإطلاق . وما هي إلاَّ لحظات وإذا برحى المعركة تدور من جديد بينهما ، ليسفر غبارها المتطاير عن بقاء إحداهما . وعندما لم تجد الدودة المنتصرة ما تسكت به أصوات الجوع التي ما لبثت أن تعالت في أعماقها ، طفقت تنهش أحشاءها ، لتموت هي أخيراً كما ماتت ملايين الدود قبلها .

والمتأمل في تلك القصيدة يقف على تضافر الصور والرموز الجزئية التي احتشدت بها ، على الإيحاء بالفكرة والمعنى الذي قصده الشاعر ، والذي حاول عن طريقه تبصير المتكالبين من أبناء مجتمعه على حطام الدنيا الزائل وغيرهم بالمصير الذي سيئولون إليه ، حتى يرعووا ويعودوا إلى جادة الصواب قبل فوات الأوان .

ويعتمد الشاعر عبد الكريم الجهيمان في تصديه لتكالب بعض أبناء مجتمعه على الدنيا الفانية ، وسعيهم المسعور وراء مغرياتها ومباهجها ، وتوجيههم وإرشادهم ، على الرمز الكلي ، وذلك في قصيدته : (الفتاة اللعوب) ،

التي يقول فيها [1] :

ماسَتْ بِقدٍّ كُـــــلُّهُ فِتنَةٌ ... وأَقْبلَتْ في حُسْنِها الفَـــائِقِ
قد سَتَرَتْ من جِسْمِها نِصْفَهُ ... ونِصْفُهُ تُبْدِيهِ لِلْـــــوامِقِ
وازَّينَتْ بالحُلْي في جِيــدِها ... واطَّيَّبَتْ بالعَنْبَرِ العَـــابِقِ
ولَبِسَتْ ما كَـانَ عن جِسْمِها ... يَشِفُّ عن سَاقَيْهِ والعَـــاتِقِ
فاسْتَلْفَتَتْ أَنْظارَ مَنْ حَـوْلَها ... بالسِّحْرِ في مَنْظَرِها الـــرَّائِقِ
وأَجْفَلَتْ هَـــــارِبةً عَنْهُمُــو ... فَأَمْعَنُـوا في أَثَـــرِ الآبِــقِ
ثُمَّ انْثَنَتْ تُسْقِيهِمُــــو دَرَّهــا ... من ثَغْرِها المُعْذَوْذِبِ الـــدَّافِقِ
فاسْتَعْبَدَتْهُمْ بأَفاوِيقِـــــها ... عن طَاعَةِ المَخْلُـــوقِ لِلْخَـالِقِ

فنحن هنا أمام غانية لعوب ، تفتن للإيقاع بمن هم حولها ، مجندة لذلك سحرها الرائق ، والناس واقعون في حبها حتى الثمالة ، بحيث أصبح كل همهم ملاحقتها ، إن هي أدبرت عنهم أو أقبلت .

وما تلك الفتاة التي قدمها لنا الجهيمان إلاَّ الدنيا ، واغترار الإنسان بها، وسـعيه الـــدءوب وراء مغرياتها [2] . وهذا ما صرَّح به الشاعر في نهاية قصيدته [3] :

تِلْكَ هي الدُّنْيا وهُمْ أَهْلُــها ... يَرْتَادُها الأَتْقَى مع الفَـاسِقِ
إِنْ أَقْبَلَتْ كَـــانَتْ لَهُمْ فِتْنَةً ... أَوْ أَدْبَرتْ أَنْحَوْا على الرَّازِقِ
ولا أرى يَنْحَازُ عن شَــرِّها ... إلاَّ جَنابُ القَانِعِ الحَـــاذِقِ

(١) شعراء نجد المعاصرون ، ص ١٧٣ .

(٢) الرمز في الشعر السعودي ، د. مسعد بن عيد العطوي ، مكتبة التوبة ، ط (١) ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ص١٩٠ «بتصرف » .

(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص ١٧٣ .

ويعتمد السنوسي على الرمز الكلي في قصيدتيه : (الحصان المقيد)[1]، و(اليتيم السعيد)[2] ، منتقداً في الأولى داء المحاباة وما يترتب عليه من حرمان لبعض شباب المجتمع المؤهلين مما يستحقونه ، ومنح ذلك الحق لمن ليس أهلاً له من المتملقين والمداهنين . في حين يرمز في الثانية إلى الجهود التي يبذلها المجتمع والقائمون عليه ، خدمة للأيتام ، والتي لم تقتصر على مدِّهم بما يحتاجون إليه من مال أو ملابس أو طعام ، وإنما تجاوزت كل ذلك إلى احتوائهم لهم ، وعنايتهم بهم عناية فائقة ، جعلتهم لا يحسون بيتمهم ، ولا بحرمانهم من حنان أمهاتهم ، وعطف وشفقة آبائهم .

يقول السنوسي مجسداً فرحة ذلك الطفل ، وموحياً بسرها :

رَاحَ يَزْهُو عليه ثَـوْبٌ جَـدِيدُ ... وعلى ثَغْـرِهِ ابْتِسامٌ سَعِيدُ

بُرْعُمٌ من بَراعِمِ الجِيْلِ مَـازَا ... لَ طَرِيّاً غُصَينُهُ الأُملُـودُ

أَيْقَظَتْهُ أَشِعَّةُ (العِـيْدِ) يَنْسَا ... بُ على الكَوْنِ فَجْرُها المَـوْلُودُ

فَصَحَا تُشْرِقُ البَـرَاءَةُ في عَيْـ ... ـنَيْهِ والطُّهْرُ والرِّضَا والسُّعودُ

هَبَّ من نَوْمِـهِ يُغَنِّي كـما غَـنَّى على الأَيْكِ بُلْبُلٌ غِـرِّيدُ

وارْتَدَى ثَوْبَهُ القَشِيبَ وهَـزَّتْ ... قَلْبَهُ الطَّـاهِرَ النَّقِيَّ الـبُرودُ

فَمَضَى يَمْلأُ الشَّوارِعَ رَقْصـاً ... وغِنَاءً يَفِيضُ منه الوُجـودُ

مَرِحاً في طُفُـولَةٍ يُسْتَحَـبُّ الـرَّقْصُ منـها ويُسْتَـلَذُّ النَّشِـيدُ

---

(١) جريدة الرياض ، العدد (١٣٧) في ١١/٦/١٣٨٥هـ ، ص٦ . والأعمال الكاملة ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٠٦ – ٤٠٩ .

مَرَّ من جَانِبِي يُزَقْزِقُ (كالعُصْـ   ـفورِ) في كُلِّ خَطْـــوةٍ تَغْــرِيدُ

فَهَفَتْ مُهْجَتِي إِلَيْهِ حَـــنَاناً   أَبَــوِيّاً يَضُمُّهُ ويَـــــزِيدُ

فَتَأَمَّلْـــــتُهُ مَلِيّاً وفي قَــلْـ   ـبي سُؤَالٌ بِهِ لِسَانِي يَمِــــيدُ

وسَأَلْتُ الوَلِيدَ في نَشْوةِ العِيـ   ـدِ وقَدْ سُرَّ بالسُّؤالِ الــوَلِيدُ

ابْنُ مَنْ أَنْتَ يابُنَيَّ؟! وأَصْــغَيْـ   ـتُ إِلَيْهِ وبِي اشْتِياقٌ شَــــدِيدُ

فَـــــرَنا باسِمــاً إِليَّ بِعَينٍ   شَاعَ في لَحْظِها الجَوابُ السَّدِيدُ

أنا يا سَيــِّــــدِي (يَتِيــمٌ) ولَكِــنِّي (سَعِيدٌ) لا بَــائِسٌ أَوْ شَـــرِيدُ

سَكَنِي وارِفٌ ومَائِيَ مَسْكُـــو   بٌ وزَادِي مُرَفَّهٌ مَنْضُــــــودُ

وفُــؤَادِي تَــرُبُّهُ من يَدِ العِلْـ   ـمِ يَدٌ بَــــرَّةٌ وقَــــلْبٌ وَدُودُ

فَانْتَشَى قَلْبِيَ المُغَـــرِّدُ وانْثَا   لَتْ قَوافِيهِ واسْتَفَاضَ القَصِـــيدُ

الفصل الثاني

* * * * * * *

التشكيل الموسيقي للشعر الاجتماعي

التشكيل الموسيقي للشعر الاجتماعي

تعد الموسيقى من أهم العناصر في العمل الشعري ، ذلك لأنها « هي التي تخلق الجو ، وهي التي توحي بالظلال الفكرية والعاطفية لكل معنى . وقد تكون تلك الظلال أكثر فاعلية في النفس من المعنى المجرد ، بحيث يعتبر ضعف الموسيقى في الشعر إنقاصاً شديداً من قدرته على التعبير والإيحاء»[١] .

والعلاقة بين الموسيقى والشعر « علاقة عضوية ، فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغماً آسراً مؤثراً ، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ، ينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي ، إلى سماع الشعر ، فالشعر نغم وإنشاد »[٢] .

وتلك العلاقة الحميمة بينهما « قديمة قدم الفنين ، مستمرة لا تنقطع ، ذلك أن بين الفنين من الوشائج والروابط ما يمنع أحدهما من أن يستغني عن الآخر، فإذا كانت الموسيقى تحيل اللفظ نغماً يغذي الحس والروح ، فالشعر خفقة مطربة تعتمد الصوت واللحن في تغذية المشاعر والنفس »[٣] .

أضف إلى ذلك أن الشعر والموسيقى « يصدران عن نبع واحد ، هو الشعور بالوزن والإيقاع ...»[٤] .

وكلاهما فن سمعي ، ومادتهما واحدة ، فهما « يعتمدان على الأداء الصوتي وإن اختلفت لغتاهما واختلفت قدرتهما على هذا الأداء . فجوهرهما واحد ولذلك كانا يتحدان أو يكمل أحدهما الآخر ، فالشاعر ينظم قصيدة

---

(١) الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الثالثة د.محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، بدون تاريخ، ص١٠٣ .

(٢) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د. صابر عبد الدايم ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط(٢) ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ص١٦ .

(٣) عضوية الموسيقى في النص الشعري ، د.عبدالفتاح صالح نافع ، مكتبة المنارة ، ط(١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص٥ .

(٤) موسيقى الشعر العربي ، د. شكري محمد عياد ، دار المعرفة ، القاهرة ، ط(٢) ١٩٧٨م ، ص ٥٧ .

والموسيقار يلحنها ، وقد يسبق الموسيقار فيضع لحناً ، ويطلب إلى الشاعر أن يضع قصيدة تلائمه . فالفنان يلتقيان ، وقد يتحدان » [١] .

وقد فطن نقادنا القدماء لتلك الصلة الوثيقة بين الموسيقى والشعر ، فجعلوها الفارق الأساس والميزة الأولى بين الشعر والنثر . وأكثر ما يتضح ذلك في حدهم للشعر « بأنه قول موزون مقفى يدل على معنى »[٢] .

وذلك التعريف للشعر لا يعني أنهم كانوا يجهلون بقية العناصر التي يقوم بها وعليها ذلك الفن الجميل ، من خيال وتصوير ، إلاَّ أنهم لم يضمنوها في تعريفهم للشعر العربي[٣] ، « اكتفاء بتلك الصفة التي تسترعي الانتباه أولاً . والتي تطرب الأسماع ، وهي موسيقى الشعر وتوافق المقاطع في نسجه »(٤) .

وقد ترتب على معرفتهم بقيمة الموسيقى وأهميتها في العمل الشعري ، أن جعلوا لها رسوماً ، بحيث لا يستطيع أي شاعر الخروج عليها، احتراماً للذوق الموسيقي العربي .

وتلك الرسوم تمثلت في : «الوزن الشعري» ، و«القافية» ، وما يتبعهما من التزامات يتحتم على الشعراء التقيد بها [٥] .

وقد طرأ على هذين الركنين :« الوزن والقافية» في رحلتهما التي قطعاها وصولاً إلينا قدر من التطور ، اختلف من عصر إلى عصر ، ومن فترة تاريخية إلى أخرى .

---

(١) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط (٥) بدون تاريخ ، ص ٩٦ – ٩٧ .

(٢) نقد الشعر ، ص ١٧.

(٣) يمكن أن نستثني من هذا الحكم ، تعريفات وأوصاف أمثال :الجاحظ ، وابن رشيق ، وابن خلدون ، وغيرهم ممن أشاروا إلى النواحي والخصائص الأخرى التي يقوم عليها فن الشعر .

(٤) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ط (٥) ١٩٨١م ، ص٢١ .

(٥) انظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، ص ١٧٦ – ١٧٩ .

وأول ما بدأ ذلك التطور لكليهما في العصر العباسي ، نظراً لتعدد الثقافات الوافدة ، وشيوع وانتشار الغناء ومجالس اللهو والطرب[١] .

فعلى صعيد الأوزان ، أدّى ازدهار فن الغناء إلى تطوير الصورة الموسيقية الشعرية لمتطلبات التلحين الغنائي ، حيث اعتمد الشعراء على النظم في الأوزان الملائمة للغناء ، كالمتقارب ، والهزج ، والخفيف ، والرمل...إلخ ، وفيما استحدث من بحور جديدة سميت ببحور المولدين وأوزانهم . وتلك البحور هي : المستطيل ، والممتد ، والمتوافر ، والمتئد ، والمنسرد ، والمطرد[٢] .

وقد جاءت تلك البحور المستحدثة على دوائر البحور القديمة[٣] ، وهناك أوزان أخرى جاءت مخالفة للأوزان القديمة المألوفة ، كالسلسلة ، والمواليا ، والدوبيت ، والقوما ، وكان كان[٤].

أما القوافي فقد ظهرت المزدوجات ، والمربعات ، والمخمسات ، والمسمطات ، وذلك لعدم مسايرة القافية الموحدة والمقيدة لفن الغناء(٥).

وفي أواخر القرن الثالث الهجري ظهرت الموشحات الأندلسية ، وإن كانت لم ترج لدى كبار الشعراء كما يذكر الدكتور محمد غنيمي هلال ، إلاّ فيما بين أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الثامن الهجري[٦].

وهي في مجملها « ثورة على نظام القصيدة في الأوزان والقوافي. فعلى

---

(١) انظر : العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٦) ، ص ١٩٤ - ١٩٦/ والثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب ، د. صالح آدم بيلو ، مكة المكرمة ، ط(١) ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ، ص١٦٤ .

(٢) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٣) المستطيل : مقلوب بحر الطويل ، والممتد : مقلوب المديد ، المتوافر : محروف الرمل ، والمتئد : مقلوب المجتث، والمنسرد : مقلوب المضارع ، المطرد : يشبه مقلوب المضارع . انظر ذلك في : الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(٥) العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، ص ١٩٦ - ٢٠٠ .

(٦) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص٤٤٤ .

الرغم من أنها نظمت أولاً في البحور القديمة ، ما لبثت أن تحررت منها في بحور كثيرة تألفها الأذواق ولكن لا عهد للعربية بها .... »[١] .

وفي العصر الحديث تعرضت موسيقى القصيدة العربية بشكلها الموروث ، إلى ثورات عنيفة ، بحجة أنها لم تعد قادرة على «مصاحبة الانفعالات الشعرية المعقدة المتشابكة نتيجة لما جدَّ على الشعر من مفاهيم غيرت وظـــيفته ومفهومه »[٢] .

فعلى يد جماعة الديوان حدث تطور للصورة الموسيقية في القصيدة العربية ، وقد تمثل ذلك التطور في : التحرر أحياناً من القافية ، واستخدام القافية المزدوجة ، ونظام المقطوعات ، كما حاولوا الكتابة في سطور شعرية بدلاً من البيت الشعري بمصراعيه[٣] .

وأكثر ما ظهر ذلك التطور والتحرر من تقاليد الوزن والقافية في شعر المهجريين . وأهم معالم التطور والتحرر الموسيقي في شعرهم تكمن في : التلاعب بالتفاعيل ، واتخاذهم التفعيلة أساساً للقصيدة على نحو ما نجده في الشعر الحر ، ومسايرتهم لنظام الأوزان في الشعر الغربي ، وفي جمعهم لأكثر من بحر في القصيدة الواحدة . ولم تكن القافية بمنأى عن محاولاتهم التجديدية تلك[٤] .

وعلى هذا النحو من التحرر من قيود الوزن والقافية وجدنا تجديدات

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٤ –٤٤٥ .

(٢) لغة الشعر العربي الحديث ، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية د. السعيد الورقي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

(٣) انظر : تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث ، د. حسن الكبير ، ص ٢٢٦ – ٢٣٧ .

(٤) انظر : المصدر السابق ، ص ٤٣٦ – ٤٥٦./وشعراء الرابطة القلمية ، د. نادرة جميل السرَّاج ، دار المعارف ، ط(٣) بدون تاريخ ، ص٢٢٩ – ٢٤٣ / والشعر العربي الحديث تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي ، تأليف س ، مورية ، ترجمه وعلق عليه ، د. شفيع السيد ، و د.سعد مصلوح ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، ص١٢٢–١٨٢ .

مدرسة أبو للو الشعرية ، فهي لم تضف جديداً ، وإنما استفادت من التغييرات التي أحدثها شعراء المهجر في الشكل الموسيقي للقصيدة العربية[1] .

وفي منتصف القرن الرابع عشر الهجري ظهرت حركة الشعر الحر ، وقد رفع لواء هذه الحركة شاعران عراقيان ، هما : نازك الملائكة ، وبدر شاكر السياب[2] .

وقد خرجت هذه الحركة خروجاً كاملاً عن البيت الشعري بمعناه الموروث، واتخذت التفعيلة أساساً لها ، من دون التزام بأي عدد محدد لها في أي سطر من السطور الشعرية . أما وحدة «الضرب» فإن الشعر الحر لم يلتزم بها أيضاً التزاماً حاسماً ، وإن كنا لا نعدم وجود بعض القصائد الحرة الملتزمة بوحدة الضرب[3] .

وقد أرجعت نازك الملائكة دواعي وأسباب ظهور حركة الشعر الحر القائم على التفعيلة ، إلى النزوع إلى الواقع ، والحنين إلى الاستقلال الشخصي ، والنفور من النموذج ، والهروب من التناظر ، وإيثار المضمون[4] .

واقتفى خطاها النقاد والدارسون ، محاولين تلمس الدوافع والمبررات التي ساعدت على ظهور حركة الشعر الحر . فالدكتور محمد مصطفى هدارة يعلل ظهور تلك الحركة بقوله : « إن حركة الشعر الحر لها دوافع نفسية أكثر من أي شئ آخر ، فبلادنا التي رزحت تحت نير الاستعمار أمداً طويلاً ، وشعرت

---

(١) انظر : تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث ، ص ٥٥٨ –٥٧٦/ وموسيقى الشعر عند شعراء أبوللو ، د. سيد البحراوي ، دار المعارف ، ط (٢) ١٩٩١م /وجماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث ، د. عبد العزيز الدسوقي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩١هـ –١٩٧١ م، ص ٥١٣ – ٥٢٣ .

(٢) في الحقيقة سبق نازك الملائكة وبدر شاكر السياب عدد من الشعراء في نظم الشعر الحر ، ومنهم : علي أحمد باكثير ، وعرار ، ولويس عوض ، و بديع حقي ، ومحمد فريد أبو حد يد ، ومحمود حسن إسماعيل . إلاّ أن هؤلاء الشعراء لم يعلنوا عن مذهبهم هذا ، ولم يجد – حينذاك – صدى في الأوساط النقدية والأدبية .
انظر ذلك في : قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ص ١٤ – ١٧ .

(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ١٩٢ « بتصرف »

(٤) قضايا الشعر المعاصر ، ص٥٦ – ٦٥ .

بالضيق والاستبداد ، وتاقت نفسها إلى الحرية ، كان لا بد لها أن تحدث في حياتها نوعاً من التجديدتشعر معه بامتلاكها حريتها وثورتها على واقعها وكان الشعـــــر مجالاً لإظهار هذه الثورة »[١] . وإلى جانب ذلك الدافع هناك دوافع أخرى أهمها ، النزعة إلى تأكيد استقلال الفرد ، وقد فرض ذلك«على الشعراء الشباب البعد عن النماذج التقليدية في الشعر العربي وإبراز ذاتيتهم بصورة قوية مؤكدة »[٢] .

وقد ذهب بعض المتحمسين لحركة الشعر الحر إلى القول بعدم إمكانية التجديد في الشعر ونواحي القصيدة الأخرى ، ما لم يكن التجديد شاملاً الشكل الموسيقي العام للقصيدة ، فهم لا يتصورون أن يتوفر العمل الشعري على صورة جديدة ، أو لغة متطورة ، أو خيال مدهش ، دون أن يكون ذلك في إطار موسيقي جديد[٣] .

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد النويهي : « إن المضمون الجديد لا يمكن وضعه بتمام جدته في الشكل القديم مهما يكن الشاعر قديراً . فإن قدم الشكل لا بد أن يحده بحدود وأن يفسد عليه الكثير من جدته »[٤] .

وهذا التجني من بعض النقاد المحدثين على الشكل القديم ، يرده الاستقراء الواعي لما خلَّفه فحول الشعر العربي قديماً وحديثاً . حيث لم تقف في وجه إبداعاتهم تلك القيود الفنية التي يراها المعاصرون ، ويحصرونها في الوزن والقافية[٥].

---

(١) مقالات في النقد الأدبي ، د. محمد مصطفى هدارة ، دار القلم ، ١٩٦٤م ، ص ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٣) الشعرفي إطار العصر الثوري ، د. عز الدين اسماعيل ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٨م ، ص ٢٨ . نقلاً عن الشعر الجزائري ، اتجاهاته وخصائصه الفنية ، د. محمد ناصر ، ص ١٩٠ .

(٤) قضية الشعر الجديد ، د. محمد النويهي ، ص ٩٣ .

(٥) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص٤٤٦ « بتصرف » .

ونحن لا نرفض التطور والتجديد في الشكل الموسيقي للقصيدة العربية، ولكننا لا نرضى أبداً « أن يتخلى الشعر عن جوهر إيقاعه العربي وينفصل عن لغته الشاعرية ليستعير من اللغات الأخرى النبر أو موسيقا المقـاطع ، وغير ذلك ، فهذا – إذا حدث –يؤدي بالشعر العربي إلى التغريب ثم إلى الضياع ، وإذا كان للأمم جواهر وسمات مختلفة تميزها من غيرها من الأمم فإن للغات الشعرية جواهر وخصوصيات وسمات مختلفة ، ولذلك سيظل الشعر العربي في تطوره ومستقبله متعلقاً بجذوره مختلفاً في إيقاعاته عن الشعر الفرنسي أو الانكليزي والألماني أو غير ذلك ، هو يستفيد من تجارب الأمم في تطور العلاقة بين الإيقاع والصور والمعاني والتوتر بشرط أن يتجدد هذا الإيقاع من داخله لا أن يكون مستورداً ملصوقاً على بنية القصيدة »[1] .

ولم يكن الشعر في المملكة العربية السعودية بمعزل عن تلك الحركات التجديدية في الإطار الموسيقي للقصيدة العربية ، فقد بدا أثرها فيه واضحاً ، والدراسات التي وجهت لدراسة الشعر فيها تشهد بذلك[2] .

وبعد هذه اللمحة الموجزة لتطور الشكل الموسيقي في الشعر العربي التي قطعها إلى وقتنا هذا ، نعود إلى دراستها في شعر شعرائنا الاجتماعي . وحتى يتم لنا ذلك رأينا تناولها في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأوزان

المبحث الثاني : القوافي

المبحث الثالث : الموسيقى الداخلية .

---

(١) الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر ، د. خليل الموسى ، دمشق – مطبعة الجمهورية ، ط (١) ١٩٩١م ص٩٤.

(٢) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص ٤٤٢ –٤٥٠ / والشعر الحديث في الحجاز ، عبد الرحيم أبو بكر ، دار المريخ للنشر ، بدون تاريخ ، ص ٣١٤ – ٣٤٣ / والأدب الحجازي بين التقليد والتجديد ، جـ(٣) ص ١٠٣٣ – ١٠٤٤/ وفي الأدب السعودي « رؤية داخلية » د. يوسف حسن نوفل ، ط (١) ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م ، ص ١٥٩ – ١٩٨/ والشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، ص ٤٠١ – ٤٢٦ / وحركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، جـ (٢) ، ص ٧١٧ – ٧٣٠ .

المبحث الأول
الأوزان

الوزن هو « مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت »[1] وهو عنصر رئيس من عناصر الشعر ، أشاد به القدماء ، وبينوا أهميته وأثره في الشعر ، ومن أولئك ابن رشيق القيرواني ، فقد عدّه « أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية »[2] .

وجعله ابن سنان الخفاجي الفارق بين الشعر والنثر بالإضافة إلى أهميته في كل عمل شعري ، يظهر ذلك في قوله : « فالفرق بين الشعر والنثر بالوزن على كل حال ، وبالتقفية إن لم يكن المنثور مسجوعاً على طريق القوافي الشعرية »[3] .

واتفق معهم بعض نقادنا المعاصرين في كون الوزن أخص خصائص الشعر ، وألزم لزومياته ، وأكثر ما يتجلى ذلك في قول العقاد : « نظم الشعر فن مستقل بذاته بين الفنون التي عرفت في العصر الحديث باسم الفنون الجميلة ، وتلك مزية نادرة جداً بين أشعار الأمم الشرقية والغربية ، خلافاً لما يبدر للخاطر لأول وهلة فإن كثيراً من أشعار الأمم ، تكسب صفتها الفنية بمصاحبة فن آخر ، كالغناء والرقص أو الحركة على الإيقاع . ولكن النظم العربي ، فن معروف المقاييس والأقسام بعد استقلاله عن الغناء والرقص والحركة الموقعة ، فلا يصعب تمييزه شطرة شطرة بمقياسه الفني من البحور والأعاريض والأوتاد والأسباب »[4] .

---

(١) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٤٣٦ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، جـ (١) ، ص ١٣٤ .

(٣) سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(١) ١٩٨٢م-١٤٠٢هـ ، ص ٢٨٧ .

(٤) حياة قلم ، عباس محمود العقاد ، ص ٢٧٤ . نقلاً عن :من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم والحديث ، د. عثمان موافي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤م ، ص٢٢٥ .

ولو عدنا إلى الشعر الاجتماعي الذي عرضنا له بالدراسة نجد أنه جاء على نظامين من الوزن .

أولهما : نظام القصيدة العمودية التي يتكون فيها البيت الشعري من شطرين متساويين في عدد التفاعيل ، ويطلق على الشطر الأول الصدر ، وعلى الشطر الثاني العجز .

ثانيهما : نظام الشعر الحر الذي يقوم على التفعيلة .

إلاَّ أن ما جاء منه على النظام الأول يفوق ما جاء منه على النظام الثاني ، وأرى أن هناك سببين اثنين أدّيا إلى انحسار قصيدة التفعيلة في الشعر الاجتماعي في هذه الفترة :

أولها : إن معظم الشعراء الذين شاركوا في معالجة قضايا المجتمع المختلفة كانوا من المحافظين والمخضرمين[1] الذين يؤثرون نظام القصيدة العمودية ذات الشطرين على قصيدة التفعيلة .

ثانيها : إن معظم الشعر الاجتماعي الذي عرضنا له بالدراسة كان جماهيرياً ، وكثير منه كان يلقى في المناسبات العامة ، وينشر في الصحف ، وفي الحالتين يعول عليه كثيراً في التأثير على المجتمع ، ولذلك وجدنا معظم شعرائنا الذين لهم قدم صدق في التجديد -شكلاً ومضموناً - لا يكادون يفارقون الشكل الموسيقي للقصيدة العربية في قصائدهم الاجتماعية إلاَّ لماما.

والشعر الاجتماعي الذي اتخذ من البيت الشعري بشكله الموروث إطاراً

---

(١) وصف أطلقه الدكتور عبد الله الحامد على الشعراء الذي يزاوجون في نتاجهم الشعري بين الشعر المحافظ والشعر الجديد ، ومنهم :محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وعبد القدوس الأنصاري ، ومحمد الشبل ، وإبراهيم علاف ، وعبد الكريم الجهيمان ، ومحمود عارف ، وطاهر الزمخشري . وحمد الحجي ، وإبراهيم هاشم فلالي ، وحسين عرب ، ومقبل العيسى ، وحسين صيرفي ، وعلي حسين الفيفي ، وإبراهيم فوده ، وعلي زين العابدين .

انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، ص١٥٤ - ١٧٦ .

له ، سواء في القصائد العمودية ذات القافية الواحدة ، أو ذات القوافي المتعددة ، انتظمته مجموعة من البحور الشعرية ، كاملة ومجزوءة ، كالطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، والرمل ، والمتقارب ، والخفيف ، والرجز ، والسريع ، والمجتث ، والمنسرح ، ومجزوء الكامل ، ومجزوء الوافر ، ومجزوء الرمل ، ومجزوء الخفيف ، ومشطور الكامل ، ومشطور الرمل .

وقصائد الشعراء : أحمد إبراهيم الغزاوي ، وأحمد العربي ، وإبراهيم فطاني ، ومحمد سراج خراز ، وضياء الدين رجب ، وعلي حافظ ، ومحمد بن علي السنوسي ، وعبد الله بن خميس ، ومحمد حسن فقي ، وإبراهيم علاَّف ، وحسن عبدالله القرشي ، وأحمد قنديل ، ومحمد حسن عواد ، وحسين سرحان، وعبد الله الصالح العثيمين ، وسعد البواردي ، وعلي الفيفي ، وحسين عرب ، وإبراهيم هاشم فلالي ، وعبد الكريم الجهيمان ، وعثمان بن سيار ، جاءت في هذه البحور وإن كان الخفيف أو فرها حظاً في القصائد الاجتماعية.

وهناك ظواهر وقفنا عليها تتعلق ببحور الشعر لدى الشعراء الذين عرضنا لبعض نتاجهم في دراستنا ، وبأشكال النظم الأخرى ، كما أن هناك هنَّات موسيقية ومآخذ على الشعراء ، أجملناها فيما يأتي :

أولاً :محاولة التصرف في أوزان الشعر ، من حيث توزيع عدد التفعيلات . وقد وقفنا على ذلك في قصيدة:(إعصار مخيف)[1] للشاعر علي زين العابدين، ومنها قوله :

حُلْوَتِي لَوْ كُنْتِ صَوَّاناً حَـدِيداً ... لَصَهَرْتُكْ
ولَئِنْ كُنْتِ صَقِيعاً أو جَـــلِيداً ... لأَذَبْــتُكْ
ثُمَّ لو أَصْبَحْتِ لي خَصْماً عَنِيداً ... لَحَطَمْتُكْ

(١) ديوان هديل ، ص ١٩٦ .

وهذا التصرف من الشاعر في الإطار الموسيقي لا نعده من التجديد في شيء ، فهو لم يزد على وضع تفعيلة في الشطر الثاني ، بعد أن جاء الشطر الأول من (الرمل) تاماً ، ولو أنه أضاف تلك التفعيلة إلى الشطر الأول بدلاً من فصلها لأصبحت القصيدة منتمية إنتماءً كاملاً لـ(مجزوء الرمل) .

ومثل هذه المحاولة من شاعرنا في التصرف في التفاعيل يعدها الدكتور عزالدين اسماعيل قيداً جديداً « لا تخففاً من القيود القديمة لأنها أضافت لازمة جديدة هي تلك القافية الداخلية في البيت »[1] .

وتلك الالتزامات التي يفرضها الشاعر على نفسه « تضيف إلى قيوده الأساسية قيوداً أخرى ، وكلها قيود ضد صالح القصيدة ، لأنها لا تقدم جديداً ونظل شاعرين بأن اختيار الجزء في الشطرة الثانية فاقد القيمة مع التنويعات الزخرفية التي تلته ، وأن المقصود به لا يخرج عن إطار التسهيل في النظم والتمرين الشكلي »[2] .

ثانياً : الجمع بين أكثر من شكل للبحر العروضي في القصيدة الواحدة .

ومن ذلك قصيدة :(لا يافتاة الشرق)[3] للشاعر عبدالسلام هاشم حافظ، ومنها قوله :

حَواءُ حَسْبُكِ مـــا مَضَى	فَشِلَتْ تَجارِبُكِ الكِـــثارْ
بين التَّحَـــــرُّرِ والعَبَثْ	في البُعْدِ عن حِصْنِ التُّقى
إِنَّ التَّطَـــوُّرَ عــــالَمٌ	يَسْمُو بأَخْـــلاقِ الهُدى
ويُرِيكِ عُنْصُــــرَكِ الذي	أَغْفى بأَحْضَانِ الشُّـــرورْ

---

(١) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ص ٥٧ .

(٢) موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو ، ص ١٣٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، جـ (١) ، ص ٥٨٠ – ٥٨٢ .

يَوْمَ انْطَلَقْتِ إلى الشَّوارِعِ في غُـــــرورْ
وَفَقَدْتِ عِفَّتَكِ البَرِيئَةَ والشُّعـــــــــــورْ
ماذا جَنَيْتِ سِوَى الضَّيَاعِ . هو المَصِيرْ !
وإذا عَقَلْتِ وعُـــــــــدْتِ لِلْوَكْرِ الحَصِينْ
حَيْثُ التَّكَامُلَ بِالأُمُـــــــــــومَةِ والحَنِينْ
والصَّوْنِ والخُـــلُقِ الحَمـــيدِ وما يَزِينْ
فلقد غَـــــدَوْتِ حَقِيقَـــــــــةً إلْفاً أَمِينْ
والشَّرْقُ يَأْمَلُ فِيْكِ إِصْـــــــــلاحَ البَنِينْ
حَوَّاءُ هذا مُرْتَقَـــــــاكِ إلى العَـــــرِينْ
أُنْثى تُخَلِّدُها الرِّسالَــــــــةُ والفُـــــنونْ

فهذا الجزء الذي استشهدنا به من القصيدة ، قد استخدم فيه الشاعر بحر (الكامل) مجزوءاً ومشطوراً .

وهذا النمط من التشكيل يتيح للشاعر الحرية في التحكم في عدد الأبيات التي تتكون منها كل مقطوعة ، وحرية الانتقال من شكل إلى شكل في إطار البحر العروضي الواحد ، شريطة أن يكون ذلك الانتقال يتناسب مع المعنى المعبر عنه ، والانفعال السائد ، حتى يكتملا .

ونحن لو عدنا إلى ما استشهدنا به من هذه القصيدة ، نجد أن الشاعر لم يوفق في استثمار تلك الحرية لصالح تجربته . فقد كان من صالح القصيدة الوقوف بها عند قوله :

ماذا جَنَيْتِ سِوَى الضَّيَاعِ هو المَصِيرْ !

لأن هذه النهاية هي الملائمة للمعنى العام الذي دار حوله النص ، وللفكرة التي حملتها الأبيات التي سبقتها ، خاصة وأن القصيدة برمتها تدور حول انجراف الفتاة الشرقية في مهاوي المدنية الحديثة السحيقة ، وكان الضياع وحده هو المحصلة النهائية لها ، ولا شك أن وقوفه عند ذلك الشطر كان سيحقق لقصيدته وحدتها الفكرية والمعنوية .

وشاعرنا عبدالسلام هاشم حافظ عرف عنه التبكير في التعامل مع كل ألوان التجديد التي مست الشكل الموسيقي[1]، إلاَّ أن ذلك التعامل كما أرى يجيء كثيراً على حساب المضمون ، ولا يخدمه في كثير من تجاربه الشعورية.

ثالثاً :الجمع بين أكثر من بحر في القصيدة الواحدة ، وهذا ما عرف عند شعراء المهجر ، وشعراء أبوللو، بـ(مجمع البحور وملتقى الأوزان) .

ومن ذلك ما جاء في قصيدة :(خواطر وأحاسيس)[2]، وقصيدة :(صور وظلال)[3] ، وقصيدة :(مأساة بيت)[4] ، وجميعها لمحمد حسن فقي .

وقد اتكأ الشاعر في قصيدته:(مأساة بيت) على مجموعة من البحور ، بحيث يستقل كل بحر منها بمقطع أو مقطعين ، مع ملاحظة اختلاف المقاطع التي تكونت من مجموعها القصيدة في عدد الأبيات . فالمقطع الأول تكون من (خمسة أبيات) ، والثاني تكون من (سبعة أبيات) ، والثالث من (سبعة أبيات) ، والرابع من (ستة أبيات) ، والخامس من (ستة أبيات) ، والسادس من (عشرة أبيات) ، والسابع من (بيتين) ، والثامن من (تسعة أبيات) ، والتاسع من (تسعة أبيات) ، والعاشر من (تسعة أبيات) .

---

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، ص٤٠٢ – ٤٠٦ .

(٢) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢١٩٩) في ٢/٥/١٣٩١هـ ، ص ١٢ . والأعمال الكاملة ، المجلد(٤) ص٥٣٨–٥٤٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ص ١٥٨ – ١٦١ .

(٤) جريدة المدينة المنورة ، العدد(٢١٩٣) في ٢٤/٤/١٣٩١هـ ، ص٧ . والأعمال الكاملة ، المجلد(٥) ص٥٧٤–٥٧٨ .

والبحور التي جاءت عليها مقاطع تلك القصيدة هي : السريع ،والبسيط ، والمتقارب ، والطويل ، ومجزوء الكامل . وقد تكرر السريع في مقطعين ، ومثله البسيط ، والطويل ، والمتقارب .

يقول من السريع :

نَادَتْهُ في الهَاتِفِ تَسْتَجْدِي ... لِقَاءَهُ من شِدَّةِ الوَجْـــــدِ

ثم يأتي بعد هذا البيت بأربعة أبيات من البحر نفسه ، ثم يتبعه بسبعة أبيات من البسيط ، أولها :

وكَانَ صَاحِبُها زَوْجاً له ولَـدُ ... وزَوْجَةٌ زَانَهَا التَّنْسِيقُ والغَيَدُ

ثم يعود إلى السريع ، فيأتي فيه بسبعة أبيات ، أولها :

أَصَمَّ أُذْنَيْهِ فلــم يَسْتَجِبْ ... لِتِلْكَ رَغْمَ الشَّهْوةِ العَارِمةْ

ويعود إلى البسيط ليأتي منه بستة أبيات ، أولها :

كَلاَّ فليس لها من بَعْدِ سَقْطَتِها ... من الكَرَامَةِ ما يَحْمِي سَجَاياهُ

ثم يعقبها بستة أبيات من المتقارب ، أولها :

وقَالَ لها الصَّـــاحِبُ المُسْتَرِيبُ ... وقد خَافَ عُقْبَى الغَرَامِ الضَّلُولْ

ثم يأتي بعشرة أبيات من الطويل ، أولها :

وجُنَّتْ فما كَانَتْ تَظُنُّ بِحُبِّها ... ولا بِنَجِيِّ الحُبِّ أَنْ يَتَنَكَّرا

ثم يأتي ببيتين من المتقارب ، ويتبعها بتسعة أبيات من الخفيف ، أولها:

وبَكَتْ ما ضِياً لَئِيماً جَـزَاها ... عن هَواها اللَّجُوجِ شَرَّ جَزَاءِ

ثم يعود للطويل فيأتي عليه بتسعة أبيات ، أولها :

وفي هذه المَأْسَاةِ لِلنَّاسِ عِبْرَةٌ ... ولاسِيَّما لِلْمُحْصَنَاتِ الحَرَائِرِ

ثم يختم قصيدته بتسعة أبيات من مجزوء الكامل ، أولها :

ما نَحْنُ إلاَّ الخَـــاطِئو   نَ وإنْ أَخَافَتْنا الخَطَايا

وقد وفق الشاعر كثيراً في استخدامه لهذه التقنية في التعبير عن تجربته الشعرية بأبعادها المختلفة ، وجارى بانتقاله من بحر إلى بحر الفكرة والانفعال السائد في كل مقطع من مقاطعها وما يطرأ عليه من انحرافات في مساق تجربته الشعرية تلك .

وإذا كان الدكتور عبد الله الحامد يرى أن استخدام (مجمع البحور) يضيع النفس الشعري المنسجم ، مع الذهن المنفعل [1] فإننا لا نرى ذلك مادامت التجربة الشعرية تقتضي ذلك الانتقال ، وذلك لأنه « لما كان إيقاع معين تعبيراً فزيولوجياً عن توتر عصبي معين ، فإن كل انقطاع مؤقت في اطراد هذا الإيقاع يشير إلى انقطاع مفاجىء في توازن العضوية ، وإلى أن انفعالاً جديداً يجتاح المؤلف وينتقل إلى السامع » [2] .

وبناء على هذه المقولة يصبح كل تغيير في اطراد الإيقاع في التجربة الشعرية يحمل في طياته إشارة إلى تغيير في مسار التجربة ، ذلك لأن التجربة إذا كانت صادقة وعميقة لا يمكن أن تسير في خط مستوٍ واحد . ومثل هذه التجربة العميقة تحتاج إلى شاعر ناضج لديه خبرة واسعة وعميقة في الحياة ، ويمتلك أدواته الفنية جيداً ، ويعرف كيف يوظفها لتجسيدها [3] .

وإذا كان هذا الاستخدام لتلك التقنية من الشاعر محمد حسن فقي قد جاء عن قصد منه ووعي بإمكاناته في التعبير عن تجربته بأبعادها المختلفة،

---

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، ص٤٠٨ .

(٢) مسائل في فلسفة الفن المعاصر ، جويو (جان ماري) ترجمة وتقديم ، د. سامي الدروبي ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ط(٢) سنة ١٩٦٥م ، ص ١٨٧ . نقلاً عن موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو ، ص ١٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٨ « بتصرف » .

فإنه لم يكن مقصوداً في قصيدة :(الهيكل الرهيب)[1] للشاعر إبراهيم الزيد .

ويبدو لي أنه لم يحس بانتقاله ذاك من بحر إلى بحر في قصيدته تلك ، ولو كان غير ذلك لأشعرنا بذلك الانتقال ، سواء عن طريق تغييره وتنويعه للقوافي ، أو تصعيد الانفعال أو تهدئته ، إلاَّ أنه لم يفعل ذلك ، وأغلب الظن أن تلك القصيدة تعد من بدايات الشاعر الشعرية . وقد تكونت تلك القصيدة من (اثنين وثلاثين بيتاً) ، استأثر البسيط منها بـ(ثلاثة وعشرين بيتاً) ، والكامل بـ(تسعة أبيات) .

فالبيت الأول منها :

لاحَتْ على الدَّرْبِ .. أَشْبَاحاً وأَوْهَاما فَهَيَّجَتْ شَجَنِي أَوَّاهُ إِنْجَالا

وبعد هذا البيت جاء بـ(اثنين وعشرين بيتاً) على الوزن نفسه ، ثم يأتي إلى الكامل ، فيقول :

واحَسْرَتَاهُ على الرَّبِيعِ وقد ذَوَى وبَلاءُ دَهْرٍ حَطَّمَ الآمَالا

رابعاً : حدوث نشاز موسيقي في بعض الأبيات الشعرية ، ومبعث ذلك النشاز راجع إلى زيادة التفعيلات أو نقصها في بعض الأوزان التي جاءت أطراً لبعض القصائد ، أو إلى حدوث كسر فيها .

ومن ذلك قول الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي من قصيدته :(قوة الجيش)[2]:

بالضُّحَى المُسْتَنِيرِ بالأَمَلِ المَنْـ ـشُودِ بالسِّلاحِ القَامِعْ

فهذا البيت مكون من (خمس تفعيلات) ، والأصل في الخفيف التام أن

---

(١) مجلة الرائد ، العدد (٣٤) في ٢٥/٤/١٣٨٠هـ ، ص ٣٤ . وديوان المحراب المهجور ، ص ٧٧-٨١ .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٥٨١) في ٢٦/١٠/١٣٧٣هـ ، ص ١ .

يتكون من (ست تفعيلات) ، ثلاث منها في الشطر الأول ، وثلاث منها في الشطر الثاني. وهكذا جاء في سائر أبيات القصيدة ، باستثناء البيت المشار إليه .

وقول الشاعر ضياء الدين رجب في مطلع قصيدته:(ضاربة ا لودع)[1] :

جَاءَتْ مُلَثَّمَةً وَتَنْتَزِعُ الـ   لِثَامَ البَسْمَـــةُ العَجَبُ

فهذا البيت مكون من (خمس تفعيلات) ، والأصل في الكامل أن يتكون من ست تفعيلات ، وعلى هذا النحو جاءت سائر أبيات القصيدة ، باستثناء مطلعها .

وتتمثل الزيادة في التفعيلات في قول الشاعر عبدالله محمد جبر من قصيدته :(مجنوم الضمير)[2] :

وَتَضَاحَكَ الأَبْنَاءُ والأَحْفادُ من شَيْخٍ لَهُ هذي الجَسَارهْ
خَلْفَ الفَواتِنِ في مَـلا   هِي اللَّيْلِ قد أَلْقَى عِـــذَارَهْ
وتَجَمَّدَتْ عَيْنايَ أين الزِّيُّ والحُجَّابُ والذَّقْنُ المعُـَــارَهْ
أين انْتِفاضَاتُ الجُلوسِ إذا رَأُوكَ وأين عَنْجَهَةُ الإِدَارَهْ

فالأبيات : الأول من هذا الشاهد ، والثالث ، والرابع ، مكونة من خمس تفعيلات ، في حين جاءت سائر أبيات القصيدة على (مجزوء الكامل) ، حيث يستقل الشطر الأول في البيت بتفعيلتين ، والشطر الثاني بمثلهما .

ولو أن الشاعر أسقط من البيت الأول كلمة (والأحفاد) ، ومن البيت الثالث كلمة (والحجاب) ، ومن البيت الرابع (إذا رأوك) ، لاستقامت له الأبيات ، دونما إخلال بالمعنى .

وقد يأتي الخلل عن طريق الكسر في الوزن الشعري ، ومن ذلك قول

---

(١) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٣٢٤ .

(٢) ديوان هتاف الحياة ، ص ١٢٢ .

الشاعر إبراهيم الزيد من قصيدته :(كرى)[1] :

ذَهِلَ العَقْلُ من مَقَالَةٍ قد أُذِيعَتْ　　لم يُصَـــدِّقْ فَفَنَّدَ الأَقْــوالا

فالشطر الأول من هذا البيت مكسور .

وكذلك قول الشاعر أحمد جمال[2]:

زَعَمَ الطَّبِيبُ بِأَنَّ بالصَّهْبَاءِ تَشْـ　　تَدُّ أَعْصَـــــابِي ويُحْسَمُ دائِي

فالشطر الثاني من هذا البيت مكسور .

وكذلك قول الشاعر عبد السلام هاشم حافظ[3] :

رَتِّلِي أُنْشُودَةَ السَّهْرانِ عندي　　أَنْتِ إِطْلالَةَ الذِّكْـــرى تَعَالي

فالشطر الثاني من هذا البيت مكسور ، وكان بإمكان الشاعر أن يتلافى هذا الكسر والخلل الموسيقي بإضافة (ياء) النداء بعد ضمير المخاطب (أنت).

أما القصائد التي جاءت على النظام الثاني ، أي التي استخدم الشعراء فيها التفعيلة أساساً للإيقاع ، فقد سار الشعراء في بنائها على بحر واحد من البحور التي أطلقت عليها نازك الملائكة البحور الصافية .[4]

والبحور أو الأوزان التي جاءت عليها قصائد التفعيلة التي عرضنا لها في دراستنا هي : الكامل (متفاعلن) ، والرمل (فاعلاتن) ، والرجز (مستفعلن) ، والمتقارب (فعولن) ، والمتدارك (فاعلن أو فعلن) ، ومجزوء الوافر (مفاعلتن) .

وقد استفاد الشعراء في قصائدهم التي جاءت على هذا النظام ، من التوسع الذي تمليه هذه الطريقة في استخدام التفعيلات في تجسيد المعاني

(١) ديوان أغنية الشمس ، ص ١٠٧ .
(٢) ديوان وداعاً أيها الشعر ، ص٥٨ .
(٣) ديوان ترانيم الصباح ، ص ١١٠ .
(٤) انظر : قضايا الشعر المعاصر ، ص ٨٣ – ٨٤ .

التي يرمون إليها ، فنحن قد نظفر في القصيدة الواحدة بصور عدة لتوزيعها ، فقد يأتي السطر الشعري مكوناً من تفعيلة واحدة ، وقد يأتي من تفعيلتين ، وثلاث أو أربع ، وقد يأتي في خمس تفعيلات .

ومن تلك القصائد التي نرى أن التوفيق قد حالف فيها صاحبها في توزيعه للتفعيلات وفق الدفقة الشعورية ، قصيدة :(عاشقة) لعبد السلام هاشم حافظ ، حيث يقول في أحد مقاطعها[1] :

الأَمْسُ مَاتْ	متفاعلان		
كَفَّنْتَهُ حُضْنَ الحَرِيرْ	مْتفاعلن	متْفاعلان	
من قَلْبِيَ الشَّاكِي الكَسِيرْ	متْفاعلن	متْفاعلان	
وأَبي العَتِيُّ بِمُهْجَتِي ..	متفاعلن	متْفاعلن	
سَيَبِيعُنِي جَسَداً هُزَالْ	متفاعلن	متفاعلان	
طَيْفاً .. خَيَالاً من جَمَالْ	متْفاعلن	متْفاعلان	
لِلْهَيْكَلِ الوَحْشِيِّ من شَرِهِ الرِّجَالْ	متْفاعلن	متْفاعلن	متفاعلان
الأَمْسُ مَاتَ بِفَرْحَتِي	متْفاعلن	متفاعلن	
طِفْلاً وديعاً باسِماً	متْفاعلن	متفاعلن	
واليَوْمَ تَشْرُدُ بالخَواطِرِ نَظْرَتِي	متْفاعلن	متفاعلن	متفاعلن
وأَعِيشُ عُمْرِي لِلضَّيَاعْ	متفاعلن	متفاعلان	
لأَضُمَّ في وَلَهٍ مَعَانِيَ حِيرَتِي	متفاعلن	متفاعلن	متْفاعلن
أَحْنُو على اللَّيْلِ الكَئِيبْ	متْفاعلن	متفاعلان	

(١) الأعمال الكاملة ، جـ (١) ، ص ٣٨٧ – ٣٨٩ .

والنَّارُ تَلْسَعُ في الجَوانحِ والنَّظَرْ	متْفاعلن	متفاعلن	متفاعلن
والقَلْبُ يَسْحَقُهُ العَذَابْ	متْفاعلن	متفاعلان	
وحَبِيبَي المَفْقُودُ يَبْكِيهِ الغُروبْ	متفاعلن	متْفاعلن	متفاعلان
وأنا خَيَالٌ لِلْكابَةِ والنَّحِيبْ	متفاعلن	متْفاعلن	متفاعلان
في وِحْدَتِي ... في غُرْبَتِي	متْفاعلن	متْفاعلن	
أُمْسِي وأُصْبِحُ في وَجَلْ	متْفاعلن	متفاعلان	
الأَمْسُ مَاتْ ..!	متفاعلان		
ماتَتْ عَلَيْهِ سَعَادَتِي	متْفاعلن	متفاعلن	
في تِيهِ أَيَّامِي ولَوْعَةِ مُهْجَتِي	متْفاعلن	متْفاعلن	متفاعلن
وأنا كما أنا باقِيهْ	متفاعلن	متفاعلن	
حَيْرى أُعاقِرُ وحْشَتِي !	متْفاعلن	متفاعلن	
لم تَبْقَ إلاَّ حَفْنَةٌ ..	متْفاعلن	متْفاعلن	
مِنِّي ومِنْ هذا الرُّفاتْ !	متْفاعلن	متْفاعلان	
يا لَلضَّنَى .. ياللّجُحودْ !	متْفاعلن	متْفاعلان	
الأَمْسُ مَاتْ .. !	متْفاعلان		
واحَسْرَتاهْ !!	متْفاعلان		

وهذه القصيدة من (الكامل) ، وقد استخدم الشاعر فيها التفعيلة (متفاعلن) صحيحة ، ومضمرة ، وجاءت معظم الأضرب فيها مذيلة (متفاعلان). وقد استفاد الشاعر كما نرى استفادة بالغة من الحرية الممنوحة له بوضع العدد الذي يراه ملائماً لتجربته الشعرية من التفعيلات في كل سطر شعري ،

والتي تقمص فيها شخصية تلك الفتاة المطحونة ، وعبر على لسانها .

ولعل خير دليل على استخدامه الذكي والموفق لأدواته، ما جاء في السطرين الأخيرين منها :

الأَمْسُ مَاتْ	متْفاعلان
وا حَسْرَتاهْ	متْفاعلان

فالتفعيلات فيهما منسجمة ومتناسبة مع الحالة الشعورية التي تعيشها تلك الفتاة ، وهي حالة البكاء الشديد والحسرة الموجعة على انصرام ذلك العهد الجميل ، وانطفاء حلمها الوردي في الحياة . وهذه الحالة وتلك لا تحتمل أكثر من تلك التفعيلة المذيلة .

وهناك ظواهر وعيوب في بعض قصائد التفعيلة التي وقفنا عليها ، وسنحاول بسطها في الآتي :

أولاً : لجوء بعض الشعراء إلى تفتيت البيت الشعري في أسطر شعرية، مع علمهم بأن هذه الأسطر لو جمعت لكونت أبياتاً وربما قصيدة كاملة عمودية.

ومن ذلك قصيدة أحمد قنديل :(وداع طالب)[1]، ومنها قوله :

سِرْ على اسْمِ اللَّهِ ...

واعْبُرْ شَاطِئَيْها ..

وتَعَلَّمْ ! ..

واجْتَلِ الدُّنْيا ..

وما جَدَّ لديها ..

---

(١) ديوان شمعتي تكفي ، ص ٣٣ –٣٥ .

لا تَخَفْ

فالخَوْفُ وَهْمٌ وضَلالْ

عِشْتُهُ .. لا في الضُّحى ..

مِثْلَكَ .. رَأْ داً ..

بل ظِلالاً .. من زَوالْ

عَاشَهُ الجِيْلُ الذي .. مِثْلِيَ ..

قَدْ ولَّى .. وزَالْ .

قَيَّدَتْهُ الأُمُّ .. حُبَّاً لِبَنِيها

واصْطَفَاهُ الوَالِدُ الرَّا

عي ... لِأَقْوالِ ذَوِيها

فَحَنا القَامَةَ .. هَيَّابَ النِّضَالْ

وارْتَضَى القَيْدَ ..

بَلِيداً وسَفِيها !

سِرْ على اسْمِ اللّهِ ..

في شَوْطِكِ حُرَّا

واسِعَ الخَطْوِ ..

على الدَّرْبِ اسْتَمَرَّا

أَزْهَرَ الجَبْهَةِ مَحْمودَ الخِصَالْ .

فمن هذه الأسطر الشعرية نستطيع أن نخرج بأبيات شعرية كاملة من

بحر (الرمل)،تاماً ، ومجزوءاً . وذلك مثل :

سِرْ على اسْمِ اللَّهِ واعْبرْ شَاطِئَيْها   واجْتَلِ الدُّنْيا وما جَـدَّ لديها   (تام)

ومثل :

عَاشَهُ الجِـــيلُ الذي مِثْـ   ـلِيَ قـــد ولَّـــى وزَالْ   (مجزوء)

ومثل :

واصْطفَاهُ الــــوالِدُ الرَّا   عِي لِأَقْـــوالِ ذَوِيـْـــها   (مجزوء)

ومثل :

فَحَنا القَامَةَ هَيَّابَ النِّضَـــالْ   وارْتَضَى القَيْدَ بَلِـــيداً وسَفِيها   (تام)

ومثل :

سِرْعلى اسْمِ اللَّهِ في شَوْطِكَ حُرًّا   واسِعَ الخَطْوِ على الدَّرْبِ اسْتَمَرَّا   (تام)

وما قلناه في هذه القصيدة ، ينطبق على قصيدتيه :(كنوز)،[١]و(إلى حفيدي)[٢] .

مما تقدم يمكننا القول : أن الشاعر أحمد قنديل لم ينجح في الفكاك من أسر القصيدة العمودية ، حتى وهو يكتب الشعر الحر الذي يعتمد على التفعيلة، فقد بدا واضحاً ومسموعاً صوت الشعر المقفى ، رغم محاولته إخفاءه عن طريق توزيعه للتفعيلات في سطور شعرية . وقد علل الدكتور عبدالله الحامد ذلك بقوله : « إنه أتى الشعر التفعيلي على كبر ، فلم يستطـع أن يجيد ، لأن الصيغ والروح الشعرية ذات المسارب الضاربة في الأعماق التي ألف نظم الشعر بها لا تتجاوب مع التيارات الجديدة »[٣] .

(١) جريدة البلاد ، العدد (١٦٤٦) في ٢٣/٢/١٣٨٤هـ ، ص٣ .

(٢) ديوان اللوحات ، ص ١٢١ – ١٣١ .

(٣) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، ص ٤١٥ .

ثانياً : لجوء بعض الشعراء إلى التدوير في التفعيلات . ونعني به هنا انشطار التفعيلة بين سطرين شعريين ، دون أن يكون لذلك داع يبرره .

ولمصطلح التدوير معنيان :

أحدهما : خاص بالبيت المدور في القصيدة العمودية ، وهو الذي «اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن يكون بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الثاني »[(١)] .

وثانيهما : خاص بالشعر الحر ، وهو فيه : « مبني على تتابع التفعيلات في عدة أسطر شعرية بلا قواف فاصلة بينها ، حتى ينتهي الشاعر إلى قافية بعد عدة أسطر ، ثم يبدأ مقطعاً جديداً ، ويختمه بقافية مماثلة أو مخالفة لقافية المقطع الأول »[(٢)].

وقد تصدت نازك الملائكة لظاهرة التدوير في الشعر الحر حسب مفهومها له ، حيث قالت : « إن التدوير يمتنع امتناعاً تاماً في الشعر الحر ، فلا يسوغ للشاعر على الإطلاق أن يورد شطراً مدوراً . وهذا يحسم الموضوع »(٣) .

ودعمت ذلك المنع والرفض بذكر عدد من الأسباب التي جعلتها ترفض التدوير في الشعر الحر[(٤)] .

في حين رحَّب به كل من الدكتور محمد النويهي ، والدكتور عبدالعزيز المقالح .

فهو عند الأول منهما وسيلة من وسائل الشعر الجديد للتخلص من حدة الإيقاع القديم . ويعده الثاني مظهراً من مظاهر الثورة المستمرة على الرتابة

---

(١) قضايا الشعر المعاصر ، ص ١١٢ .

(٢) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ص ٢٢٠ .

(٣) قضايا الشعر المعاصر ، ص١١٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص١١٧ – ١٢١ .

المتمثلة في التشكيل الموسيقي القديم ، ويذهب في استحسانه للتدوير مذهباً جعله يؤكد فيه على أن الوحدة العضوية في القصيدة لم تظهر في نموذج واحد متكامل إلاَّ بعد ظهور القصيدة المدورة ذات البناء العضوي الذي يرافق القصيدة من البداية حتى النهاية[١] .

وربط الدكتور عز الدين اسماعيل بين طول البيت وبين الدفقة الشعورية ، وقرر أن التعبير ملك وتابع للشعور وليس العكس ، فإذا كانت الدفقة الشعورية ممتدة فينبغي أن تكون الصورة الموسيقية ممتدة ومعبرة عن هذا التدفق[٢] .

والتدوير الذي نقصده هنا هو تدوير التفعيلات ، وليس تدوير ألفاظ الشطر ، والفرق بين التدويرين « أن التدوير في التفعيلة حفظ اللفظة كاملة في الشطر الواحد ، وهذا يختلف عما تريد منعه نازك الملائكة بعض الاختلاف .

وفي رأيي أن المنع ينبغي أن يكون لتدوير التفعيلة أسوة بتدوير الكلمة . والسبب...لهذا المنع أن تدوير التفعيلة قد يجرِّد الشطر من الموسيقى ، وهي من المقومات الرئيسة في الشعر الحر . فإذا خلا هذا اللون من الشعر من الموسيقى ضاعت ميزته التي خلق من أجلها »[٣] .

وأغلب القصائد التي وقفنا عليها في هذه الدراسة لم تخل من هذا العيب ، ولنأخذ قصيدة الشاعر منصور الحازمي :(الصفقة)[٤] ، وهي في معظمها صحيحة الوزن[٥] ، جاءت من الكامل (متفاعلن) صحيحة أو مضمرة ، إلاَّ أنها لم تسلم من التدوير في التفعيلات .

---

(١) النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد ، علي يونس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ص ٦٨ « بتصرف » .

(٢) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ص ١٠٩ « بتصرف » .

(٣) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص ٤٤٧ – ٤٤٨ .

(٤) جريدة حراء ، العدد (١٢٢) في ١٣٧٨/١/٢٧هـ ، ص ٢ . وديوان أشواق وحكايات ، ص ١٧ – ٢٠ .

(٥) سنشير إلى الخلل أو النشاز الموسيقي فيها في موضع آخر من هذه الدراسة .

ومن ذلك قوله في المقطع الأول منها :

١) سَأَرَاكِ حين يَرِفُّ لَيْلِيَ — متفاعلن متفاعلن متـ

٢) تَحْتَ أَكْفَانٍ ثِقَالْ — فاعلن متْفاعلان

وقوله في المقطع الثاني :

٣) شَفَتَاكِ زَنْبَقَةٌ ... — متفاعلن متفا

٤) وعُودُكِ مِثْلُ بَانٍ مَادَ في بَحْرِ الأَلَقْ — علن متفاعلن متْفاعلن متْفاعلن

وقوله في المقطع نفسه :

٥) أَوْ لِلْهَوى يَغْزُو القُلوبَ — متْفاعلن متْفاعلن مـ

٦) ويَسْتَبِيحُ حِمَى الجَمَالْ — تفاعلن متفاعلان

وقوله في المقطع الثالث :

٧)هَاتِي فَعِنْدِي تَسْتَوِي الأَفْرَاحُ والأَحْزانُ — متْفاعلن متْفاعلن متْفاعلن متفاع

٨) عِنْدِي صَبْرُ أَيُّوبَ الجَمِيلْ — لن متْفاعلن متفاعلان

وقوله في المقطع نفسه :

٩) فَأَضُمُّ في لَهَفٍ على قَلْبِي الضُّلوعَ — متفاعلن متفاعلن متْفاعلن مـ

١٠) ويَكْتَوِي فيَّ الحَنِينْ — تفاعلن متْفاعلان

وقوله أيضاً في المقطع نفسه :

١١) ياكم .. وكم أَطْلَقْتُ أَفْكارِي ... — متْفاعلن متْفاعلن متْفا

١٢) وبِتُّ أَضُمُّها — علن متفاعلن

وقوله في المقطع الرابع :

١٣) في ذَاتِ يَوْمٍ مَاجَ بِالأَلْوانِ	مُتْفاعلن مُتْفاعلن متفاع
١٤) والورْدِ المُصَفَّرِ ... والطُّبُولْ	لن مُتْفاعلن مُتْفاعلان

وقوله في المقطع نفسه :

١٥) غَيْرَ الضَّيَاعِ	مُتْفاعلن مـ
١٦) وغَيْرَ غُصَّاتِ الأَلَمْ	تفاعلن مُتْفاعلن

وواضح من التقطيع الشعري لهذه الشواهد التي قد مناها من تلك القصيدة الخلل الموسيقي الذي نتج عن التدوير في التفعيلات .

فنحن نلاحظ عدم اكتمال التفعيلة الأخيرة في السطور الشعرية :(١، ٣، ٥، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥) إلاَّ بجزء من الكلمة التي جاءت في السطور التي تليها مباشرة .

أضـــف إلى ذلك أن الشـــاعر قد سكن أواخر الكلمات : (القلوب) في الشاهد الخامس ، و(الضلوع) في الشاهد التاسع ، و(الضياع) في الشاهد الخامس عشر ، على أنها قوافٍ لتلك السطور ، والحقيقة غير ذلك ، فقد وضح من التقطـــيع الذي أجريناه ، حاجة السطور:(السادس ، والعاشر، والسادس عشر) لذلك الساكن ، حتى تتم التفعيلة الأولى فيها .

وقد كان الشاعر في غنىً عن كل ذلك مادام في وسعه رصُّ كل التفعيلات التي يتوزعها سطران شعريان في سطر واحد،وهو بذلك الصنيع يكون قد حقق شيئين في وقت واحد :

أولهما : حافظ على سلامة الوزن الشعري الذي بنى عليه قصيدته .

ثانيهما : حافظ على وحدة السطر وما يعتلج فيه من مشاعر وأحاسيس بدلاً من تمزقها بين سطرين شعريين .

حيث كان بإمكانه أن يقول :

سَأَراكِ حين يَرِفُّ لَيْلِي تَحْتَ أَكْفَانٍ ثِقَالْ

ويقول :

شَفَتَاكِ زَنْبَقَةٌ وعُودُكِ مِثْلُ بَانٍ مَادَ في بَحْرِ الأَلَقْ

ويقول :

أَوْ لِلْهَوَى يَغْزُو القُلوبَ ويَسْتَبِيحُ حِمَى الجَمَالْ

وهكذا في بقية الشواهد التي قدمناها .

وذلك العيب أو الخلل نقف عليه في قصيدة منصور الحازمي :(رسالة إلى صديق) في المقاطع : الثاني ، والثالث ، والخامس [١] . وفي المقطع الرابع من قصيدته :(بشرى إلى الأخت الصغيرة)[٢] . والمقطع الثاني من قصيدة القصيبي :(نحن)[٣] . وفي المقطع الثاني من قصيدة :(ليالينا)[٤]لماجد الحسيني.

ثالثاً : ظاهرة النشاز الموسيقي في بعض السطور الشعرية .

ومرد ذلك النشاز إلى الخلط بين الأوزان (التفعيلات) في بعض السطور الشعرية ، في عدد من القصائد التي عرضنا لها بالدراسة .

ولست أرى ذلك من قبيل التساهل من الشعراء بشأن العروض ، وإنما جاء عفوياً ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة عبدالسلام هاشم حافظ :(جرح لن يندمل) ، التي جاءت من بحر الرمل (فاعلاتن) . حيث يقول [٥] :

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧٤) في ١٣٧٨/١٠/٢٠هـ ، ص ٤ . وديوان أشواق وحكايات ، ص ٣٠ – ٣١ –٣٢ .
(٢) ديوان أشواق وحكايات ، ص ١٤ –١٥ .
(٣) جريدة البلاد ، العدد (٥٨٩) في ١٣٨٠/٧/٢١هـ ، ص ٦ . والمجموعة الشعرية الكاملة ، ص ١٠٤ .
(٤) المصدر السابق ، العدد (٤٢) في ١٣٧٨/٩/٦هـ ، ص ٤ . وديوان ضياع ، ص ٥٦ .
(٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ (١) ، ص ٦٠٥ .

يا غُدِي الوَضَّاحَ يا حُلْمَ أَزْهارِي   فاعلاتن   فاعلاتن   مفاعلْتن

ويقول أيضاً[1] :

آهَةٌ .. بَلْ حِيرَةُ الشَّاعِرِ المُلْتَاعِ يَشْكُو   فاعلاتن فاعلاتن مفاعلْتن فعولن

ففي هذين السطرين نشاز موسيقي واضح ، سببه ذلك التداخل بين تفعيلتيْ : الوافر (مفاعلْتن) والمتقارب (فعولن) ، مع تفعيلة الرمل (فاعلاتن) ، التي بنى عليها الشاعر قصيدته تلك .

وهـــــذا النشاز لا تخلو منه قصائد الشاعر الحرة المتصلة بالمجتمع وقضاياه ، كقصيدته :(مأتم في عــرس)[2] ، وقصــيدته :(عـــاشقة)[3] ، وقصــيدته :(كبدي التي وأدوها)[4] . وفي قصيدة : (الصفقة) للشاعر منصور الحازمي ، نشاز موسيقي في سطرين شعريين : أولهما في قوله[5] :

ولقد وَجَدْتُ عَرُوسَتِي فَلْتَرْقُصِ الأَفْراحُ   متفاعلن متفاعلن متْفاعلن متفاع

في بَيْتِي وفي الكُوى بِيضُ الشُّموعْ   لن   متفاعلن   مفاعلْتن فعول

وفي قوله :

حتَّى إذا عُدْنَا أناوعَرُوسَتِي نِصْفِي الجَمِيلْ متْفاعلن متْفاعلن متفاعلن متفاعلان

لِلْعُشِّ .. لم أَلْقَ ما غَنَّيْتُهُ .   متْفاعلن   فعولن   متْفاعلن

فالتفعيلات : (مفاعلْتن) ، و (فعول) ، و(فعولن) ، دخيلة على التفعيلة الأساسية التي بنى عليها الشاعر قصيدته .

(١) المصد ر السابق ، ص ٦٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ (١) ص ٦٣٠ ، السطر العاشر من المقطع الأخير .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨٤ ، السطر الثالث من المقطع الأول ، وص ٣٦٨ في السطر ما قبل الأخير .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ ، السطر الأول من القصيدة .

(٥) جريدة حراء ، العدد (١٢٢) في ١٣٧٨/١/٢٧هـ ، ص ٢ . وديوان أشواق وحكايات ، ص١٩ .

المبحث الثاني

القـــــــــوافي

للقافية أهمية كبرى في الشعر العربي ، كما هو الحال بالنسبة للوزن، فهما توأمان لا يفترقان عن جسد الشعر العربي القديم ، يقول ابن رشيق القيرواني في هذا الشأن : « القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية »(١).

وقد اختلف العروضيون قديماً وحديثاً في تحديد القافية(٢). ولعل أرجح الأقوال في تحديد القافية في الشعر هو ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي: بأن «القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن »(٣). وهي بناء على ذلك « جماع متحركات وسواكن حسب ترتيب معين »(٤) لها وقعها الموسيقي على الأذن .

ويشير أحد النقاد الأوروبيين إلى أهمية القافية في الشعر ، فيقول:« إنها ظاهرة بالغة التعقيد فلها وظيفتها الخاصة في التطريب كإعادة– أو مايشبه الإعادة – للأصوات »(٥).

والشعر الاجتماعي الذي عرضنا له في هذه الدراسة ، بنيت قصائده على نمطين من القافية :

النمط الأول :القافية العمودية وتشمل :

أ– القافية العمودية التي يتكرر فيها حرف الروي على امتداد القصيدة

---

(١) العمدة ، جـ(١) ، ص ١٥١

(٢) انظر :القافية تاج الإيقاع الشعري ، د. أحمد كشك ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكـــــرمة ، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م ، ص ١١ – ١٦ .

(٣) العمدة ، جـ (١) ، ص ١٥١ .

(٤) القافية تاج الإيقاع الشعري ، ص ١٧ .

(٥) نظرية الأدب ، رينيه ويليك ، أوستن وارين ، ترجمة : محي الدين صبحي ، مراجعة :د. حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط (٣) ١٩٨٥م ، ص١٦٧ .

كلها ، وقد وجدنا شعراءنا ينسجون أكثر قصائدهم الاجتماعية على هذا المنوال ، حيث يستخدمون فيها الوزن الواحد والقافية الواحدة .

ومن أمثلة ذلك قصيدة :(فاطمة)[1] للغزاوي ، وقصيدة :(اليتيم)[2] لحسن عبدالله القرشي ، وقصيدة :(مذبح الحرية)[3] لمحمد حسن فقي ، وقصيدة :(السفور)[4] لإبراهيم فلالي .

يقول الشاعر ضياء الدين رجب في قصيدته :(النادمة) ، وهي تتكون من أربعة وعشرين بيتاً جاءت على بحر الكامل[5] :

قَالَتْ جَهِلْتُ عَنَاصِرَ الزَّمَنِ	وعِراكَها في الرُّوحِ والبَدَنِ
وحَسِبتُ أَنَّ الحُسْنَ مُتَّصِلٌ	أَقْوى من الأَهْوالِ والفِتَنِ
ورَعَيْتُهُ لِأَعِيشَ نُضْرَتَهُ	جُهْدِي أُخَلِّدُه ويُخْلِدُني
لا إِلْفَ يَعْصِرُ كَرْمَهُ فإذا	أَصْفَى تَنَقَّلَ في ذُرى القُنَنِ
إِلْفٌ يُخَلِّفُني على ضَعَةٍ	في حَوْمَةِ الأَطْلالِ والدِّمَنِ
إِلْفٌ يَقُولُ بِغَيْرِ ما خَجَلٍ	إِنِّي قَبَضْتُ أَطايِبَ الثَّمَنِ
دَانَتْ لُبَانَتُهُ فَهَوَّ نَها	لِتَظَلَّ بَعْدُ رَهِينَةَ السَّكَنِ
لِيَقُولَ نَفْحُ الزَّهْرِ يُسْكِرُنِي	وزَفِيفُ لَحْنِ الطَّيْرِ يَجْذِبُنِي
وَيَقُولُ مَاذا لو أُمَاثِلُهُ	فَأَمِيلُ من غُصْنٍ إلى غُصُنِ
من أَجْلِ هذا عِفْتُ كُلَّ هوًى	إلاَّ هَوايَ الحُرَّ يَحْرُسُنِي

(١) شعراء الحجاز في العصر الحديث ، ص ٨٥ – ٨٧ .

(٢) مجلة المنهل ، ربيع الثاني ١٣٦٦هـ ، المجلد (٧) ، ص ١٧٣ – ١٧٥ . وديوان حسن بن عبد الله القرشي ، المجلد (١) ، ص ٢٢٢ – ٢٢٨ .

(٣) جريدة البلاد ، العدد (١٧١٨) في ١٩/٥/١٣٨٤هـ ، ص ٣ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٥) ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .

(٤) ديوان ألحاني ، ص ١٧٥ – ١٧٧ .

(٥) جريدة البلاد ، العدد (٤٦٧٢) في ١٠/٦/١٣٩٤هـ ، ص ٥ . وديوان ضياء الدين رجب ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ .

لا زَوْجَ عَيْنَاهُ تُحَــاصِرُنِي كَمُعَلَّبٍ زَخَـــرُوهُ لِلزَّمَـنِ

لا نَسْلَ لا ولدٌ رِضَـــاعَتُه فَتَّاكَةٌ كالجَمْرِ تَحْـــرِقُني

واليَوْمَ قد أُوِّبْتُ من سَـــفَرٍ في رِحْلَةٍ كالطَّيفِ في الوَسَنِ

وإذا الإِهَابُ الغَـضُّ مُبْتَسِرٌ لِمُحَنَّطٍ دَرَجوهُ في الكَـــفَنِ

والرُّوحُ حتَّى الرُّوحُ جَارَ على إِشْعَاعِها جَدْبٌ من الـــوَهَنِ

فَأَرِقْتُ من كَـدَرٍ ومن ضَجَرٍ وسَئِمْتُ من سَهَرٍ ومن حَـزَنِ

وبَكَيْتُ عُمْــراً كُنْتُ أَحْبِسُهُ عنِّي فعَــادَ اليَوْمَ يَحْبِسُنِي

والذي لا شك فيه أن القافية في هذه القصيدة تؤدي أهمية كبيرة في تصعيد الإيقاع الموسيقي ، وتهب القصيدة أبعاداً معنوية وظلالاً تتعدى المعاني الأولية للألفاظ المستخدمة فيها .

ب- القافية العمودية التي تتعدد فيها أحرف الروي بتنوع المقاطع .

مال عدد من الشعراء في بعض قصائدهم الاجتماعية إلى هذا اللون من التجديد ، لما فيه من مرونة وسعة ، وإمكانات تعين الشاعر على جلاء تجربته ، والتعبير عن عواطفه وانفعالاته بلا قيود .

وقد جاءت هذه القافية في الشعر الاجتماعي على صورتين ، وهما :

أ- تعدد القافية والروي ، وفي هذه الصورة نجد بعض الشعراء ينوعون في قوافي قصائدهم ورويها ، كأن يجمع الشاعر بين القافية «المتـــواترة»[1] ، و«المـــــترادفة»[2] ، و« المتداركة »[3] ، و«المتــراكبة»[4] . ومثال ذلك قصيدة :

(١) القافية «المتواترة» هي التي يتوالى فيها ساكنان مفصول بينهما بحركة ، وذلك مثل:« أيها الطلل البالي» .

(٢) القافية «المترادفة» هي التي يتوالى فيها ساكنان من غير فصل بحركة ، وذلك مثل:«قالْ » بتسكين اللام .

(٣) القافية « المتداركة» هي التي تتوالى فيها حركتان ، وذلك مثل:« منزل» .

(٤) القافية «المتراكبة» هي التي تتوالى فيها ثلاث حركات ، وذلك مثل: «السند» انظر : ذلك في منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط(٢) ١٩٨١م ، ص ٢٧٥ .

(ضحايا الإنسانية)(1) لمحمد هاشم رشيد . وسنكتفي بإيراد بيت واحد من كل مقطع ، لنرى تنوع قوافيها ورويها :

- أَبْصَرْتُها واللَّيْلُ داجٍ رهِيبْ	مُحْلَوْلِكُ الآفاقِ عَاتِي الجَناحْ
-والرِّيحُ تَسْرِي في حَنَايا السُّكونْ	هَفْهَافَةٌ تُرْعِشُ حتَّى الصُّخُورْ
-وكُلُّ شَيءٍ رَاعِشٌ خَافِقٌ	حتَّى الرُّؤَى في الأَعْيُنِ النَّاعِسَهْ
-أَبْصَرْتُها في هَدْأَةِ الشَّارِعِ	تَنَامُ فَوْقَ الأَرْضِ فَوْقَ التُّرابْ
-نَامَتْ على الأَرْضِ وطِفْلٌ صَغِيرْ	مُوَسَّدٌ سَاعِدَها المُجْهَدا
-وتَرْفَعُ الأَسْمَالَ عن سَاقِها	عَابِثَةٌ بالجَسَدِ الوَاهِنِ
-مِسْكِينَةٌ يَخْطُو عليها الشِّتَاءْ	ويَدْرُجُ اللَّيلُ الدَّجِيُّ الطَّوِيلْ
-نَامَتْ ونَامَ الطِّفْلُ فَوْقَ التُّرابْ	صَرْعى بِكَأْسِ الذُّلِّ بَيْنَ البَشَرْ
-حتَّى وحُوشُ البِيْدِ في نَجْوَةٍ	عن قَسْوَةِ اللَّيْلِ بِدِفْءِ الكُهُوفْ
-نَامَتْ على الأَرْضِ ونَامَ الوليدْ	في حِضْنِها الواهِي كَشِلْوٍ طَعِينْ
-وكُلُّ بَهْوٍ لَعَنَتْهُ الحَيَاهْ	وأَبْغَضَتْ أَبْوابَهُ الشَّامِخَهْ
-وهكذا تَبْرُزُ شَتَّى العِبَرْ	في مَسْرَحِ الكَوْنِ الرَّحِيْبِ العَجِيبْ

فالشاعر في هذه الأبيات التي أثبتناها ،قد نوع في أحرف الروي:(الحاء، الراء ، السين ، الباء ، الدال ، النون ، اللام ، الفاء ، الخاء) .

كما جمع بين نوعين من القوافي ، وهما :

القافية المترادفة ، في :(الجناح ، الصخور ، التراب ، الطويل ، الكهوف،

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٠٨ - ١١٣ .

طعين ، العجيب) .

القافية المتداركة ، في :(الناعسة ، المجهدا ، الواهن ، البشر، الشامخه).

وتنوع القافية في هذه القصيدة لم يحدث خللاً موسيقياً فيها ، فالشاعر هنا يغير قوافيه في حدود ما يسمح له وزن القصيدة ، وذلك لأن التفعيلة الأخيرة في بحر السريع (فاعلن)،تتغير إلى (فاعلان)،و(فعلن) .

وأمثلة هذا التنوع في الروي والقوافي في القصائد العمودية المتعددة الروي كثيرة ، وفي هذا النموذج ما يكفي للإشارة إلى بقية تلك النماذج[1] .

ب- ثبات القافية مع تعدد حرف الروي . ومن ذلك ما جاء في قصيدة محمد حسن فقي :(الحسناء والإثم)[2]، وهي تتكون من (اثني عشر مقطعاً)، وسنورد بيتاً من كل مقطع ، لنقف على تعدد أحرف الروي فيها مع ثبات قافيتها :

-فَوْقَ هذا الفِراشِ ضَاعَ عَفَــافٌ ... كانَ بين الحِسَانِ أَحْــلَى المَتَاعِ

-يالَحَظِّي من الحَــيَاةِ .. فما عَا ... دَ عَفَافِي الدَّامِي بها غَيْرَ ذِكْرَى

-ولقد كُنْتُ حَـــــاضِراً فَتَعَجَّبْـ ... ـتُ لهذي الخَجْلى .. لهذي الوَقَاحِ

- لا تُذِيبِي مآسِيَ الـــرُّوحِ فيها ... أَوْ تَظُنِّي النِّسْيانَ فيها مُـتَاحَا

-يا فَتَاتِي والدَّرْبُ هذا مُخِــيفٌ ... فَاتْرُكِيهِ لِـــدَرْبِكِ المَــأْمُونِ

-غَيْرَ أَنَّ الحَسْنَاءَ كانَتْ قـد انْسَا ... قَتْ إلى الإِثْمِ .. وارْتَضَتْهُ سَبِيلا

---

(١) انظر : مجموعة النيل ، طاهر الزمخشري ، ص ٨٢ -٨٣/ وديوان أجنحة بلا ريش ، حسين سرحان ، ص٢٠-٢٤/ والأنصاريات ، عبد القدوس الأنصاري ، ص ٢٥-٢٦/ وديوان ترانيم الصباح ، عبد السلام هاشم حافظ ، ص ١٠٨-١١٢، ص ١١٣ -١٢١ ، ص ١٢٢ - ١٢٦ ، وص ١٢٧ - ١٢٩/ وديوان ضياء الدين رجب ، ص١٢٢ - ١٢٣/ وديوان أغنية العودة ، سعد البواردي ، ص ٨٢ - ٨٦ .

(٢) مجلة إقرأ ، العدد (٥٠) ذو القعدة ، عام ١٣٩٥هـ ، ص ٣٦ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٥) ، ص٢٧٦-٢٧٩.

فَجَرتْ لِلْهَوى الخَليلِ فَـــلاقَتْ　　كجَزَاءٍ من الهوى أَلْفَ خِـــل

ما الذي بعد أَنْ تَرَدَّتْ إلى الدَّرْ　　كِ يَقِيها من الهَـــوِيِّ لِأَسْفَلْ

يَوْمَها تَذْرِفُ الدُّمــوعَ وما تَمْـ　　لِكُ إلاَّ ذَمَّاً .. وإلاَّ صَـــغَارا

فَــذُقِ اليَوْمَ ما سَقَيْتَ فَمَا كُنْـ　　ـتَ لِتُسْقى إلَّا بهـــذا الشَّرابِ

يافَتَاتِي سَأَذْرِفُ الدَّمْعَ ما عِشْـ　　ـتُ على لَحْظَــةِ الضَّـياعِ المُمِيتِ

فجميع القوافي في الأبيات السابقة من «المتواتر» ، والذي تغير هو حرف الروي ، حيث جاءت الحروف :(العين ، الراء ، الحاء ، والنون ، اللام ، الهاء ، الباء ، التاء) روياً لمقاطع تلك القصيدة .

وهناك قصائد أخرى اتحدت فيها القافية وتغير فيها حرف الروي ، ويكفينا هنا الإشارة إلى مظانها [1] .

النمط الثاني : القافية الحرة .

وقد جاءت هذه القافية في الشعر الاجتماعي على ثلاثة أنماط : مقطعية ، ومتغيرة ، ومرسلة .

أ- القافية الحرة المقطعية :

ونعني بها هنا: القافية التي تتغير مع كل مقطع من مقاطع القصيدة الحرة . ومن ذلك ما جاء في قصيدة الشاعر أحمد قنديل :(كنوز) [2]، ونكتفي بمقطعين منها للاستشهاد ، حيث يقول في المقطع الثاني :

المُنْصِتِينَ بِكُلِّ خَافِقَةٍ لِمُوسِيقَى الرُّعودْ

---

(١) انظر : الأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ، ص ٢١٨ - ٢٢١ ، وص١٣٥-١٣٨/ وديوان أغنية العودة ، سعد البواردي ، ص ٩٦- ٩٧ .

(٢) جريدة البلاد ، العدد (١٦٤٦) في ١٣٨٤/٢/٢٣هـ ، ص٢ .

النَّابِشِينَ الأَرْضَ في وَلَهِ الجُدودْ

والكَاشِفِينَ صُدُورَها حتَّى الزُّنودْ

مَعْنىً تَكَشَّفَتِ الحَقَائِقُ فِيهِ .. عن مَعْنَى الوُجودْ .

ويقول في المقطع السادس :

ومَعَ المَسَاءْ ...

أَبْصَرْتُهُمْ مُتَحَلِّقِينَ .. ونَارُهُمْ لَهَبٌ يَشِعُّ بِهِ الجَلالْ

بين الخُلَيْطِيِّ[1] المُهَذَّبِ رقْصَةٌ تَهَبُ الجَمَالْ

ومع الدُّفوفِ النَّاقِراتُ بها الأَصَابِعُ في دَلالْ

في مَوْكِبٍ سَبَقَ الكُهولَ بِهِ الشَّبَابُ إلى الصِّيَالْ

يَتَسَاجَلُونَ الشِّعْرَ حُلْواً في الأَدَاءِ ، وفي الخَيَالْ .

فالروي (الدال) كما نرى تكرر في السطور الشعرية التي تكون منها المقطع الثاني في القصيدة ، في حين تكرر (اللام) في السطور التي تكون منها المقطع السادس .

ومن هذين المقطعين وغيرهما في قصيدة القنديل :(كنوز)،نستطيع أن نخرج بأبيات من بحر (الكامل) تاماً ومجزوءاً .

ب- القافية الحرة المتغيرة :

وفي هذا النوع يقوم الشاعر باستخدام عدد من الحروف بوصفها روياً ، دونما انتظام محدد في استخدامها .

ومن ذلك ما جاء في قصيدة الشاعر سعد الحميدين :(القرينة وقطرات

(١) الخليطي : إحدى الرقصات الشعبية في محافظة الطائف .

الماء)،حيث يقول في المقطع الأول منها[1] :

مِثْلَمَا تُلْقى على الدَّرْبِ نِفَايَهْ
خَرَّ في الدَّرْبِ صَرِيعا .
قَالَ مَنْ قَالَ : أَصَابَتْهُ القَرِينَهْ
اعْطِنِي السِّكِّينَ والمَاءَ المُثَلَّجْ ..
إِنَّها بِنْتُ لَعِينَهْ
من بَنَاتِ الجِنِّ تَهْوَاهُ فَعَارَضْ ..
إِنَّها تَشْفِي لظَاهَا ..
اعْطِنِي المَاءَ سَرِيعاً ..
سَوْفَ تَخْرُجْ ..
بَعْدَ أَنْ أَتْلُو القِرَاءَهْ .

فالروي في هذا المقطع متعدد ومتداخل ، فالشاعر قد استخدم عدداً من الحروف ، بعضها لا يتكرر في أي سطر آخر من سطور المقطع ، وبعضها يتكرر ولكن دون نظام ثابت في استخدامها .

فـ(الياء) ، و(الهاء) ، و(الضاد) ، جاءت في ثلاثة سطور شعرية بوصفها روياً ، دون أن يتكرر أي منها في بقية السطور الشعرية التي تكون منها المقطع ، في حين نجد أن (النون) ، و(العين) ، و(الجيم) ، قد تكررت في المقطع نفسه ، إلاَّ أن الشاعر فصل بينها ، أو لنقل أنه عاد إليها بعد أن فصل بينها بروي آخر ، كالجيم بين النونين ، و بعدد من الحروف بين النونين والجيمين .

(١) مجلة اليمامة ، العدد (١٧٥) في ١٣٨٧/٧/١٧هـ ، ص٥ . وديوان رسوم على الحائط ، ص١٤٥ .

جـ- القافية المرسلة :

وفي هذا النوع يتحرر الشاعر من الروي تحرراً كاملاً ، بحيث لا يلتقي سطران شعريان في حرف روي واحد إلاَّ ما جاء منها عرضا .

ومن ذلك ما جاء في قصيدة الشاعر منصور الحازمي :(أحــاسيس طفلة)[1] حيث يقول في المقطع الأول منها :

عَمِّي ... عَمِّي

وجَرَتْ طِفْلَتُنا نَحْوِي

بِيَدَيْها تَحْمِلُ قِرْطاسا

وبَقَايا قَلَمٍ مَحْطُومِ

وهَوَتْ بِاللَّثْمِ على خَدِّي

وتَعَانَقَ خَلْفِي كَفَّاهَا

عَمِّي : عَلِّمْنِي حَرْفا

يَمْتَدُّ بِقِرْطاسِي ظِلاًّ

أَتَفَيَّأُ فيه ولا أَسْلُو

وأَشِيدُ بِهِ قَصْرَ أَمانٍ

وذُرَى أَحْلامٍ حُلْوَهْ

ومَشَارِفَ أَوْدِيةٍ خَضْراءْ .

وللشاعرة نازك الملائكة موقف من الشعراء الذين يهملون حرف الروي في

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (١٢٥) في ١٣٧٨/١٢/٢٦هـ ، ص٤ . وديوان أشواق وحكايات ، ص ٣٧-٣٨ .

الشعر الحر، حيث تقول مؤكدة أهميته ، ومعرضة بالمتحررين منه كلياً : «إن القافية ركن مهم في موسيقية الشعر الحر لأنها تحدث رنيناً وتثير في النفس أنغاماً وأصداء . وهي فوق ذلك فاصلة قوية واضحة بين الشطر والشطر ، والشعر أحوج ما يكون إلى الفواصل خاصة بعد أن أغرقوه بالنثرية البـاردة»(١) .

كما تبدي أسفها لعدم اهتمامها بالقافية في قصائدها التي قالتها في فترة سابقة من حياتها ، قائلة : « ومما أحب أن أعلن أسفي له أنني في شعري الحر لم أعن عناية أكبر بالقافية ، فكنت أغير القافية سريعاً وأتناول غيرها وهذا يضعف من الشعر الحر .. ولهذا بت أدعو إلى أن يرتكز الشعر الحر إلى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً جزئياً »(٢) .

---

(١) قضايا الشعر المعاصر ، ص ١٩٢ . والشاعرة تعني بالقافية هنا حرف الروي . والذي يؤكد ذلك تناولها لإحدى قصائد الزهاوي العمودية المرسلة ، ولإحدى قصائد الشاعر صلاح عبد الصبور ، والشاعر نزار قباني .
انظر ذلك في كتابها السابق ، ص ١٨٩ - ١٩١ .

(٢) ديوان نازك الملائكة ، المجلد (٢) ص ٤٢٢ . نقلاً عن الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث ، د. صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الخضيري ، مكتبة التوبة ، ط (١) ١٤١٤هـ -١٩٩٣م ، ص٣٤٩- ٣٥٠ .

المبحث الثالث

الموسيقى الداخلية

الموسيقى الداخلية هي ذلك «النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة ، بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر ، إنها مزاوجة تامة بين المعنى والشكل بين الشاعر والمتلقي »(١) .

والقارىء لما تمَّ عرضه من النصوص الشعرية يلمس مدى اهتمام كثير من شعرائنا بهذه الموسيقى الخفية في أشعارهم ، ومدى تفاعلها مع بقية عناصر التجربة من فكر وخيال وعاطفة ، فهي « تصاحب باستمرار الشعور المعبر عنه ، وتساير جيشانه ، وتحكي درجته ومقداره . فإذا زاد الانفعال وكان حاداً ارتفعت النبرة ، وتداخلت وتعقدت ، وإذا هدأ الانفعال ، ومال إلى التأمل هدأت النبرة ، وخفَّت حدتها وانبسطت .... »(٢) .

وليس من مهام هذه الدراسة الوقوف على جميع مظاهر الموسيقى الداخلية في الشعر الاجتماعي عند شعرائنا ، وحسبنا هنا الإشارة إلى أهم مظاهرها ومكوناتها .

وتأتي الألفاظ في مقدمة تلك المكونات والأسس التي تنبثق منها تلك الموسيقى ، حيث بدا اهتمام عدد كبير من شعرائنا باختيار الألفاظ القادرة على أداء تجاربهم الشعورية . ومما لاشك فيه أن اللفظ في بنيته الصوتية ودلالته المعنوية له أهمية كبرى في بناء الموسيقى الشعرية .

وأكثر ما تتمثل تلك الموسيقى في وضع الحروف في الكلمة ، وتنوعها من

---

(١) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالحميد جيدة ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م ، ص٣٥٢ .

(٢) عضوية الموسيقى في النص الشعري ، د. عبد الفتاح صالح نافع ، ص ٥٥ .

حيث الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والانطباق والانفتاح ، والعلو والانخفاض . يقول الشاعر حسن عبدالله القرشي من قصيدته :(عزم الشباب) [1].

زَنْدَ الشُّعوبِ ومَجْــــدَها	وضِياءَها والخَطْبُ كَابِي
بِكَ لا بِغَيْرِكَ تمْـــــتَطَى	في العِزِّ هَامَاتُ السَّحَابِ
يا أَيُّها الحَـــامِي الـذِّما	رَ رَعَتْكَ سَاحَاتُ الضِّرابِ
خُذْ في يَمِينِكَ مِشْعَــــلاً	واهْدِ الشَّرُودَ إلى الإيَابِ
عَلِّمْهُ أَنَّ المَجْـــــدَ لَمْ	يُخْلَــقْ لِبَـأْسٍ واحْتِرابِ
واسْطَعْ تُجَــلِّكَ المَـهَا	بَةُ لا تَكُنْ عَبْدَ الــثَّوابِ
زَنْدَ الشُّعـوبِ تَحِـــيَّةً	عَصْماءَ لَنْ تُهْـــدى لِنَابِ
أَنْتَ اللُّبَابُ فَحُزْ بِعَــــزْ	مِكَ وامْتَلِكْ لُـــبَّ اللُّبَابِ
وارْفَــــعْ مَنارَ العِـلْمِ لا	تَخْنَعْ لِعَجْزٍ واضْطِـــرَابِ
إنَّ الحَــــــيَاةَ تَقَدُّمٌ	لا تَسْتَقِــــرُّ عـلى تَبَابِ
إنَّ الشَّبَابَ هـــو الحَـيَا	ةُ وما الحَياةُ سِوَى الشَّبَابِ

فمن الملاحظ أن هذه القصيدة والأبيات التي قدمّناها منها قد نضجت على انفعال يتقد ويشتعل حماسة ، ولعل في مجيء فعل الأمر،ومعه (لا) الناهية بكثرة،ما يؤكد فورة ذلك الانفعال (خذ ، اهد ، علِّمه ، اسطع ، لا تكن ، فحز ، امتلك ، ارفع ، لا تخنع) .

---

(١) ديوان حسن عبد الله القرشي ، المجلد (١) ، ص ٢١٣ .

وأكثر ما يتجلى ذلك الانفعال في الكلمات والألفاظ التي اتكأ عليها الشاعر لنقل تجربته ، فهي تتسم بالجزالة والشدة في نبرتها ، التي جاءت تبعاً لسيطرة معظم الحروف الشديدة المجهورة على النص ، وذلك مثل :(الباء) الذي تكرر (تسعاً وعشرين مرة) ، و(التاء) الذي تكرر (إحدى وعشرين مرة)، و(الميم) الذي تكرر (ثماني عشرة مرة) ، و(الدال) الذي تكرر (عشر مرات) و(الضاد) الذي تكرر(أربع مرات) ، و(الطاء) الذي تكرر (أربع مرات)، و(القاف) الذي تكرر(أربع مرات) ، و(الجيم) الذي تكرر(أربع مرات) .

بالإضافة إلى وجود حروف تجمع بين الشدة والرخاوة ، وذلك مثل : (اللام) الذي تكرر (أربعاً وثلاثين مرة) ، و(الياء) الذي تكرر (خمسة عشر مرة)، و(الواو) الذي تكرر (أربعة عشر مرة) ، و(الراء) الذي تكرر (عشر مرات) .

وهناك حركة الضم التي جاءت في هذه الأبيات أكثر من غيرها ، وهي ملائمة لموضوع التجربة والانفعال السائد عليها ، لأنها توحي بالفخامة دائماً .

وهناك التشديد في الكلمات : (الذِّمار ، تجلّلك ، الشُّعوب ، اللُّباب ، لبٌّ، تقدُّم ، الشَّباب) .

كما أن هناك مظهراً آخر لشيوع تلك الموسيقى الهادرة ، ويتمثل ذلك في الزحاف الذي طرأ على التفعيلة (متَفَاعلن) لتتحول إلى (متْفاعلن) التي تكررت في هذه الأبيات (ثلاثاً وعشرين مرة) ، في حين جاءت (متَفاعلن) صحيحة ، (ثلاث عشرة مرة) ، وهذا - كما أرى -ملائم جداً لموضوع التجربة والانفعال الذي نضجت عليه ، وذلك لحدة النغمة التي تنبعث منها ، والتي جاءت من توالي السببين الخفيفين .

وفي قصيدة الشاعر ضياء الدين رجب :(لا تكوني) ، نقف على انفعال ثائر إلاّ أنه ليس حاداً كما مرَّ بنا آنفاً ، وإنما جاء سريعاً ، ولعل السبب في ذلك راجع إلى سيطرة مشاعر الخوف والهلع على عالم الشاعر الوجداني ، فجاءت تجربته ملائمة لحالته النفسية تلك .

يقول الشاعر في بعض أبياتها[1] :

لا تَغُرَّنْكِ بالخِـــــداعِ العَنَاوِيـ ـنُ كَلَمْعِ السَّرابِ في سُوءِ نِيَّهْ

إنَّها إنَّها مَصَـــــــــائِدُ لِلْـعِـفَّـةِ تَرْمِي شِرَاكَــــــها بِالْبَـلِيَّهْ

إنَّ مَجْدَ الفَتَاةِ في غَـرْسَةِ النُّبْـ ـلِ سَقَتْها الشَّمَائِلُ النَّــــبَوِيَّهْ

في الهُدَى تَسْتَرِيحُ في ظِلِّهِ النَّفْـ ـسُ وتَنْأَى عن الشُّرورِ الخَــفِيَّهْ

في بِنَاءِ الحَـيَاةِ تُشْرِقُ بِالأُسْـ ـرَةِ فيها الأَوَاصِرُ العَــــائِلِيَّهْ

فالشاعر في هذه الأبيات يبدي مخاوفه على فتاة بلاده من الانصياع والانجراف في متاهات المدنية الحديثة الوافدة ، ولعل في مجيئه بالنهي (لاتغرنك) في بداية البيت الأول ، وإتباعه لذلك النهي بتكرار (إن) المؤكدة لتفاهات المدنية الحديثة ومساوئها ، ما يدل على ذلك الخوف ، والحرص على هدايتها للطريق الصحيح واستقامتها .

ولو عدنا إلى الأبيات في محاولة للوقوف على موسيقاها ومدى تجاوبها مع ذلك الانفعال ، سنجد أن الشاعر قد وفق كثيراً في موسيقاه الموحية بذلك الجو المشحون بالخوف والقلق . الذي يتطلب سرعة مساوية له .

ولعل أول مظهر لتلك السرعة ، إسقاطه لعدد وافر من السواكن التي تحتوي عليها تفاعيل البحر الذي أطَّر به تجربته .

---

(١) مجلة قافلة الزيت ، العدد (١١) ذو القعدة ، ١٣٨٧هـ ، المجلد (١٥) ، ص ٢٨ . وديوان ضياء الدين رجب ، ص٣٣٢ - ٣٣٣ .

فالبحر هو : (الخفيف) وتفاعيله : (فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن) مكررة في الشطرين ، غير أن الشاعر لم يلتزم بها كما هي ، فـ(فاعلاتن) التفعيلة الأصلية جاءت في هذه الأبيات (اثنتي عشرة مرة) ، في حين جاءت (فعلاتن) البديلة (ثماني مرات) ، ولم تأت (مستفع لن) التفعيلة الأصلية في هذه الأبيات ، وإنما جاءت (متفع لن) البديلة (عشر مرات) .

وفي مجيء (فعلاتن) و(متفع لن) إيحاء بالسرعة والانطلاق ، لقلة السواكن فيهما ، مقارنة بالتفعيلتين الأصليتين .

وهناك مظهر آخر للسرعة ، ويتمثل في التدوير الذي سيطر على كل أبيات القصيدة باستثناء بيت واحد ، وفي ذلك دليل على منح الشاعر الحرية لأفكاره ومشاعره في الانسياب والتمدد ، حتى تبلغ غايتها .

وتأتي الألفاظ التي عبر بها الشاعر عن تجربته في مقدمة تلك المظاهر للموسيقى المتجاوبة مع الانفعال السائد ، فقد سيطرت الألفاظ المحتوية على الأصوات الرخوة والمهموسة على هذه الأبيات ، فـ(التاء) تكرر(إحدى عشر مرة) ،و(الهاء) تكرر (تسع مرات) ، و(الفاء) تكرر(ثماني مرات) ، و(السين) تكرر(سبع مرات) ، و(العين) تكرر(ست مرات) ، و(الشين)تكرر (أربع مرات) ، و(الكاف) تكرر(ثلاث مرات) . وهذه الحروف باستثناء (التاء) ، بحاجة إلى جهد عضلي في حالة النطق بها ، نظراً لضيق مجراها ، وهي مع (هاء) السكت التي جاءت وصلاً ملائمة أشد ما تكون الملاءمة للحالة الشعورية التي تقمصت عالم الشاعر الوجداني .

وهناك تجارب أخرى هدأ فيها الانفعال فهدأت فيها النبرة ، وانبعثت منها

أنغام رقيقة عذبة . نقف على مثل هذه الموسيقى والأنغام في قول الشاعر محمد بن علي السنوسي من قصيدته :(الجنوب الخصيب)[1] :

رَأَيْتُكَ (والوفُـودُ) عليك تَتْرَى ... بِأَجْنِحَةٍ تَزِفُّ بها اصْطِخَابا
حَـوائِمَ كالطُّيورِ ورَدْنَ نَبْعاً ... فَأَسْرَعَ سِرْبُها وجَرَى غِلابا
تَدَافَعُ بالقَوادِمِ والخَوافي ... وتَقْتَحِمُ الشَّوامِخَ والهِضَابا
تُحَلِّقُ تارةً وتَسِفُّ أُخْرى ... يَكادُ يَمَسُّ جُؤْجُؤُها التُّرابا
وحُـقَّ لها وقد وَرَدَتْ ورَادَتْ ... ثَرىً خِصْباً (وأَوْدِيةً)رِحَابا
إذا لَمَعَ البَرِيقُ على سَمَاها ... جَرَى الوادِي وسَالَ بها شِعَابا
وإنْ رَعَدَ السَّحَابُ على ذُرَاها ... سَرَى الحَادِي يَهُزُّ بِهِ الرِّكَابا
وإنْ لَعِبَ النَّسِيمَ على رُبَاها ... تَضَوَّعَ من خَمَائِلِها وسَابا
(حُقولٌ) سَمْحَةٌ وثَرًى غَنِيٌّ ... يَغِلُّ الفَصْلُ أَرْبَعَةً نِصَابا
يَدٌ لِلَّهِ خَصَّ بها بِلادِي ... فَسُبْحانَ الذي أَعْطَى وحَابا

والسنوسي في هذه الأبيات يعلن فرحته بالوفود التي وجهتها الدولة والقائمين عليها للوقوف على حاجات المنطقة التي ينتمي إليها الشاعر من المشاريع الإنمائية ، ويطلع تلك الوفود على بعض الخصائص التي أنعم الله بها على جنوبه الخصيب .

وإذا نحن عدنا إلى تلك الأبيات للوقوف على المظاهر التي وفَّرت لها ذلك الجو الموسيقي المطرب،الذي يملأ النفس غبطة وانشراحاً ، لألفينا ذلك في عدة أشياء ، تأتي الألفاظ التي استعان بها الشاعر للتعبير عن فرحته في

---

(١) مجلة المنهل ، محرم وصفر ١٤٠٠هـ ، المجلد (٢١) ص ٤٨ . والأعمال الكاملة ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

مقدمتها ، فمعظمها ألفاظ رقيقة عذبة تلائم ما أراد الشاعر التعبير عنه ، وذلك مثل :(سربها ، سماها ، سال ، السحاب ، النسيم ، سابا ، ثرى ، رباها ، وردن ، لعب ، لمع ، أعطى ، حابا) .

أضف إلى ذلك أن الشاعر قد وفق كثيراً في الاعتماد على تكرار بعض الأصوات المتآلفة والمنسجمة موسيقياً ، فـ(السين) تكرر (اثني عشر مرة) ، و(الصاد) تكرر (ست مرات) ، وهذان الحرفان بالإضافة إلى حرف (الزّاي) الذي تكرر (ثلاث مرات) ، من أصوات الصفير ، لأنها ساعة النطق بها تحدث صوتاً يشبه صوت الطائر . وهي بالإضافة إلى ذلك من الحروف التي تجمع إلى جانب الهمس ، الرخاوة والليونة ، وقد شاعت هذه الأصوات في الأبيات فأكسبتها أنغاماً هادئة تستعذبها النفس ، ولا تنفر منها الأذن .

فـ(الراء) مثلاً ، تكرر (أربعاً وعشرين مرة) ، و(التاء) تكرر (تسع عشرة مرة) ، و(الهاء) تكرر (اثني عشر مرة) ،و(العين والحاء) تكرر كل منهما (إحدى عشر مرة) ، و(الفاء) تكرر (تسع مرات) ، و(الخاء) تكرر (ست مرات) ، و(الكاف) تكرر (خمس مرات) .

وهناك التنوين في الكلمات : (أجنحةً ، نبعاً ، تارةً ، ثرىً ، خصباً ، أوديةٌ حقولٌ ، سمحةٌ ، أربعةٌ ، يدٌ) وقد ساعدت كثرة التنوين بالفتح على شيوع تلك الأنغام الرقيقة المنسابة في الأبيات .

وحفلت الأبيات: (السادس ، والسابع ، والثامن) بمظاهر عدة للموسيقى الداخلية ، فهناك تكرار (إنَّ) مرتين ، وانتهاء صدر كل بيت منها بحرف (الهاء) ، مما يوحي بوجود قافيتين لهذه الأبيات ، أولها في نهاية صدر البيت ، والأخرى في عجزه .

وهناك التساوي في المقاطع ، فـ(إذا لمع) مساوية تماماً لـ(إن رعد)،و(إن

لعب) . و(على سماها) مساوية تماماً لـ(على ذراها) ، و(على رباها)، و(جرى الوادي) مساوية تماماً لـ(سرى الحادي) .

وهذه المظاهر وتلك قد تظاهرت مع بعضها فمنحت الأبيات السابقة جواً موسيقياً مطرباً ، تهتز له النفوس ، وترتاح الآذان .

وتلك الموسيقى الخفية التي تساير موضوع القصيدة ، وتتواءم مع التجربة الشعرية المعبر عنها ، لاتنعدمها في قصائد التفعيلة التي عرضنا لها في دراستنا ، وإن كانت لدى الشاعر منصور الحازمي أظهر وأجمل .

ومن ذلك ما جاء في قوله معاتباً صديقه الذي تزوج بأجنبية[1] :

لَكِنَّنِي قَرَأْتُ في عَيْنَيْنِ تَدْمَعَانْ

عِتَابَهَا المَرِيرْ

وقِصَّةَ الجُرُوحْ

فَنَحْنُ يا صَدِيقْ

نَحِنُّ لِلْغَرِيبْ

ونَفْتَحُ الذِّراعَ والقُلُوبْ

لَهُ ... ونُوقِدُ الشُّموعْ

في المَنْزِلِ البَعِيدْ

بَيْنَا يَظَلُّ بَيْتُنا الكَئِيبْ

يَغْتَالُهُ الظَّلامْ

(١) جريدة البلاد ، العدد(٧٤)في ٢٠/١٠/١٣٧٨هـ ، ص٤ . وديوان أشواق وحكايات ، ص٣٢ .

وأُخْتُنَا

تَلُوبُ بِالْأَنِينْ .

فالموسيقى المنبعثة من هذه السطور الشعرية هادئة ورقيقة ، ولعل السبب في ذلك راجع لسيطرة الأصوات المهموسة والرخــوة عليها ، فـ(الــــتاء) تكرر (تسع مرات) ، و(الراء) تكرر(ست مرات) ، و(العين) تكرر (ست مرات) ، و(القاف) تكرر (خمس مرات) ، و(الفاء) تكرر(أربع مرات) .

وقد أوحى الشاعر بحزنه العميق من جراء عزوف صديقه عن فتيات مجتمعه ، من خلال تكراره لصوتي : (النون) الذي تكرر (سبع عشرة مرة) ، و(الميم) الذي تكرر(خمس مرات) ، وهما حرفا غنَّه يوحيان بالتحسر والأنين .

بالإضافة إلى كل ذلك وفق الشاعـــر في تطويع تفعيلة بحــــــر الرجز (مستفعلن) ، لتأتي كثيراً في تلك السطور (متفعلن) ، لتلائم المعاني الرقيقة المنسابة فيها .

كما أن تفاوت تلك السطور في عدد التفعيلات أدَّى إلى تنوع تلك الموسيقى ومسايرتها للدفقات الشعورية ، إضافة إلى تنويعه في القافية .

وهناك مظاهر أخرى للموسيقى الداخلية في الشعر الاجتماعي ، أضفت على الأبيات التي احتوت عليها موسيقى عذبة تطرب لها الأذن ، وتأنس لها النفس .

ومنها : التصريع ، وقد عرفه ابن رشيق بقوله :« أما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص بنقصه وتزيد بزيادته »[1] .

---

(١) العمدة ، جـ(١) ، ص ١٧٣.

وقد نبه الأستاذ علي الجندي إلى أهميته وقيمته الموسيقية ، حيث يقول:«والتصريع – في حقيقته – ليس إلاَّ ضرباً من الموازنة ، والتعادل بين العروض والضرب ، يتولد منها جرس موسيقي رخيم . وهو لذلك من أمس الحلى البديعية بالشعر ، وأقربها إليه نسباً ، وأوثقها به صلة . ونحن حينما نرهف آذاننا للإنشاد من شاعر معروف ، فأول ما نتشوف إليه ونترقبه منه ، هذا التصريع الذي يشبه مقدمة موسيقية خفيفة قصيرة ، تلهب إحساسنا ، وتهيئنا لاستماع قصيدته ، وتدلنا على القافية التي اختارها ، فإن أغفله أو أتى به رديئاً أو ركيكاً خيل أن شيئاً من الجمال ترك مكانه شاغراً» [1] .

وقد تحلَّت مجموعة كبيرة من القصائد الاجتماعية بهذه الحلية البديعية ، ولعل في الشواهد التي سأسوقها ما يؤكد وجود هذه القيمة الموسيقية في شعر شعرائنا .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر أحمد الغزَّاوي[2]:

رَقِرقِ الشِّعْرَ سَلْسَلاً والـــــرَّوائِعْ   واشْدُ ما شِئْتَ واغْتَبِطْ بالمَصَانِعْ

وقول طاهر الزمخشري[3] :

دَعِ المَــــوَّداتِ إنَّ الوُدَّ إغْـــراءُ   وَصَاحِبُ اليَوْمِ في دُنْياكَ حِرْبَاءُ

وقول العَّلاف[4] :

عُمَلٌ بِهِ أَمَلُ الأبُوَّةِ يَسْطَـــعُ   وإلَيْهِ تَقْصِيرُ الأُمومَةِ يَفْـزَعُ

---

(١) الشعراء وإنشاد الشعر ، علي الجندي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٤ .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٥٨١) في ١٣٧٣/١٠/٢٦هـ ، ص ١ .

(٣) مجموعة النيل ، ص ١٢٤ .

(٤) ديوان أشواق وآهات ، ص ١١٤ .

ومن تلك المظاهر الجناس ، وهو « تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى . وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً المختلفان معنى يسميان «ركنيْ الجناس » ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف ، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة »[1] .

وللجناس أنواع وأضرب : منها التام ويندرج تحته أنواع ، وغير التام ويندرج تحته أنواع أخرى .

وقد ظهر هذا الفن البديعي في ثنايا بعض الأبيات في عدد من القصائد الاجتماعية .

ومن ذلك ما جاء في قول الغزاوي[2] :

طِرْ إِذَا شِئْتَ في أَمَانِيكَ أَوْقَعْ إِنَّ (حَقَّ اليَقِينِ) في القَلْبِ أَوْقَعْ

فالجرس هنا نابع من التشابه في إيقاع اللفظتين المتجانستين : أوقع وأوقع ، فأوقع الأولى تعني . (أسقط) ، أما الثانية فتعني : (أثبت) .

وقد أشار النقاد إلى أن التشابه في جرس الكلمتين يدفع الذهن في الغالب إلى التماس التشابه بين معنييهما[3] . بل إن ذلك التشابه في جرس الكلمتين يقوي الانسجام بين معنى البيت كله ، وذلك سر من أسرار الجمال«والجناس لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصوت من أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام ، وسر قوته كامن في كونه يقرب بين : مدلول اللفظ وصوته من جهة ، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ - بما يسبغه عليه من الدندنة - من جهة أخرى»[4] .

---

(١) علم البديع ، د. عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م ، ص١٩٦ .
(٢) مجلة المنهل ، ربيع الأول ، ١٣٩٣هـ ، المجلد (٢٤) ص ١٦٦ .
(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبدالله الطيب ، جـ(٢) ، ط (٢) ، ص ٢٦٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص٢٦٣ .

ومن نماذج الجناس الذي توا فر في القصائد الاجتماعية،ما جاء في قول الشاعر علي حافظ[1]:

حيِّ اليَتيمَ بِجِـــدِّهِ وثَبَاتِهِ   يا شَعْبُ واسْتَثْمِرْ جَنَى وَثَبَاتِهِ

وقول الشاعر محمد بن علي السنوسي[2] :

فاخْضَوْ ضَرَتْ ورَبَتْ واهْتَزَّ سُنْبلُها   حَباًّ وحُبَّاً جرى في السَّهْل والأكَمِ

وقول الشاعر ضياء الدين رجب[3] :

هي المَصَانِعُ فَلْتَصْنَعْ بها أَمَــلاً   ضَخْماً فَكَمْ صَانَتِ الأَيْمَانُ إِيْمَانا

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية ، رد الأعجاز على الصدور ، وقد جاءت هذه الحلية البديعية في عدد من الأبيات ، ومنها قول الشاعر إبراهيم الدامغ[4]:

مِنِّي على أَهْلِ الهَوَى صَلَفُ   إِنْ زَمَّ في عِطْفَيْهِمُ الصَّلَفُ

فالدامغ هنا قد جاء بإحدي لفظتيْ:(الصلف) في نهاية الشطر الأول ، والأخرى في نهاية الشطر الثاني ، فأحدث ذلك نوعاً من الرنين الموسيقي ، وهذا يؤثر في أذن المتلقي « لأن ترجيع الألفاظ المتشابهة تدق الأسماع وتوقظ الأذهان »[5].

ومنه ما جاء في قول الشاعر ضياء الدين رجب[6] :

فالعُتْبُ ليس عليَّ يا رَجُلُ   لَكِنْ على مَنْ رامَنِي العَتَبُ

---

(١) ديوان نفحات من طيبة ، ص ٩٨ .

(٢) مجلةالجزيرة ، العدد (١) ذو القعدة ١٣٨٢هـ ، ص ٢٢ . والأعمال الكاملة ، ص ٢٩٧ .

(٣) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٩١ .

(٤) ديوان شرارة الثأر ، ص ٨٦.

(٥) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي جلال ، دار الرشيد للنشر ، ط١٩٨٠م، ص ٢٧٣ .

(٦) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٣٢٦ .

وقول الشاعر محمد حسن فقي[1] :

فَجَمْجَمَ واسْتَهانَ بِكُلِّ صَعْبٍ   وكم بُذَرَتْ جُهَــالَتُهُ الصِّعابا

ومن مظاهرها في شـعـر شـعـرائنا أيضـاً ، حـرص بـعـضـهم فـي أبيـات متفرقة من قصائدهم على الترصيع ، ومن نماذجه ما جاء في قول الشاعر عبد الله بن خميس[2] :

النَّارُ في زَفَـــراتِها والفَتْكُ في   شَفَراتِها والنُّجْحُ في خَطَراتِها

وقول الشاعر محمد بن علي السنوسي[3] :

ورَوْضَةٌ ظِلُّها ضافٍ وجَــدْولُها   صَافٍ وسَلْسَلُها شَافٍ لِكُلِّ ظَمِ

وقول العقيلي[4] :

تَنْهَلُّ في صَبَبٍ تَفْتَرُّ عن حَبَبٍ   كَوَمْضَةٍ من لَمَى لَعْسَــاءَ لَمْيَاءِ

---

(١) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٦٥٣) في ١٣٨٦/١/٢٣هـ ، ص ٧ . والأعمال الكاملة ، المجلد (٥) ، ص ٤٢٤ .

(٢) جريدة البلاد ، العدد (٣٦٧٤) في ١٣٩١/١/٢٦هـ ، ص ٥ . وديوان على ربى اليمامة ط (٢)، ص ٣٢١ .

(٣) مجلة الجزيرة ، العدد (١) ذو القعدة ١٣٨٢هـ ، ص ٢٢ . والأعمال الكاملة ، ص ٢٩٣ .

(٤) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٩٨٠) في ١٣٧٥/٣/٨هـ ، ص٣ . والمجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٤٢٤ .

الفصل الثالث

* * * * * * * *

الصـــــــورة الفنـــــــية في الشـعر الاجتمـــــــاعي

الصورة الفنية

تعد الصورة من أهم العناصر التي يكتسب بها النص الشعري صفته الفنية ، ذلك لأن الشاعر « بواسطة الصورة يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس ، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود والعلاقات الخفية بين عناصره »[1]. كما أنها « أكبر عون له على تقدير الوحدة الشعرية ، أو على كشف المعاني العميقة التي ترمز إليها القصيدة »[2].

والشاعر عند ما يلجأ إلى الصورة فإنه يسعى من وراء ذلك إلى التأثير في وجدان المتلقي لشعره ، وجعله يعيش التجربة التي عبر عنها ، ويتفاعل معها سلباً أو إيجاباً ، سواء كانت التجربة المعبر عنها نابعة من ذات الشاعر ومعاناتها ، أو عامة أحس بها حوله ، فعمد إلى جمع عناصرها ، ولم شتاتها ، وقام بمعايشتها والاندماج فيها ، ثم عبر عنها ونقلها إلينا ، لحملنا على مشاركته في التأثر بتجربته تلك .

وإذا كانت الصورة قاسماً مشتركاً بين الشعر والنثر ، فإنها بالشعر ألصق ، ذلك « لأن الشعر كله يستعمل الصور ليعبر عن حالات غامضة لا يستطاع بلوغها مباشرة ، أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجده الشاعر»[3] .

والذي ينبغي أن نشير إليه ما دمنا بصدد الحديث عن الصورة الفنية ، هو اختلاف مفهوم هذا المصطلح «الصورة» في النقدالحديث من ناقد إلى آخر. وذلك الاختلاف راجع إلى تنوع مشارب النقاد الثقافية ، وتباين اتجاهاتهم

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، ص ٧٣ .

(٢) فن الشعر ، د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت –لبنان ، ط ١٩٥٩م ، ص ٢٣٠ .

(٣) الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، ط(٢) ١٤٠١هـ –١٩٨١م ، ص ٢١٧ .

الفكرية ومناهجهم النقدية[1] .

إلاَّ أننا نستطيع أن نقول : إن الصورة الفنية «هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد ، والمقابلة والتجانس ، وغيرها من وسائل التعبير ، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية»[2] .

وللخيال دور بارز في تشكيل الصورة الشعرية ، فهو « أساس الصورة الأدبية مهما كانت درجته الفنية ، فإليه يرجع تحقيق الاندماج بين الشعور واللاشعور ، وتحقيق التوافق بين الوحدة والتنوع»[3] .

والخيال ليس مقصوراً على الشعراء وحدهم دون سواهم ممن يشاركونهم العيش على سطح هذه البسيطة من أبناء جنسهم ، وإنما هو غريزة إنسانية موجودة لدى جميع الناس ، إلاَّ أنهم يتفاوتون فيها قوة وضعفاً ، فمن الناس«من تضعف فيهم هذه الغريزة ضعفاً حتى توشك أن تموت ، بسبب استحواذ غريزة أخرى عليه ، ومنهم من تقوى فيه هذه الغريزة وتطغى على كل ما عداها من الغرائز الإنسانية . وبقوة هذه الغريزة أو ضعفها يتفاوت

---

(١) انظر : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، د. بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي ، ط (١) ١٩٩٤م ، ص ٣٦ وما بعدها/ والحداثة في الشعر العربي المعاصر مبناها ومظاهرها ، د. محمد حمود ، الشركة العالمية للكتاب ، ط (١) ١٩٩٦م ، ص ٩٧ وما بعدها .

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ط (٢) ١٤٠١هـ -١٩٨١م ، ص ٣٩١ .

(٣) الصورة في شعر بشار بن برد ، د. عبدالفتاح صالح نافع ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٣م ، ص٦٧.

الإحساس والشعور فيتفجر الشعر الخالد من بعض الأفئدة البشرية»[١] .

وهو بالنسبة للشاعر «قوة خالقة مبدعة ، تعمل على استثارة الرصيد الثقافي عنده ، واسترجاع الحالة الشعورية التي انبعثت عن التجربة وصاحبتها . كما يقوم بخلق نوع من العلاقات الخاصة بين الأشياء الخارجية ، وينتقي الأحداث ، ويختار منها المواقف الصافية التي تغذي التجربة الشعرية، ويعيد تنسيقها بحيث تصبح قادرة على تصوير الحالة الشعورية ، ثم يعد الأشكال الفنية ويصبها في صور مترابطة منسجمة يلفها وشاح شعوري شفاف لا يفترق فيه الشكل عن المحتوى أو الألفاظ عن معانيها ولا ينظر لها إلاّ ككل واحد »[٢] .

وتلعب العاطفة دوراً بارزاً في نجاح الشاعر أو فشله في عرض صوره الشعرية ، ذلك لأن العاطفة « هي التي تهب للحدس تماسكه ووحدته ولا يعتبر الحدس حدساً حقاً إلاّ لأنه يمثل عاطفة ، ومن العاطفة وحدها يمكن أن يتفجر الحدس ، إن العاطفة هي التي تضفي على الفن ما في الرمز من خفقة هوائية ، تشوف محصور في دائرة تصور ، ذلكم هو الفن ، وفي الفن لا يكون التشوف إلاّ بالتصور ، ولا يكون التصور إلاّ بالتشوف »[٣] .

ولما كان الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية كغيره من جوانب الشعر الأخرى يعبر عن عواطف منتجيه ومدى تفاعلهم الحي مع مجتمعهم وقضاياه ، فقد لونوا قصائدهم بصور شعرية منها التقليدية التي استدعتها ذاكرة الشعراء مما علق بها من صور تراثية قديمة ، ومنها الحديثة المستمدة والمستوحاة من حياتهم وواقعهم الذي يعيشونه .

---

(١) الخيال الشعري عند العرب ، أبو القاسم الشابي ، الشركة القومية للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٦١م ، ص٢١ .

(٢) التصوير الشعري ، د. عدنان حسين قاسم ، المنشأة الشعبية للنشرو التوزيع والإعلان ط(١) ١٩٨٠م، ص٢٥-٢٦.

(٣) المجمل في فلسفة الفن ، بندوكروتشه ، ترجمة سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص٤٧ . نقلاً عن الصورة في شعر بشاربن برد . ص٧٩ - ٨٠ .

ويبدو لي أن عدم استقلال القضايا الاجتماعية عند بعض شعرائنا في بادىء الأمر بقصائد مفردة ، إضافة إلى صلة بعضهم الوثيقة بشعر شعرائنا القدماء ، هو الذي مهد الطريق لتسلل عدد من الصور التراثية القديمة إلى الشعر الاجتماعي .

ومن تلك الصور،ما جاء في قول الشاعر أحمد الغزاوي مصوراً سرعة حركة السفن في ميناء جدة وضخامتها [1] :

مَرَقَتْ فَوْقَهُ (القِلاعُ) سِهَاماً ... مُنْشَآتٍ كَأَنَّهَا الجَـوْزاءُ

فالمشبه هنا السفن (القلاع) ، والمشبه به (السهام) في السرعة ، و(الجوزاء) في الارتفاع والعلو . والغزاوي هنا لم يأت بجديد في تصويره ، فعلى الرغم من محاولته مجاراة روح العصر ووصف إحدى مخترعاته العظيمة ، إلاّ أنه ظل حبيس ذاكرته التي اختزنت عدداً وافراً من الصور القديمة ، نتيجة لقراءاته في ديوان الشعر العربي القديم ، فكان بذلك مقلداً ومحاكياً ليس إلاّ.

وصورة (السهم) التي وقفنا عليها عند الغزواي ، نجدها عند الشاعر محمد بن أحمد العقيلي في تصويره لسرعة اندفاع المياه من عين العـزيزية في جازان [2] :

اسْتُنْبِطَتْ من طِبَاقِ الأَرْضِ فَانْدَفَعتْ ... كَأَنَّهَا (السَّهْمُ) في نَزْعٍ وغُـلْواءِ

وصورة (الأسد) وما توحي به من قوة وشجاعة وإقدام ،استدعاها بعض شعرائنا في تصويرهم للنهضة القوية التي يطمحون إلى رؤيتها من شباب مجتمعهم . ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر سعد أبو معطي [3] :

وَيبُثُّ الشَّوقَ في أَعْمَـاقِنَا ... فَتَرانا قَدْ نَهَضْنَا كالأُسُودْ

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٩٥٣) في ١٢/٨/١٣٦٩هـ ، ص ٢ .
(٢) المصدر السابق ، العدد (١٩٨٠) في ٣/٨/١٣٧٥هـ ، ص ٣ . والمجموعة الشعرية الكاملة ، ص٤٢٤ .
(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص٢٤٢ .

وصورة (الثعلب) وما توحي به من مكر وخبث وخداع ، يستدعيها الشاعر عبد الكـــريم الجهيمان في تصويره للأصـــدقاء المداجين ، الذين يظهرون في ساعة الرخاء ، ويختفون عند الشدائد[1] :

فَخَيْرُ مَحَكٍّ يُظْهِرُ الزَّيْفَ مِنْهُمُ ... ويَكْشِفُ عن سَوْآتِهِمْ والمَعَائِبِ

إِصَابَةُ مَنْ ودُّوهُ في الدَّهْرِ مَرَّةً ... بِفَادِحَةٍ من فَادِحَاتِ النَّـــوائِبِ

هُنَالِكَ يَبْدُو مُخْلِصُ الـوُدِّ مِنْهُمُ ... ومَنْ هو في أَفْعَالِهِ كالثَّعَــالِبِ

ويضيف الشاعر إبرهيم فلالي إلى صورة (الثعـــلب) ، صــــورة كل من (الذئب)،و(النمر) ، اللتان توحيان بالشراسة والفتك ، في تحذيره لفتيات بلاده من السفور والتبرج[2] :

والغَـــــابُ يَزْخَــــرُ بالذِّئا ... بِ وبالثَّعَــــالِبِ والـــنُّمورْ

ويستدعي الشاعر إبراهيم فطاني صورتي : (النسر)،و(الصقر)،في حثه لأبناء مجتمعه على أن يكونوا أقوياء في كل شيء ، لأن العصر الذي يعيشون فيه لم يعد يحفل إلاَّ بالأقوياء[3] :

فَوَيْلُ الضَّعيفِ من الأَقْــوياءْ ... وَوَيْلُ القَطَا من قَوِيِّ الصُّقورْ

فَكُونُوا الحُصُونَ لأَوْطَـانِكُمْ ... وكُونُوا الجُـنودَ لها والنُّسورْ

وصور (الظبي) ، و(الغزال) ، و(الشمس) ، و(الصباح)،و(البدر)،و(الهلال)، استدعاها عدد من الشعراء في تشبيههم لجمال المرأة،ورشاقتها،وبهائها .

ومن ذلك ما جاء في قول العواد في إحدى قصائده عن المرأة[4] :

فهي شَمْسُ في البَهَا أَوْ دُمْيَةٌ ... أَوْ غَزَالٌ نَافِرٌ من صَــائِدِينْ

(١) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٣٨٨) في ١٣٥٨/٥/٢١هـ ، ص ٤ .
(٢) ديوان ألحاني ، ص١٧٥ .
(٣) مجلة المنهل ، عدد شعبان ١٣٦٩هـ ، المجلد (١٠) ، ص٣٠٠ .
(٤) ديوان العواد ، جـ (١) ، ص ٧٤ .

وقول الشاعر أحمد الغزاوي[1] :

وأَبْصَرْتُ هَوْلاً أَيَّ هَوْلٍ أَوانِساً   من الغِيْدِ يَحْكِينَ البُدُورَ تَمَاما

وقول الشاعر عبدالوهاب آشي في قصيدته :(من واقع الحياة الأليم)[2] :

غَادَةٌ كالصَّبَاحِ مَرْآىً وإِشْرا   قاً وقَطْرِ النَّدى طَهَارَةَ نَفْسِ

وصورة (الحمائم) التي تشدو بصوتها الشجي ، يستدعيها الشاعر ضياء الدين رجب في تصويره لفرحة البلاد واحتفالها بأحد أبنائها المتفوقين[3] :

وإِنَّ بِلاداً أَكْـــــــــرَمَتْهُ لِشَأْنِهِ   وعَادَتْ بِهِ تَشْدُو كَشَدْوِ الحَمَائِمِ

وصورة (حشرة الحباحب والضوء الخافت الذي ينبعث منها عندما تطير ليلاً) ، نجدها في تصوير الشاعر محمد حسن فقي لتفاهة أحد المتغطرسين ، وبيان قيمته ومقداره عنده[4] :

لَسْتَ عِنْدِي وما اكْتَسَبْتَ رَخِيصاً   من حُطامٍ إلاَّ كَنَارِ الحُـــبَاحِبْ

والكناية عن المرأة بـ(ذات الخبا)،من الصور القديمة التي تكررت في شعر شعرائنا القدماء ، وقد جاءت في الشعر الاجتمـــاعي عند الشاعر عبدالله بن خميس،في قوله(٥) :

يا نَصِيرَ العِلْمِ هل من شِرْعَةٍ   تَمْنَعُ التَّعْلِيمَ عن ذَاتِ الـخِبَا

ومع انبثاق فجر النهضة الحديثة في البلاد ، وانتعاش الحركة الثقافية التي كانت ثمرة من ثمار انتشار أنوار العلم في سائر أرجائها ، تطور الشعر فيها تطوراً واضحاً وملموساً ، ذلك بفضل ما أتيح للشعراء من ينابيع ثقافية

(١) جريدة البلاد السعودية ، العدد (٦١٧) في ١٣٦٥/٩/٢٢هـ ، ص ١ .
(٢) مجلة المنهل ، رجب وشعبان ١٣٧٤هـ ، المجلد (١٥) ، ص ٤٣٢ .
(٣) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ٥٨ .
(٤) الأعمال الكاملة ، المجلد (٣) ، ص ٢٢٠ .
(٥) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٤٥٥) في ١٣٧٣/٥/٢١هـ ، ص٤ . وديوان على ربى اليمامة ، ط(٢) ، ص٥٦٨ .

جديدة متعددة الروافد ، بالإضافة إلى اتصال معظمهم الوثيق بحركات التجديد في الشعر العربي ، التي ظهرت في بعض الأقطار العربية وغيرها ، لاسيما الرومانسية ، والرمزية ، والواقعية .

وقد بدا أثر ذلك كله على الشعر الاجتماعي عند عدد كبير من الشعراء ، سواء في مضامينه ، أو في شكله وصورته .

فبعد أن كانت موضوعاته وقضاياه ترد في بادىء الأمر عرضاً في إحدى قصائد المناسبات ، أصبحت تستقل بنفسها ، مما أدى إلى تحقق الوحدة الموضوعية في أغلب القصائد الاجتماعية ، والعضوية في بعضها .

وتبع ذلك انحسار الصور التقليدية وتقلصها في الشعرالاجتماعي عند شعرائنا ، وظهور الصور الحديثة المستمدة من واقع الشعراء الذي يعيشونه ويتفاعلون معه سلباً وإيجاباً .

وقد راوح الشعراء – تبعاً لمقدرتهم الفنية – في تصويرهم « بين الصورة الجزئية التي تستقل بمشهد صغير ، أو فكرة محددة تبرزها في إطار خاص، يعرضها في كيان مستقل ، وبين الصورة الكلية التي لا تصلح للاستقلال الجزئي بل ترى طالبة لما يليها من الصور في تتابع وتسلسل ، وفي اتساع ونمو وتداخل ، حتى تكتمل من مجموعها الصورة الكبرى أو اللوحة الكلية ».(١)

والمتأمل في تلك الصور التي نقلت لنا تجارب شعرائنا في شعرهم الاجتماعي ، يقف على حضور الخيال في معظمها ، وتدخله في رسم أبعادها ، وإلباسها الظلال والإيحاء والألوان والحركة ، سواء اعتمد الشعراء فيها على المجاز بأساليبه وطرقه المختلفة ، أو على الحقيقة .

---

(١) أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، د. نظمي عبد البديع ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦م ، ص ١٣٩ .

ولك أن تقف على دور خيال الغزاوي وحضوره الفاعل في تصويره لمأساة تلك الفتاة التي تدعى (فاطمة)،حيث يقول[1] :

نَشَأَتْ تَحْتَ (سَمَاءٍ) غَــائِمهْ ... طِفْلَةٌ تَحْيا وَتَفْنَى (صَــائِمَهْ)

عَالَـــــها حِيْناً فَلَمَّا أَيْنَعَتْ ... واشْرَأَبَّتْ لِلْأَمَانِي الحَــائِمَهْ

عَادَ كَهْلاً يَعْثُرُ الخَطْــوُ بِهِ ... وهي تَشْدُو في رُؤَاهَا واهِــمَهْ

ورَأَتْ أَتْرابَها من حَــوْلِها ... يَتَنَافَسْنَ (المُروطَ) النَّاعِــمَهْ

أَكْؤُساً صَــافِيَةً يَشْرَ بْنَها ... ويُدَاعِبْنَ (الثُّغورَ) البَــاسِمَهْ

وهي في رَيْعانِها مَبْهُــورَةٌ ... تَارَةً تَسْلُــو وأُخْــرى نَادِمَهْ

وهي من نَسْجِ المُنَى كَــاسِيَةٌ ... وهي من سُؤْرِ (المَآسِي) طَاعِمَهْ

راعَهَا فَقْــرُ أَبِيْها فَبَكَتْ ... وانْطَوَتْ تَشْكُو الهُمومَ الجَاثِمَهْ

كَبُرَتْ في صَدْرِها (أَشْجَانُها) ... وهْيَ في الخِدْرِ (الفَتَاةُ) الحَالِمَهْ

كُلُّ ما تَمْلِكُه من شَــأْنِها ... أَنَّها في عُقْرِها كَــالسَّائِــمَهْ

تَتَلاقَى في الدُّجَى أَسْــرَارُها ... وهْيَ حَتَّى عن (ذَوِيها) كَــاتِمَهْ

ذَبُلَتْ أَوْرَاقُها وانْهَصَــرَتْ ... وتَوَارَتْ في الزَّوايا القَــاتِمَهْ

يُتِّمَتْ من أُمِّــها يَافِــعَةً ... ومَشَتْ بين الغَوانِي سَــاهِمَهْ

كُلَّمَا مَرَّتْ بها (صَــادِحَةٌ) ... من بَنَاتِ (الأَيْكِ) أَنَّتْ بَــاغِمَهْ

يَهْمُسُ الشَّجْوُ بِأُذْنَيْها الهَوَى ... وهْيَ عَنْهُ في (حُــروبٍ قَــائِمَهْ)

شَفَّها السُّقْمُ طَــوِيلاً وارْتَمَتْ ... حين لَمْ تَلْقَ (القُلوبَ الرَّاحِــمَهْ)

---

(١) شعراء الحجاز في العصر الحديث ، ص ٨٥ – ٨٦ .

فالصور الجزئية المتتابعة التي حفلت بها هذه الأبيات ، من مثل : (راعها فقر أبيها ، بكت ، انطوت ، تشكو الهموم الجاثمه ، كبرت أشجانها، تتلاقى في الدجى أسرارها ، ذبلت أوراقها وانهصرت ، وتوارت في الزاويا القاتمه ، ومشت بين الغواني ساهمه ، شفها السقم طويلاً وارتمت) كلها تجسد معاناة تلك الفتاة ، التي ما إن أفاقت من هول صدمتها برحيل أمها عن دنياها ، وحرمانها الأبدي من ذلك الينبوع الذي يتدفق حناناً ، وبدأت تتطلع إلى الحياة ، وتسرف في أمانيها وأحلامها ، حتى فاجأها واقعها المرير الذي أشرع لها أحضانه بكل ما يدخل الأسى والحسرة إلى وجدانها الغض . فأبوها الذي كانت تعول عليه كثيراً في إسعادها ، وتلبية كل ما تحتاج إليه كفتاة مقبلة على الحياة ، لم يعد يقوى على العمل والكسب لكبر سنه ، وهو إلى جانب ذلك فقير معدم ، لا يملك من حطام الدنيا ما يسد به حاجتها وحاجته إلى الزاد ، فضلاً عن جلبه لها كل ما يسعدها ويبهجها .

وقد استطاع الغزاوي بواسطة تلك الصورة الكلية التي قام خياله بلم شتاتها وجزئياتها ، وأعاد تنسيقها وأحكم بناءها داخل ذلك الإطار (القصصي) الذي اختاره لها ، نقل تجربته الشعورية إلينا ، وحملنا على مشاركته في التأثر بمأساة (فاطمة) والتعاطف معها .

ونقف على حضور الخيال وتدخله في رسم أبعاد الصورة ، في قول السنوسي مصوراً لوقع نبأ عزم الدولة على إنشاء مشروع زراعي في منطقة (جازان) على نفسه وعليها معه[1] :

(أَمَلٌ) لاحَ في سَمَاءِ الوُجُــودِ   ذَهَبِيُّ السَّنا زَكيُّ الــــوُرودِ
مُشْرِقٌ كالضُّحَى على الأُفْقِ زَاهٍ   كالأَزَاهِيرِ في الرَّبِيْعِ الجَـــديدِ

(١) مجلة المنهل ، ذو الحجة ١٣٧٢هـ ، المجلد (١٣) ص ٥٩٢ . والأعمال الكاملة ، ص ٣٢ – ٣٣ .

لَبِسَتْهُ تَأَلُّـــــــقاً وأَذَا لَتْ فيه (جَازانُ) ضَافِياتِ الــبُرودِ
تَتَهادَى بِهِ الأَمَـــانِي على أَنْــغامِ نَايٍ من لَحْنِ (عَصْرٍ) سَعيدِ
بَاسِمَاتِ الثُّغورِ نَشْــوى عليها نَضْرَةُ الزَّهْرِ وائْتِلاقُ العُقــودِ
في فَمِي من رِضَـا بِها رَشَفاتٌ ثَمِلاتٌ بها تَرانيمُ عُــــودِي
شَاقَهَا مَوْلِدُ (النُّهـوضِ) فَهَبَّتْ تَتَبارَى إلى احْتِضَـــانِ الوَلِيدِ

فالصورة هنا تجسد فرحة الشاعر ومنطقته (جازان) بذلك المشروع ، الذي يحمل في حناياه وطلعته البهية بشائر التطور والنَّماء لها ولقاطنيها .

وقد اعتمد الشاعر في تصويره لتلك الفرحة ، ولآثار ذلك المشروع ، الذي لاح في سماء (جازان)،له لون الذهب ورائحة الورد ، على خياله المحلق،الذي قام باستحضار عناصر تلك الصورة،ثم أعاد تنسيقها ؛ ليقدمها إلى قارئه مزدانة بالألوان ، موارة بالحركة ، غنية بالإيحاء ، تضوع من جنباتها الروائح العطرية الزكية ، حاملاً إياه على التأثر بتجربته تلك والانفعال بها ، كتأثره وانفعاله بها تماماً .

فالأمل (المشروع الزراعي) مشرق (كالضحى) ، وزاه (كالأزاهير في الربيع الجديد) . ولك أن تتأمل في إشراقة الضحى وما تحفل به من معاني الأمل ، والانطلاق ، والأمن ، الذي يزرعه ذلك الضوء المنبعث عن تلك الإشراقة في الأحداق بعد ليل داج ، وتلك الأزهار الربيعية النضرة وما يتركه جمال أشكالها وألوانها في عين الناظر إليه ، ونفح شذاها في روح مستافه من تجدد في الحياة وبهجة وانشراح .

وانظر إلى خيال السنوسي الخصب ودوره في إلباس الأماني – وهي من المعاني المجردة – ثوب الحياة الإنسانية ، فإذا هي « تتهادى ، ويفترثغرها عن

البسمات ، وتثملها النشوى كأنما هي كائن حي نلمسه بحواسنا»[1].

وتلك اللوحة التي قدمها السنوسي لذلك الأمل والفرحة التي عانقت عالمه الوجداني والمكاني ، لم تخل من عنصر الحركة الذي بث في أوصالها الحيوية والنشاط ، وذلك لاعتماده على مجموعة من الأفعال التي من خصائصها الحركة ، من مثل : (لاح ، لبسته ، أذالت ، تتهادى ، هبّت ، تتبارى) .

وهي إلى جانب ذلك،حافلة بالألوان المبهجة،والأصوات المطربة التي زادتها إيحاءً بفرحة الشاعر ومنطقته بذلك الأمل .

فهناك الألوان المتوافرة في :(السنا الذهبي ، والضحى المشرق ، ونضرة الزهر ، وائتلاق العقود)،والأصوات في : (أنغام ناي ، لحن عصر ، ترانيم عودي) .

والناظر في الصور الشعرية التي حفل بها الشعر الاجتماعي ، يقف على تعدد الأدوات والوسائل التي استعان بها الشعراء لتشكيل أحاسيسهم وأفكارهم وخواطرهم ، وجلاء تجاربهم الشعورية .

فهم عندما يتناولون الأمور المعنوية في شعرهم يعمدون إلى تجسيمها ، وذلك عن طريق منحها صفات محسوسة مجسمة ، لتقريبها لذهن المتلقي حتى يدركها بكل سهولة ويسر .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر إبراهيم فلالي مصوراً بعض عواقب السفور والتبرج الوخيمة لفتيات مجتمعه والقائمين على أمرها[2] :

ما الغِيدُ إلاَّ لُؤْلُؤٌ	صَدَفاتُهُ مُهَجُ الصُّدُورْ
فَدَعوا القُلوبَ مَشُوقَةً	لِلدرِّ تَحْجُبُه السُّتُورْ

(١) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، ربيع محمد عبد العزيز وآخرون ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص٤٩ .

(٢) ديوان ألحاني ، ص ١٧٥ .

هل يُنْثَرُ الــــدُّرَّ المَصُو نَ سِوَى المُحَمَّقِ لِلطُّيورْ
والغُصْنُ يُعْطِــبُهُ التَّعَــــــرُّضُ لِلْعَـــــواصِفِ والهَجِيرْ
والوَرْدُ من لَمْــسِ الأَنَـا مِلِ لا يَضُــــوعُ لَهُ عَبِيرْ

فالفلالي في البيتين الأولين يبين المكانة الرفيعة التي يجب أن تحتلها المرأة ، والقيمة الرفيعة التي تكتسبها عندما تكون بمنأى عن العيون المتعطشة لرؤية ما تتمتع به من جمال وفتنة .

أما إذا ألقت بحجابها ، وخرجت تذرع الدروب طولا وعرضاً ، فإنها ستفقد كل مغرياتها ، ولن تجد - في نهاية المطاف - من يمد لها يده طالباً قربها ، لأنها قد فقدت كل ما يزينها في أعين الرجال الأسوياء .

وحتى يستطيع الفلالي تقريب تلك المعاني من أذهان الفتيات وأولياء أمورهن وإيضاحها وبيانها ، جاء بالغصن النضر المليء بالحيوية ، وعزله عن سائر الأغصان والأوراق التي كانت تستره وتحميه ، وجعله عرضة للشمس المحرقة ، والعواصف الهوجاء ؛ فتلف ذلك الغصن ، وذهب عنه كل ما كان يتمتع به من جمال ورواء .

وجاء بالورد وهو نبت جميل ، تبهج النفس ألوانه الزاهية ، وتنعشها روائحه العطرية ، وجعله عرضة للمس الأنامل ؛ مما تسبب في فقده لنضارته ولأهم مصادر جماله ، وهو تلك الرائحة العطرية التي تنبعث منه .

وقد وفق شاعرنا كثيراً من خلال صورته التجسيمية تلك ، في تحذير فتيات مجتمعه من السفور ، وحملهن على التمسك بحجابهن الإسلامي الذي يصونهن ويحميهن ، ويزيدهن جمالاً فوق جمالهن ، في آن واحد .

والأبيات السابقة تفصح عن حب الشاعر لفتيات مجتمعه ، وحرصه

الشديد على سلامتهن وسلامة المجتمع بأسره من الأضرار والعواقب الوخيمة التي تنجم عن السفور .

ويعتمد الشاعر عمران العمران على التجسيم في تصويره لتفشي إحدى الآفات والعلل في المجتمع ، حيث يقول[1] :

وَوَقَفْتُ أَنْظُرُ ما حَـوَالَيْ واقِعي وأُطِيلُ فيه تَأَمُّلِي وَتَطَلُّـعِي
قَسَماً .. فما أَبْصَرْتُ غَيْرَ (مُنَافِقٍ) يَهْوى (الحَيَاةَ) ولـو على مُسْتَنْقَعِ
يَهْوى (الحَيَاةَ) ولو يَكُـونُ سَبِيلَها قَتْلَ الرُّجُـولةِ والضَّمِيرِ الأَرْوَعِ
يَبْتَاعُ دُنْيَاهُ (بِرَطْـلِ) نَمِيمَةٍ وَيَبِيعُ (تَقْواهُ) بِأَتْفَهِ مَـرْتَعِ

فالرجولة والضمير معنيان مجردان ، إلاَّ أن الشاعر جسمهما ، بمنحهما صفات مادية محسوسة ، فهما يقتلان على مرأى ومسمع الجميع . وكذا صنع مع الدنيا ، والنميمة ، والتقوى ، حيث عمد إلى تجسيمها ، فأحالها إلى أشياء مادية محسوسة ، يتداولها الناس في حياتهم اليومية عن طريق البيع والشراء.

والصور الجزئية التي حفلت بها هذه الأبيات ، تجسد استشراء ظاهرة النفاق والمتاجرة بالدين والأخلاق في المجتمع ، وتعبر عن عدم رضا الشاعر عما يراه ، ومدى سخطه على المصابين بذلك الداء البغيض .

ومما زاد تلك الصور تأثيراً في عالم المتلقي ، وجعله يشارك الشاعر آلامه من جراء استشراء تلك الظاهرة ، مقابلته بين شرائهم للحياة التي هي دار زوال وفناء،بالنميمة،والكذب،والخداع ، وبيعهم لتقواهم التي فيها نجاتهم وسعادتهم الأخروية،بأتفه مرتع ، مما يدل على خسة ودناءة المتصفين بتلك الصفة الأخلاقية الذميمة .

---

(١) جريدة أخبار الظهران ، العدد (٢٣) في ١٥/٤/١٣٧٦هـ ، ص ٢ .

ويعتمد الشاعر منصور الحازمي على التجسيم في تصويره لفرحة أحد شباب مجتمعه ، وترقبه للحظة إتمام زواجه بتلك الفتاة التي منحتها الخاطبة من الصفات ما جعله دائم التفكير فيها ، حيث يقول على لسانه[1] :

فَأَضُمُّ في لَهَفٍ على قَلْبِي الضُّلوعْ

ويَكْتَوِي فِيَّ الحَنِينْ

يا كم ... وكم أَطْلَقْتُ أَفْكَارِي

وبِتُّ أَضُمُّها

وتَضُمُّنِي

حَتَّى لأَخْجَلُ أَوْ أَفِرُّ مَعَ الظَّلامِ إلى الظَّلامْ .

فالحنين أمر معنوي مجرد ، تحسه النفس ولا تدركه العين ، إلاَّ أن خيال الشاعر جسمه وجاء به في صورة محسوسة ، فإذا هو يكتوي . وكذلك صنع مع الأفكار ، فهو تارة يطلقها لتسبح في عالم لا نهائي ، وأخرى يسترجعها ليتبادل معها الضمَّ والعناق .

وعند ما يتناولون الماديات والمحسوسات التي لا حياة فيها يميلون إلى تشخيصها ، وذلك بإضفاء الصفات الإنسانية عليها ، محاولين إبراز معالم الصورة وجوانبها ؛ حتى يقترب المعنى الذي جلبت لتأديته ويتضح ، ومن ثم التأثير في عالم المتلقي .

ومن نماذج اعتماد شعرائنا على هذه الأداة أو الوسيلة في تصويرهم الشعري ، ما جاء في قول الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي مصوراً النهضة

(١) جريدة حراء ، العدد (١٢٢) في ١٣٧٨/١/٢٧هـ ، ص ٢ . وديوان أشواق وحكايات ، ص ١٨ – ١٩ .

التي تعيشها بلاده المترامية الأطراف ، ومظاهر فرحة بعض مدنها بها[1] :

إذا «الرِّياضُ» بهِ غَنَّتْ عنَـــادِلُها ... تَلَفَّتَ الزَّهْرُ في «البَطْحَاءِ» ولْهَانا[2]
تَشْتَاقُهُ وهو نُورٌ في مَحَــاجِرِها ... «أُمُّ القُرى» وتَبُثُّ الوَجْدَ أَشْجَانا
وتَشْرَئِبُّ إلَـــيْهِ «طَيْبَةٌ» شَغَـفاً ... «عَقِيقُها» و«العَوالِي» ثُمَّ «قُـرْبَانا»[3]
في كُلِّ بَادِيَةٍ منه وحَـــاضِرَةٍ ... فَواضِلُ ثَقُلَتْ رَيْعاً ومِـــيزانا
فَلَسْتَ تَنْظُرُ إلاَّ الشَّعْبَ مُنْطَـلِقاً ... ولَسْتَ تَسْمَعُ إلاَّ الشُّكْـــرَ رَنَّانا

فهنا تخلَّت المواقع والأشياء المادية المحسوسة التي لا روح فيها ولا حياة عن ماديتها ، واكتسبت بفعل خيال الشاعر صفات الحياة الإنسانية . فها هو ذا الزهر يتلفَّت باتجاه غناء العنادل ولهانا ، وها هي ذي (أم القرى) تبدي أشواقها ، وتبث لواعج وجدها ، وتشرئب (طيبة) متطلعة إلى ذلك البريق والنور القادم شغفة به .

والصور السابقة بجميع عناصرها المكونة لها ، توحي بفرحة الشاعر بالنهضة الحديثة والتطور والتقدم الذي تشهده بلاده في مختلف الميادين والمجالات .

ويعتمد الشاعر عبدالسلام هاشم حافظ على التشخيص في تصويره العلاقة الحميمة التي تربط المرأة في مجتمعه بالفستان الشرقي الفضفاض ، الذي يقوم بحجب محاسنها عن أعين الناس ، ويزيدها جمالاً فوق جمالها[4] :

ضَمَّكِ (الفُسْتَانُ) من جِيْدِ الجَمَالْ ... وانْتَهى في قُبْلَةٍ فَـــوْقَ القَدَمْ
لَهْفَةُ المُشْتَاقِ أَضْنَتْهُ اللَّـــيَالْ ... فَانْثَنَى في عَبْرَةٍ يُبْدِي الـــنَّدَمْ

فالفستان الشرقي الفضفاض شيء ماديٌّ محسوس، لا روح فيه ولا

---

(١) مجلة المنهل ، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ ، المجلد (٢١) ، ص٣١٦ .
(٢) عنادلها : العنادل : جمع ، واحدها : عندليب ، وهو طائر أصغر من العصفور .
(٣) العقيق : وادي في المدينة المنورة . والعوالي وقربان : ضاحيتان من ضواحيها .
(٤) ديوان ترانيم الصباح ، ص ١١٣ – ١١٤ .

حياة، إلاّ أن خيال الشاعر قد أسبغ عليه ثوب الحياة الإنسانية ، فإذا هو عاشق مغرم ، يضم ويقبل في وله ، ويضنيه الشوق فيبكي ألماً وندما .

وفي تصويرالشاعر ضياء الدين رجب لفتنة المال الطاغية ، نجده يعتمد على هذه الأداة ، حيث يقول[1]:

وأَوْمَأَ بالفِتْنَةِ الصَّــــارِخَهْ   على قِمَّةٍ صَعْبَةٍ شَامِــــخَهْ
بِتِلْكَ الأَنَامِلِ غَـــــــلاَّبُها   حَكَى الزَّهْوَ في الرَّوْعَةِ البَاذِخَهْ
يَقُولُ هَلُمَّ فهذي الحَــــيَاةُ   بِدُونِيَ كَالِـــــحَةٌ ما سِخَهْ

فالدينار تخلى بفعل خيال الشاعر عن ماديته ، وتحـول إلى إنسان مخـادع ، يفتن في الإغراء ، ويتقن الإيقاع بعشاقه . فها هو ذا يومىء بفتنته الصارخة ، وينادي حاثاً المتعطشين لبريقه بالإقبال عليه .

وقد عمد الشاعر ضمن إطار التشخيص الذي رسمه للدينار ، إلى اختيار دلالات معبرة ، فالإيماء : (وأومأ) ، و(الفتنة الصارخة)،موحيات حـية بفتنة المال ، ويعمق الشاعر من صورة هذه الفتنة وتأثيرها ، بالإشارة إلى :(القمة الصعبة الشامخة)،حيث عامل الصعوبة والمعاناة والمشقة التي يُمنَّى بها من يسيطر عليه هاجس المال ، ويخلب لبه بريقه[2] .

ومن الشعراء من تجاوز في شعره الاجتماعي تشخيص الماديات والمحسوسات إلى المعنويات ، فرأيناها عنده تتصرف كما يتصرف الإنسان في حياته العامة .

ومن نماذج ذلك ما جاء في قول الشاعر أحمد قنديل مجسداً الاهتمام

(١) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ١٢٢ .

(٢) شعر ضياء الدين رجب بين الموقف والصياغة ، د. عبد الله أحمد باقازي ، من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط (١) ١٤١٢هـ -١٩٩١م ، ص ٦٢ - ٦٣ « بتصرف » .

والرعاية التي يجدها الأيتام في مجتمعه[1] :

مشى البِرُّ في أَرْجائِها ثَابِتَ الخُطى ... يُعَبِّرُ عن طِيْبِ النُّفُوسِ وَيَبْسِمُ
وقَامَ الوَفَاءُ الحَقُّ في جَنَبَاتِها ... يُؤَكِّدُ أَفْضَالَ الوَفَاءِ ويُقْسِمُ
وشَاعَ الرِّضَا فِيْها رِضَا الدِّينِ مُشْرقاً ... تَواصَتْ بِهِ تَقْوى الهُدَى والمَرَاحِمُ
وطَافَتْ بها الأَخْلاقُ مِثْلِي طَلِيقَةً ... تُفَكِّكُ أَغْلاَلَ الهَوى وتُحَطِّمُ
وشَعَّ بها جُودُ النُّفوسِ وبَذْلُها ... يُطاوِلُهُ بُخْلُ الأَكُفِّ فَيُهْزَمُ

فالقنديل في هذه الأبيات يعنى بإبراز الاهتمام والعناية التي يجدها الأيتام في مجتمعه ، ويسلط الأضواء على الجهود التي تبذل من أبناء المجتمع للتخفيف من معاناتهم ، وإعدادهم لمواجهة الحياة وخوض غمارها ، مسلحين بالعلم النافع والأخلاق الإسلامية الفاضلة . إلاَّ أن الشاعر لم يعمد في إبرازها وتصويرها على الوصف المباشر ، وإنما أوحى بها إيحاءً عن طريق اتكائه على خياله الخصب ، الذي قام بمنح عدد من المعاني المجردة الصفات الإنسانية ، لتقوم هي بالتعبير عن نفسها بدلاً عن الشاعر نفسه .

فإذا (البر) وهو معنى ذهني مجرد ، يستحيل إلى إنسان يمشي على قدميه ، متنقلاً في أرجاء تلك الدار ثابت الخطى ، متحدثاً عن طيب نفوس أبناء المجتمع ، ويبدي سعادته بما رآه ولمسه عن طريق تبسمه .

وتخلى (الوفاء) هو الآخر عن كونه معنى من المعاني ، ليقوم متحدثاً عن فضائله ، مؤكداً إياها بالقسم . وطافت (الأخلاق) في أرجاء تلك الدار ، مفككة ومحطمة أغلال الطيش والهوى من عقول قاطنيها ، غارسة قيمها ومبادئها في نفوسهم .

---

(١) جريدة صوت الحجاز ، العدد (٥٧٩) في ١/٥/١٣٦٠هـ ، ص ١. وديوان أصداء ، ص٧٧ – ٧٨ .

والصور الجزئية التي توافرت في أبيات شاعرنا السابقة ، تجسد معاني البر والخير والوفاء ، التي هي من خصائص وصفات أبناء المجتمع ، وتفصح عن عاطفة الشاعر الاجتماعية والإنسانية الصادقة ، وتبدي حبها وعشقها لأعمال البر والخير ، ممثلة في تلك الدار التي تسعى جاهدة لاحتواء الأيتام ، وتخفيف معاناتهم ، والعناية والاهتمام بهم ، حتى يكونوا أفراداً صالحين في المجتمع .

وعلى التشخيص والتجسيم معاً يعتمد السنوسي في تجسيده لمعاناة شيخ طاعن في السن مع الفقر ، حيث يقول من قصيدته :(هوية الإنسان)[1]:

خَارَتْ قُواهُ وخَانَهُ جَــلَدُهْ ... وانْهَارَ من آلامِهِ جَسَــدُهْ
شَيْخٌ يَجُــرُّ وراءَمَنْكِــبِهِ ... عُمُراً تَكَادُ خُطَــاهُ تَفْتَقِدُهْ
في مُقْلَتَيْهِ وفي مَــلامحه ... صُورٌ يَخُطُّ رُسُومَها نَكَــدُهْ
البُؤْسُ مَائِجَةٌ غَــوارِبُهُ ... في شَيْبِه مُتَــدَفِّقٌ زَبَدُهْ
والفَقْرُ هَائِجَةٌ عَواصِــفُهُ ... في وجْهِه مُتَرَبِّدٌ لَــبَدُهْ
أَبْصَرْتُهُ يَمْشِي وقد شَخَصَتْ ... عَيْنَاهُ واعْتَمَدَتْ عصَــاهُ يَدُهْ
تَهْوِي بِهِ رِجْــلاهُ حَيْثُ هَوَتْ ... والدَّرْبُ يَلْفِظُــهُ ويَزْدَرِدُهُ
في كُلِّ زَاوِيةٍ لَهُ أَمَــلُ ... يَقْتَادُهُ من مُحْسِنٍ يَجِــدُهْ
مَمْدُودَةٌ يَدُهُ مُتَمْتِمَـــةٌ ... شَفَتَاهُ ما يُوحِيهِ مُعْتَقَــدُهْ

إن خيال السنوسي الخصب ، ومن خلفه عاطفته الاجتماعية والإنسانية المتأججة ، كانا وراء هذه اللوحة الكلية ، التي تحمل بين أطرها تجسيداً حياً

(١) جريدة البلاد ، العدد (١٦٦١) في ١٢/٣/١٣٨٤هـ ، ص ٣ . والأعمال الكاملة ، ص ٣٧٨ – ٣٧٩ .

ونابضاً لمعاناة ذلك الشيخ البائس بأبعادها الحسية والمعنوية .

فها نحن نقف وجهاً لوجه ، أمام شيخ فقير ، مهدود القوى ، لا يجد ما يسد به حاجته من الطعام . وبرغم كبر سنه وسوء حالته ، إلاَّ أنه مشدود إلى الحياة ، ومتشبث بها إلى حد بعيد . فعندما لم يعنه صبره على قسوة الجوع وهجماته الشرسة ، ورأى أن بقاءه أسير فراشه لن يجلب له ما يحقق غايته ، حمل عمره المديد ، وجسده المتهالك ، وخرج على الناس ، معتمداً على عصاه ، يقوده أمله في مد أحدهم يد العون له إلى ملاحقتهم إلى كل الزوايا والدروب التي تطأها وتصل إليها أقدامهم . إلاَّ أنه لم يجد – في كل نهاره الذي قطعه طولاً وعرضاً – شيئاً يسد به رمقه ، أو يبلغه غايته .

وقد وفق شاعرنا عبر الصور الجزئية المتلاحقة التي ساقها ، والتي تآزرت وتظاهرت لتكون الصورة أو اللوحة الكلية الكبرى ، في نقل تأثره بمعاناة ذلك الشيخ الفقير إلى المتلقي ، وإثارة مشاعره وأحاسيسه ، وحمله على التعاطف معه .

فالصور الجزئية : (خارت قواه ، وانهار جسده ، يجر وراء منكبه عمراً ، وخطاه تفتقده) توحي جميعها بكبر سنه وعجزه وضعفه .

في حين نجد صوراً أخرى عديدة ، تحمل لنا رغبة ذلك الشيخ في الحياة وتشبثه بها حملاً إيحائياً ، وذلك مثل : (شخصت عيناه ، في كل زاوية له أمل يقتاده ، ممدودة يده ، متمتمة شفتاه) .

وتأمل دور خياله في بعث الحياة في المعاني والمجردات ، وتحريك الأفكار والجمادات ، فإذا بـ(الجلد) وهو معنى ذهني مجرد ، تدب فيه الحياة فيخون مثله مثل الإنسان ، ويتحول (النكد) من كيانه التجريدي إلى خطاط ورسَّام

ماهر ، يمسك بالريشة ليجسد آثاره في مقلتيْ ذلك الشيخ وعـــلى قسمات وجهه ، و(العمر) يتحول من كونه معنى يدرك بالعقل إلى شيء ماديٍّ ثقيل ، يقوم الشيخ بجره خلفه .

ولم تخل تلك الصورة أو اللوحة الكلية من عنصر الحركة ، الذي يضفي على الصور الشعرية قدراً كبيراً من الحيوية والفاعلية والنشاط . وقد توافر لها ذلك من خلال اعتماد الشاعر على مجموعة من الألفاظ التي من خصائصها الحركة ، وذلك مثل : (انهار ، خارت ، يجر ، مائجة ، متدفق ، هائجة ، يمشي، تهوي ، يلفظه ، يزدرده ، متمتمة) .

ولعل السنوسي يسعى عن طريق تلك الصورة أو اللوحة الكلية ، التي حملت في حناياها رغبة ذلك الشيخ الملحة ، وحجم المعاناة التي يجدها في سبيل بقاء تلك الرغبة متقدة في عالمه، إلى لفت انتباه أبناء المجتمع إلى معاناة الآباء الطاعنين في السن ، الذين لا يجدون من يعولهم أو يحنو عليهم ، وحثهم على اتخاذ وسيلة يساعدون بها دون أن يراق ماء وجوههم .

وإلى جانب تلك الصور التي اعتمد فيها الشعراء على التجسيم والتشخيص ، هناك صور أخرى أعتمد فيها الشعراء على الرمز.

والصورة الرمزية هي طريق الإيحاء بالرمز ، وتبدأ من الأشياء المادية المحسوسة ، لتعبر عن أثرها العميق في النفس[1] .

ومن الوسائل التي انتهجها بعض شعرائنا لابتداع صورهم الرمزية في شعرهم الاجتماعي تراسل الحواس ، « أي وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى ، فتعطي المسموعات ألواناً وتصير

---

(١) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٩٥ « بتصرف » .

المشمومات أنغاماً ، وتصبح المرئيات عاطرة ... »[1] .

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر حسن بن عبد الله القرشي على لسان يتيمه[2] :

حَيْثُ يَسْرِي الدِّفْءُ اللَّذِيذُ بِنَفْسِي   بَعْدَ بَرْدٍ عَاتِي الطَّبِيعَةِ جَـــائِرْ

فالدفء إحساس لمس ، إلاَّ أن الشاعر حوَّله عن طريق هذا التركيب اللغوي إلى مجال حاسة أخرى ، وهي حاسة الذوق ، حيث نعته باللذة .

ويقول البواردي على لسان فتىً ثري سائلاً صنوه الفقير[3] :

ابْنُ مَنْ أَنْتَ ما لِوَجْهِكَ كالفقْـ   ـرِ ذَلِيلٌ تَضِجُّ فيه الكَـــآبَةْ

ففي تركيب الشاعر اللغوي:(تضج الكآبة) تراسل حواس ، لأن الضجيج تدركه حاسة السمع ، أما الكآبة فهي منظر حسي تدركه حاسة البصر .

كما نقف على تراسل الحواس في قوله(٤) :

وعُيونِي ماكَحَّـــلَتْها تَباشِيـ   ـرُ نَهارٍ حُلْوٍ وكم رُمْتُ صُبْحَهْ

فقد نعت النهار وهو من مدركات حاسة البصر بالحلاوة وهي من مدركات حاسة الذوق .

وفي النماذج السابقة نرى الأشتات المتباعدة متقاربة ، تجتمع لتوحي بالغريب من أحاسيس الشعراء ، والغامض من مشاعرهم ، وتلك غاية تعجز عن تحقيقها لغة التعبير الأدبي المألوفة ، فكان لابد من الاستعانة بأسلوب التراسل الذي يجعل المحسوسات تتجرد عن حسيتها وماديتها وتتحول إلى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٥ .

(٢) مجلة المنهل ، ربيع الثاني ١٣٦٦هـ ، المجلد (٧) ، ص١٧٤ . وديوان القرشي ، المجلد (١) ، ص٢٢٤ .

(٣) ديوان أغنية العودة ، ص ٩٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص٩٦ .

مشاعر فريدة في نوعها ، وأحاسيس متميزة في خصوصيتها[1] .

ومن الوسائل التي انتهجها بعض شعرائنا لابتداع صورهم الرمزية ، عنايتهم « بصياغة الصور المهومة المشوبة بالغموض والتأنق في اختيار الألفاظ المشعة المصورة ، بحيث توحي اللفظة في موقعها وقرائنها بأجواء نفسية رحيبة تعبر عما يقصر التعبير عنه ، وتفيد مالا تفيد في أصلها الوضعي النفعي »[2].

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر عثمان بن سيَّار[3] :

أَعِيدُوا إلى الأُفُـــقِ المُظْــــلِمِ ... سنا الشَّمْسِ أَوْ رَوْعَـــةَ الأَنْجُمِ

وبُثُّـــوا بِأَرْجَـــائِهِ صَيْحَةً ... تُطِـــيرُ السُّبَاتَ عن النُّـــوَّمِ

فَقَدْ أَوْشَكَ القَوْمُ أَنْ يَهْلِكُـــوا ... بِـــوَادٍ كَأَفْكَـــارِهِمْ مُبْهَمِ

سَرَتْ في ثَنَايَاهُ شُرْسُ الوُحُـوشِ ... وذَلَّ أَخُـــو الضَّعْفِ لِلضَّيْغَمِ

وزَمْجَرَ كُلُّ أخِـــي نِعْـــمَةٍ ... على كُلِّ ذي فَاقَـــةٍ مُعْـــدَمِ

تُفَتِّشُ فِـــيه على نَابِهٍ ... فَتُصْدَمُ بالغِـــرِّ والمُجْـــرِمِ

فالصور الجزئية المتلاحقة :(الأفق المظلم ، والوادي المبهم ، والوحوش الشرسة التي تقطع الوادي طولاً وعرضاً ، واستعباد القوي للضعيف ، وازدحام ذلك الوادي بالحمقى والمجرمين) ترمز إلى الحالة التي وصلت إليها البلاد – من أقصاها إلى أقصاها – قبل توحيدها على يد الملك عبد العزيز– رحمه الله – ، حيث الجهل المطبق ، والرعب المدمر الناتج عن عدم وجـود الأمن ، وتفشي كل ألوان الظلم ، وشتى أنواع الجريمة ، من سلب ونهب ، وإراقة للدماء ، وهتك للأعراض والحرمات .

---

(١) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، ص ٥٢ « بتصرف » .
(٢) النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٩٦ –٣٩٧ .
(٣) شعراء نجد المعاصرون ، ص ٢٢٨ .

في حين ترمز الصورتان :(سنا الشمس ، وروعة الأنجم) إلى الحالة التي كانت عليها في سابق عهدها ، فقد كانت مصدر إشعاع حضاري ، بفضل الدين الإسلامي الذي انبثقت أنواره من أراضيها ، ليهتّك – بقيمه ومبادئه – ظلمات الجهل والجاهلية في صورها المتعددة ، ويحارب الظلم والطغيان ، ويحقق العدل والمساواة بين الناس ، وينشر العلم بينهم .

والصور الجزئية التي ازدحمت بها أبيات شاعرنا ، توحي بعدم رضاه عن الحالة التي آلت إليها بلاده ، وشوقه الجارف إلى رؤيتها وقد تبوأت المكانة اللائقة بها ، باعتبارها مهد الإسلام والحضارة ، ومشرق أنوارهما الساطعة .

ومن الصور الرمزية تلك ، ما جاء في قول الشاعر منصور الحازمي ، من قصيدته : (أحاسيس طفلة)[1] :

أَبْصِرْيا عَمِّي قَلَمِي
مَزَّقْتُ بِأَضْفَارِي عُنُقَهْ
وقَصَمْتُ بِأَسْنَانِي ظَهْرَهْ
لم يَرْحَمْ أَشْواقَ يَمِينِي
لم يَرْحَمْ حُبِّي وحَنِينِي
لم يَتَكَلَّمْ ...
قَلَمِي أَبْلَهْ .

فالصور الجزئية التي حملتها السطور الشعرية :(من تمزيق لعنق القلم ،

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (١٢٥) في ١٣٧٨/١٢/٢٦هـ ، ص ٤ . وديوان أشواق وحكايات ، ص ٣٦ – ٣٧ .

وقصم لظهره ، وعدم رحمته بأشواق اليد التي حملته ولا بينبوع الحنين والحب المتدفق في وجدان صاحبتها له) كلها ترمز إلى رغبة تلك الفتاة في العلم ، وشوقها الجارف للنهل من ينابيعه التي لا تنضب .

وتتعانق الألفاظ المشعة المصورة مع الإيقاع في الإيحاء بمعاناة تلك الأرملة التي تتوسد الرصيف ، وطفلها الغافي على ساعدها كشلو طعين ، في قول الشاعر محمد هاشم رشيد[1] :

أَبْصَرْتُها واللَّيْلُ داجٍ رَهِيبْ ... مُحْلَوْلِكُ الآفاقِ عاتِي الجَناحْ

والنَّجْمُ يُلْقي نَظَراتِ الغَرِيبْ ... مُرْ تَعِشاً يَرْقُبُ ضَوءَ الصَّباحْ

والرِّيحُ تَسْرِي في حَنَايا السُّكونْ ... هَفْهافَةً تَرْعِشُ حتَّى الصُّخورْ

تَنْسابُ كالأَحْلامِ بين الجُفونْ ... وإِنْ تَكُنْ تَعْصِفُ بين الصُّدورْ

وكُلُّ شَيءٍ راعِشٌ خافِقُ ... حتَّى الرُّؤَى في الأَعْيُنِ النَّاعِسَهْ

مَقْرُورَةٌ فيها السَّنَا الشَّارِقُ ... تَطْغَى عليه الظُّلْمَةُ الدَّامِسَهْ

فالصور الجزئية :(الليل العاتي الجناح ، والنجم المرتعش الذي يرقب انبثاق الصباح حتى يفر بجلده من قسوة تلك الليلة والأجواء المحيطة بها ، والريح الهفهافة التي تسري برودتها في حنايا السكون ، وترتعش من زمهريرها اللافح حتى الصخور الصلدة) توحي بأجواء تلك الليلة القاسية ، المشحونة بالخوف والذعر والقلق والمعاناة ، حيث الظلام الدامس ، والصمت المطبق على الكون ، والسكون الرهيب ، والبرد القارس .

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد (١) محمد هاشم رشيد ، ص ١٠٨ .

ومما ساعد على زيادة تلك الصور إيحاءً بطول تلك الليلة المتناهي ، وظلامها الكثيف الذي مهد لتسلل ذلك الهدوء الرتيب وتفشيه فيها ، شيوع الألفاظ القادرة على الإشعاع بذلك الجو الذي يجوب في أنحائه الخوف والذعر، سواء من خلال هيئتها وظلالها ، مثل : (محلولك ، داج ، عاتي ، الدامسة) أو من خلال إيقاعها وجرسها الصوتي ، مثل : (تسري ، السكون ، الجناح ، الصباح ، هفهافة ، تنساب ،الأحلام ، تعصف ، الصخور ، الناعسة ، راعش ، خافق ....) ففي هذه الكلمات تشيع أصوات المد التي ساعدت علي تبطئة الإيقاع ومن ثم الإيحاء بطول تلك الليلة المتناهي ، والأصوات المهموسة التي أشاعت قدراً كبيراً من الهدوءالموحي بالسكون العميق الذي ران على أجوائها.

والأبيات السابقة الغنية بصورها التعبيرية الموحية ، قادرة على التأثير في وجدان المتلقي ، وحمله على التعاطف مع تلك الأرملة التي لا تملك من حطام الدنيا ما يجعلها بمنأى عن تلك الأجواء القاسية،المليئة بالخوف والذعر، وشتى ألوان المعاناة .

وبالإضافة إلى تلك الوسائل والأدوات المجازية التي استعان بها الشعراء لتشكيل أحاسيسهم ومشاعرهم وخواطرهم ، وتجسيد تجاربهم وجلائها ، ومن ثم نقلها إلى المتلقي ، رغبة في التأثير فيه . هناك صور عديدة اعتمد فيها الشعراء على التصوير بالحقيقة ، واستطاعوا بواسطتها تصوير تجاربهم ، وإثرائها بالإيحاءات الفياضة ، ولعل ذلك « يعود إلى أن التصوير بالحقيقة يعتمد على رسم منظر ديناميكي متحرك ، في شكل قصصي أو حوار درامي ، تتجه أحداثه وخطوطه ، وتتقدم بشكل يجعلها قادرة على تجسيد تلك الإحساسات التي تطفح من معينات التجربة الشعورية »[1] .

---

(١) التصوير الشعري ، د. عدنان حسين قاسم ، ص ١٨٣ .

ومن نماذج ذلك قصيدة :(برجوازي) للشاعر سعد البواردي ، التي قدم فيها صورة كلية نابضة بالحركة والحياة ، مغلّفة بالسخرية المرة من الحالة التي آل إليها بعض الناس بسبب المال وحبهم الشديد له .

حيث يقول على لسان فتىً ثري[1] :

جَرَحَتْني مُـــــدْيَةٌ في	قَبْضَتي ذاتَ مَسَـــاءْ
فَتَبَاكَـيْتُ ... ويَـــا لَلْـ	هَوْلِ إِذْ ضَجَّ الفَضَـــاءْ
كُلُّنا يَفْدِيكَ عَمْـــــراً	كُلُّنا اليَوْمَ فِـــــداءْ
ومَشَتْ تَحْسُبُ نَبْضِـــي	أَلْفُ كَفٍّ لِلشِّفَـــاءْ
كُلُّها تَضْمِدُ جُـــرْحِي	في ابْتِهالِ الأَوْلِـــياءْ
وأُلوفُ النَّاسِ من حَـــوْ	لِي يُنَاجونَ السَّمَـــاءْ
إِنَّهُ زَهْـــــرَةُ دُنْـيا	نا ومِصْبَاحُ الضِّـــياءْ
ابْقِهِ ياربِّ ذُخْـــــراً	ومَلاذاً ورَجَـــــاءْ
ماتَ عِشْرونَ لِأَجْـــلِي	في زِحَـــامٍ وشَكَـــاءْ
كُلُّهُمْ كَانُوا لِجُـــرْحِي	ولِأَ نَّاتِي فِـــــداءْ
يَوْمَ أَنْ صُغْتُ ابْتِسَـامي	صَفَّقَ النَّاسُ هَـــناءْ
إِنَّ جُرْحِي هو مــا يُؤْ	ذِي ويُفْدَى بالـــدِّماءْ
وجِرَاحُ النَّاسِ غَـــيْري	هَيِّنٌ فيها الفَــــنَاءْ
ما بَكَى العِشْرِينَ فَـــرْدٌ	أَوْ لَقِي فيهم عَـــزَاءْ
ولِجُرْحِي ضَجَّتِ الـــدُّنْـ	ـيا عَـــــوِيلاً ورِثَـاءْ

(١) ديوان أغنية العودة ، ص ١١٧ – ١١٨ .

يا-لَمَالِي- كَـمْ هـو الإنْـ ـسانُ مَرْهُـــــوبُ البِنَاءْ
أنا في الـدُّنْيا كما تَحْـ ـوِيهِ كَـــــفِّي من ثَـرَاءْ

ففي هذه القصيدة التي بنيت على محور قصصي منظر مأساوي ، يعكس إلى أي حـد أصبح المال هو المسيطر على عقول الناس ووجدانهم ، وكيف أصـبح الرجل صـاحب المال هو السـيـد المطاع ، وهو الذي يجب أن يحـاط بالعناية والاهتمام دون سواه .

فنحــن هنا أمام فتىً غني ، جـــرحته مدية في قبضته ، وحتى يقف على مـشـاعـر الناس من حـوله ، ادعى الألم ، وراح يفـتـعل البكاء . ومـا هـي إلاَّ لحظات وإذا بالناس يتجمهرون حوله ، ويحيطون به إحاطة السوار بالمعصم ، كل منهم يؤدي ما يراه جالباً له النفع . فمنهم من تولى عملية تضميد الجرح ، ومنهم من رفع يديه طالباً له الشفاء من رب السمٰوات والأرض . وفي غمرة ذلك الزحام الشديد ، والاحتشاد حول ذلك الفتى ، خرَّ عشرون فرداً من المتجمهرين على الأرض صرعى ، إلاَّ أن من حولهم لم يحسوا بهم ، فقد كانت كل الأحداق موجـهة إلى ذلك الفـتى ، الذي مـا إن افـتـعل الابتسـام ، حتى ضجَّ الفـضـاء بهتافهم وتصفيقهم الحار له .

والصـورة السـابقة التي رسمـها البـواردي بما حـملتـه في فضـائها من مفارقة بين موقف المتجمهرين من ذلك الفتى الذي جرحته مدية في قبضته ، والذين خروا منهم على الأرض ، توحي بحزن الشاعر على الحالة التي آل إليها بعض أفـراد مـجـتـمـعـه ، وتبـعث أحـاسـيس الألم في نفس المتلقي على مـوت المشاعر الإنسانية ، وكثير من القيم والمبادىء الأخلاقية الرفيعة التي تعلي من مكانة الإنسـان وترفع من قيمتـه وقـدره ، بسـبب المال وبريقه الذي خلب عقول بعض الناس ، وسيطر على نفوسهم .

ومن نماذج اعتماد شعرائنا على التصوير بالحقيقة،ما جاء في قول الشاعر حسين سرحان[1] :

وإذا جَرَى الجِلْـــوازُيَوْ ماً قُلْتَ : ويْحَكَ ما جَرَى؟
قَالَ :الـــرَّئِيسُ أَتَى فَقُمْـ ـتَ مُهَلِّلاً ومُكَـــبِّرًا
وضَحِكْتَ واسْتَنْجَدْتَ نا باً أَسْوَداً أو أَصْـــفَرا

فنحن هنا أمام صورة(كاريكاتورية)ساخرة ، عامرة بالحـــركة ، غنية بالإيحاء .

وقـــد تكونت تلك الصـــورة من مسارعة ذلك الرجل الضخم – رغم عدم قدرته على ا لحركة – حتى يكون في مقدمة مستقبلي مديره ، ليظهر حبه واحترامه لشخصه . ومن قيام الآخر فور سماعه لنبأ قدوم المدير ، وشروعه في التهليل والتكبير والترحيب به ، وافتعال تلك الابتسامة العريضة التي ظهرت معها ناباه بما علاهما من درن .

والصورة السابقة بكل ما تثيره من مشاعر الازدراء لتلك الصفة الأخلاقية الذميمة ، والضحك من بعض التصرفات والأساليب التي ينتهجها المتصفون بها ، تجسد استشراء ظاهرة النفاق في دوائر العمل وأماكن الوظائف في المجتمع ، وتحمل لنا روح السرحان الساخرة .

(١) ديوان أجنحة بلا ريش ، ص ١٥٨ .

الخـــاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ..... وبعد :

بعد أن وفقني الله – سبحانه وتعالى – وأعانني على إتمام هذه الدراسة، التي تناولت فيها الشعر الاجتماعي بمفهومه الإصلاحي في المملكة العربية السعودية في الفترة الممتدة من إطلاق هذا الاسم عليها (١٣٥١/٥/٢١هـ – حتى عام ١٣٩٥هـ) بالدراسة والتحليل ، وبعد تلك الجولة مع شعرائنا الذين شاركوا بنتاجهم الشعري في معترك الحياة الاجتماعية في تلك الفترة ، فإنني سأعرض بإيجاز أبرز معالم هذه الدراسة ، والنتائج التي استطاعت أن تخلص إليها وتحققها .

تكونت هذه الدراسة من تمهيد ، وبابين . عنيت في التمهيد بالإشارة إلى العلاقة الوثيقة التي تربط الأدب – والشعر أحد فنونه – بالمجتمع ، ثم قمت بتحديد مفهومي للشعر الاجتماعي موضوع الدراسة ، وأتبعته بالعوامل التي ساعدت على انتشاره على مساحة واسعة من ديوان الشعر السعـــودي في تلك الفترة .

أما الباب الأول من هذا الدراسة ، فقد خصصته لدراسة الموضوعات التي دار حولها شعر شعرائنا الاجتماعي ، وأبرز القضايا التي استوقفتهم ، وتجاذبت اهتمامهم ، فسلطوا عليها الأضواء وتناولوها في شعرهم .

وقد بدا لي بعد استقرائي للنصوص التي توافرت لديَّ من الشعر الاجتماعي الذي نشر في تلك الفترة ، اهتمام الشعراء الكبير بعدد من الموضوعات والقضايا ، منها ما يتعلق بالمجتمع داخل نطاق البيت (الأسرة) ، ومنها ما يتعلق بالمجتمع في حياته العامة .

ويأتي النهوض بالمجتمع في شتى ميادين الحياة ومجالاتها في المقدمة من حيث اهتمام شعرائنا ، تفصح عن ذلك كثرة النصوص التي توزعتها مباحث الفصل الأول من هذا الباب .

ففي تلك المباحث طرح الشعراء مجموعة من الأفكار والرؤى للنهوض بمجتمعهم من كبوته ، والسير به إلى مدارج السمو والرفعة ، وصولاً إلى المكانة العالية التي يستحق أن يتبوأها .

ولما كان العلم هو الدعامة الأساس لأي نهضة تنموية طموحة خاصة في عصرهم الذي يعيشون فيه ، فقد وجهوا إليه اهتمامهم ، حاثين عليه ، وداعين إلى نشره في سائر أرجاء البلاد . ومحفزين شباب المجتمع إلى الالتحاق بركبه ، والنهل من ينابيعه وروافده المتعددة ، والمضي قدماً في سبيل تحصيله والاستزادة منه ، سواء في داخل بلادهم أو خارجها .

وأتبعوا دعوتهم إلى العلم بالدعوة الجادة إلى ضرورة إقامة المصانع والاهتمام بالزراعة ، أملاً في استغلال الخيرات والكنوز التي تنعم بها أراضي بلادهم المترامية الأطراف وتختزنها في جوفها ، ومن ثم الاستفادة من عائداتها – بعد تحقيق الاكتفاء الذاتي منها – في إنشاء ودعم المشاريع التنموية التي يصبو إليها الجميع .

ونظراً لحرص الشعراء على مصالح شعبهم ، وشعورهم بحاجة البلاد في رحلتها صوب المجد ، إلى كل تلك الأموال التي تنفق من الدولة في سبيل تأمين الأيدي العاملة الوافدة ،لإدارة وتشغيل المصانع والمرافق التنموية التي شيدتها، وجدنا شعراء نا يتوجهون إلى شباب مجتمعهم ، مؤكدين لهم حاجة بلادهم ومرافقها العديدة إلى عقولهم وسواعدهم ، متبعين ذلك بدعوتهم إلى دحر الكسل والخمول ، والنزول إلى ساحات العمل ، ومن ثم المشاركة الفاعلة في

دفع عجلة التنمية والتطور الذي تغذ بلادهم نحوه خطاها .

وما إن وقعت أحداقهم على كل أمانيهم وأحلامهم وقد أضحت حقائق ماثلة للعيان ، حتى شرعوا في الترنم بتلك الصروح والمشاريع التنموية الضخمة ، وبالنهضة الاجتماعية التي امتدت لتشمل سائر أرجاء بلادهم ، مبدين سعادتهم بكل ذلك ، ومشيدين بجهود الدولة الموفقة للنهوض بمجتمعها، وتحقيق الرفاهية لأبنائها ، وبانتفاضة شباب المجتمع ومشاركتهم الفاعلة فيما وصلت إليه بلادهم من تقدم ورقي في شتى ميادين الحياة ومجالاتها .

ومما يتعلق بالمجتمع في حياته العامة في شعر شعرائنا الاجتماعي ، دعوتهم إلى القضاء على الفقر ، ومحاولة تخليص الواقعين من أبناء المجتمع تحت سطوته ؛ إرساء لدعائم التكافل والعدالة في مجتمعهم المسلم ، ودرءاً للآثار والعواقب الوخيمة الناجمة عنه ، والتي ستتجاوز الواقعين من أفراد المجتمع بين براثنه إلى المجتمع بأسره .

ولم تخل تلك الدعوة من الإشادة بجهود المجتمع والقائمين عليه في سبيل القضاء على ذلك الداء العضال ، والعمل على انتشال المتضررين منه بوسائلهم المختلفة .

وعندما وقفوا على تسلل بعض الآفات والعلل الشاذة إلى نفوس بعض أفراد المجتمع ، كالتكالب على حطام الدنيا ، والنفاق ، والحسد ، والكبر والغرور ، وتقليد الغرب في لهوهم ومجونهم .... ؛ وجدناهم يعلنون عداءهم وتصديهم لها،محاولين استئصالها من جذورها . يدفعهم إلى ذلك حرصهم على سلامة مجتمعهم من آثارها السلبية ، والمحافظة على الصورة المثالية المشرقة المعروفة عنه .

أما فيما يتعلق بالمجتمع داخل نطاق البيت (الأسرة)،فقد بدا اهتمام

الشعراء بعدد من القضايا والمشكلات . وتأتي المرأة وقضاياها في المقدمة من حيث اهتمام شعرائنا ، نظراً للمكانة الرفيعة التي تحتلها في وجدانهم ، ولدورها الفاعل والمؤثر في حياة أي مجتمع من المجتمعات . فدعوا إلى تعليمها لتحسن عشرتها ، وتقوم بإعداد أبنائها إعداداً سليماً ، يجعلهم أعضاء صالحين ، يعرفون واجباتهم تجاه أسرتهم ومجتمعهم الذي ينتمون إليه ، ولتتمكن من خدمة المجتمع وممارسة العمل في المرافق والمواقع التي تتطلب وجودها ولا تصلح لسواها .

وللمحافظة على مكانتها الرفيعة التي تتبوؤها في وجدانهم وفي المجتمع بأسره ، وجدناهم يقفون كالطود الشامخ في وجه كل ما من شأنه أن يحط من قدرها أو مكانتها في أعينهم وأعين من حولهم . ولعل في تصديهم لدعوة السفور المضللة ، وكشف زيفها بالأدلة والبراهين ، وتحذيرها من الإصاخة لها، ما يؤكد حرصهم عليها ، وتفانيهم في الذود عنها والمحافظة عليها .

ثم رغبوا في الزواج ، وتصدوا لبعض الظواهر السلبية المتعلقة به في المجتمع ، ووقفوا عند ظاهرتين من مظاهره ، وهما : ظاهرة غلاء المهور ، وإكراه الفتيات على الزواج ممن لا يرغبن في الاقتران به . سواء من الشيوخ الطاعنين في السن أو غيرهم .

وقدموا في تصديهم لهما صوراً تعكس العواقب الوخيمة والأخطار الفادحة التي ستترتب على ديمومتهما واستشرائهما في المجتمع .

وعرضوا للطلاق ، كاشفين عن بعض أسبابه ودواعيه في مجتمعهم ، وراسمين آثاره السلبية على حياة الأبناء .

ولم يغفلوا عن توجيه الآباء والأمهات إلى ضرورة الاهتمام والعناية بفلذات أكبادهم ، وتوجيههم الوجهة الصحيحة في حياتهم ، وتحذيرهم من

بعض الأمور التي تفسد عليهم أبناءهم ، وتجعلهم عرضة للوهم وتأنيبهم ، عندما يقفون على عجزهم في مواجهة الحياة ، وفشلهم الذريع في أن يكونوا أفراداً صالحين ، قادرين على نفع أنفسهم والمجتمع الذي يضمهم في حناياه.

أمـــا الباب الثاني مـــن هذه الدراسة فقد عنيت فيه بتناول الشعر الذي تقاسمته فصول الباب ا لأول ومباحثها بالدراسة الفنية ، في محاولة جادة للوقوف على خصائصه وسماته التعبيرية والفنية .

وقد استدعى ذلك مني الوقوف أولاً عند اللغة التي حملت لنا مشاركات شعرائنا وتجاربهم الاجتماعية .

وقد وقفت بعد فحصي للنصوص واستقرائها ، على تأثر اللغة فيه بثقافة الشعراء التي حصلوها بقراءاتهم في تراث أمتهم الخالد في مصادره الأساسية ، دينية ، وأدبية ، وتاريخية ، ثم بواقع الشعراء وعصرهم الذي يعيشونه .

وبناء على ذلك ميزت بين نمطين للغة في الشعر الاجتماعي ، أولهما: النمط الفخم ، وثانيهما : النمط المأنوس . وقد أشرت في دراستي إلى غلبة النمط المأنوس على لغة شعرائنا ، مشفوعة بالعوامل والمؤثرات التي مهدت لذلك

ثم أتبعت حديثي عن اللغة ودراستي لها ، بدراسة الأساليب التي جاء عليها الشعر الاجتماعي ، وهي : الأسلوب الخطابي ، وأسلوب التكرار، وأسلوب الهمس ، والأسلوب القصصي ، والأسلوب الرمزي .

وقد أرجعت تعدد الأساليب إلى تباين منازع الشعراء الثقافية ، واتجاهاتهم الفنية ، بالإضافة إلى اختلاف الموضوعات والتجارب التي عرضوا لها في شعرهم الاجتماعي .

ثم عـرضت لتلك الأسـاليب بالدراسـة والتـحليل ، وقـد بدأت بالأسلوب الخطابي الذي يعد أكثرها حضوراً في شعر شعرائنا الاجتماعي ، نظراً لطابعه الجماهيري ، وقدرته على التأثير في الجموع المحتشدة .

وقد وقفت في تناولي له على تفاوت النصوص التي جاءت في ذلك الإطار من الناحية الفنية . فهناك نصوص استطاع الشعراء المحافظة على عناصر فنهم الشعري فيها ، وهناك نصوص افتقدت لجل تلك العناصر التي يكتسب النص في ظل توافرها صفته الفنية .

وقد عزوت ذلك التفاوت إلى أصالة الشاعر ، وصدقه الفني والانفعالي فيما يعبر عنه من مشاعر وأحاسيس ، وقدرته على استنفاد ما في لغته التي يعبر بها من طاقة ، باستغلال جانبها الجمالي ، مستثمراً ما تولده من إيقاع ، وصور ، وظلال ، وإيحاء .

ثم تناولت بالدراسـة أسلوب التكرار . وقـد تبين لي بعـد الوقـوف على نماذجه في شعر شعرائنا ، أنه لم يأت ليسد خلة في شعرهم الاجتماعي ، وإنما جاء لتأكيد وتقوية المعاني التي يرمون إليها ، أو الإيحاء بها .

ثم عرضت لأسلوب الهمس . ووقفت على تفاوت النصوص التي جاءت في إطاره من الناحية الفنية . فهناك نصوص توافرت في شعر شعرائنا حملت كل مقومات الإثارة والتفاعل والإيحاء ؛ وذلك لنجاح أصحابها في استثمار إمكانات اللغة وخصائصها في تحريك وجدان المتلقي وإثارته ، ومن ثم حمله على مشاركتهم فيما يطرحونه عليه من قضايا ومشكلات تتعلق بمجتمعهم . وهناك نصوص افتقدت لكل ذلك ، بسبب اعتماد الشعراء على معجم لغوي افتقد وهجه الشعري جراء تداوله بين الناس في حياتهم اليومية .

ثم تناولت الأسلوب القصصي الذي حمل لنا في حناياه عدداً من تجارب

شعرائنا الاجتماعية . وقد أشرت في بداية دراستي له إلى استفادة بعض شعرائنا في عرضهم لبعض قضايا مجتمعهم ومحاولة علاجها من العناصر التي يستخدمها كتاب القصة ، كالراوي ، والحدث ، والشخصيات ، والحبكة ، والحوار .

ثم عرضت لنصين بالدراسة التحليلية ، محاولاً الوقوف على العناصر التي استعارها صاحباها من فن القصة ، ومدى توفيقهما في استخدام تلك العناصر لبناء قصيدة شعرية موحية ، متماسكة في بنائها الفني ، قادرة على شد المتلقي وجذبه إلى آفاقها ، ومن ثم التأثير فيه ، بتفصيلاتها الحية الدقيقة عن الحدث المعبر عنه .

ثم وقفت أخيراً على الأسلوب الرمزي . وقد أشرت في بداية دراستي له إلى اختلافه عن الرمزية بمفهومها الغربي ، واتصاله الوثيق بالرمز بمفهومه العربي ، الذي يعني : التلميح والإشارة .

ثم عرضت لأنماطه التي توافرت في الشعر الاجتماعي . وهي : الرمز اللغوي ، واستخدام الشخصيات التراثية ، والرمز الكلي .

وفي دراستي للتشكيل الموسيقي في شعر شعرائنا الاجتماعي ، وقفت أولاً على الأوزان . وقد تبين لي أن شعراء نا قد نوعوا في بناء قصائدهم الاجتماعية ، بين نظام القصيدة العمودية ، ونظام الشعر الحر القائم على التفعيلة ، وقد أرجعت كثرة ما جاء منه على النظام الأول إلى إيثار أكثر الشعراء الذين خاضوا معترك الحياة الاجتماعية بهدف الإصلاح له ، إما لكون أغلبهم من الشعراء المحافظين والمخضرمين الذين يفضلون ذلك النظـــام على غيره ويتمسكون به ، أو لقدرته في التأثير على جمهور المتلقين وحـــرصهم على ذلك .

ولم أغفل في دراستي للأوزان الإشارة والوقوف على بعض التصرفات والمظاهر والعيوب التي وردت في عدد من تجارب شعرائنا الاجتماعية .

كما وقفت على تنويع الشعراء في قوافيهم ، سواء ما جاء منها على النظام العمودي ، أو على نظام الشعر الحر القائم على التفعيلة .

وفي دارستي للموسيقى الداخلية ، أكدت على اهتمام معظم شعرائنا بتلك الموسيقى الخفية التي تساير موضوع التجربة المعبر عنها ، ووقفت على أبرز مظاهرها في عدد من النصوص الشعرية . ثم وقفت على بعض مظاهرها في عدد من الأبيات الشعرية .

وفي نهاية دراستي الفنية للشعر الذي دارت حوله هذه الدراسة ، وقفت على الصورة الفنية التي استعان بها الشعراء لتشكيل أحاسيسهم وأفكارهم في شعرهم الاجتماعي . وقد بدا لي تأثرها بثقافة الشعراء التراثية ، وبواقعهم وعصرهم وما توافر فيه من نهضة علمية ، وينابيع ثقافية متعددة الروافد .

حيث بدت في القصائد التي عرضت لبعض قضايا المجتمع في بادئ الأمر تقليدية محضة ، يستمدها الشاعر مما علق بذاكرته من صور تراثية قديمة . ثم أصبحت بعد ذلك حديثة ، يستمدها الشاعر من واقعه وحياته التي يعيشها .

وقد وقفت على تنوع تلك الصور ، فهي تارة تكون جزئية ، تعنى بإبراز فكرة محددة ، أو مشهد صغير . وأخرى تكون كلية لا تصلح للاستقلال الجزئي، بل تجدها طالبة لما يليها من صور في تتابع وتسلسل ، وفي اتساع ونمو ، حتى تكتمل من مجموعها الصورة الكلية أو اللوحة الكبرى .

كما وقفت على تعدد الوسائل والطرق التي انتهجها الشعراء في

تصويرهم ، وعلى حضور الخيال الفاعل والمؤثر ، ومن خلفه العاطفة المتأججة في معظم صور شعرائنا ، سواء التي اعتمدوا فيها على المجاز بأساليبه وطرقه المختلفة ، أو على الحقيقة .

وبعد هذه الخلاصة أستطيع أن أجمل أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة فيما يلي :

أولاً : أن الدراسة قد جلّت وأوضحت غناء الشعر الاجتماعي بمفهومه الإصلاحي في ديوان الشعر السعودي في هذه الفترة ، وتعدد مجالاته وموضوعاته .

ثانياً : أبانت هذه الدراسة عن المرجعية الإسلامية التي يصدر عنها الشعراء في دعوتهم إلى إصلاح مجتمعهم ، والأخذ بأيدي أبنائه ، وتوجيههم الوجهة الصحيحة في حياتهم .

ثالثاً : أنه شعر بناء ، يسعى إلى إيجاد مجتمع ناهض سام ، خال من العيوب والأدواء ، تسمو فيه القيم والمبادىء والمثل ، التي أرستها الرسالة الإسلامية الغراء وشريعتها السمحة .

رابعاً : جودة معظمه وتفوقه فنياً في أسلوبه وصوره .

وختاماً : فقد بذلت جهدي ، وطاقتي في هذه الدراسة المتواضعة ، فإن وفقت لما هدفت إليه ، فبفضل الله تعالى عليّ وحسن توفيقه ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني لم أدّخر جهداً ولا وقتاً في سبيل إنجاز هذه الدراسة ، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً :المصادر

ابن إدريس – عبد الله بن عبد العزيز

١- في زورقي ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط (١) ١٤٠٤هـ .

الألمعي – زاهر بن عواض

٢- الألمعيات، مطابع دار العلم ، بيروت ، ط (١) ١٣٩١هـ .

الأنصاري – عبد القدوس

٣- الأنصاريات ، مطبعة الإنصاف ، جدة ، ط (١) ١٣٨٤هـ .

باعطب – أحمد سالم

٤- الروض الملتهب ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط (٢) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

البواردي – سعد

٥- أغنية العودة ، دار الإشعاع ، مطابع الرياض ، بدون تاريخ .

٦- رباعياتي ، دار الإشعاع ، ط (١) ١٣٩١هـ -١٩٧١م .

توفيق –يحي حسن

٧- أودية الضياع ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، بدون تاريخ .

جبر – عبدالله محمد

٨- هتاف الحياة ، من إصدارات نادي الطائف الأدبي ، شركة مكة للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ .

جدع – محمد إبراهيم

٩- المجموعة الشعرية الكاملة ، دار البلاد للطباعة والنشر ، من إصدرات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط (١) ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م .

جمال – أحمد محمد
١٠– وداعاً أيها الشعر ، من إصدرات نادي مكة الثقافي ، ط (٢) ١٣٩٧هـ .
الحازمي – منصور
١١– أشواق وحكايات ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
حافظ – عبدالسلام هاشم .
١٢– الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد (١) منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط (١) ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
١٣– ترانيم الصباح ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، دار الزايدي للطباعة والنشر ، ط (١) ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
حافظ – علي
١٤– نفحات من طيبة ، تهامة ، جدة ، ط (١) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٠م .
الحسيني – ماجد أسعد
١٥– ضياع ، النادي الأدبي بالرياض ، مطابع الفرزدق ، ط (١) ١٤٠١هـ–١٩٨١م .
الحميد – عبدالله بن سالم
١٦– أمل جريح ، مطابع النصر ، الرياض ، ط (٢) ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
الحميدين – سعد .
١٧ – رسوم على الحائط ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط (٢) ١٤١٢هـ–١٩٩١م .
خراز – محمد سراج
١٨– غناء وشجن ، مطبعة اليمامة بالرياض ، ط (١) ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

ابن خميس – عبد الله بن محمد

١٩– على ربى اليمامة ، مطابع الفرزدق ، ط(٢) ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

الخنيزي – محمد سعيد

٢٠– النغم الجريح ، منشورات مكتبة الحياة ، ط (١) ١٣٨١هـ – ١٩٦١م .

الدامغ – إبراهيم بن محمد

٢١– شرارة الثأر ، دار العلوم ، الرياض ، بدون تاريخ .

رجب – ضياء الدين

٢٢– ديوان ضياء الدين رجب ، دار الأصفهاني للطباعة ، جده ١٤٠٠هـ .

رشيد – محمد هاشم

٢٣– الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العلم للطباعة والنشر ، جده ، من إصدرات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط (٢) ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

الزمخشري – طاهر عبد الرحمن

٢٤– مجموعة الخضراء ، تهامة ، جده ، ط (١) ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

٢٥– مجموعة النيل ، تهامة ، جده ، ط (١) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

الزيد – إبراهيم بن محمد .

٢٦– أغنية الشمس ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ، ط(١) ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢٧– المحراب المهجور ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ، ط ١٣٩٨هـ .

زين العابدين – علي

٢٨– تغريد ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ط (١) ١٤٠٤هـ .

٢٩– هديل ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ط (١) ١٤٠٤هـ .

سرحان – حسين
٣٠- أجنحة بلا ريش ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ، ط(٢) ١٣٩٧هـ .
٣١- الطائر الغريب ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ، ١٣٩٧هـ .
٣٢- الصوت والصدى ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
السنوسي – محمد بن علي
٣٣- الأعمال الشعرية الكاملة ، منشورات نادي جازان الأدبي ، مطابع الروضة ، جده ، ط (١) ١٤٠٣هـ .
ابن سيار – عثمان
٣٤- إنه الحب ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
شاكر – فؤاد
٣٥- وحي الفؤاد ، المطبعة العالمية ، القاهرة ط(١) ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م .
شحاتة – حمزة
٣٦- ديوان حمزة شحاته ، دار الأصفهاني للطباعة والنشر ، ط(١) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
صيرفي – حسن مصطفى
٣٧- دموع وكبرياء ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، بدون تاريخ .

عارف – محمود

٣٨– الشاطئ والسراة ، منشورات نادي جده الأدبي ، دار عكاظ ، جده ١٣٩٨هـ .

٣٩– المزامير ، دار الطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

العثيمين – عبد الله صالح

٤٠– عودة الغائب ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ –١٩٨١ م .

العثيمين – صالح

٤١– شعاع الأمل ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

عرب – حسين

٤٢– شركة مكة للطباعة والنشر ، ط(١) بدون تاريخ .

العقيلي – محمد بن أحمد

٤٣– المجموعة الشعرية الكاملة ، الناشر شركة العقيلي وشركاه ، ط (١) ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

علاف – إبراهيم خليل

٤٤– أشواق وآهات ، ط (١) القاهرة ، ١٣٨٠هـ .

٤٥– الإنسان ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ط (١) ١٣٨٤هـ .

٤٦– وهج الشباب ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ط (٢) ١٣٨٤هـ .

٤٧– المجموعة الشعرية الكاملة ، مطابع الصفا بمكة ، ط(١) ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م

العواد – محمد بن حسن

٤٨– ديوان العواد ، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ، ط(٣) ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م .

العيسى – مقبل

٤٩– الهروب من حاضر ، ط(١) ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

غسال – علي حسن

٥٠– فجر العمر ، مكتبة النهضة المصرية ، دار الكتاب العربي،القاهرة ، ١٣٦٥هـ .

الفقي ، محمد حسن

٥١– الأعمال الكاملة للشاعر محمدحسن فقي،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، طبع بمطابع دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .

فقيه – عبد القادر

٥٢– أطياف من الماضي ، دار الرفاعي ، مطابع اليمامة ، الرياض ، ط (٢) ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

فلالي – إبراهيم هاشم

٥٣– ألحاني ، دار المعارف بمصر ، ١٣٦٩هـ .

٥٤– صدى الألحان ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٣م .

فوده – إبراهيم

٥٥– مجالات وأعماق ، الشروق ، ط (١) ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .

الفيصل – عبد الله

٥٦– وحي الحرمان ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، ط (٢) ١٤٠١هـ–١٩٨١م .

الفيفي – علي حسن

٥٧– أجراس ، مطابع الجيش ، ط (١) ١٣٨٨هـ .

٥٨– رحلة العمر ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ، ط (١) ١٣٩٧هـ .

القرشي – حسن بن عبد الله

٥٩– الأعمال الكاملة ، دار العودة ، ط(٣) ١٩٨٣م .

القصيبي – غازي بن عبد الرحمن

٦٠– المجموعة الشعرية الكاملة ، تهامة ، جدة ، ط (٢) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

قنديل – أحمد

٦١– الأبراج ، مطابع نصار ، لبنان بيروت ، ط(١) ١٣٧٠هـ – ١٩٥١م .

٦٢– أصداء ، مطابع نصار ، لبنان بيروت ، ط (١) ١٣٧٠هـ – ١٩٥١م .

٦٣– شمعتي تكفي ، بيروت ، ط (٢) ١٩٧٣م .

٦٤– اللوحات ، مؤسسة قنديل التجارية ، بدون تاريخ .

ثانياً : المراجع

١- القرآن الكريم .

إبن إدريس – عبد الله عبد العزيز

٢- شعراء نجد المعاصرون ، دراسة ومختارات ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ط (١) ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م .

أبو إصبع – د. صالح

٣- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط(١) ١٩٧٩م .

إسماعيل – د. عز الدين

٤- الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، ط (٧) ١٩٧٨م .

٥- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ط (٣) ١٩٨١م .

الأصفهاني – أبو الفرج

٦- الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه : سمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط (١) ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .

أمين – د. بكري شيخ

٧- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، دار العلم للملايين ، ط (٥) شباط (فبراير) ١٩٨٦م .

آل مبارك – د. عبد الله

٨- الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية ، القسم الأول «الشعر في شرق الجزيرة» ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٣م .

أنيس – إبراهيم

٩- موسيقى الشعر ، ط(٥) ١٩٨١م .

أيوب – حسن

١٠– السلوك الاجتماعي في الإسلام ، دار البحوث العلمية ، الكويت ط(٣) ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

باقازي – د. عبد الله أحمد

١١– شعر ضياء الدين رجب بين الموقف والصياغة ، طباعة دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، من إصدرات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط (١) ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

البحتري –

١٢– ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، ١٩٦٣م

البحراوي – د. سيد

١٣– موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو ، دار المعارف ، ط(٢) ١٩٩١م .

أبو بكر – عبد الرحيم

١٤– الشعر الحديث في الحجاز ، دار المريخ للنشر بالرياض ، طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب . بدون تاريخ .

البكر – فوزية بكر

١٥– المرأة السعودية والتعليم ، الدائرة للإعلام ، الرياض ، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م .

بنيس – محمد

١٦– ظاهرة الشعر في المغرب ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٩م .

بيلو – د. صالح آدم

١٧– الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب ، مكة المكرمة، ط(١) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

الترمذي –
١٨– صحيح الترمذي ، شرح الإمام ابن العربي المالكي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط(١) ١٣٥٠هـ – ١٩٣١م .
بن جعفر – أبو الفرج قدامة
١٩– نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، ط (٣) بدون تاريخ .
جلال – ماهر مهدي
٢٠– جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، دار الرشيد ، ط (١) ١٩٨٠ م .
الجندي – د. درويش
٢١– الرمزية في الأدب العربي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
الجندي – علي
٢٢– الشعراء وإنشاد الشعر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م .
جيدة – د. عبد الحميد
٢٣– الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م .
الحامد – د. عبد الله بن حامد بن علي
٢٤– الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥-١٣٩٥هـ)، مطابع الفرزدق التجارية ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط(١) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
ابن حسين – د. محمد بن سعد
٢٥– الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط (٥) ١٤١١هـ–١٩٩٠م .

٢٦- المعارضات في الشعر العربي ، مطابع الفرزدق ، النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠٠هـ .

الحقيل - عبد الكريم بن حمد بن إبراهيم

٢٧- شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب ، ط(١) ١٣٩٩هـ .

الحمداني - أبو فراس

٢٨- ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق : د. إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، بدون تاريخ .

حمود - د. محمد

٢٩- الحداثة في الشعر العربي المعاصر مبناها ومظاهرها ، الشركة العالمية للكتاب ، ط (١) ١٩٩٦م .

الحموي - ياقوت بن عبد الله

٣٠- معجم البلدان ، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م .

ابن حنبل - الإمام أحمد

٣١- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

الخضيري - د. صالح بن عبد العزيز

٣٢- الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة في العصر الحديث ، مكتبة التوبة ، ط(١) ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

الخطيب - عصمت موسى

٣٣- المرأة في معرض الرأي ، مطابع دار الثقافة ، مكة - الزاهر ، ط (١) ١٩٩٣م - ١٩٧٣م .

الخفاجي – ابن سنان

٣٤–سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ١٤٠٢–١٩٨٢م.

ابن خميس – عبد الله بن محمد

٣٥– معجم اليمامة ، مطابع الفرزدق ، ط(١) ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

الخولي – البهي

٣٦– الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، دار القلم ، الكويت ، ط(٤) ١٤١٤هـ–١٩٨٤م .

الخياط – د. جلال

٣٧– الأصول الدرامية في الشعر العربي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢م .

الخياط – د. عبد العزيز

٣٨– المجتمع المتكافل في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، ط(١) ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

الدريبي – سعد عبد الرحمن

٩– فتاة الجزيرة ، مطابع النضال ، دمشق ، ١٣٨٥هـ .

الدسوقي – د. عبد العزيز

٤٠– جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

الذبياني – النابغة

٤١– ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق وشرح : كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .

ابن رشيق - أبو علي الحسن

٤٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط (٤) دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م .

زايد - د. علي عشري

٤٣- استخدام الشخصية التراثية ، رسالة دكتوراه ، دار العلوم ١٩٧٤م .

٤٤- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط (٣) ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

الزركلي - خير الدين

٤٥- شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط (٢) ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

الزيد - د. عبد الله محمد

٤٦- التعليم في المملكة العربية السعودية ، ط(٢) ١٤٠٤هـ .

الساسي - عبدالسلام طاهر

٤٧- شعراء الحجاز في العصر الحديث ، راجعه وصححه علي حسن العبادي، مطابع الحارثي ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط(٢) ١٤٠٢هـ .

ساعي - د. أحمد بسام

٤٨- حركة الشعر الحديث في سوريه من خلال أعلامه ، دار المأمون للتراث ، ط(١) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

السحرتي - مصطفى

٤٩- شعراء معاصرون ، بالاشتراك مع هلال ناجي ، ١٩٦٢م .

السرَّاج - د. نادرة جميل

٥٠- شعراء الرابطة القلمية ، دار المعارف ، ط (٣) بدون تاريخ .

السنيدي – عبد الله بن راشد
٥١ – مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازاتها ، مطابع الفرزدق ، ط (١)، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م .
الشابي –أبو القاسم
٥٢ –الخيال الشعري عند العرب ، الشركة القومية للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٦١م .
شراد – د. شلتاغ عبود
٥٣– أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، دار المعرفة ، ط(١) ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م .
الشريف الرضي – محمد بن الحسين .
٥٤– ديوان الشريف الرضي ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م .
شكري – د. غالي
٥٥ – شعرنا الحديث إلى أين ، دار الآفاق الجديدة ، ط(٢) ١٩٧٨م .
صالح – بشرى موسى
٥٦– الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ، ط(١) ١٩٩٤ م .
الصوينع – د. عثمان الصالح العلي
٥٧– حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط (١) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
ضيف – د. شوقي
٥٨– الشعر وطوابعه على مر العصور ، دار المعارف ، ط(٢) بدون تاريخ .
٥٩– العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، ط(٦) بدون تاريخ .
٦٠– في النقد الأدبي ، دار المعارف ، ط(٥) بدون تاريخ .

طبانه – د. بدوي

٦١- من أعلام الشعر السعودي ، دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة ، الرياض ، ط(١) ١٤١٢هـ -١٩٩١م .

الطبري – محمد بن جرير

٦٢- تاريخ الطبري ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٦٣م .

الطيب – د. عبد الله

٦٣- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، دار الفكر ، بيروت ، ط(٢) ١٩٧٠م .

الظاهري – أبو عبد الرحمن بن عقيل

٦٤- الشعر في البلاد السعودية ، دار الأصالة ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .

العامري – لبيد بن ربيعه

٦٥- شرح ديوان لبيد بن ربيعه العامري ، تحقيق : إحسان عباس ، الكويت ، وزارة الإرشاد والأنباء ، ١٩٦٢م .

عباس – د. إحسان

٦٦- فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ،(ط) ١٩٥٩م .

عبد الباقي – محمد فؤاد

٦٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث القاهرة ، ط(٣) ١٤١١هـ -١٩٩١م .

عبد البديع – د. نظمي

٦٨- أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦م

عبد الجبار – عبد ا لله

٦٩- التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٩م .

عبد الدايم – د. صابر

٧٠– موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط (٣) ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

عبد العزيز – ربيع محمد (بالاشتراك)

٧١– دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، دار العلم للطباعة والنشر ، جده ، ط (١) ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٧٢–وحي الصحراء ، بالاشتراك مع عبد الله عمر بلخير ، تهامة – جدة ، ط (٢) ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

عبد الواسع – عبد الوهاب

٧٣– التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره واستشراف مستقبله ، تهامة ، جدة ، ط(٢) ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

عتيق – د. عبد العزيز

٧٤– علم البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م .

العزب – د. محمد أحمد

٧٥– ظواهر التمرد الفني في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، ١٩٧٨م .

العسكري – أبو هلال

٧٦– الصناعتين ، تحقيق : د. مفيد قميحه ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ط(٢) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

عسه – أحمد

٧٧- معجزة فوق الرمال ، المطابع الأهلية اللبنانية ، ط(٣) ١٩٧١م -١٩٧٢م ، ١٣٩١هـ - ١٣٩٢هـ .

العطوي – د. مسعد بن عيد

٧٨- أحمد الغزاوي وآثاره الأبية ، ط(١) ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .

٧٩- الرمز في الشعر السعودي ، مكتبة التوبة ، ط(١) ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

عفيفي – د. محمد الصادق

٨٠- التجربة الإبداعية عند محمد هاشم رشيد ، مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، ط(١) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

علوان – عبد الله ناصح

٨١ – تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط(٣) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

عليان – د. محمد شحادة

٨٢- الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط (١) ١٩٨٧م .

أبو عليه – د. عبد الفتاح حسن

٨٣- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

العوادي – د. عدنان حسين

٨٤- لغة الشعر الحديث في العراق ، الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٥م .

عياد – د. شكري محمد

٨٥- موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ، القاهرة ، ط(٢) ١٩٧٨م .

غزال – عبد الكريم

٨٦- المملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير ، ط(٢) ١٤٠٣ -١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م-١٩٨٤م .

الفكهاني -حسن

٨٧- الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ، الدار العربية للموسوعات ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م .

الفوزان – د. إبراهيم بن فوزان

٨٨- الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط(١) ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

فهمي – د. ماهر حسن

٨٩- تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج ، مؤسسة الرسالة ، ط (١) ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

قاسم – د. عدنان حسين

٩٠- التصوير الشعري ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، ط(١) ١٩٨٠م .

القرطاجني – أبو الحسن حازم

٩١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : د. محمد الحبيب ابن الخوجه ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط (٢) ١٩٨١م .

قطب – سيد

٩٢- النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، بيروت ، بدون تاريخ .

القط – د. عبد القادر
٩٣- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط(٣) ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
الكبيسي – عمران خضير حميد
٩٤- لغة الشعر العراقي المعاصر ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط(١) ١٩٨٢م .
الكبير – د. حسن أحمد
٩٥- تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .
كشك – د. أحمد
٩٦- القافية تاج الإيقاع الشعري ، المكتبة الفيصلية ،مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م .
ابن ماجه –
٩٧- سنن ابن ماجه ، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط(١) ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
المتنبي – أحمد بن الحسين
٩٨- ديوان المتنبي ، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٧هـ– ١٩٥٨م .
المحسن – أحمد عبد الله صالح
٩٩- شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، مطابع دار البلاد جدة ، كتاب النادي الأدبي بجدة ، ط(١) ١٤١١هـ –١٩٩١م .

مريدن – د. عزيزة
١٠٠– القصـــة الشــعــرية في العــصـــر الحـديث ، دار الفكر ، ط(١) ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م .

مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجاج
١٠١– صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق : عصام الصباطي ، وحازم محمد وعماد عامر ، دار الحديث ، القاهرة ، ط(١) ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م .

المصري – علي
١٠٢– ومضـات في ديوان العواد ، منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م .

مغربي – محمد علي
١٠٣ –أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ، تهامة ، جدة ، ط (١) ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

المقدسي – أنيس
١٠٤– الاتجـاهات الأدبيـة في العـالم العـربي الحـديث ، دار العلم للمـلايين ، بيروت ، ط (٦) ١٩٧٧م .

المقري – أحمد بن محمد
١٠٥– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه ووضع فهارسه : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، ط(١) ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

مفتاح – محمد
١٠٦– تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيةالتناص) المركز الثقافي العربي ، ط(٣) ١٩٩٢م .

الملائكة – نازك
١٠٧– قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(٧) ١٩٨٣م .

مندور – د. محمد
١٠٨– الشعر المصري بعد شوقي «الحلقة الثالثة» ط دار نهضة مصر ، بدون تاريخ .

١٠٩- في الميزان الجديد ، مكتبة نهضة مصر ، ط(٣) ، بدون تاريخ .
ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
١١٠- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط(٢) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
موريه - س
١١١- الشعر العربي الحديث تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب العربي ، ترجمه وعلق عليه : د. شفيع السيد ، د. سعد مصلوح ، دار الفكر العربي. بدون تاريخ .
الموسى - خليل
١١٢- الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر ، دمشق ، مطبعة الجمهورية ط (١) ١٩٩١م .
الموافي - د. عثمان
١١٣- قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤م .
الميداني - أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم
١١٤- مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط(١) ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .
الميداني - عبد الرحمن حبنكه
١١٥- الأخلاق الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط(١) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
ناصر - د. محمد
١١٦- الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية ، دار الغرب الإسلامي ، ط(١) ١٩٨٥م .

ناصف – د. مصطفى

١١٧– الصور الأدبية ، دار الأندلس ، ط(٢) ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

نافع – د. عبد الفتاح صالح

١١٨– الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٣م .

١١٩– عضوية الموسيقى في النص الشعري ، مكتبة المنار ، ط(١) ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م .

نوفل – د. محمد محمود قاسم

١٢٠– تاريخ المعارضات في الشعر العربي ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، ط(١) ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

نوفل – د . يوسف حسن

١٢١– في الأدب السعودي رؤية داخلية ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ط(١) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .

النويهي – د. محمد

١٢٢– قضية الشعر الجديد ، دار الفكر ، ط (٢) ١٩٧١م .

الهاشمي –د. علوي

١٢٣– ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث ، كتاب الرياض ، العدد (٥٢ – ٥٣) إبريل – مايو ١٩٩٨م .

هدارة – د. محمد مصطفى

١٢٤– اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، المكتب الإسلامي ، ط (١) ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

١٢٥– التجديد في شعر المهجر ، دار الفكر العربي ، ط(١) ١٩٥٧م .

١٢٦– مقالات في النقد الأدبي ، دار القلم ، ١٩٦٤م .

هلال – د. محمد غنيمي

١٢٧- النقد الأدبي الحديث ، مطبعة نهضة مصر ، بدون تاريخ .

الهويمل – د. حسن بن فهد

١٢٨- اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ، مطابع الفرزدق ، الناشر : نادي القصيم الأدبي ببريدة ، ط(١) ١٤٠٤هـ .

١٢٩- النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، شركة ألوان للطباعة والصناعة المحدودة ، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، الرياض ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

وارين : (أوستن وارين ، ورينيه ويلك)

١٣٠- نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط(٣) ١٩٨٥م .

الورقي – د. السعيد

١٣١- لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ط (٣) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

وزارة المعارف

١٣٢- صفحات من تاريخ التعليم بالملكة العربيةالسعودية ، تعليم البنات ، وزارة المعارف ، مركز التوثيق التربوي ، الرياض ، محرم ١٤٠٢هـ-١٩٨٢.

ونستك – أ . ي –

١٣٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، مكتبة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٣٦م .

وهبة – حافظ

١٣٤– جزيرة العرب في القرن العشرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط (٥) ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .

اليافي – د. عبد الكريم

١٣٥– دراسات فنية في الأدب العربي ، ط(١) ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م .

يونس – علي

١٣٦– النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقى في الشعر الجديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .

ثالثاً : المجلات والصحف

أ- المجلات :

١-الإذاعة السعودية

٢- إقرأ

٣- الجزيرة

٤- الحج

٥- الرائد

٦- قافلة الزيت

٧-المنهل

٨- اليمامة

ب- الجرائد :

١- أخبار الظهران

٢- أم القرى

٣- البلاد السعودية

٤- البلاد

٥- الجزيرة

٦-حراء

٧- الرياض

٨-صوت الحجاز

٩-عكاظ

١٠- المدينة المنورة

١١- الندوة .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
الإهـــــداء	أ
المقـــــدمة	ب
التمهـــــيد	١
الباب الأول	
موضوعات الشعر الاجتماعي	٦ –٢١٨
الفصل الأول	
النهوض بالمجتمع	٧ –٤٨
المبحث الأول : الدعوة إلى نشر العلم والحث عليه	٨
المبحث الثاني : الدعوة إلى إنشاء المشاريع الإنمائية	٢٦
المبحث الثالث : الدعوة إلى العمل والحث عليه	٣٩
الفصل الثاني	
الأسرة	٤٩ –١١٥
المبحث الأول : قضايا المرأة	٥١ –٧٩
– الحجاب والسفور	٥٣
– تعليم المرأة	٦٦
المبحث الثاني : الزواج	٨٠
المبحث الثالث : الطلاق	١٠١
المبحث الرابع : تربية الأبناء	١٠٩
الفصل الثالث	
التكافل الاجتماعي	١١٦–١٥١
المبحث الأول : التعريف بالفقراء والمحتاجين في المجتمع والتذكير بهم	١١٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
المبحث الثاني : الدعوة إلى مد يد العون للفقراء والمحتاجين ومساعدتهم	١٣٥
المبحث الثالث : المشاركة في بعض الحوادث والكوارث الاجتماعية	١٤٦
الفصل الرابع	
علل وآفات اجتماعية	٢١٨-١٥٢
المبحث الأول : التكالب على حطام الدنيا	١٥٥
المبحث الثاني : النفاق	١٦٨
المبحث الثالث : الكبرياء والغرور	١٨٥
المبحث الرابع : الحسد	١٩٣
المبحث الخامس : السحر والشعوذة	١٩٨
المبحث السادس : الفراغ	٢٠٤
المبحث السابع : اندفاع الشباب إلى مهاوي المدنية الحديثة	٢١٠
الباب الثاني	
الدراسة الفنية	٣٨٢-٢١٩
الفصل الأول	
لغة الشعر الاجتماعي وأساليبه	٣٠٠-٢٢٠
المبحث الأول : اللغة	٢٢١
- النمط الفخم	٢٢٣
- النمط المأنوس	٢٢٩
المبحث الثاني : الأساليب	٢٤١
- الأسلوب الخطابي	٢٤١
- أسلوب التكرار	٢٤٩

الصفحة	الموضـــــــــوع
٢٦٠	– أسلوب الهمس
٢٦٩	– الأسلوب القصصي
٢٨٣	– الأسلوب الرمزي
٣٠١-٣٥٣	**الفصل الثاني التشكيل الموسيقي للشعر الاجتماعي**
٣٠٩	المبحث الأول : الأوزان
٣٣١	المبحث الثاني : القوافي
٣٤١	المبحث الثالث : الموسيقى الداخلية
٣٥٤-٣٨٢	**الفصل الثالث الصورة الفنية في الشعر الاجتماعي**
٣٨٣	الخـــــاتمة
٣٩٢	المصادر والمراجع
٤١٧	فهرس الموضوعات